مذكرات من التراث المغربي

كفاح الملك والشعب

تاريخ المغرب
Storiamaroc

للمزيد من الكتب:

www.storiamaroc.com

Storia Maroc تاريخ المغرب

https://www.facebook.com/pages/Storia-Maroc-460853327358124/تاريخ-المغرب

Followme!

@MarocStoria

https://twitter.com/MarocStoria

تاريخ المغرب
Storiamaroc

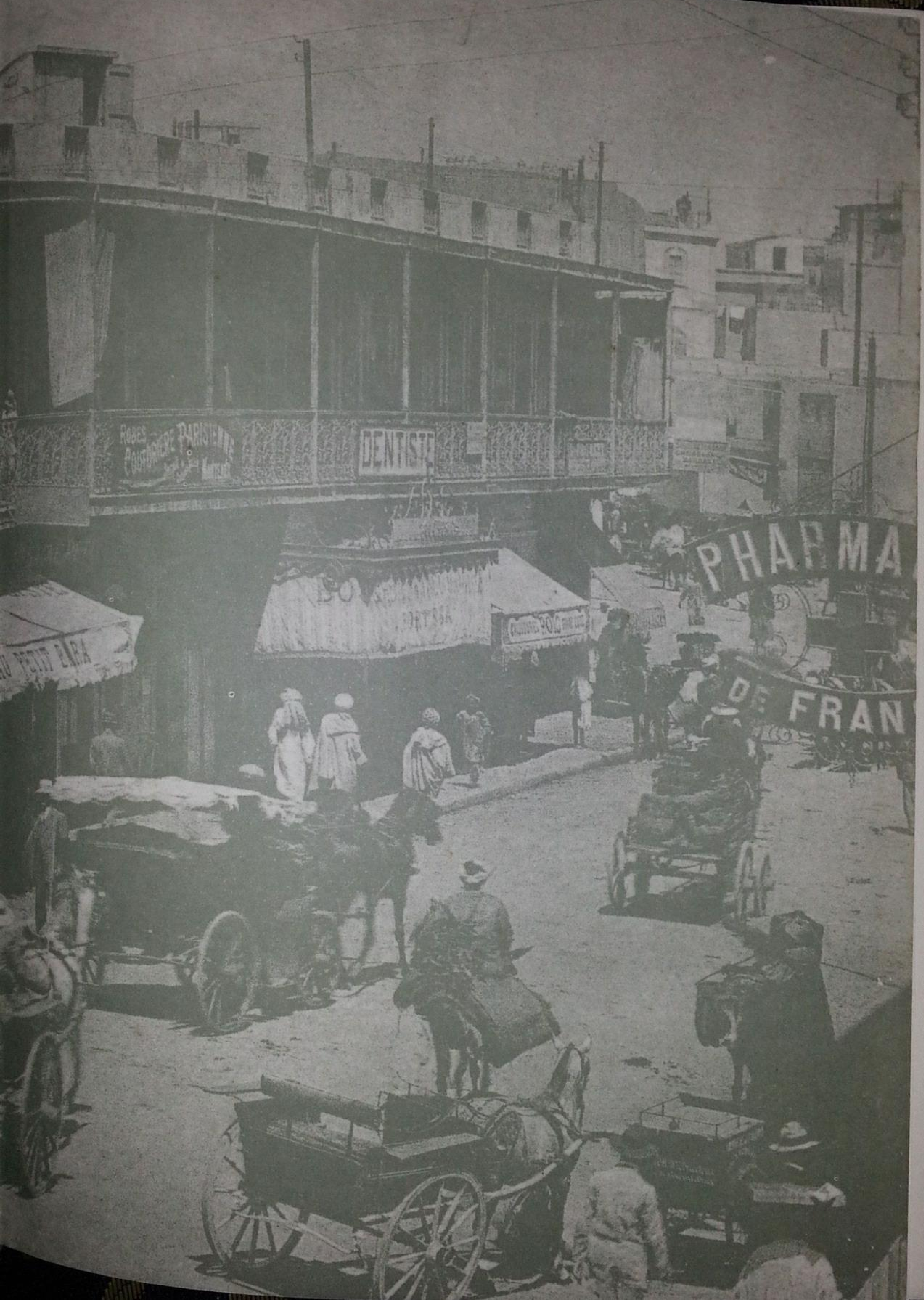

ROBES
CONFECTIONS PARISIENNE
DENTISTE
PHARMA
DE FRAN

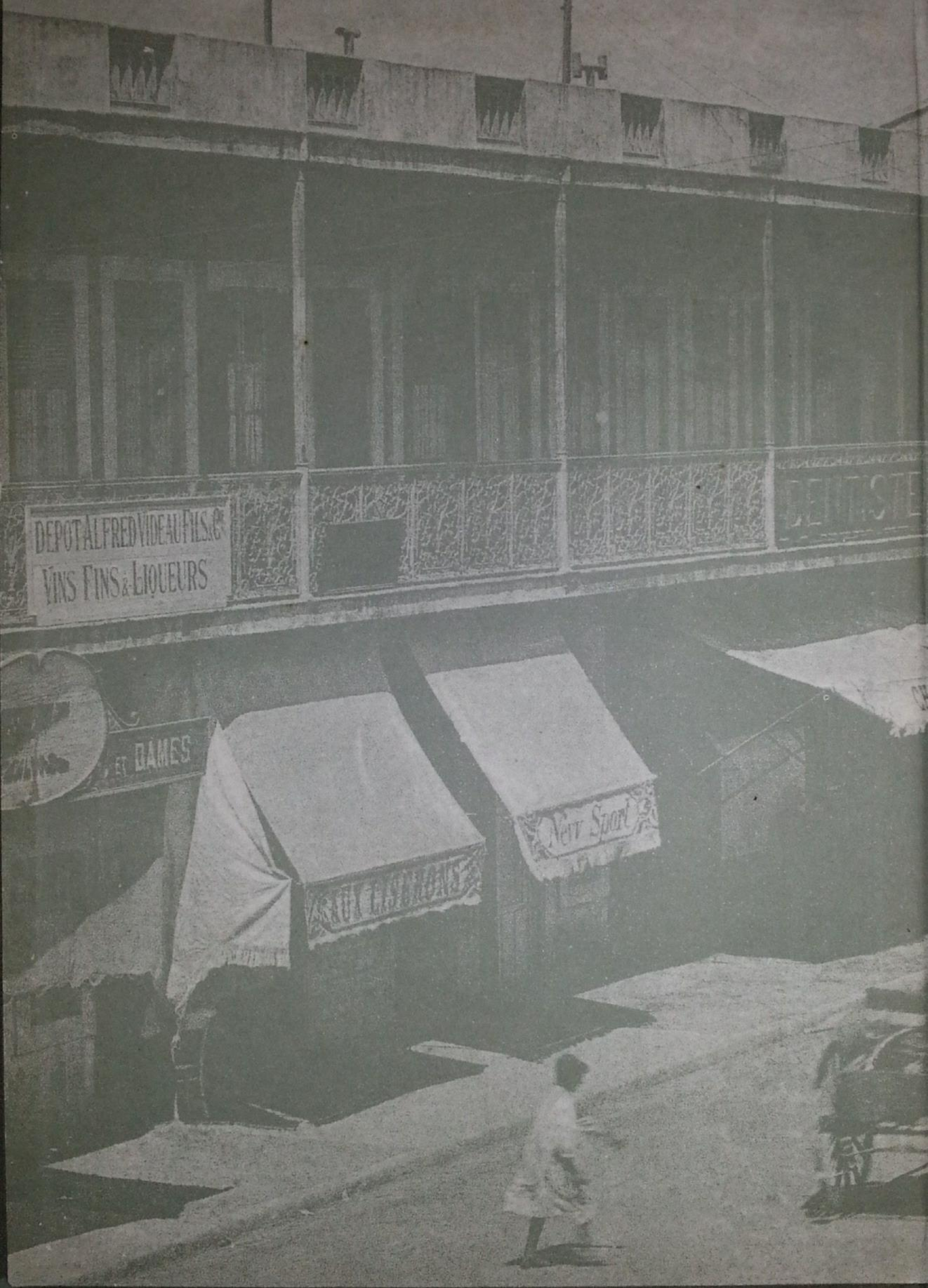
DEPOT ALFRED VIDEAU FILS & Cie
VINS FINS & LIQUEURS
ET DAMES
New Sport

مذكرات من التراث المغربي

مجموعة يشرف عليها العربي الصقلي

الجزء السادس

1953 - 1934

كفاح الملك والشعب

هذه المجموعة مكونة من ثمانية مجلدات

الجزء الأول : ... - 40 هـ موافق ... - 660م
ميلاد مركز حضاري

الجزء الثاني : 40هـ - 646 هـ موافق 660 م - 1248 م
الطابع الاسلامـي

الجزء الثالث : 646 - 1076 هـ موافق 1248 - 1666 م
من تمتين الدولة الى المخاطر

الجزء الرابع : 1076 - 1324 هـ موافق 1666 - 1906 م
من العظمة الى المؤامرات والدسائس

الجزء الخامس : 1324 - 1352 هـ موافق 1906 - 1933 م
تجزئة ومقاومـة

الجزء السادس : 1352 - 1374 هـ موافق 1933 - 1955 م
كفاح الملك والشعب

الجزء السابع : 1374 - 1404هـ موافق 1955 - 1983 م
في ركاب الامـم

الجزء الثامن : 1404 هـ - ... موافق 1983 م
المغرب الخالد : تراث فاخـر .

مذكرات من التراث المغربي

مدير المجموعة : العربي الصقلي
مدير النشر : هنري موران
الوثائق : زبيدة الزروالي وأمينة زين الدين
الاعمال التصويرية : أنبيس أودول
الترجمة : عبد الكريم حليم والمؤلفون
التصفيف الكهروني والتحرير : لطيفة الجبابدي
التصميم : جوزي مورو و منيرة أسري

NORD ORGANISATION
Copyright © 1986

فهرست

10 مدخل للمجلد السادس

الجزء الاول

13 **رجال ... وكفاح**

14 محمد الخامس : رمز في تصاعد ..... **محمد زنير**
مؤرخ

29 المطالب المستعجلة ..... **محمد زنير**

– مقدمة مطالب الشعب المغربي

42 علال الفاسي ..... **عبد الكريم غلاب**
كاتب وصحفي

53 محمد حسن الوزاني : حرب القلم ..... **عز العرب الوزاني**
رجل قانون

65 أحمد بلافريج ..... **أبو بكر القادري**
كاتب
إعداد عبد السلام حجي (صحفي)

72 عبد الخالق الطريس : أربعون سنة من النضال ..... **محمد العربي المساري**
كاتب وصحفي

– عبد الخالق الطريس ، شخصية ذات وزن عالمي

الجزء الثاني

91 **تفجيرات ومجابهات**

92 مساهمة المغرب في الحرب العالمية الثانية ..... **كي مارتيني**
مؤرخ

128 وثيقة الاستقلال : « استمرارية قانونية رائعة » ..... **الادريسي العلمي**
رجل قانون ، مدير المعهد العالي للصحافة

– وثيقة الاستقلال

142 شهادة عن الحياة الثقافية ..... **سعيد الصديقي**
كاتب وصحفي

150 دور الصحافة في النضال الوطني ..... **امينة إهراي – عوشار**
باحثة بالمعهد الجامعي للبحث العلمي

160 الدراجة ..... **مصطفى القصري**
كاتب وصحفي

الجزء الثالث

الأزمة علنية

164 خطاب طنجة ..... **أحمد الرشيد**
صحفي

– خطاب صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس
– خطاب صاحب السمو الملكي مولاي الحسن
– خطاب صاحبة السمو الملكي للاعائشة

182 عهد القطيعة : فترة 1947 – 1953 ..... **محمد كنبيب**
أستاذ بجامعة محمد الخامس

– الخنصالي ، أسد تادلة

214 الوعي الطبقي والوعي الوطني ..... **حسن بن عدي**
صحفي ونقابي

– المحجوب بن الصديق

232 الفخ ..... **مصطفى القصري**

238 ثورة مدينة وجدة : «خنقوا كما تخنق الفيران» ..... **العربي الصقلي**

المقاومة المسلحة

249 التراكم ..... **العربي الصقلي**
أحمد أخشيشن وجمال الدين الناجي
صحفيون

261 الخطوات الأولى ..... **العربي الصقلي**
أحمد أخشيشن وجمال الدين الناجي
صحفيون

تقـــديم

تحكي عن التاريخ المغربي ، وعن عصوره القديمة والحديثة والمعاصرة ، وعن ملامحه وأمجاده ، ووقائعه وأحداثه ، كتب ومؤلفات ومدونات كثيرة ومتنوعة ، يمكنها إذا جمعت في قالب واحد أن تشكل هيكلا متكاملا يحمل نظرة شاملة عن هذا التراث الأصيل ، ويكشف عن روح هذه الأمة ذات التاريخ الموغل في البعد والقدم ، والعائد إلى آلاف السنين .

انطلاقا منه ، نبعت فكرة إنجاز مجموعة «مذكرات من التراث المغربي» على غرار ما تم إصداره في العديد من الدول ، وعلى أساس أن تتضمن هذه المجموعة ، المكونة من ثمانية مجلدات ، كتابة حديثة للتاريخ المغربي ، بأسلوب عصري يعتمد البساطة والسلالة واليسر ، ويطرح الأحداث والأخبار التاريخية بلغة بعيدة عن الجمود ، قريبة مما تتداوله الأجهزة الاعلامية المرئية والمقروءة والمسموعة ، حتى تكون في متناول وطوع أمر مختلف الفئات والمستويات التربوية والتعليمية والثقافية .

ولأجل هذه الغاية ، وقع الاختيار على شخصية إعلامية مارست العمل الصحفي والاعلامي طوال حياتها متدرجة من قاعدته عبر مختلف مستوياته ، وتتمثل في الصحفي **العربي الصقلي** ، الذي أسندت إليه مهمة إدارة هذه المجموعة .

وقد تسنى لهذا الرجل بفضل تجربته وإلمامه بهذا المجال الخصب ، أن يستقرئ التاريخ المغربي عن طريق رجالات هذا البلد من المختصين في شؤون الجغرافيا والتاريخ والجيولوجيا والآثار والاناسة وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والديبلوماسية والكتابة ، ممن لبوا الدعوة بتلقائية ، فأسهموا بمعارفهم وعلومهم في إثراء هذه المجموعة من الوجهة الثقافية والاعلامية والتاريخية .

ويمكن للقارئ الكريم من خلال تصفحه لهذه المجموعة تسجيل الملاحظات التالية :

– إن الأصول والمصادر التي استقيت منها الوثائق والمعلومات قد تمت الاشارة اليها بإيجاز تجنبا للاطالة في التعاليق والمفاتيح .

– إن النصوص الأصلية التي وردت على سبيل الاستشهاد والاستئناس وقع اختصارها بدورها ، فجاءت مكملة للصورة الشاملة للنص حاملة اليه مراجع وجداول فهرسية .

– إن المصطلحات العلمية والأسماء المتصلة بالشخصيات والأقطار والمدن والأمصار والقبائل تم الرجوع في ترجمتها الى مؤلفي النصوص الأصلية ، أو إلى معاجم متخصصة صادرة عن هيئات ومكاتب ومؤسسات خاصة إقليمية ودولية .

وإننا لنود في الختام أن نتوجه بجزيل الشكر إلى كل الذين ساهموا في إصدار هذا المؤلف على مابذلوه من تضحيات وقاموا به من جهود ، متمنين أن يوفق هذا العمل الثقافي الاعلامي التاريخي في إعطاء جيد الصور وجليها عن شخصية وأصالة وحضارة الأمة المغربية .

مذكرات من التراث المغربي

مَدخل إلى المجَ

1935 – 1953 : هذه حقبة تكاثرت فيها الأحداث . وما يزال بعض المشاركين في هذه الأحداث وبعض الذين شهدوها أحياء . وما زالوا يذكرون ، في تأثر ، هذه الحقبة التي لما تدخل التاريخ ، ولكنها لم تعد جزءا من الأحداث الجارية .

فلا يمكن الاحاطة بهذه المواضيع كما أحيط بمثلها في المجلدات السابقة . ذلك أن لكلّ حساسيته في إدراكها ولأن تطابق المراجع – عندما توجد يكاد يكون منعدما . لا جرم أن السنوات العشرين التي درسناها في ثلاثة فصول متميزة لم تكن تشتمل على نفس الصعوبات . لكنها اتسمت بمنهجية في تسلسل الأحداث ، كانت بادية من قبل في المجلدات الأولى من هذه المجموعة .

وينبغي أن نشير إلى أننا عمدنا في هذا المجلد إلى استعمال الصور الشمسية . ولذلك انعدمت فيه الألوان . وقد يرى بعضهم في ذلك وسيلة يُرمز بها إلى حقبة لم تكن فيها كل الأشياء مشرقة .

إن الفصل الأول **استمرار للكفاح السياسي** الذي شُرع فيه في عهد الحماية ، بعد انتهاء مقاومة الاحتلال في مختلف المناطق ، ولمعارضة الظهير البربري ولتقديم برنامج الاصلاحات سنة 1934 .

وقد برزت شخصيات أثناء هذا الكفاح ، كان أولها **جلالة المغفور له سيدي محمد بن يوسف** ، إذ وعى أنه مؤتمن على سيادة الوطن ، فقرر صيانة المكاسب بالتعبير عن المطالب الوطنية ، وذلك رغم صغر سنه ورغم البيئة التي كانت مفروضة عليه .

وحلل المؤرخ **محمد زنيبر** ظاهرة التكافل التي حدثت بين الملك وشعبه في تحقيق المطامح الوطنية ، وكانت « **المطالب المستعجلة** » نتيجة لرفض سلطات الحماية الاستجابة لبرنامج الاصلاحات الذي قدمته لجنة العمل المغربي . وسعى نفس الكاتب إلى توضيح محتوى تلك الوثيقة التي ألحمت ما بين الكفاح السياسي وتعبئة النخبة حول هدف الاستقلال .

وتأثرت الأجيال ، منذ هذه الحقبة ، برجال كانوا مثالا في الكفاح الوطني : منهم **محمد علال الفاسي** ، إذ تحدث عنه حديث المشتاق أحد رفقائه في الكفاح ، وهو الأديب والصحافي **عبد الكريم غلاب** ؛ **ومحمد حسن الوزاني** ، إذ اعتمد ابنه **عز العرب** على عدة وثائق وذكريات فوصفه في غير تحيز ، رغم ما في ذلك من الصعوبة ؛ و**عبد الخالق الطريس** إذ أجاد الصحافي **محمد العربي المساري** والمؤرخ **محمد بن عزوز حكيم** في وصفه وصف المتأثر ؛ و**أحمد بلافريج** إذ خصص له الأديب ورائد الصحافة **أبو بكر القادري** صفحات على قدر قيمة شخصيته .

وخصص الفصل الأول من القسم الثاني « **تفجيرات ومجابهات** » **لمساهمة المغرب في الحرب العالمية الثانية** . فقد وصفها المؤرخ **كي مارتيني** بالحساسية التي امتاز بها الرجل الذي يُعتبر أحد أبناء هذا الوطن ، إذ ولد به وعاش فيه حياته كلها . فعرض لانزال الجيش الأمريكي بالمغرب وحملات تونس وصقلية وكورسيكا وإيطاليا وللغارة على كاريكليانو . وكان لقاء آنفا حدثا حاسما في تاريخ المغرب وفي تطور المطالب التي قدمت ، فيما بعد ، إلى الدولة الحامية . وكان من اللائق تخصيص مكانة متميزة **لوثيقة الاستقلال** المؤرخة بـ 11 يناير 1944 . ذلك هو الفصل الذي كتبه **محمد الادريسي العلمي** ، أستاذ القانون ومدير المعهد العالي للصحافة . فعنونه بعنوان ثان وهو « **الاستمرار القانوني السامي** » . فكان بمثابة دراسة جديدة للوثيقة نفسها وللظروف التي أعدتها فيها . وقد تعمدنا ألا نضيف إلى هذا الفصل إلا قليلا من الصور .

ما كانت عليه **البيئة الثقافية** في غضون هذه الحقبة التي تكاثرت أحداثها السياسية ؟ لقد ندبنا الشاعر والكاتب المسرحي والصحافي **سعيد الصديقي** ليفضي إلينا بمشاعره ، فنقلنا إلى تلك البيئة الحماسية التي امتدت من نهاية الحرب إلى الفترة التي سبقت الاستقلال مباشرة .

لد السادس

أما الفصل الثالث ، فقد ابتدأناه ب**الخطاب الملكي بطنجة يوم 10 أبريل 1947** ، إذ كان ذلك بُعيد مجزرة الدار البيضاء ، فاعتبر عاملا آخر من عوامل التفجير . وقد رأى الصحافي ، **أحمد رشيد** ، في الرحلة الملكية إلى الشمال « **إيذانا بقطع الحبل مع الماضي قطعا نهائيا** » لا في ميدان الكفاح الداخلي فحسب ، بل وحتى فيما يتعلق بعواقب الرحلة على العلاقات مع سلطات الحماية .

وتعرض **محمد كنبيب** ، الاستاذ بجامعة محمد الخامس إلى هذه العلاقات الجديدة فوصفها وحللها وبحثها بحثا دقيقا . فاستطاع أن يشعر القارئ بتأزم هذه الحقبة التي امتدت من سنة 1947 إلى سنة 1953 ؛ إذ كانت هذه السنوات الخمس حاسمة في تطور الأوضاع تطورا أدى إلى انقضاء عهد الحماية .

ثم كانت المجابهة العلنية بين القصر يسنده الشعب كله وبين الاقامة العامة التي أصرت على سلوك سياسة القوة . ثم كانت أحداث دامية نتجت عن التضامن « المغاربي » ، فسجلت في تاريخ المغرب المعاصر . وقمع المغاربة قمعا في شهر دسمبر 1952 ، وبذلك ، « **ابتدأت الحقبة الحاسمة ، حقبة المجابهة العامة ، فتقدم العمال المغاربة إلى الصفوف الأولى** » . وعن ذلك كتب الصحافي والمسير النقابي **الحسن بنعدي** ، فتعرض لتطور **كفاح الطبقة العاملة** من أجل تحرير البلاد .

ووصف الأديب والصحافي **المصطفى القصري** مأساة شهر دسمبر 1952 في مقال ضمّنه ما شهده في حينه ، وذلك إثر الأحداث نفسها .

وسبق لنا ، قبل ذلك ، أن حيينا **أحمد الحنصالي** ، بطل تادلة ، تحية تقدير . ثم حيينا كذلك **ضحايا 16 غشت 1953 بوجدة** ، أولائك الذين خنقوا في السجون ، كما حيينا ذلك المحامي الفرنسي الذي خاطر بنفسه للدفاع عما كان سكان تلك المدينة المقاومة يريدون التعبير عنه .

وتطورت الظروف الموضوعية المتعلقة بالكفاح المسلح حتى سنة 1953 ، وأخذت الفكرة تنبث في النفوس . وذلك ما عُرض له بالعنوانين « **التراكم** » و « **الخطوات الأولى** » . إن هذه الحقبة ، ما تزال تثار حولها العواطف والأهواء ، بعد ثلاثين سنة . لكنها تذكر ، خاصة ، بكثير من التأثر ، إذ ما تزال أحداثها عالقة بالذاكرة الجماعية .

وكان الحديث عنها يقتضي بذل جهد جهيد من أجل إجراء التحقيقات والأحاديث والاستجوابات المسجلة مع السياسيين والمنظمين والمنسقين والدعاة والمنفذين الذين طبعوا المقاومة بطابع خاص .

فقد حظيت أنا و**أحمد أخشيشين** و**جمال الدين الناجي** بلقاء عشرات وعشرات من الناس ، جماعات وفرادى ، لمحاولة عرض فكرة صائبة نسبيا عن ظروف السنوات الخمسين وعن حوافز المقاومة الحضرية وحيويتها وتنظيمها . وتشعبت الأمور حتى صعب حلها ، لا سيما أن ضرورات الاستسرار وعدم تسرب الأخبار لم تمكن الناس من كتابة مذكراتهم اليومية . لذلك أدرك كل واحد الأحداث إدراكه الخاص حسب مواقفه . وينبغي لنا أن نشيد إشادة خاصة بصدق أولئك الذين قبلوا إعانتنا على عملنا المتواضع الذي قصدنا به إلقاء الأضواء على هذه الحقبة . ولهم منا جزيل الشكر .

وسنعرض في المجلد السابع إلى تنظيم المقاومة بعد نفي المغفور له صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف والأسرة الملكية .

ونقدم شكرنا إلى الكتاب الذين ساهموا في إنجاز هذا المجلد وإلى الأشخاص الذين ساعدونا بشهاداتهم الصادقة الصريحة .

العربي الصقلي

رجال ... وكفاح .

رجال ... وكفاح . تلك هي ملحمة شخصيات شهيرة برزت في تاريخ المغرب المعاصر لتعبئ جموع الناس حول فكرتين تؤثران على تطور الأوضاع : صيانة الهوية والسيادة الوطنيتين ، والكفاح من أجل الحرية والاستقلال .

محمد الخامس

محمد زنيبر

أول ظهور رسمي لجلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف : الصلاة في مسجد الوداية بالرباط ، في متم شهر نونبر 1927 . (ILLUSTRATION ، 10 دجنبر 1927) .

حينما صعد محمد الخامس إلى عرش اباثه في نوفمبر 1927 ، كانت الملكية المغربية قد سلخت أزيد من ألف سنة من عمرها . وهذا يعني أنه توفر لها الوقت الكافي لتزود نفسها بتقاليد متينة ، ولتفهم دورها ومهمتها ، ولتتعرف على وسائل عملها .

ولعل تلك التقاليد والوسائل باتت متقادمة بالنسبة للتطورات التي جرت في العالم منذ قرنين على الأقل . ولعلها كانت عرقلة تجاه القيام بإصلاحات جريئة وناجعة في القرن التاسع عشر . ولكن ليس لنا ، مع ذلك ، إلا أن نعترف لها بوزنها التاريخي وبفعاليتها في توجيه موقف المغاربة ، على كل المستويات تجاه السيطرة الأجنبية .

ويجب أن نقف عند إحدى هاته التقاليد التي التحمت بتاريخ كل الدول المغربية المتعاقبة ، ألا وهي الغيرة على الشرف والوطن . بحيث إن الذي كان مطوقا بالسهر على السيادة المغربية كان يعرف أن الشعب يمكن أن يتغاضى له عن كثير من نقاط الضعف ، ماعدا قبول المذلة والخضوع لقانون العدو . فنحن نعرف جواب **يوسف بن تاشفين** على تحدي ألفونسو السادس ، ونعرف جواب **يعقوب المنصور** على ألفونسو الثامن . ومازالت صورة **أبي يوسف يعقوب** ماثلة أمامنا تتقد حيوية وهو يركض على جواده ويقود جيشه لانقاذ مدينة سلا التي احتلها الاسبان بغتة في

مز في تصاعد

سنة 1260 . وسيبرز هذا الاباء من جديد وغير ما مرة طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر في عهد دولتي الأشراف السعديين والعلويين الذين فرضت عليهم الأقدار أن يجابهوا ، غير ما مرة ، العدوان الخارجي وتهديدات الأعداء .

كل الملوك الذين بدر منهم ضعف تجاه الأحداث وعجزوا عن الوقوف في مستوى الظرف التاريخي وتخلوا عن تعهداتهم إزاء رعاياهم ، فقدوا سمعتهم وأصبحوا محل البغض والاستنكار . وهذا ما حصل مثلا ، للمتوكل السعدي الذي قتل في حالة غير مرضية أثناء معركة وادي المخازن .

وفي عهد أقرب إلينا نشاهد الجهود التي بذلها سيدي **محمد بن عبد الله** لتحرير الأرض المغربية من كل سيطرة أجنبية والمولى عبد الرحمان لابقاء ضغط الامبريالية الفرنسية التي أخذت تمد حبالها إلى المغرب بعد أن تم لها الاستيلاء على الجزائر .

ويبدو لنا ملوك المغرب في القرن التاسع عشر أكثر وعيا بمسؤولياتهم وإدراكا لمبلغ ضعفهم أمام الأخطار الوشيكة التي كانت تتربص بالمغرب والتي كانت تتمثل ، قبل كل شيء ، في القوة الضخمة التي كان يتوفر عليها العدو . وهذا ما يجعلنا نقدر موقف **مولاي الحسن** حق قدره لأنه استعمل كل ما لديه من طاقة ووسائل ، فتحايل ما وسعه التحايل وامتطى جواده على رأس جيشه يخوض السهول والجبال ويضرب في أطراف الصحراء جنوبا وشرقا ، كل ذلك لصيانة وحدة البلاد والدفاع عن استقلالها . فلما جاء المولى حفيظ وأكره على إمضاء عقد الحماية ، لم يستطع أن يتحمل طويلا الوضع الجديد الذي دخل فيه وفضل التنازل عن العرش . ذلك أنه لم يستطع هضم فكرة الانقياد لحماية فرضت عليه ووضعته في حالة مزيفة بالنسبة لشعبه حسب عبارة المؤرخ شارل أندري جوليان .

لاخضوع ولا انقياد عن طيب خاطر

استطاعت فرنسا بعد مسلسل طويل من الدسائس والضغوط والعدوان المسلح أن تتوصل إلى فرض النظام الذي كانت ترغب فيه بالمغرب . ولكن ، هل كان يعني ذلك من جانب المغاربة الخضوع الحقيقي والقبول الفعلي لنظام الحماية وما نشأ عنه من أوضاع جديدة في البلاد .

إن تقاليد الشرف والغيرة على الوطن التي التحمت بذلك الماضي العريق ما كان ليبطل مفعولها وتتلاشى في العدم في وقت عصيب بات فيه مصير البلاد مهددا . وسرعان ما ظهر مفعولها جليا ، على المستوى الشعبي ، في مقاومة فورية وتلقائية فرضت الاحترام على الخصوم بصمودها وطول نفسها وحرارتها . وجعلتهم يفكرون في سياسة معقدة من أجل المحافظة على مكاسب « تهدئة » بانت هشاشتها . والواقع ان « السلام » الذي حصلوا عليه في سنة 1934 لم يكن إلا منعطفا ضروريا في صراع ما زال ينذر يومئذ بطوله ومرارته .

هذا على المستوى الشعبي . وأما في أوساط الطبقة الحاكمة التقليدية التي كان منها المخزن ، فقد سار الاتجاه شيئا فشيئا إلى حل مبني على التفاهم مع الدولة المستعمرة ، بعد ما استنفذت كل الوسائل والحيل التي يوحي بها اللعب السياسي من أجل تأخير الانهيار المحتوم . لكن ذلك التفاهم لم يكن يؤول لدى الجميع بنفس الطريقة . فهو يعني بالنسبة للبعض انضماما كليا لنظام الحماية وبالنسبة لفريق آخر تسليما بقضاء لامفر منه وبالنسبة لفريق ثالث موقف انتظار واعتبار للخروج نحو عمل أكثر حكمة وذكاء وملاءمة للوضعية الجديدة .

بعد مغاير

في هاته التطلعات الأولى ، بدأت تختمر الفكرة الوطنية في الأذهان . ولكنها باعتبار ما كان يتوفر عليه الخصم من قوة وجبروت ، لم تكن تخلو من دعوى ومخاطرة وتهور . إلا أنه كان من المحتوم أن تساور ، من حين لآخر ، عقول عدد من المغاربة اليقظين والذين ظلوا سالمين من السموم التي نفثها الاستعمار في النفوس المريضة . وكان لها بعد أكبر ووزن أثقل بالنسبة لملك شاب كما كان محمد الخامس عند اعتلائه على عرش أسلافه سنة 1927 .

لقد اختاره دهاقنة الاستعمار ليخلف أباه مولاي يوسف . فجاء محمد الخامس ليقيم الدليل على قصر نظرهم وليفشل حساباتهم ويبدد كل أحلامهم وتوقعاتهم . وكان أولئك الرجال الذين ضعف لديهم البصر والبصيرة قد بنوا أملهم على تحليل نفسي ساذج إلى أقصى حدود السذاجة يدل على بلادة حسهم . فقد ظنوا أنهم إن ساعدوا أميرا شابا على التوصل إلى الملك سيجنون فيما بعد ، في المقابل ، اعترافا بالجميل ليس له حد وقبولا كليا لفلسفة الحماية . ولكنهم نسوا ، بكل بساطة ، أن يأخذوا بعين الاعتبار

الصدى المعنوي الذي يرتبط بالمهمة العليا التي تولاها محمد الخامس وفي نفس الوقت ، شخصية هذا الأخير القوية بإيمانها والغنية بمقوماتها .

إن محمد الخامس خينما تولى مهمة الملك ، كان لابد له من أن يكتشف شيئا فشيئا أصداء تلك التقاليد المبنية على صيانة الشرف والغيرة الوطنية المتداخلة عضويا مع نسيج التاريخ المغربي . لقد بذلت سلطات الحماية كل ما في وسعها لتعزل السلطان عن شعبه . ولكن هل كان في وسعها أن تمنعه من مشاهدة ما كان

محمد الخامس ، « اختاره دهاقنة الاستعمار ... فما كان من الممكن إلا أن يكتشف أصداء تقاليد الشرف والوطنية » .
(من مجموعة صور خاصة) .

يحيط به في قصره من ذكريات وشواهد ورموز تذكره بأن المغرب كان إلى الماضي القريب دولة ذات سيادة تتمتع بكامل حريتها ؟

إن كل شيء في القصر الملكي ، الأشياء والناس ، يعود به إلى ذلك الأمس الذي لم يبعد كثيرا عن الحاضر ، ولكنه يختلف عنه كليا ، والذي كان فيه السلطان سيدا حرا وسط شعب حر ومهما كانت الصعوبات والأزمات والمآسي والتحركات الفوضوية ، فإنها لم تكن شيئا بالقياس إلى الوضع الراهن في عهد الحماية ، لأن كل المشاكل كان من الممكن تسويتها بطريقة أو بأخرى ، والمهم هو صيانة الجوهر ، ألا وهو أن المغاربة كانوا أسيادا على أنفسهم وأسيادا على بلادهم .

قبائل منطقة الرباط ، تقدم الولاء لجلالة السلطان . « تقاليد تاريخية حية ، وشخصية ملك واع » . (ILLUSTRATION ، دجنبر 1927) .

ملك عزيمته في العمل

لم يفطن رجال الاستعمار إلى الخطإ الذي ارتكبوه حينما حاولوا أن يحيطوا بالفراغ ملكا شابا قوي الحساسية شديد الوعي ، يذهب به التفكير إلى البحث عن الحق والمنطق والمثل الأعلى . وفي هاته النقطة بالذات يبرز لنا جانب مهم من شخصية محمد الخامس ، جدير بأن ينحني عليه المؤرخ بالمزيد من الدرس والتحليل . ولا ننسى في هذا المقام أننا نشاهد التقاء عاملين كان لابد من أن ينشأ عنهما تطور سريع في تاريخ المغرب . ولولا ذلك الالتقاء ، لبطل المفعول التاريخي الاستثنائي ، ولطال انتظار المغاربة ولعرفت الحركة الوطنية مسارا آخر . فالعامل الأول كان يتمثل في وزن تلك **التقاليد التاريخية** بالنسبة للمغاربة ، ملكا وشعبا ، وهي تقاليد ترجع بهم إلى أزيد من ألف سنة . والعامل الثاني كان هو وجود **ملك** واع وعازم على السير في طريق التحرك والعمل .

ولا بأس في هذا المقام من الرجوع إلى بعض الشهادات المعاصرة . وهي من الكثرة بحيث يصعب إيرادها بكاملها . ويكفي أن نذكر منها تلك التي ترتكز على وقائع ذات أهمية تاريخية .

فعلى سبيل المثال ، نذكر ما أورده أحد المناضلين الأولين في صفوف الحركة الوطنية ، أبو بكر القادري في كتابه « **رجال عرفتهم** » ، إذ يتحدث عن الكيفية التي توصل بها إلى ملاقاة محمد الخامس على رأس جماعة من الشباب

تلاحم حقيقي جسده لقاء الوطنيين الشباب من سلا والرباط وفاس ، في حفل أقيم بسلا إثر إطلاق سراحهم سنة 1932 . نجد في الصورة على الخصوص : علال الفاسي ، سعيد حجي ، محمد اليزيدي ، أحمد بناني ، أبوبكر القادري ، الحاج عابد معنينو ، عبد اللطيف الصبيحي وبن حساين .
(من مجموعة صور خاصة) .

مذكرات من التراث المغربي

السلاوي ، في احتفال سلطاني تقليدي أقيم بمناسبة أحد الأعياد الدينية . فيقول في هذا الصدد :

« لازلت أذكر أول مرة زرته فيها وسلمت عليه وعبرت له عن تعلقنا نحن الشباب الوطني المسلم به وبعرشه ، وتفانينا في محبته ، وآمالنا المعلقة عليه . كان ذلك في أحد أعياد سنة 1932 ، وكانت الادارة الاستعمارية تضع الحواجز المنيعة بينه وبين شعبه ، فلا يسلم عليه ويحييه ويبارك له بمناسبة الأعياد الدينية إلا من كانوا يدعونهم « الأعيان » الذين تستدعيم السلطة المحلية ليصحبوا باشا المدينة فيقدموا إليه مراسيم الولاء .

واتفقنا نحن جماعة من شباب « سلا » الوطني المسلم ، أن نقوم بمغامرة نحطم بها هذه الحواجز التي أقاموها أمامنا تمنعنا من الاتصال بملكنا وتقديم مراسيم الولاء الحقيقي له ولعرشه المجيد . وجاءت فرصة أحد الأعياد . فلبسنا لباسنا التقليدي (جلابة وسلهام) وصعدنا إلى القصر الملكي بالرباط ، واختلطنا مع غيرنا من المهنئين . ولما نودي على أعيان سلا وقفنا خلفهم . فنظر إلينا شزرا من طرف رجال السلطة المحلية الحاضرين . ولم يستطعوا أن ينبسوا ببنت شفة ، حتى إذا ما دخلوا للسلام على جلالة الملك المرحوم ، بقينا نحن واقفين ، نحاول أن نسلم عليه مستقلين . وسألنا قائد المشور : « من أنتم ؟ » فقلت : « شباب سلا المسلم » . فما عم أن صاح ، والأعيان يغادرون قاعة العرش : « شبان سلا المسلمون . الله يبارك في عمر سيدي » . وتقدمنا لقاعة العرش . واصفر وجه الباشا الذي لم يكن ينتظر هذه المفاجأة ، واحتار ماذا يعمل . فبقي واقفا ، رحمه الله ، مشدوها ، لا هو معنا ولا هو بعيد منا .

وسلمنا على جلالة الملك وهو جالس على عرشه . وكانت التقاليد أن يسلم المهنئون ثم يجلسون ، بينا يردد قائد المشور عبارة مؤداها : إن سيدنا يرضى عنكم ويشكركم ويبارك فيكم . ثم يرفع صاحب الجلالة المرحوم يده قارئا الفاتحة . فجلسنا بدورنا ، ثم تشجعت فقمت بين يدي جلالته وألقيت كلمة قصيرة ضمنتها عبارات التعلق بعرشه والالتفاف حوله لخدمة الشعب المغربي والملة الاسلامية الحنيفة . فظهرت الفرحة والرضا على أسارير جبهته نور الله ضريحه ، وفاه بكلمات طيبات ، كلها رضى وتقدير » .

وقع ذلك في سنة 1932 ، والملك لايتجاوز سنه إذ ذاك إثنتين وعشرين سنة . والتاريخ يشير ، من جهة أخرى ، إلى عهد ميلاد الحركة الوطنية العصرية بالمغرب ، وهو العهد الذي تأثر ، قبل كل شيء ، بقضية **الظهير البربري** المشهورة . ومن المعلوم أن ذلك النص التشريعي هز البلاد كلها هزة عنيفة ، لأنه كان ضربة موجهة لكيانها الديني وكيانها السياسي معا . ومما أورده مؤلف الكتاب المذكور في هذا الصدد قصة وفد العلماء برئاسة أحد شيوخ القرويين الذي جاء ليسلم إلى محمد الخامس عريضة يندد فيها بالظهير البربري ، فيقول :

« ويحمل الوفد الأمين تحت رئاسة عالم فذ وقور من علماء القرويين هذه العريضة . ويتشرف بالوقوف بين يدي العاهل الشاب ، وهو أول يوم يمثل فيه ممثلو الشعب بين يدي جلالته ، ويعبر عن شكوى الشعب المغربي وألمه وحزنه واحتجاجه من السياسة الاستعمارية التي خطط لها الاستعماريون بصدور ذلك الظهير البربري المشؤوم ، ويطلب منه أن يقف جنبا إلى جنب للدفاع عن وحدته وعقيدته وتلبية المطالب التي أشرنا إليها من قبل . ويلاحظ أعضاء الوفد جميعهم أن عيني جلالة العاهل الكريم تنهمران بالدموع وهو يستمع إلى كلمات الشيخ الوقور ، متأثرا أيما تأثر من تلك الكلمات الصادقة المخلصة ، ومؤكدا أنه سيبذل جهده وكل ما يستطيع لعرقلة تطبيق تلك السياسة الخرقاء وكل ما من شأنه أن يضر بوحدة البلاد وعقيدتها ، والشعب المغربي ومطامحه ومطالبه » .

ويقول شارل أندري جوليان في مقاله عن محمد الخامس بالمجلد العاشر من موسوعته « الأفارقة » ما يلي :

« لقد وقع السلطان الشاب على الظهير البربري تحت التهديد ، كما يذكر الكثير ، ولربما أيضا لكونه لايدرك خطورته . فالأشخاص المحيطون به في دائرته لم يجرؤوا على تنبيهه خوفا من انتقام الاقامة العامة . وكيف كان يتسنى له أن يقاوم وحده دون سند ، الضغوط الرسمية التي كان مستهدفا لها . وعلى أي ، لم تكن تلك المحنة دون فائدة . فلما علم أنه خدع ، قال للشاب خريج القرويين علال الفاسي : « لن أتخلى أبدا عن أي حق من حقوق وطننا » . لقد كان وفيا لتعهده ولم ينثن إلا تحت إكراه القوة » .

لغة الرموز

في هذا المقام ابتسامة وفي مقام آخر إشارة خفية أو كلمة لاتخلو من معنى . تلك كانت هي اللغة الأولى التي استعملها محمد الخامس مع شعبه . فهو لم يلتجئ إلى الخطاب الطويل والعريض المشحون بالبلاغيات والحماسيات والتحليلات المعقدة ، بل اكتفى بلغة الرموز الخالصة التي كانت أكثر وقعا وتأثيرا بما كانت تدفع إليه المغاربة من البحث عن المعنى الحقيقي والمقاصد التي كان يهدف إليها السلطان . وفي الجلسات العائلية أو في اللقاءات بين الأصدقاء أو في الاجتماعات بين الوطنيين المناضلين ، كانت تلك الرموز تخضع لأفانين من التحليل والتعليق . منهاج سقراطي ، من دون شك ، لأنه كان يدفع بأبناء الوطن المغربي إلى اكتشاف الاتجاه الوطني الصحيح عن طريق نوع من المايوطيقا .

وكشفت تلك الشهادات الأولى ، بنفس المناسبة ، إلى أي حد كان محمد الخامس واعيا بأنه يمثل استمرارية تاريخية عريقة ، حاول الاستعمار بكل ما يستطيع أن يتجاهلها ويسدل عليها رداء النسيان ويتحدى بذلك المغاربة دون مواربة ودون اعتبار لغيرتهم وحساسيتهم . وكان لابد من الجواب على التحدي . لكن ، هل كان ذلك ممكنا بالنسبة لمحمد الخامس وهو في وضعيته التي وجد عليها في أول عهده ، وضعية عاهل شاب ، معزول باستمرار عن شعبه ،

« استمرارية تاريخية » : شعب يقدم الولاء لملكه .
(تصوير : ج . بلان) .

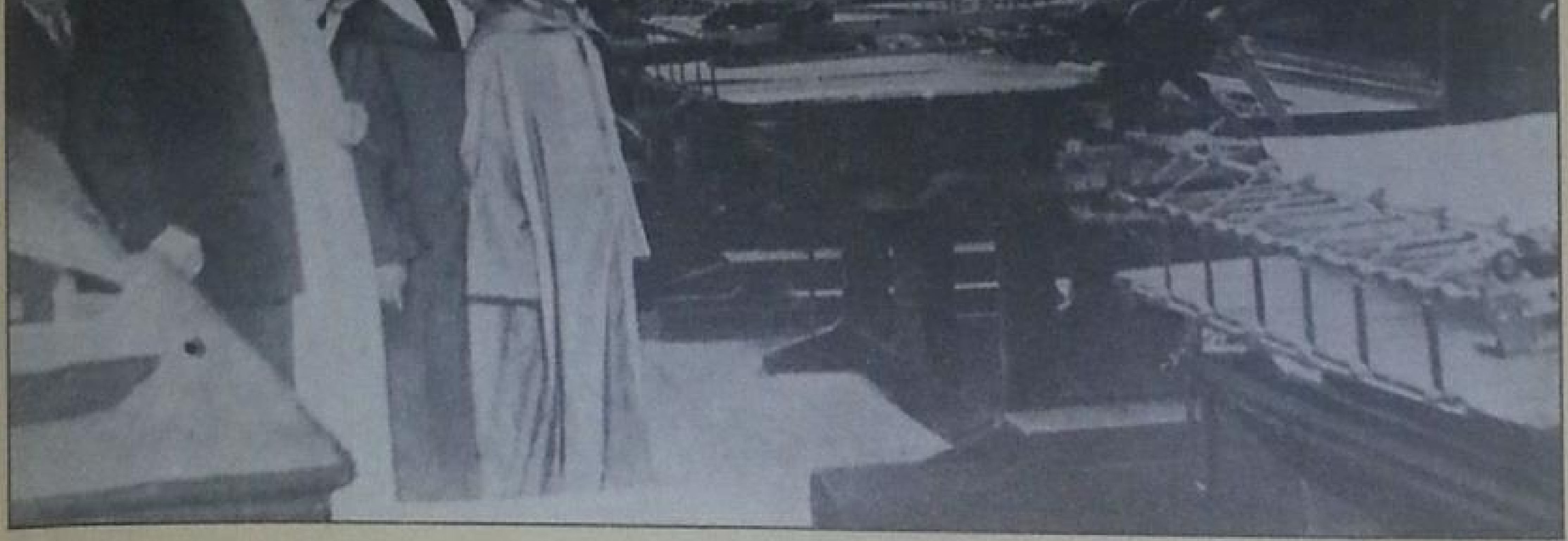

« ملك شاب عرف كيف يخترق السدود المنيعة لتحقيق التواصل الحر مع شعبه » . هنا في زيارة لاحدى المطابع بفرنسا ، صيف 1929 .
(ILLUSTRATION ، 10 غشت 1929) .

« في هذا المقام ابتسامة وفي مقام آخر إشارة خفية ... لقد اكتفى بلغة الرموز الخالصة التي كانت أكثر وقعا وتأثيرا » .
جلالته يزور « أسواق الرباط » في معرض فانسن .
(ILLUSTRATION ، 15 غشت 1931) .

محمد الخامس في زيارة للمرشال ليوطي ، لدى مروره بفرنسا .
(ILLUSTRATION ، 8 يوليوز 1934) .

محمد الخامس

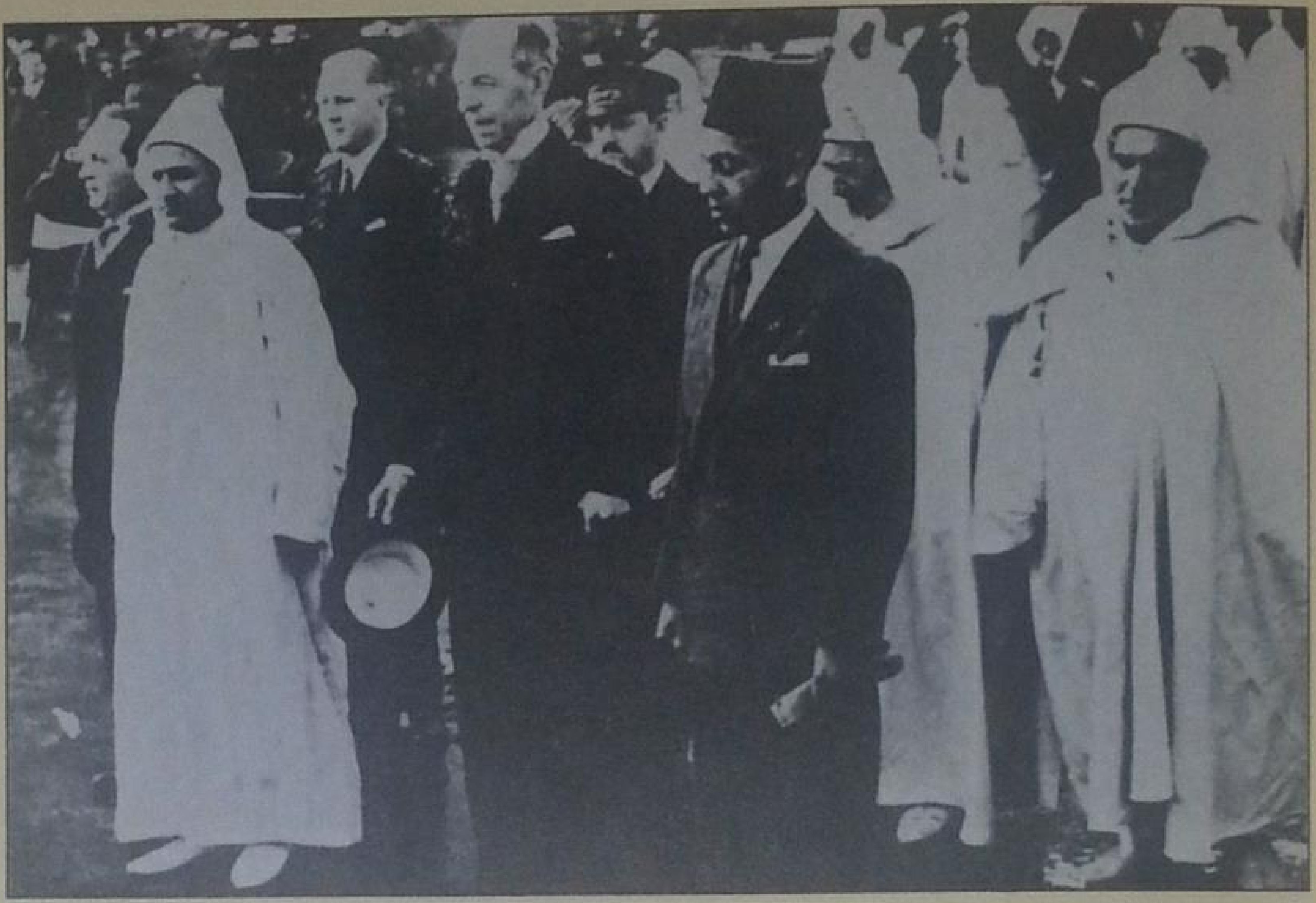

بمناسبة حفل رسمي بالرباط : في الصف الأول من اليسار إلى اليمين ، ليون مرشال ، جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف ، السيد لوسيوس ، المقيم العام إيريك لابون ، الأمير مولاي الحسن .
(تصوير بولان) .

محمد الخامس ، الرمز الحي للسيادة المغربية ، برفقة لوبران وشارل الثاني ملك رومانيا .
(ILLUSTRATION ، 24 يوليوز 1937) .

محمد الخامس الذي كان « واعيا بأنه يمثل استمرارية تاريخية عريقة حاول الاستعمار تجاهلها » ، يزور مسجد باريز سنة 1939 رفقة ولي العهد .
(ILLUSTRATION ، فاتح يوليوز 1939) .

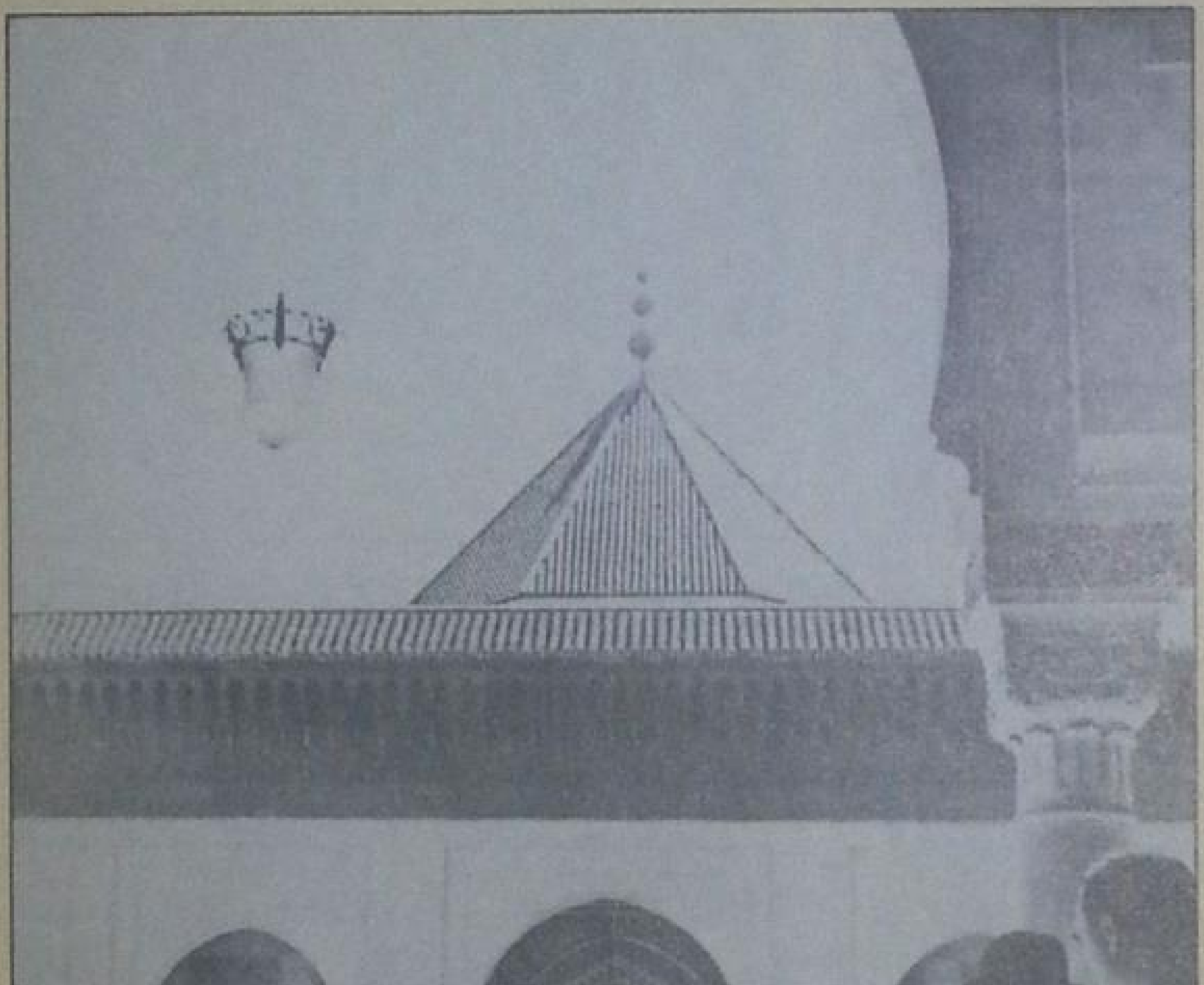

ممنوع من كل اتصال حر مع أي مواطن مغربي ، تحيط به الحراسة من كل جهة .

وكانت الفكرة تظهر ، لأول وهلة ، صعبة التحقيق ، إن لم نقل مستحيلة . وهنا تبرز لدينا إحدى مزايا محمد الخامس الكبرى ، إذ عرف كيف يستفيد أحسن الفائدة من وضعية كهاته ، فيفتح لنفسه بمهارة طريقا وسط السدود السميكة والمحروسة بقوة ، طريقا لم يرها أحد غيره . وفهم منذ البداية أن شخصيته ستكبر وسلطته الحقيقية ستزداد وسمعته ستزكو بمجرد إقامة اتصال ، مهما كان خفيا ، مع شعبه . وعلى ما يظهر ، فقد لعبت النساء دورا كبيرا في ربط الخيوط الأولى ، لانهن على ما يذكر الصحافي المشهور لاكوتير « **أقمن شبكة محكمة للاستعلامات جعلت الاشاعات والأخبار تنصب من كل أسرة إلى القصر . وإنها لطريقة غريبة في الحصول على الأخبار ! فلماذا لم يزود بغيرها ؟ ... صحيح أن فرنسا ضمنت له الأمن الشخصي ، والنظام داخل مملكته وتنمية الاقتصاد المغربي ، وبنت الجسور والمعامل وخطت الطرق . لكن لم تظهر على أنها تهتم كثيرا بالملك الذي اتخذته كمخاطب لها** » (لاكوتير : « خمسة رجال وفرنسا ») .

تعاهد في العمق مع الوطن

وكانت الثمرة الأولى والكبرى لتلك الاتصالات هي قيام الشبان الوطنيين بإحياء عيد العرش ، ابتداء من 18 نوفمبر 1933 ، الذي هو تاريخ ذكرى اعتلاء محمد الخامس على العرش . وهو حدث مهم جدير بأن يستوقف نظر المؤرخ لأن العيد سرعان ما اكتسب شعبية كبيرة ، وأصبح يعني وقوف الشعب إلى جانب ملكه في اتجاه الوطنية الخالصة ، سيما وأن الفرنسيين من الجالية المستعمرة كانوا حريصين على الاحتفاء بعيدهم الوطني ، عيد 14 يوليو ،

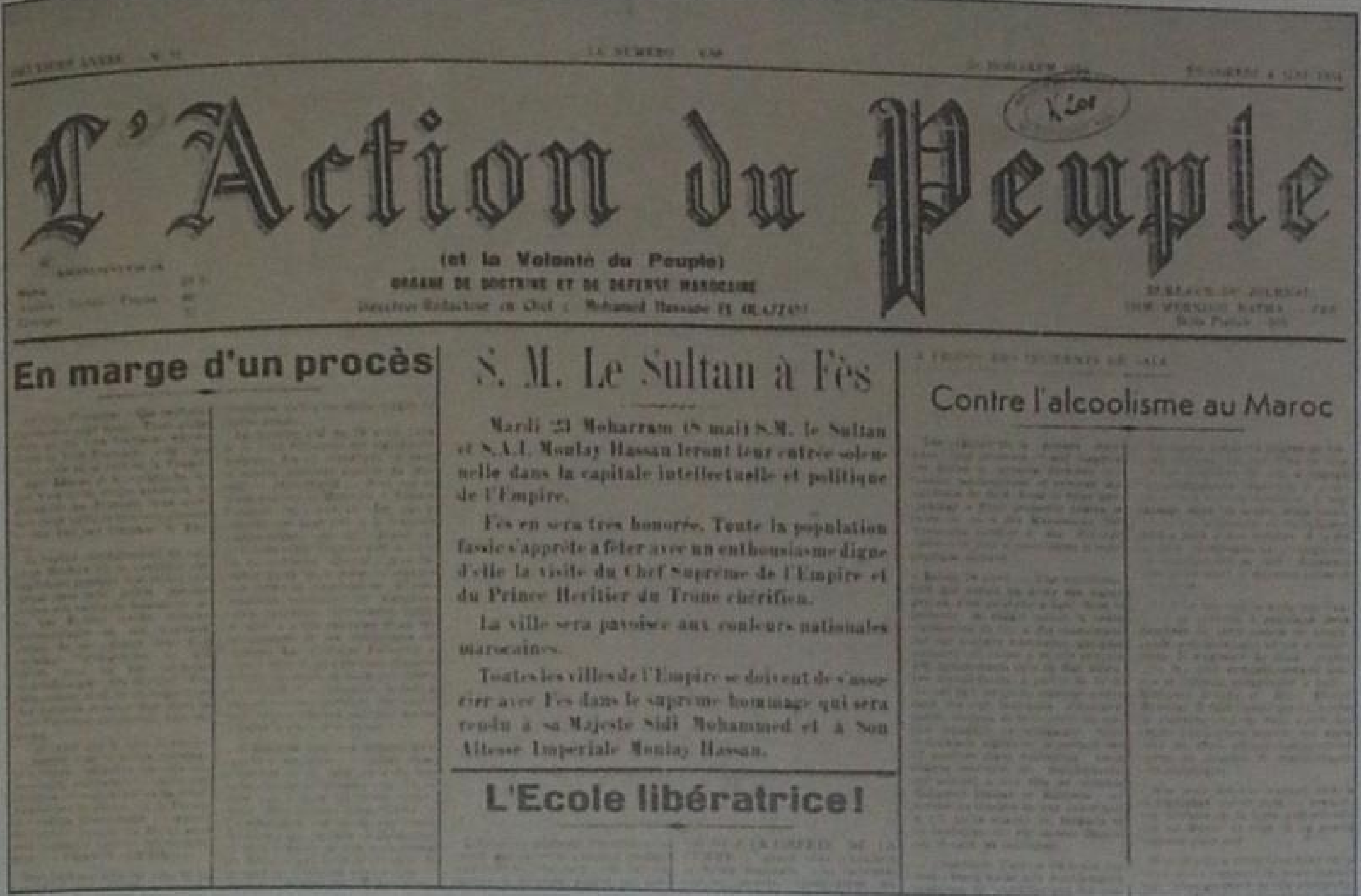

L'Action du Peuple

(et la Volonté du Peuple)

ORGANE DE DOCTRINE ET DE DÉFENSE MAROCAINE

En marge d'un procès

S. M. Le Sultan à Fès

Mardi 23 Moharram (8 mai) S.M. le Sultan et S.A.I. Moulay Hassan feront leur entrée solennelle dans la capitale intellectuelle et politique de l'Empire.

Fès en sera très honorée. Toute la population fasie s'apprête à fêter avec un enthousiasme digne d'elle la visite du Chef Suprême de l'Empire et du Prince Heritier du Trone chérifien.

La ville sera pavoisée aux couleurs nationales marocaines.

Toutes les villes de l'Empire se doivent de s'associer avec Fès dans le suprême hommage qui sera rendu à sa Majesté Sidi Mohammed et à Son Altesse Impériale Moulay Hassan.

L'Ecole libératrice!

Contre l'alcoolisme au Maroc

« يحى الملك ! » ، عبارة هتفت بها الجماهير في ماي 1934 ، فشكلت حدثا وازنا سيطبع تاريخ الوطنية المغربية . الصحافة الوطنية تحث على التعبئة وراء الملك .
(مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

بكل مظاهر الفخفخة والزينة ، على مرأى ومسمع من المغاربة . وهكذا لم يبق محمد الخامس وجها لوجه مع تراث الماضي وموجبات التقاليد وهو يسعى بأناة وتؤدة ، كملك شاب في مقتبل العمر ، للتخلص من وصاية جد ثقيلة ولاسترجاع حقوقه في ممارسة السيادة الفعلية . بل وجد نفسه يحظى بمساندة شعب بكامله ، واكتشف إلى أي حد كان ذلك الشعب يضع فيه كل آماله .

معظم المؤرخين يتفقون على أن زيارة الملك لفاس في مايو 1934 كانت حدثا ذا أهمية بالغة في تاريخ الوطنية المغربية ، وهي الزيارة التي استقبل فيها شعب فاس ملكه بهتاف : « يحيى الملك ! » . ويعلق ج . لاكوتير عليه قائلا إن الصيحة « رنت كنداء للثورة » ، كما عبرت في نفس الوقت ، عن رؤية جديدة للملكية المغربية . فبدل استعمال « **كلمة سلطان العتيقة المشحونة كثيرا بمضامين وسيطية** » ، قرر استعمال كلمة ملك .

ويرى عبد الكريم غلاب أن الزيارة الملكية سمحت لشعب المدن بالتغلب على تخوفاته ومجابهة الإرهاب الاستعماري بكل إقدام . أما شارل أندري جوليان ، فيكتشف للحدث معنى أعمق يتجاوز الظرف ويمس بالأمة في بنيانها . « **منذ 1934 ، هتف الشعب به كملك ، رئيس للأمة لا كسيد واقع تحت الوصاية** » .

وعلى كل حال ، فلا يسعنا إلا التسليم بأننا تجاه تحولات هائلة . وإذا لم تكن تظهر للعيان بكل علاماتها ومضامينها ، فإنها كانت تشق طريقها إلى الضمائر وتلهم ، ولو من بعيد في هاته المرحلة الأولى ، الاستراتيجية الوطنية ، وتثير في نفس الوقت ، من جانب السلطات الاستعمارية مزيدا من التشكك والحذر والاحتياط . إلا أن محمدا الخامس كان رجلا واقعيا ورصينا فتمسك بموقف التبصر والاحتراز ولم يندفع في مزالق التهور فيقوم بعمل سابق لأوانه يكون بمثابة هروب إلى الأمام .

وكان لابد له ، وقد أصبح الأمل الصاعد للوطنية المغربية والرمز الحي للسيادة المغربية العريقة ، من أن يظل على رأس الدولة المغربية ينتظر الساعة التاريخية المساعدة على عمل مفيد وخصب . ومن تم كانت فترة الانتظار الطويلة

التي عملت على نضوج الأفكار والأشياء ودامت عدة سنوات . وهي التي يفسرها جان لاكوتير بقوله :

« ... انطلق الوطنيون في حملة على الزوايا ، التي كانت تضايق نفوذ السلطان الامام بما كان لديها من نفوذ . فنددوا بطبيعتها الرجعية ، والدور التي كانت تلعبه بوحي شيطاني من سلطات الحماية في بث الشقاق . وبناء على ذلك ، كان من المتوقع أن يظهر بسرعة تواطؤ بين القصر وحركة المعارضة الصادرة عن الشباب المغربي . وإذا لم يقع الحدث إلا بعد مرور عشر سنوات ، فالأمر يرجع لعدة أسباب . أولها الأولوية التي قررها العاهل الشاب لاستعادة سلطته الشخصية تجاه الفيوداليات المغربية . ثانيها اتخاذ الحركة الوطنية لخطة أكثر تشددا وثورية بعد فشل مطالب الاصلاح في 1934 . وثالثها التأثير الشخصي للجنرال نوجيس » .

تفسير لا يمكن قبوله برمته ، بل هو قابل للمناقشة فيما يخص السببين الثاني والثالث اللذين أوردهما المؤلف . فمن جهة ، لم تقع أي قطيعة بين الوطنيين والسلطان ابتداء من 1934 ، لأن الوطنيين كانوا واعين بالوضعية الدقيقة والصعبة التي كان يوجد فيها الملك . إذ كان عليه أن يقوم بواجباته اليومية كعاهل البلاد ، وهي الواجبات التي كانت تفرض عليه أن يحافظ على علاقات لامفر منها مع الدولة الحامية ، من جهة . وكان عليه أن يقدر واجبه الأكبر كملك وطني ، مسؤول عن مصير شعب بكامله ، من جهة أخرى . وكانوا يدركون تمام الادراك أن طريقة العمل وأسلوب النضال ونوعيته لايمكن أن تكون على شاكلة واحدة من الجهتين ، وأن أسعد حظ بالنسبة للحركة الوطنية هو أن يظل محمد الخامس على عرش البلاد لما سيأتي من مراحل حاسمة في ذلك الكفاح الطويل .

وأما مايعني « النفوذ الشخصي » لنوجيس ، الذي كان بالفعل مقيما عاما جد لبق مع الملك والذي حاول أن يدعم سلطته ويتعاون معه بكل تقارب ، فمن الواجب أن ننظر إليه في حدوده الحقيقية . والظاهر أن محمدا الخامس حاول أن يوقف القمع الذي تعرضت له الحركة الوطنية في 1937 ولكنه سرعان ما وجد نفسه أمام جدار من التصلب والعناد ، في الوقت الذي لمس فيه لدى الجنرال استعدادا أقوى للتفاهم والحوار مما كان يصادفه عند المقيمين العامين السابقين . فكان من غير المعقول التخلي عن مثل تلك الفرصة ، سيما والحرب العالمية الثانية على الأبواب ، تفرض ظروفا صارمة على الحياة السياسية بالمغرب ، وتلزمه بأن يقدم مساندته لقضية الحلفاء ، وهو موقف كان لايخلو من حكمة ورشد ، كما ظهر فيما بعد .

الجنرال نوكيس : رغم « جدار التصلب والعناد » ، لمس لديه جلالته « استعدادا للتفاهم والحوار » .
(تصوير : ج. بلان) .

عبد الحي الكتاني ، دور تقسيمي برعاية سلطات الحماية .
(الخزانة العامة ، الرباط) .

إبحار « الكوم » المغاربة في اتجاه الجبهة : « مساندة قضية الحلفاء كانت موقفا سياسيا لا يخلو من حكمة ورشد » . (مجموعة CDT-HUCHARD) .

ثقة الشعب

وهكذا تمكن محمد الخامس في الفترة الواقعة قبل الحرب العظمى ، من أن يخطو خطوات إيجابية ويحقق مكاسب بكل مهارة وبدون ضوضاء . فاسترجع جزءا مهما من اختصاصاته كملك ، وفرض سلطته على هيئة المخزن المتداعية وعلى كبار الاقطاعيين في البلاد ، واكتسب عطف الشعب وثقته وكذلك الشباب المتجند في العمل الوطني ، دون أن يتهور في إفساد العلاقات الصعبة والدقيقة مع الدولة الحامية .

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتضع حدا للمرحلة الأولى من الحركة الوطنية التي تركزت ، قبل كل شيء ، على المطالبة ببرنامج إصلاحي ، في إطار نظام للحماية متقيد بالتزاماته . ولم يكن من الممكن للوطنيين أن يطعنوا فرنسا من الخلف وهي في معركة حياة أو موت مع النازية ، مما جعلهم يتخذون موقفا لايخلو من أريحية ونبل إذ قدموا لها مساندتهم . وقد أشارت وثيقة نشرها الحزب الوطني فيما بعد إلى كونه وجه ، في 26 غشت 1939 ، وفدا إلى الاقامة ليؤكد التضامن الفرنسي المغربي ويقدم مساهمته أمام الخطر الداهم ، وذلك برغم غياب عدد من أعضائه بسبب النفي الذي تعرضوا له من السلطات الاستعمارية . يتبين من ذلك أن الوطنيين ساروا في نفس الموقف الذي اختاره محمد الخامس نفسه والذي أشرنا إليه من قبل . ولا يسع الملاحظ إلا أن يسجل نوعا من التواكب والتنسيق بين موقفهم وموقف الملك . وليس ذلك من محض الصدفة ، بل أصبح من البين منذ ذلك الوقت بأن الوطنيين يعتمدون في نظامهم على مساهمة محمد الخامس . فهم لم ينسوا أنهم انطلقوا ، في البداية ، كجماعات صغيرة ومعزولة ، وأدركوا بعد تجربة عشر سنوات من الكفاح أن أقصر طريق لنيل الاستقلال هو التفاهم مع محمد الخامس . ولم يتطلب منهم ذلك أي مجهود إذ وجدوا أنفسهم بإزاء رجل يحمل نفس همومهم وآلامهم وآمالهم .

نعم لقد كان أقصر طريق ، ما في ذلك شك ! فانضمام الملك إلى صفوف الوطنيين معناه انضمام أوسع الجماهير في البلاد . وكان من الضروري أن يقود منطق العمل والتحرك إلى هاته الحقيقة البديهية الناصعة التي لم تخف على الاستعماريين منذ أول يوم ، ألا وهي أن كثيرا من أبناء الشعب البسطاء كانوا يقولون في أنفسهم : مادام السلطان قبل الحماية واعترف بها ، فلابد لنا من أن نثق بحكمته ونقبلها نحن أيضا ، ولو كانت غير محببة إلينا .

لكن ، ماذا سيكون موقفهم إذا عبر الملك ، ولو بعبارات التلميح ، عن كراهيته لنظام الحماية ؟ إنهم سيغيرون ، آنذاك موقفهم رأسا على عقب . وفي السير نحو هذه الحتميات التاريخية ومواجهة آفاق من هذا النوع ، استأنفت الحركة الوطنية نشاطها وفتحت صفحة جديدة من نضالها في الوقت الذي أخذت فيه الدول

العظمى تتفتح عينها ، تحت ضغط الحرب الكونية ، على مصائب الاستعمار ومظالم الامبريالية ، لتتحدث عن تحرير الشعوب وتطرح في الميزان مصير الشعوب المستعمرة .

التجاوب مع مطامح الشعب

عندما تكبدت فرنسا هزيمة 1940 ، أخذ كل المغاربة يتساءلون ماذا سيكون مصيرهم عند نهاية الحرب . وكانت الأحكام العرفية المفروضة على البلاد تصادر كل الحريات . ومع ذلك ، لم يجد الوطنيون أي مانع من عقد اجتماعات سرية وتتبع تطور الأحداث يوما بعد يوم . وكانت الأنظار كلها متجهة يومئذ إلى محمد الخامس الذي خطا خطوات ليقيم البرهان على أنه يريد أن يكون مستقلا في عمله . من ذلك موقفه من قضية اليهود المغاربة الذين دافع عنهم تجاه الاضطهادات التي كانت تقوم بها حكومة فيشي في نطاق سياستها العنصرية المعادية للساميين . ومن ذلك موقفه من نزول الأمريكيين بأرض المغرب في نوفمبر 1942 لملاحقة الضغط على ألمانيا النازية في حرب 1939 - 1945 . فقد طلب منه المقيم العام الجنرال نوجيس أن يتبعه إلى فاس . لكنه رفض وتحمل مسؤوليته كسيد للبلاد في هاته الوضعية الجديدة والمفاجئة بالنسبة لبلد خاضع لنظام الحماية .

واستطاع محمد الخامس ، مرة أخرى ، أن يكون في مستوى الظرف الجديد ، إذ حاول أن يستفيد أقوى الاستفادة من الدور المهم والحاسم الذي أصبح المغرب يقوم به كقاعدة أساسية في استيراتيجية الحلفاء . وأحس الشعب بحدس لايتسرب إليه الخطأ ، بأن الملك عازم بقوة على الدفاع عن البلاد لدى الحلفاء وبالخصوص لدى قادتهم الكبار مثل روزفلت الذي مافتىء يردد في خطابه مبدأ العدل الدولي وحقوق الشعوب ، فتحركت نفسه واستيقظت همته وتضاعفت آماله .

وسرى في نفسه ارتياح كبير حينما تسربت الأنباء بأن محمدا الخامس كانت له فرصة للقاء

محمد الخامس الذي « تحمل مسؤوليته كسيد للبلاد في الوضعية الجديدة والمفاجئة بالنسبة لبلد خاضع لنظام الحماية » ، يمتطي سيارة حربية أمريكية رفقة صاحب السمو الملكي مولاي الحسن والجنرال باتون والمقيم العام نوكيس .
(تصوير : ج. بلان) .

شخصي مع الرئيس روزفلت ، أثناء **مؤتمر أنفا** الشهير ، وأنه طرح قضية المغرب ومستقبله حينما تضع الحرب أوزارها ، ويحدث الدخول في عهد عالمي جديد ، عهد تحرر الشعوب ، الذي يدعي معسكر الحلفاء أنه تجند لتحقيقه .

وظلت أحداث ذلك اللقاء في تفاصيلها محاطة بالكتمان الدقيق كما هو طبيعي في ظروف حرب ضروس . ومع ذلك فقد تسربت عنها بعض الأنباء والاشاعات التي كانت كافية لتثير لدى النخبة المثقفة من الوطنيين أو لدى طبقات الشعب ، من التحليلات والتعليقات التي لاينضب معينها والتي كانت تعبر في العمق عن الاعجاب بمحمد الخامس والاعتراف له بالجميل . وكان الجميع متأكدا أن صفحة من التاريخ وقع طيها للشروع في صفحة أخرى أكثر عزما وحزما ، إذ سيقع فيها التخلي عن التردد والتخوف اللذين طبعا المرحلة المنتهية . وإن الكاتب جان لاكوتور لعلى حق حينما يقول :

« أصبح سيدي محمد بالنسبة للأمة هو **الشخص الذي عرف كيف يعبر لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية العظيم القوة والنفوذ عن تطلع المغرب إلى التحرر السياسي** » (المغرب في الاختبار) .

ديناميكية جديدة

إن حدثا من هذه الخطورة ما كان ليغيب في الماضي دون أن يثير ديناميكية جديدة في تطور الحركة الوطنية . وقد فرضت ظروف الحرب القاسية على هاته الأخيرة أن تنقص من أنشطتها العلنية ، وهي توسع شبكتها من الخلايا داخل البلاد ، مع مراعاة كل الامكانات المحلية . ولكن هل بقي في إمكانها ، وقد أصبح مصير البلاد يطرح نفسه بكل إلحاح ، أن تقتصر من جديد على تقديم مجموعة من المطالب الاصلاحية ؟

منذ لقاء أنفا أصبح الطريق مرسوما بوضوح ولم يعد من الممكن التراجع عنه . والمغاربة الذين عاشوا طوال تاريخهم قبل الحماية كشعب حر أدركوا بفطرتهم وحدسهم أن الوقت قد حان للعمل أي ليتحملوا مسؤولياتهم أمام عالم يرقبهم بانتباه وينصت لصوتهم . كان نضال الشعبين السوري واللبناني يتطور نحو نتيجة إيجابية . ولم يبق لهما إلا خطوات للحصول على الاستقلال . فهل كان من المعقول أن يسير المغرب في غير الخط الذي رسمه هذان الشعبان الشقيقان اللذان كانا يرفعان عاليا لواء العروبة في المشرق ؟ من تم كان ذلك اللقاء التاريخي الحافل والعلني بين الحركة الوطنية ومحمد الخامس في 11 يناير 1944 . فظهر للعيان كل ما كان مخبوءا أي : إن ملك المغرب أصبح ، على رأس المخزن ، هو زعيم استقلال المغرب . موقف رأى فيه الشعب ، على الفور ، عملا بطوليا ، ومعجزة . ولقد عاش الشعب المغربي طوال شهر يناير 1944 ساعات من الوحدة الروحية ومن الاندماج الكلي مع ملكه ومع الوطنيين الموقعين على عريضة الاستقلال . ولما حلت ساعة الانتقام والقمع ابتداء من 29 يناير ، كان على استعداد لقبول كل التضحيات ومجابهة كل الأخطار . كانت مظاهرات يناير 1944 بفاس والرباط وسلا والدار البيضاء مظاهرات شعب متحفز للحصول على حريته ، بخلاف مظاهرات 1937 التي دلت على حصول وعي جديد فقط ، وعي ناشيء عن دعوة وطنية منظمة كانت تقوم بها طائفة من الوطنيين لدى فئات معينة من الشعب .

ففي ظرف سبع سنوات حدث تطور كبير ونضجت الأفكار نضجا عميقا . وجاء موقف الملك ليشير إلى الطريق التي يجب السلوك منها ، وليضع حدا لكل التشككات والترددات . وأدركت فرنسا ، لأول مرة ، أن الملك ، الذي كانت تريد أن تتركه في الهامش وفي بقعة واسعة من الظل ، أصبح هو بنفسه الناطق باسم شعبه ، والزعيم الذي لابد من أن يحسب له حسابه ، أي إنه أصبح بالنسبة إليها هو المخاطب الذي يجب السعي للتفاهم معه من أجل أي تسوية لمستقبل المغرب .

صعود متواصل

ولكن هل كانت فرنسا مستعدة لفهم كل النتائج المنبثقة عن التطور الحاصل ؟ إن ما كان جاريا بالهند الصينية في السنوات المنصرمة لم يكن يدعو للتفاؤل في التخلي عن السياسة الاستعمارية . وإذن ، كان لابد للمغاربة من أن يدخلوا في معركة طويلة وقاسية مع الاستعمار لاسماع صوتهم . ولربما كان هنالك تخوف يساور بعض العقول وهو أن يختار الملك موقف التساهل والتفاهم ، اعتبارا لميزان القوى الحقيقي ، غداة الحرب بالخصوص .

كلا ! إن محمدا الخامس قال كلمته وما كان ليرجع عنها . بل أصبح كل همه هو أن يتدارك ما ضاع من وقت ليعيد للمغرب منزلته الطبيعية ، في أسرع وقت ، بين الدول العربية التي لم يمض زمان طويل على تأسيس جامعتها . فكان سفره إلى طنجة في 1947 مرحلة حاسمة في المسيرة المتواصلة من ليل الاستعمار إلى إشراق الحرية . فكان الخطاب التاريخي الذي ألقاه بالمناسبة موجها في آن واحد إلى فرنسا وإلى العالم العربي وإلى الأمم المتحدة وإلى شعبه . ولربما كان هذا الأخير معنيا به أكثر من غيره . لقد تضمن كل شيء بتعبير مهذب ورصين ولكنه صريح وصارم ، في نفس الوقت . لقد عمل هذا الخطاب الشيء الكثير لتجنيد الشعب في المعركة الكبيرة القادمة . فكان الفزع الكبير الذي أصاب الأوساط الاستعمارية التي أوحت بتعيين المارشال جوان كمقيم عام لفرنسا بالمغرب .

محمد الخامس والجنرال الأمريكي كلارك ، على متن طائرة حربية أمريكية .
(وثائق سفارة الولايات المتحدة الأمريكية ، الرباط) .

« انضمام الملك إلى صفوف الوطنيين كان معناه انضمام أوسع الجماهير » : جلالته في زيارة لتفيلالت رفقة الأمير مولاي الحسن . 26 يونيه 1948 . (تصوير : ج. بلان) .

لقاءات تضامن علنية

انطلقت التحديات من الجهتين . وصار لامناص من أن يلتقي الشعب المغربي الأعزل من كل سلاح مع القوة الاستعمارية الغارقة في السلاح والعتاد في معركة ضارية تسيل فيها الدماء أنهارا . كان الشعب المغربي يواجه المأساة في عزم وصمود ، وقد اتخذ قراره النهائي .

في هذا الجو أصبح اللقاء بين الملك والشعب تبادل عهود من أجل التضامن والوفاء في المعارك التي أصبحت على قاب قوسين أو أدنى . وأخذ الحوار صبغة درامية ، فانبعثت في نفس الشعب فضائل الشجاعة التي كانت تتجاوب مع طبيعته . إذ لاننسى أن آخر معاركه مع جيوش الاستعمار لم يمض عليها أكثر من خمس عشرة سنة . ومازالت أصداء الجهاد في الريف وجبل صاغرو وزيان وآيت باعمران ألخ ... ترن في الأذهان .

استقبلت الدار البيضاء أبناء كل الأقاليم الذين أعلنوا عن رفضهم للحماية بحد السلاح والذين اضطرتهم الحياة ، اليوم ، للمجيئ إليها ليشتغلوا كعمال حتى يضمنوا قوت يومهم . وسرعان ما أصبحوا يكونون طبقة بروليتارية متكدسة في مدن من الصفيح . لكن الأقدار أبت عليهم إلا أن يستأنفوا المعركة من جديد ، على أشكال أخرى وبوسائل مختلفة .

إن تلك الجماهير الكادحة هي التي حملت محمدا الخامس على أكتافها هاتفة بنصره في ذكرى صعوده إلى العرش الخامسة والعشرين ، أي « **العيد الفضي** » . وكان من الطبيعي أن يتخوف الاقطاعيون المغاربة من عواقب حركة الجماهير ، فيتآمروا مع السلطات الاستعمارية ضدا على محمد الخامس الذي أصبحوا يدعونه « **سلطان الكاريان سنترال** » . وما خطر على بالهم أن قولهم كان هو أحسن إطراء يمكن أن يوجه إلى ملك يقود شعبه في معركة التحرر .

المطالب المستعجلة

محمد زنيبر

في طريق البحث عن منهاج

عنوان يشير إلى مرحلة من أهم المراحل في تاريخ الحركة الوطنية المغربية ، وهي المرحلة التي دخلت فيها إلى **المعركة السياسية** بعد أن ازدادت نضجا وتمرست بالعمل وعرفت الخصم عن كثب .

كان لابد لها من ست سنوات لتحقق ذلك الانتقال . ففي سنة 1930 ، كانت الانطلاقة تعني رد فعل أول قام به الشعب تحت قيادة جماعات صغيرة من الوطنيين الشباب للاعتراض على الظهير البربري ، دون أن يوجد أي تنظيم قار ومتين . ولو لا يقظة الوعي الوطني عند المناضلين الأولين لما أمكن الاستمرار في استنفار الجهود ومواصلة العمل . وعلى أي ، فإن العمل ولو كان اندفاعيا في البداية ، ولو كان يعوزه التنظيم ، فقد استطاع أن يفتح عيون المغاربة شيئا فشيئا على جملة من الوقائع التي كانوا يجهلونها ، وفي نفس الوقت ، على الامكانات والفرص التي كانت تتيحها لهم ظرفية متقلبة حتى يوجهوا نضالهم في الطريق الأصوب والأكثر مردودية .

فاتضح لهم ، من جهة ، أن الفرنسيين لم يكونوا كلهم أنصارا للسياسة الاستعمارية التي كانت تنهجها الحماية ، وأن من بينهم طوائف كبيرة بفرنسا كانت أميل إلى سياسة أكثر تنازلا مع المغاربة وتفهما لمطامحهم . فهو ، إذن ، واقع لاتخفى أهميته على كل من يؤمن بفائدة العمل السياسي ، خصوصا إذا كانت الوسائل في يده محدودة . واكتشفوا ، من جهة أخرى ، مطامع الجالية الفرنسية التي كانت في نمو مطرد سواء من حيث العدد أو من حيث الطاقة الاقتصادية ، والتي لم تكن من جهتها تقصر في تنظيم المظاهرات وتقديم لوائح المطالب ، معتبرة أن مصالحها يجب أن تراعى قبل مصالح الغير .

هكذا ، اكتشف القادة الشباب للحركة الوطنية ، وهم يخطون خطواتهم الأولى في ميدان النضال ، الواقع في مختلف أبعاده ، فرأوا بكل وضوح الأخطار التي كانت تهدد مستقبل

المهاتما غاندي ، رمز المقاومة الشعبية السلمية .

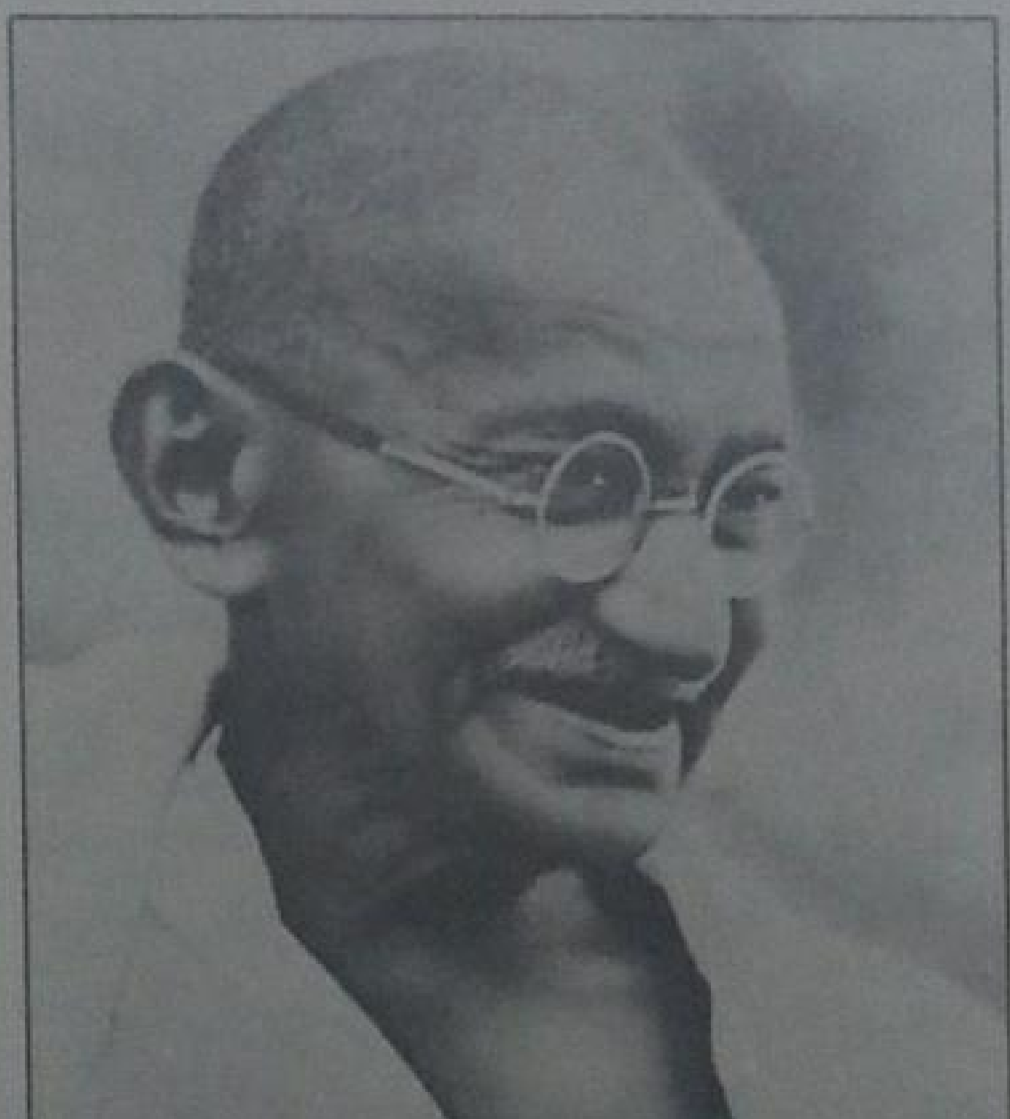

الشعب المغربي من جراء النظام الاستعماري وأمكنهم ، بالتالي ، أن يتدارسوا فيما بينهم الوسائل القمينة بإيقاف المسلسل الخطير . وفي ذلك الظرف ، لم تكن الوسائل هي الرجوع إلى حمل السلاح . فقد قدمت المقاومة المغربية كل ما كان في طوقها أن تقدمه في السهول والجبال والوديان والصحاري طوال ثلاثة عقود من السنين المتتالية وقذفت بآخر رصاصات لها في سنة 1934 .

وبدأت **المقاومة السياسية** تحل محلها ابتداء من 1930 وما كان لها إلا أن تكون سلمية ومسالمة في أطوارها الأولى ، لأنها انطلقت من المدن ، حيث كانت قبضة الاستعمار أقوى وأشمل . فكان سلاحها الأساسي هو دعوة الشعب ليجند نفسه من أجل رفض التعسف الذي كان يشخصه النظام الاستعماري . ألم يكن المهاتما غاندي يقدم ، في نفس الوقت ، أصدق مثال على ما كان يمكن أن تحصل عليه مقاومة شعبية سلمية من نتائج ؟

إلا أن المغاربة ، وهم يتبنون مبدأ النضال السلمي ، ما كان لهم إلا أن يكونوا مغاربة عند تطبيقه ، بمعنى أنه لم يكن في مستطاعهم إلا أن يأخذوا بالأسلوب الذي يوافق مزاجهم والذي لم يكن يلغي العنف تماما حينما تدخل الأحداث في أطوار خطيرة . ومهما يكن ، فقد كانت خطة المطالبة إحدى الوسائل الناجعة في المحاولات المتواصلة لتجنيد الشعب . وقد كانت للمغاربة تجربة وتقاليد قديمة في هذا الصدد ، إذ كان المخزن يحتضن من بين دواوينه ديوانا خاصا

بالشكايات ، أي انه يتلقى ويدرس كل ما يقدمه الأفراد والجماعات من تشكيات مختلفة .

مذهب للنضال السياسي

ومنذ إقامة الحماية ، قدمت عدة شكايات وعرائض للمقيمين العامين ليوطي وستيك تتعلق بقضايا تدخل في نطاق المصلحة العامة . وتزايدت هاته العادة منذ صدور **الظهير البربري** في 1930 . إلا أنها لم تعد كونها مساعي جزئية ، بعيدة عن الاحاطة بالمشكل الوطني في كليته . ولا شك أن السبب يكمن في غياب تنظيم وطني قوي ومجرب وقادر على الاضطلاع بمهمة لم تكن تخلو من معرفة وطموح كبير . نعم ، كانت هنالك سابقة في المنطقة الشمالية حيث حرر الوطنيون وثيقة تتضمن تصميما للاصلاحات الضرورية وقدموها للمسؤولين الاسبان . لكن الحافز الذي دفعهم إلى الاسراع بتقديم مطالبهم ، كان في الحقيقة ناشئا عن ظرف تاريخي استثنائي : ألا وهو الاعلان عن **إقامة الجمهورية بإسبانيا** . وتفتحت أبواب العمل في نفوس المغاربة بالمنطقة الشمالية على إثر الحدث الكبير ، فباتوا يعتقدون أن النظام الجديد سيكون أكثر تفهما لمطالب الشعب المغربي . ولا أدل على ذلك من كون الوثيقة التي قدمت للحكومة الاسبانية كانت تحمل ألف إمضاء مغربي . وسرعان ما جاء جواب المسؤولين الاسبان الجدد ، فخيب كل الآمال التي كانت تحدو أصحاب الوثيقة . وعلى أي ، فالمبادرة لم تكن ثمرة عمل سياسي منظم ومخطط بقدر ما كانت ناشئة عن فكرة طارئة أوحت بها ظرفية سياسية خارجية مشجعة .

أما بالنسبة للمطالب المستعجلة المقدمة في أكتوبر 1936 ، فالأمر كان يختلف تماما . فلم يكن أي عامل مشجع ولا أي ظرف مساعد . بل كانت الحركة الوطنية الناشئة في صراع مع خصم عنيد . فكانت المطالب التي قدمتها في أكتوبر 1936 تدخل في خطة المطالبة التي انتهجتها كتلة العمل الوطني غداة تأسيسها في 1934 عندما قدمت برنامجا للاصلاحات (انظر المجلد الخامس) . لا داعي ، إذن ، للعودة إلى البداية ، بل سنكتفي بتسليط الأضواء على بعض النقاط الأساسية التي تحدد السياق التاريخي لما سمي **المطالب المستعجلة** .

لم يكن من الممكن أن تحصر الحركة الوطنية كل نشاطها في قضية الظهير البربري وحدها ، برغم خطورتها ، لأنها تظل قضية جزئية في ملف المطالب الوطنية ، وقضية ظرفية في نفس الوقت . وقد أدت دورها كمنطلق للحركة وهي في طور ميلادها ، لكن علاجها ، في الواقع ، كان يتطلب علاج القضية الوطنية في مجملها وهذا

المقيم العام ستيك .
(وثائق سفارة فرنسا) .

> Le problème est posé par le Plan de réformes immédiates du C.A.M., plan adopté à l'unanimité par la Fédération du P.S., et soutenu aussi par le P. C.. Jeter l'interdiction sur ses auteurs, n'est-ce pas le faire disparaître ? Les partis prolétariens au Maroc ne cesseront d'en réclamer l'application.
>
> Tout le monde, dans le Parti, et au Maroc, connaît la position de notre Fédération. Elle a tendu la main, une main fraternelle, au peuple marocain. A côté de lui, avec lui et pour lui, elle luttera pour le Plan de Réformes du C.A.M..
>
> **Bureau Fédéral du P.S.**

المكتب الفديرالي للحزب الاشتراكي الفرنسي يتخذ موقفا مؤيدا للمطالب المستعجلة .
(الخزانة العامة بالرباط) .

لا يتأتى إلا إذا خطت الحركة الوطنية خطوات ثابتة نحو النضج وحسن التنظيم .

وما كان التحرك الشعبي في الشوارع والمساجد كافيا لادراك هذا الهدف . صحيح أنه كان يترك صدى واسعا في داخل البلاد وفي الخارج ويساهم في الايقاظ والتوعية . ولكن ، كان لابد من فتح الحوار مع الخصم وهو أمر لايتأتى إلا بسلوك طريق أخرى . فرفع عرائض الاحتجاج لم يكن مفيدا في هاته الناحية . فكان لابد من تقديم اقتراحات ، وإعطاء البرهان على حسن النية والارتكاز على أرضية الحقوق والقوانين والمنطق . يأتي بعد ذلك التفكير في الشكل المناسب والصيغة الصالحة لتحرير تلك المطالب وتقديمها والاعلان عنها .

وما كان أكثر شكاوى المغاربة في تلك الآونة ! فهنالك المشاكل التي كانت تمسهم في لحمهم ودمهم ، وفي حياتهم اليومية . وهي التي كان الشعب واعيا بها أكثر من غيرها . وهنالك القضايا التي كانت تعني مستقبله وتخص رفع مستواه المادي والفكري . وفي الاهتمام بها ودراستها عن كثب كان لابد من قيام جماعة صغيرة من الرجال يتوفرون على ما يكفي من المعرفة والثقافة للقدرة على إحصائها وتحديدها وعلاجها . فالدور المنوط بالنخبة الوطنية كان آنذاك حيويا وحاسما .

وقصارى القول ، كان الوضع يقتضي القيام بعمل فيه تحليل وتركيب ، مبني على مقاربة الوقائع ودراستها بجد ، بعيدا عن الضوضاء والمظاهر الاحتفالية والاندفاعات الحماسية . وقد خرج الرجال الذين انكبوا على المشروع وساهموا في إنجازه بنضج سياسي أكبر ، وفكر أكثر مرونة وملابسة للواقع ، معزز ببعد النظر وسداد في الرأي . فبرنامج الاصلاحات المقدم تحت عنوان **مطالب الشعب المغربي** في سنة 1934 يعكس النضج في الأفكار والأشياء أيضا . إنه نقد منهاجي للحماية ولكنه لا يخرج عن إطارها . وقد فوجئت منه الأوساط الاستعمارية وأثار الحيرة في نفوس دهاقنتها .

فاللهجة الاصلاحية ، الرزينة المعتدلة كانت أخطر عليهم ، لأنها تجردهم من كل حجة وكل اعتراض أمام الرأي العام في فرنسا وفي العالم . وكانوا ، في قرارة أنفسهم ، يفضلون لغة أعنف وخطابا أكثر تهجما وتعصبا حتى يبرروا اللجوء ، إلى لغة القوة والقمع ، دون أي تردد .

والنص ، من جهة أخرى ، يتجاوب مع العبقرية المغربية التي تحب المنظومات الكبرى والجوامع والأنساق الكاملة . فهو يعرض لكل مظاهر الحياة الجماعية للشعب المغربي السياسية منها ، والدينية ، والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ألخ ... وهكذا أحصيت كل ما اتصف به نظام الحماية من عيوب وأجري تحليلها . وبفضل المزايا التي تحلت بها الوثيقة ، التي تجنبت كل حشو وإطناب واقتصرت على المهم ، أمكنها أن تصبح أساسا لعقيدة يرتكز عليها الكفاح الوطني . وذلك ما كانت تخشاه سلطات الحماية وما حدث بالفعل . وقد كان لذلك النص ، أيضا ، أثره القوي في توسيع الوعي الوطني ، وخاصة بين الشبان الذين كان سنهم أقل من عشرين سنة والذين سيشاركون من بعد في معارك الاستقلال الكبرى ابتداء من 1944 .

سياق تاريخي متقلب

ولعل البعض ممن يقرأون اليوم « **مطالب الشعب المغربي** » سينتقدون بسهولة اللهجة

المعتدلة التي يتصف بها النص المقدم من لدن **كتلة العمل الوطني**، ولكن ربما فاتهم أنه يمثل إحدى المبادرات الخصبة والدالة على قدر كبير من الذكاء لدى الجيل الأول من الوطنيين. وذلك ما لا يدركه إلا الملاحظون الذين يضعون أنفسهم في المناخ التاريخي الذي وجد في تلك الآونة. وكان الوطنيون يدركون حق الادراك أن «المطالب» كانت، قبل كل شيء، أرضية للعمل السياسي الذي كان مفروضا عليه آنذاك أن يكتسي صبغة الحوار والمطالبة. وبالجملة نستطيع أن نقول إن النص كان، قبل كل شيء، سلاحا ايديولوجيا في يد الوطنيين، استطاعوا بواسطته أن يحصلوا على تأييد الشباب المتكون في المدارس العصرية وخريجي القرويين وغيرها من المعاهد التقليدية، وعلى تجنيد فئات من الأوساط الشعبية بالمدن ومن ثم، تمكنوا مع مرور الزمان من الاشعاع بالعالم القروي.

استطاع النص في المدى القريب أن يثير اهتماما كبيرا لدى الشباب المثقف المغربي ويساهم في تكوين رأي عام يتتبع الأخبار ويترصد لكل ما يتعلق بقرارات الحماية وردود الفعل الوطنية. وكانت الكتلة، على ما يبدو، لاتكره أن تقوم مجابهة مع سلطات الحماية حتى تعطي للنص أكثر ما يمكن من الاشهار والابراز، خصوصا وقد كانت الأوضاع السياسية تنذر بنجاح أحزاب اليسار بفرنسا، وهي الأحزاب التي كانت أكثر تفهما لمواقف الوطنيين ومطالبهم، وأقوى استعدادا لاجراء الحوار معهم، وأقل تهورا في الاستجابة لجشع الأوساط الاستعمارية.

كان من شأن الاصطدام مع سلطة الحماية أن يطرح المشكل في عباراته الواضحة، وسرعان ما جاءت الفرصة المؤاتية لذلك مع تعيين مقيم عام جديد، هو «مارسيل بيروطون» الذي جاء ليخلف «هنري بونسو» المعروف بموقفه الخالي من كل تنازل إزاء الجالية الفرنسية. وكان «بيروطون» بخلاف سلفه يمثل الرجل المتغطرس المنضم إلى الأفكار الفاشيستية، فكان من المنتظر أن يلجأ إلى أساليب العنف والقمع. إلا أن تطور الأحوال بفرنسا لم يترك له الوقت لينفذ خطته، وذلك بسبب صعود الجبهة الشعبية إلى الحكم الذي اضطره إلى مغادرة منصبه ولم يمر إلا وقت قصير على تعيينه.

ومع ذلك، فلم تتردد الكتلة في طلب مقابلة معه، إذ ذكرته أثناءها أنها ما زالت تنتظر بفراغ الصبر جواب الاقامة العامة على مطالبها. ولم يحفل الوطنيون بما كان يريد المقيم الجديد أن يقيم من هيبة مصطنعة لنفسه، بل خاطبوه خطاب الصرامة والصراحة ونددوا بالسياسة الاستعمارية التي كان ينادي بها. وبما أن حكومة الجبهة الشعبية أرادت أن تدشن عهدها بإحلال

جريدة «L'Action Populaire» ليوم 24 يوليوز 1937، تواصل حملتها من أجل تطبيق برنامج الاصلاحات المستعجلة.
(الخزانة العامة بالرباط).

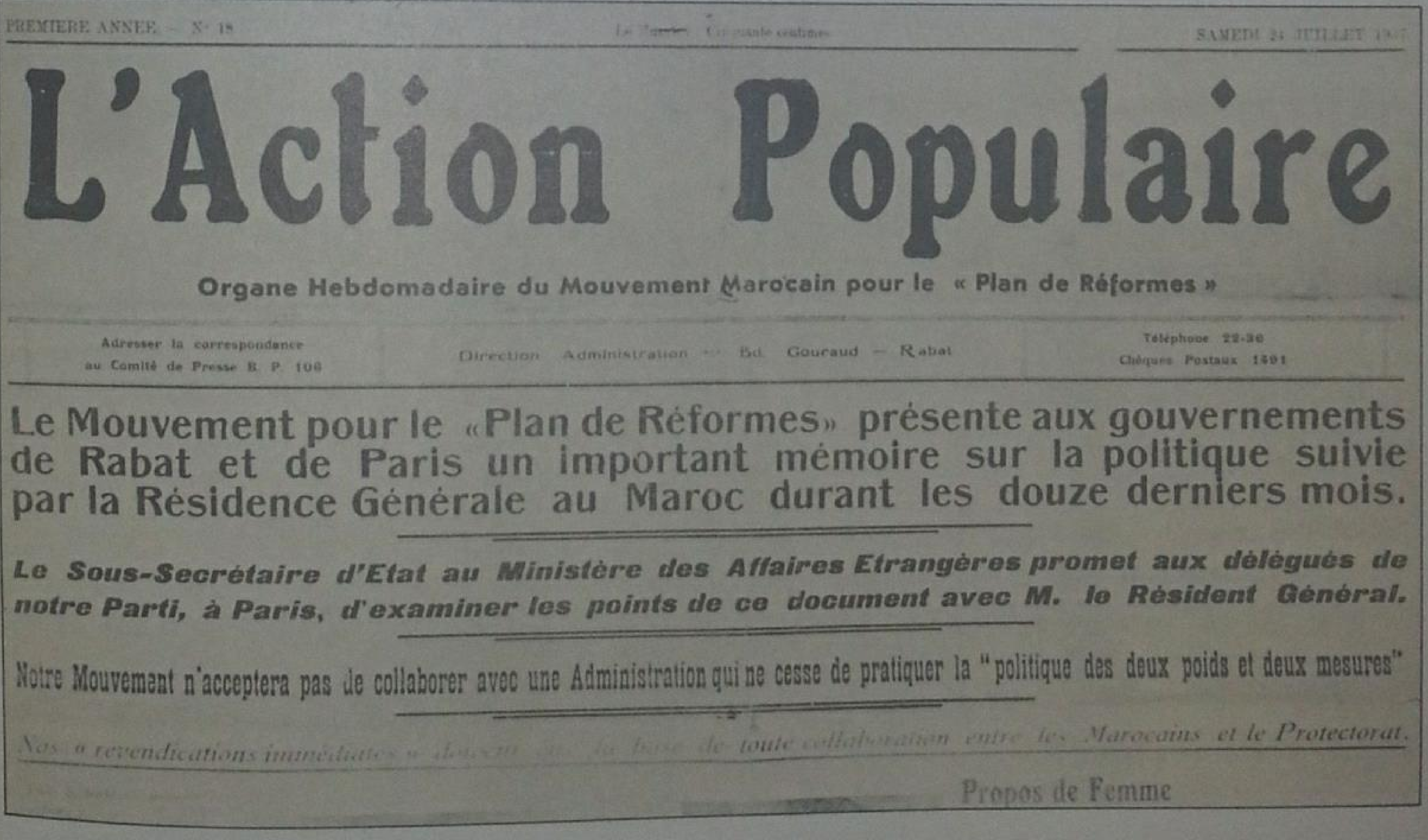

PREMIERE ANNEE — N° 18 | Le Numéro : Cinquante centimes | SAMEDI 24 JUILLET 1937

L'Action Populaire

Organe Hebdomadaire du Mouvement Marocain pour le « Plan de Réformes »

Adresser la correspondance au Comité de Presse B. P. 106 | Direction Administration — Bd. Gouraud — Rabat | Téléphone 22-30 Chèques Postaux 1491

Le Mouvement pour le «Plan de Réformes» présente aux gouvernements de Rabat et de Paris un important mémoire sur la politique suivie par la Résidence Générale au Maroc durant les douze derniers mois.

Le Sous-Secrétaire d'Etat au Ministère des Affaires Etrangères promet aux délégués de notre Parti, à Paris, d'examiner les points de ce document avec M. le Résident Général.

Notre Mouvement n'acceptera pas de collaborer avec une Administration qui ne cesse de pratiquer la "politique des deux poids et deux mesures"

Nos « revendications immédiates » doivent ... la base de toute collaboration entre les Marocains et le Protectorat.

Propos de Femme

المطالب المستعجلة

جو من الوئام والاطمئنان ببلاد المغرب ، فقد رأت من الأنسب أن تنحيه عن مهمته .

والحقيقة أن آفاقا جديدة بدأت تتفتح أمام الكتلة في سنة 1936 . فكانت **الحرب المدنية باسبانيا** تمنح الفرصة ، من جهة ، للوطنيين بمنطقة الشمال كي يتحركوا بين المعسكرين المتقاتلين عساهم يحصلوا على ترضيات لبعض مطالبهم الجوهرية . وكان صعود الجبهة الشعبية إلى الحكم بفرنسا حدثا ذا أهمية بالغة بالنسبة لكتلة العمل الوطني ، من جهة أخرى . وفي هذا الصدد ليس لدينا شاهد أحسن من علال الفاسي الذي كتب قائلا :

« ولم تنتصر الجبهة الشعبية في انتخابات مايو 1936 بفرنسا حتى ظننا أننا إذا لم ننل ما نريد فسنحصل ، في الأقل على بعض الحريات الديموقراطية التي تسمح لنا بتربية الشعب والاعراب عن وجهة نظره . ولذلك عجلنا بتوجيه وفد متركب من الأخوين عمر بن عبد الجليل ومحمد الوزاني إلى باريس حيث عملا بمساعدة إخواننا هناك على الاتصال برجال الحكومة اليوم وأصدقائنا بالأمس وتذكيرهم بالوعود المعطاة . وقد قام الوفد بدعاية مفيدة ، ورجع للبلاد دون أن يحمل معه غير الوعود والأماني .... » (علال الفاسي : الحركات الاستقلالية – طنجة – ص 185) .

الكتلة والجبهة

في هذا السياق برزت فكرة المطالب المستعجلة ، التي كانت بالنسبة للوطنيين هي اللبنة الأولى والأساسية للسير قدما في تحقيق المطالب المتعلقة بإصلاح نظام الحماية . وفي سبيل شق طريق الحوار مع المسؤولين الفرنسيين الجدد المنبثقين عن الجبهة الشعبية ، قررت كتلة العمل الوطني ، كما رأينا ، توجيه وفد مركب من عمر عبد الجليل ومحمد حسن الوزاني إلى باريس . وقد أتيح للرجلين أن يقوما باتصالات مهمة ، ولكن دون أن يتوصلا إلى نتيجة ملموسة ما عدا « **الوعود والأماني** » حسب تعبير علال الفاسي .

وفي ذات اليوم الذي عاد فيه الوفد ، نظمت الكتلة مهرجانا كبيرا بفاس . وفيه خطب علال الفاسي خطبة طويلة عرض فيها لبزوغ

المقيم العام هنري بونسو .
(وثائق سفارة فرنسا) .

حكومة الجبهة الشعبية .
(المركز الثقافي الفرنسي) .

الحركة الوطنية وصعودها وحلل المهمة التاريخية الملقاة على عاتقها. وكان الحضور يعدون بالآلاف . وجاءت عدة وفود من كل أنحاء المغرب تمضي على قرارات التأييد لنشاط الكتلة . وبرهن مناخ الحماس المتزايد الذي كانت تجتاز منه الحركة الوطنية في تلك الآونة على مدى ما كان يساور قادتها من شكوك في الوعود المبذولة من لدن اليسار الفرنسي في الوقت الذي أصبح زمام الحكم بفرنسا في يده . وذلك ما نستشفه من تعليق شارل أندري جوليان ، الذي كان خير شاهد على المهمة التي قام بها وفد كتلة العمل الوطني بباريس ، إذ كان على اتصال وثيق بالطرفين . وهكذا يقول مؤرخ افريقيا الشمالية ، وهو يتحدث عن صعود الجبهة الشعبية إلى الحكم :

« ما أن تشكلت الحكومة ، حتى وجهت لها الكتلة نداء لتنذرها بأن تخييب آمال الشعب المغربي من شأنه أن يثير « يأسا ذا عواقب خطيرة » . وفي البرنامج المختصر الذي قدم ، كانت هنالك اقتراحات تهدف إلى سياسة إدماجية فيما يخص الجانب الاجتماعي وتحتوي على إيضاحات جديدة . وهكذا ، وقعت المطالبة بتطبيق قوانين 1881 على الصحافة ، و 1901 على الجمعيات و 1884 ، و 1920 ، و 1924 على النقابات .

« وقد قام المندوبان المغربيان الوزاني وعمر عبد الجليل ، على الخصوص ، باتصالات مع وكيل كاتب الدولة في الخارجية ومع اللجنة العليا للبحر الأبيض المتوسط وافريقيا الشمالية برئاسة الحكومة التي سلماها ملفات ضخمة . واستقبل بيير فيينو الوزاني يوم 7 يوليو ، وترك أثرا طيبا في نفس مخاطبه . وقد وعد الوزير بأنه سيفرغ بصورة خاصة للمغرب ، الذي كان يكن له عطفا خاصا ، بمجرد تسوية القضية السورية . واستقبل الوطنيون بفرح استدعاء المقيم مارسيل بيروطون ، الذي التف حوله المعمرون وخلقوا جوا من التآمر ، اعتبره كل من ليون بلوم وبيير فيينو اللذين كانا يضعان حرمة الدولة فوق كل اعتبار ، موقفا لاسبيل لقبوله . وجاء تعيين الجنرال نوجيس يوم 16 شتنبر ليثير احتجاجات الاستنكار ضدا على « عدو للعرب تسبب في حملات القمع بين 1930 - 1931 » . ولم يعودوا يتحملون تباطؤ الحكومة ، سيما وقد جاءت ثورة الجنرال فرنسيسكو فرانكو بهاموندي في يوليو 1936 لتحمل لأبناء المنطقة الشمالية وعودا بالاصلاحات : وهو ما حاولوا أن يستندوا إليه بكل قوة » . (افريقيا الشمالية تسير)

ليون بلوم يشكل حكومة الجبهة الشعبية .
(المركز الثقافي الفرنسي) .

استنفذت الحركة الوطنية كل ما لديها من وسائل دبلوماسية دون جدوى ، فلم تجد بدا من الرجوع إلى خطة مبنية على النضال الجماهيري لتسمع بصورة أحسن . والحقيقة أنه لم يكن

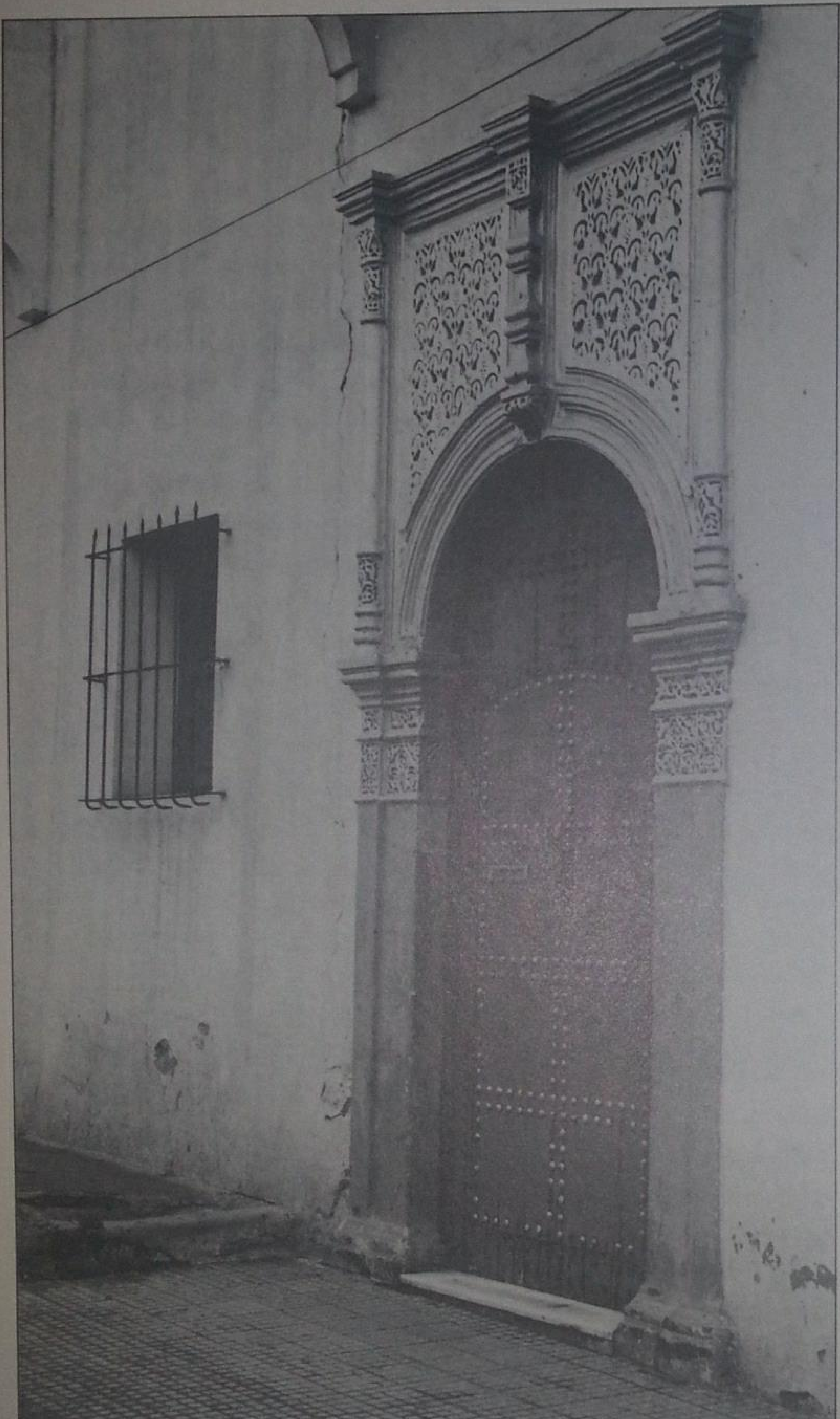

ينتظر أي شيء من الجبهة الشعبية التي كان برنامجها يعالج « **قضية الأهالي برؤية أبوية متعالية** » كما ورد في عبارة شارل أندري جوليان . فكان لابد من القيام بمزيد من الضغط على اليسار الفرنسي وعلى حكومة الجبهة الشعبية .

ولهذا قررت كتلة العمل الوطني القيام بحملة اتصال وتوعية في كبريات المدن المغربية ، بتنظيم مهرجانات شعبية ، واجتماعات إخبارية بين المناضلين . وجرى التمهيد لهذا البرنامج بإقامة **مؤتمر استثنائي للكتلة** يوم 25 أكتوبر 1936 بالرباط في بيت أحد المناضلين القدماء في صفوف الحركة ، السيد الحفيان الشرقاوي . وألقى علال الفاسي ، الذي بدأت شخصيته تبرز أكثر فأكثر كزعيم للوطنية المغربية ، خطابا ضافيا ألح فيه على الخط السياسي الذي يجب أن تتبعه الحركة في المستقبل القريب . وحسب رأيه ، كانت الأهداف التي يجب إدراكها في مرحلة أولى تتلخص في الحصول على ترضيات حقيقية فيما يخص بعض المطالب المستعجلة التي تأتي قضية الحريات في مقدمتها . ثم جاء دور محمد اليزيدي ، أحد الرواد الأوائل للحركة ، ليتلو أمام الحضور بيان الكتلة عن برنامج العمل السياسي في الطور التالي . وصودق على برنامج جولة الوطنيين بمدن المغرب ونواحيه .

مطالب جد معقولة

وفي تلك الأثناء ، قدمت الكتلة للملك محمد الخامس وللمقيم العام الجديد ، الجنرال نوجيس ، بمجرد التحاقه بمنصبه في أكتوبر

« قررت كتلة العمل الوطني القيام بحملة اتصال وتوعية في كبريات المدن المغربية . »
ترى في الصورة بوابة منزل الحفيان الشرقاوي ، حيث نظمت تظاهرة 23 أكتوبر 1936 .
(تصوير أودول) .

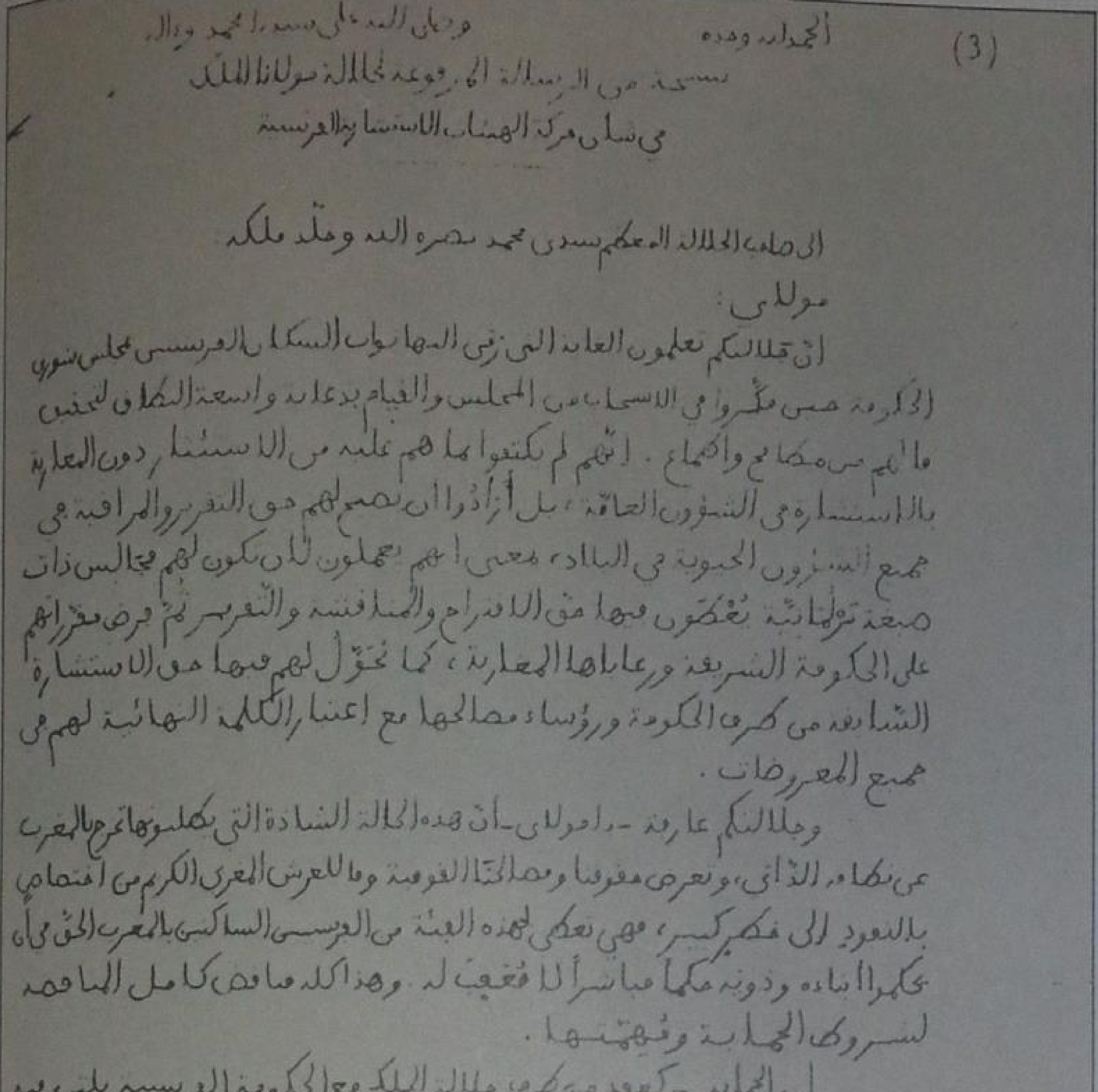
(3) الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

نسخة من الرسالة المرفوعة لجلالة مولانا الملك

في شأن مركز الهيئات الاستشارية الفرنسية

إلى صاحب الجلالة المعظم سيدي محمد نصره الله وخلد ملكه

مولاي :

إن جلالتكم تعلمون الغاية التي رمى إليها نواب السكان الفرنسيين بمجلس شورى الحكومة حين تذمروا من الانسحاب من المجلس والقيام بدعاية واسعة النطاق لتحقيق ما لهم من مطامع وأطماع . إنهم لم يكتفوا بما هم عليه من الاستئثار دون المغاربة بالاستشارة في الشؤون العامة ، بل أرادوا أن يصح لهم حق التقرير والمراقبة في جميع الشؤون الحيوية في البلاد ، بمعنى أنهم يعملون لأن يكون لهم مجالس ذات صبغة برلمانية يتمتعون فيها بحق الاقتراح والمناقشة والتقرير ثم فرض مقرراتهم على الحكومة الشريفة ورعاياها المغاربة ، كما تخول لهم فيها حق الاستشارة الشاملة من طرف الحكومة ورؤساء مصالحها مع اعتبار الكلمة النهائية لهم في جميع المعروضات .

وجلالتكم عارفة - يا مولاي - أن هذه الحالة الشاذة التي يطلبونها تمس بالمغرب في نظامه الذاتي ، وتعرض مقوماتنا ومصالحنا القومية وما للعرش المغربي الكريم من اختصاص بالتعويد إلى خطر كبير ، فهي تعطي لهذه الفئة من الفرنسيين الساكنين بالمغرب الحق في أن يحكموا أبناءه وذويه حكما مباشرا لا معقب له . وهذا كله مناقض كامل المناقضة لشروط الحماية وقيمتها .

إن الحماية - كعقد من طرف جلالة الملك مع الحكومة الفرنسية يلتزم فيه الطرف الثاني صراحة بمساعدة المغرب على تسيير شؤونه - تجعل علاقة هذه الحماية مع الحكومة المغربية مقصورة في الحكومة الفرنسية بواسطة ممثليها .

وبناء على هذا فكل تشكيل نيابي يخص الجالية الفرنسية أو يجمعها وغيرها هو مناف تمام المنافاة للحماية .

لذلك أرادت كتلة العمل الوطني أن تعلن في مطالب الشعب المغربي مستندة على أعظم العهود والالتزامات المتخذة في المعاهدات وفي تصريحات الحكومة الفرنسية وممثليها الرسميين في المغرب ، ضرورة إلغاء المجالس الفرنسية والسماح بتكوين مجالس وطنية خاصة بالرعايا المغاربة مسلمين وإسرائيليين . . .

1936 ، نص المطالب المستعجلة ، نقدم فيما يلي خلاصتها :

المطالب السياسية : كانت أهمها تعني الحريات الديموقراطية ، أي « **حرية الصحافة والطباعة ، والاجتماع ، والتعليم ، والتمثيل المسرحي ، والتنقل في الداخل والرحلة إلى الخارج** » تحدث النص ، في نفس الوقت ، عن الحق النقابي وحق المطالبة ، ويطالب بالعفو عن « **جميع المعتقلين والمنفيين والسجناء السياسيين منذ إقرار الحماية** » . وبديهي أن النص يشير ها هنا إلى اعتقال البطل الريفي **محمد بن عبد الكريم الخطابي** .

المطالب الاجتماعية : وتعني توسيع التعليم ونشره في عموم البلاد بسلكيه الابتدائي والثانوي ، وتوجيه « **بعثات من الطلاب للدراسة بفرنسا والشرق العربي** » ، مع مساعدتهم بمنح فيما يخص التعليم العالي . كما تلح على توحيد البرامج في مجموع التراب المغربي . وفي ذلك رغبة في إلغاء آثار الظهير البربري في التعليم في الجهات الناطقة باللهجات البربرية . وفي نفس الوقت يلح النص على إجراء إصلاحات مهمة على التعليم التقليدي بالقرويين ، وكذلك على التعليم الفلاحي وتأسيس مدارس لتكوين أطر التعليم . وفيما يخص الصحة العمومية ، يتحدث النص عن وجوب الاكثار من المؤسسات الصحية من مستشفيات ومستوصفات وغيرها ، وعن التوزيع المجاني للأدوية لصالح المعوزين ، وعن محاربة الأكواخ والخرائب والبغاء العلني والسري ، وعن بناء الملاجئ لفائدة العجزة والمساكين ، وعن تقديم المساعدات المالية للأعمال الخيرية .

المطالب الاقتصادية : يدعو النص إلى إلغاء استعمار الأرض الرسمي وكل النصوص التي تشجعه وتسانده ، وإلى « **حماية الفلاح من تعسفات المعمرين وموظفي السلطة والجبايات** » . ولتحقيق هاته الغاية ، من اللازم استحداث ملك عائلي غير قابل للتفويت تساهم في تكوينه أراضي الجماعات والأملاك المخزنية ، وتمكين الفلاح من الاستفادة من القرض الفلاحي ، وضمان المساواة بين الفلاح والمعمر فيما يخص الفروض الجبائية .

وفي نفس الاتجاه ، يركز النص اهتمامه بالصناعة التقليدية ، داعيا إلى اتخاذ عدد من التدابير الهادفة إلى تجديدها وحمايتها من المنافسة الأجنبية . ويوصي أيضا ، بتطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية على العمال المغاربة ، حتى تزول كل الفوارق التي كانت تضعهم في منزلة أدنى من العمال الأجانب . وفي إطار المطالب الخاصة بالاصلاحات الاقتصادية الاجتماعية ، يطالب النص بمساعدة العاطلين ، وضمان المساواة الجبائية ، وإلغاء مكوس الأبواب و « مكوس السوق » و « ضرائب الرعي في الغابة » .

– **المطالب العدلية** : وكانت مطالب أخرى تتعلق بالعدالة التي كانت تثير الاستياء العام لدى الشعب المغربي ، بما كانت تنطوي عليه من تعسفات ومظالم ناشئة عن الخلط

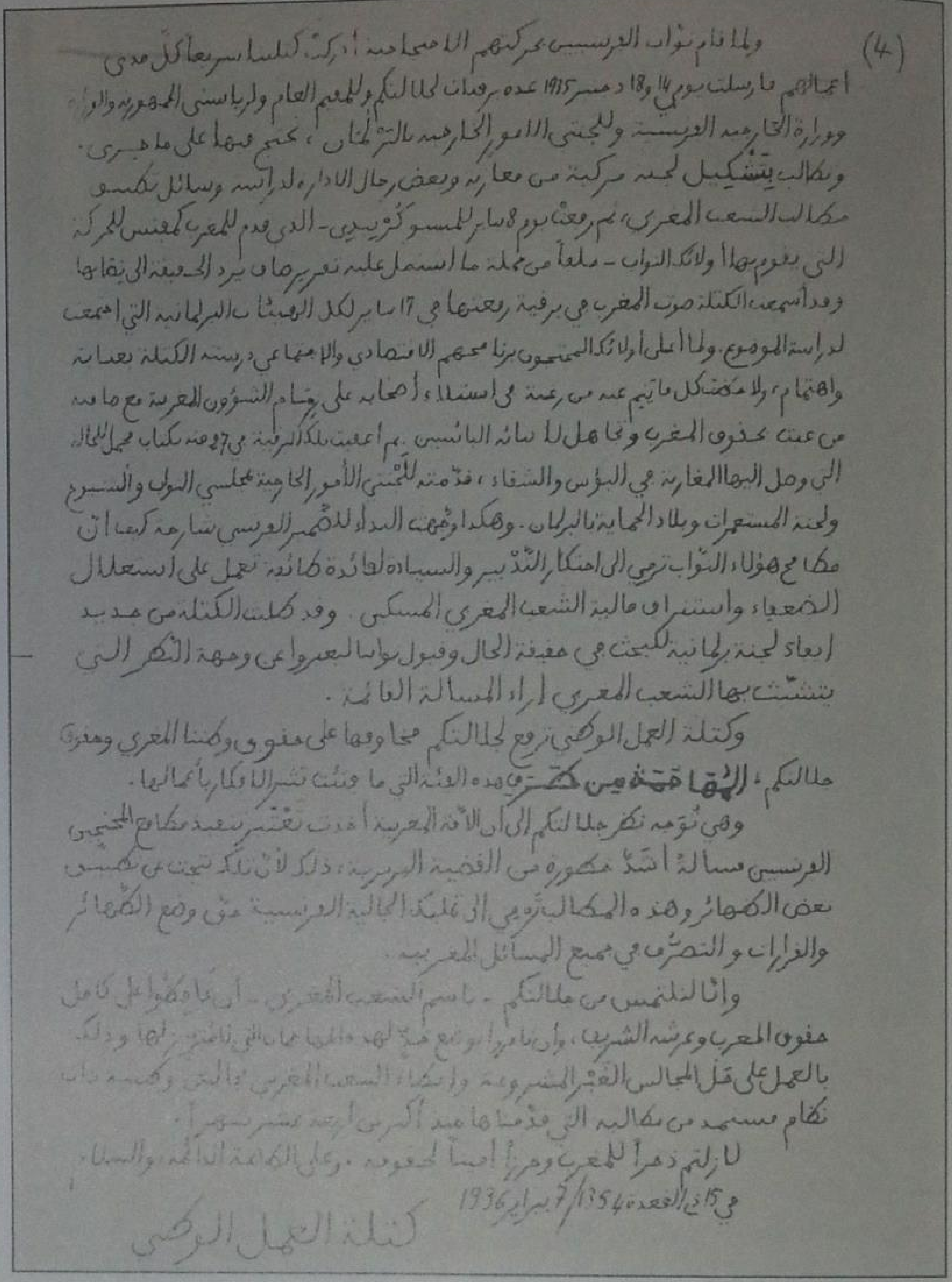

(4) ولما قام نواب الفرنسيين بحركتهم الاحتجاجية أدركت كتلتنا سريعا كل مدى
احتجاجهم فأرسلت يومي 14 و18 دجنبر 1935 عدة برقيات لجلالتكم وللمقيم العام ولرياستي الجمهورية والوزارة
ووزارة الخارجية الفرنسية وللجنتي الأمور الخارجية بالبرلمان، تحتج فيها على ما جرى.
وتطالب بتشكيل لجنة مركبة من مغاربة وبعض رجال الادارة لدراسة وسائل تحقيق
مطالب الشعب المغربي، ثم بعثت يوم 8 يناير للمسيو كروزيي - الذي قدم للمغرب كمفتش للحركة
التي يقوم بها أولائك النواب - ملفا من جملة ما اشتمل عليه تقرير صاف يرد الحقيقة الى نصابها
وقد أسمعت الكتلة صوت المغرب في برقية بعثتها في 17 يناير لكل الهيئات البرلمانية التي اجتمعت
لدراسة الموضوع. ولما أملى أولائك المحتجون برنامجهم الاقتصادي والاجتماعي درسته الكتلة بعناية
واهتمام، ولاحظت كل ما تم عنه من رغبة في استيلاء أصحابه على زمام الشؤون المغربية مع ما فيه
من عنت بحقوق المغرب وتجاهل للحالة البائسة. ثم أعقبت تلك البرقية في 27 منه بكتاب مجمل للحالة
التي وصل اليها المغاربة في البؤس والشقاء، قدمته للجنتي الأمور الخارجية بمجلسي النواب والشيوخ
ولجنة المستعمرات وبلاد الحماية بالبرلمان. وهكذا وجهت النداء للشعب الفرنسي شارحة كيف أن
مطامح هؤلاء النواب ترمي الى احتكار التدبير والسيادة لطائفة [illegible] تعمل على استغلال
الضعفاء واستنزاف مالية الشعب المغربي المسكين. وقد طلبت الكتلة من جديد
ايفاد لجنة برلمانية للبحث في حقيقة الحال وقبول نوابنا [illegible] وجهة النظر التي
تتشبث بها الشعب المغربي إزاء المسألة القائمة.
وكتلة العمل الوطني ترفع لجلالتكم [illegible] على حقوق وطننا المغربي وحقوق
جلالتكم، [illegible] هذه الفئة التي ما فتئت [illegible] بأعمالها.
وهي توجه نظر جلالتكم الى أن الأمة المغربية أخذت تعتبر [illegible] المحتجين
الفرنسيين مسألة أشد خطورة من القضية البربرية، ذلك لأن تلك [illegible]
بعض الظهائر وهذه المطالب ترمي الى تمليك الجالية الفرنسية حق وضع الظهائر
والقرارات والتصرف في جميع المسائل المغربية.
وإنا لنلتمس من جلالتكم - باسم الشعب المغربي - أن [illegible] على كامل
حقوق المغرب وعرشه الشريف، وأن [illegible] لهذه [illegible] التي [illegible] وذلك
بالعمل على حل المجالس الغير المشروعة و[illegible] الشعب المغربي [illegible]
نظام مستمد من مطالبه التي قدمناها منذ أكثر من [illegible].
لازلتم ذخرا للمغرب وحرزا أمينا لحقوقه. وعلى [illegible] والسلام.
في 15 ذي القعدة 1354 / 7 ابريل 1936
كتلة العمل الوطني

نص الرسالة التي وجهتها كتلة العمل الوطني بتاريخ 7 أبريل 1936 ، إلى جلالة المغفور له محمد الخامس ، بصدد المجالس الاستشارية الفرنسية بالمغرب .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

المقصود بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية . وكان العلاج يكمن ، بالطبع ، في الفصل فيما بينها ، وتخويل القضاة كامل استقلالهم إزاء السلطات العمومية . كما أن توظيف القضاة يجب أن يتم عن طريق المباراة

وكذلك هو الشأن فيما يخص المساعدين لهم . ولابد من تخويل الجميع مرتبات مناسبة ، مقتطعة من ميزانية الدولة ، لا من المتقاضين والمحكومين . كما كان ضروريا تحضير المرحلة التالية من أجل إعادة تنظيم القضاء المغربي عن طريق وضع مدونة قانونية وإيجاد أطر . وكان النص يهدف ، أيضا ، إلى إلغاء كل مقتضيات الظهير البربري فيما يخص المحاكم العرفية البربرية ، وذلك بتوصيته باستحداث نظام قضائي موحد تنسحب أحكامه

على المدن والبوادي ، برمتها . كما كانت المطالب تطرح قضية « القواد الكبار » وتطالب بإلغاء السياسة المبنية على وجودهم ، لأنها كانت تشخص في أعين عدد كبير من المغاربة ، وخاصة منهم الذين كانوا يعيشون في جبال الأطلس ، مظاهر العدوان والتعسف . على أن هاته المطالب كانت لها ، كذلك ، مبررات سياسية ، إذا اعتبرنا أنها كانت تهدف إلى تحطيم كل السدود التي أقامتها حكومة الحماية لتعرقل ، إن لم تمنع بالكلية ، كل اتصال بين المدن والبوادي ، بين سكان السهول وسكان الجبال .

تدخل الشعب

تلك هي ، بالاجمال ، خلاصة ما دعي في تاريخ الحركة الوطنية المغربية ، « المطالب المستعجلة » التي اعتبرها شارل أندري جوليان « لائحة مطالب أكثر منها مخططا إصلاحيا وقع تحضيره بإمعان » . وقوله هذا يعني حكما نقديا على نصها . والواقع أنه يسلم بمزيتها فيما يخص ميدان الفلاحة ، إلا أنه يسجل فيها تناقضات ، على المستوى السياسي . ومهما يكن ، فإن ما يشترطه من تلاؤم وانسجام في الجانب النظري ، لا يدخل في حسابه ، بالكفاية ، السياق المحلي الذي كان ، من جهته ، أبعد ما يكون من التلاؤم . الشيء الذي كان يحتم تفكيرا أو عملا من نوع خاص ينطبق على واقع مليء بالتناقضات . وقد اضطر شارل أندري جوليان ، في خاتمة المطاف ، الرجوع إلى حكم أكثر إنصافا حينما قال : « وأخيرا ، إن إحدى المزايا الأساسية في النص ترجع إلى كونه أبرز الاهتمام المتزايد الذي بدأ يوليه قسم ينمو يوما بعد يوم من سكان المغرب لانجاز الاصلاحات » .

وبالنسبة للمسؤولين عن كتلة العمل الوطني كان هذا هو المهم : كان لابد من أن تدور عجلة التاريخ . ومن ثم ، كان لابد للمؤرخ ، لكي يفهم الأحداث ، من أن لا يعزل

حفل استقبال أقيم على شرف الوطنيين الذين أطلق سراحهم بالدار البيضاء في دجنبر 1936، إثر مظاهرات أكتوبر.
(من مجموعة صور خاصة).

المطالب المستعجلة عن العمل الذي رافقها وكان، في آن واحد، دفاعا عنها وإبرازا لقيمتها. ويقدم لنا علال الفاسي، الذي تزعم هاته الفترة المهمة من الكفاح الوطني، في كتابه «**الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي**»، رواية حية عن الموضوع لابد من تتبعها معه، ولو اضطرنا ذلك إلى الاقتباس من كلامه.

فما مرت أيام على تسليم المطالب المستعجلة للمقيم العام، حتى نظمت الكتلة اجتماعا إعلاميا أولا بسلا شارك فيه عدد من المناضلين والمتعاطفين. وكانت سلا معروفة آنذاك بكونها إحدى المدن الأكثر انغمارا في نشاط الحركة الوطنية منذ نشأتها. وهذا ما جعل اختيار الكتلة يتجه إليها من أجل تدشين الحملة. ويذكر الذين مازالوا على قيد الحياة من قدماء الوطنيين أن الاجتماع حصل على نجاح كبير. ذلك أن سلطات الحماية لازمت الحياد ولم تتدخل، ومن المحتمل جدا أنها كانت تريد أن تعرف مدى إشعاع الحركة.

وكانت التجربة بليغة بالنسبة إليها إذ جعلتها تقدم على تدابير خطيرة لما قررت الكتلة أن تنظم مؤتمرا بالدار البيضاء يوم 17 نوفمبر 1936 للمطالبة بحق نشر صحافة مغربية مستقلة. وكان البرنامج يتضمن، من جملة ما يتضمن، دعوة ممثلين عن الجالية الفرنسية وصحافيين فرنسيين للمزيد من اطلاعهم على الوضعية التي يوجد عليها المغاربة، فيما يخص غياب الحريات والحرمان من إصدار صحيفة باللغة العربية. ولكن، هل تمكنت الكتلة من إقامة مؤتمرها؟ لننصت إلى رواية علال الفاسي:

«**وفي 17 من شهر نوفمبر سنة 1936 كان مقررا إقامة مؤتمر بالدار البيضاء بالمطالبة بالصحافة المغربية. وقد كان برنامجه إقامة مهرجان بإحدى القاعات الكبرى يدعى لها آلاف الأنصار وغيرهم من** سكان الدار البيضاء الفرنسيين والأجانب لتشرح لهم الحالة التي عليها المغرب فيما يرجع لخنق حرية الكلام، والحيلولة بين الأمة وبين إصدار الصحف باللغة العربية، ثم إقامة مأدبة للصحافة الفرنسية في اليوم الثاني يلقى فيها على المدعوين تصريح من الكتلة في موضوع الصحافة بالمغرب.

« وما أزف موعد الاجتماع الأول حتى احتشد آلاف المغاربة، وإذا بهم يجدون باب الدار المقرر انعقاد المؤتمر بها محاطا بالبوليس والجندرمة المسلحة. وبينما نحن نتناول العشاء في مكان قريب، إذا بأحد شباب الكتلة يتلفن لنا معلما بما جرى. فتعجلنا الذهاب لعين المكان حيث وجدنا ولاة الناحية من مدنيين وعسكريين ومعهم البوليس وسيارات الاسعاف وكل ما يلزم للكفاح. ثم تقدم إلينا خليفة باشا (محافظ) الدار البيضاء، وبلغنا شفويا منع المؤتمر باسم جلالة السلطان الذي كان يومئذ بالدار البيضاء. فأجبته على الفور: إن لجلالة السلطان ظهيرا (مرسوما) يتعلق بالاجتماعات. ومؤتمرنا الليلة سائر وفق ما يقتضيه الظهير. فإذا كان عندكم أمر ملكي خاص، فبلغوه لنا

المطالب المستعجلة

برهن على أن اليوم سيأتي الذي سيجد فيه الوطنيون المغاربة من بين الفرنسيين عناصر ذات نية حسنة يمكن إجراء الحوار معها لأنها تتكلم بنفس اللغة وتستعمل نفس المنطق .

ومهما يكن ، فإن اعتقال الزعماء المغاربة لم يمر نسيا منسيا في أعين الشعب المغربي الذي تلقاه كاستفزاز ومساس بالكرامة الوطنية . فقامت مظاهرات شعبية كبيرة في الدار البيضاء وفاس والرباط وسلا ووجدة وفي غيرها من المدن والقرى المغربية . وتقبل الشعب بصدر رحب كل التضحيات ، لأنه أخذ ينظر بعين الجد والتقدير إلى عمل الوطنيين ويشعر أكثر فأكثر بأنه معني بالمعارك الكبرى التي يخبئها المستقبل .

إن المطالب المستعجلة ، خلافا لما يوحي به اسمها ، شكلت في تطور الحركة الوطنية مرحلة ذات أهمية . لقد كانت بمثابة امتحان أتى به التاريخ في منعرجاته الكثيرة والمباغتة ليبلو به في آن واحد الشعب المغربي والمسؤولين عن مصير الاستعمار . فالوضع كان يفرض على الأول أن يحدد الحد الأدنى من المطالب الذي كان على استعداد للكفاح من أجله ، وأن يتلمس ما يكشف عنه المستقبل من حظوظ مساعدة ، وأن يعرف الخصم عن كثب . وبالنسبة للثاني ، وجد نفسه مدفوعا إلى تحمل مسؤوليته في مواصلة المسيرة الاستعمارية وهو على بينة من الأمر ، أي أن يمشي في خط معاكس لما وضعته الأخلاق الدولية من مبادئ هادفة لصيانة حقوق الشعوب والأفراد . فلم تجد بدا من موقف العناد تجاه المنطق العالمي وهي تدافع عن إيديولوجية الاستعمار السخيفة ، أي تدافع عما لا يجوز الدفاع عنه .

ولكن ، لصالح من كان يعمل المستقبل ؟ لصالح قضية الحقيقة والعدل ، كما هو الشأن دائما . كان لابد من مساعدته ، بطبيعة الحال وتحريك عجلة التاريخ . وهنا تبرز أهمية المبادرة الوطنية التي اندفعت إلى تقديم المطالب المستعجلة .

منظر من مدينة الدار البيضاء سنة 1936 .
(من مجموعة صور خاصة « مالكا ») .

رسميا وكتابة » . فأجابنا الخليفة بأن الحق معنا ، وأنه سيذهب ليبيء لنا الأمر الكتابي » .

طال انتظار المؤتمرين ، دون أن يعود الخليفة وبدأ الجمهور يتزايد بكثرة في تلك الأثناء . وفي الأخير ، قرر المسؤولون عن الكتلة الانسحاب من المكان تجنبا لأي اصطدام مع قوات كانت في زي الحرب . وتبعهم الجمهور وهو يهتف بالشعارات الوطنية . فكانت مظاهرة شعبية رائعة اختتمت بخطبة لعلال الفاسي في ساحة الحرية . وعمدت السلطة في الحين إلى إلقاء القبض عليه ، وعلى محمد حسن الوزاني ومحمد اليزيدي .

آفاق من وراء الانتظار

برغم الاعتقالات ، لم يتوقف أعضاء الكتلة عن عملهم النضالي . وهكذا أقام الذين بقوا في الحرية من بينهم ندوة صحفية أمام مائة وخمسين صحافيا . وتناول ممثلو الأحزاب اليسارية الكلام في تلك المناسبة ليندوا بسياسة خنق الحريات التي تسلكها حكومة الحماية ، ويطالبوا بإطلاق سراح الوطنيين المغاربة الذين اعتقلوا ، وتخويل المغاربة الحرية في إصدار ما يشاؤون من صحف . فالموقف الذي اتخذه بعض الفرنسيين في المناسبة ، ولو لم تكن له نتائج محسوسة على الفور ، كانت له دلالته الواضحة . فقد أبرز أن عددا متزايدا من الفرنسيين لم يكونوا يشعرون بارتياح في ضمائرهم أمام الواقع الاستعماري . كما

مقتطفات من مقدمة

(...) يرى المغاربة أن اتباع الادارة لسياسة الامتيازات العنصرية هو الذي جعلها تهمل وسائل ترقيتهم ، في الوقت الذي تكفل فيه للنزالة الاوروبية كل وسائل الراحة والسعادة . فشيدت لها المدارس والمستشفيات والمحاكم . وأسست لها المجالس . وفتحت لها الهيآت الادارية . وبذلت لها المساعدات ، وضمنت لها مصالحها المادية ، وحقوقها المدنية ، وحريتها الشخصية حتى أصبحت العنصر الممتاز المختار في البلاد المغربية .

لم تفرض معاهدة الحماية على الدولة الحامية بسط الامن في البلاد وتجهيزها العصري من أجل الاجانب ، ولم يقبلها المغرب كمعاهدة استعمار واستغلال في سبيل الجالية الاوروبية ، ولكنها أسست على مبدأ تنظيم المغرب من الناحية المادية والعلمية بكيفية تضمن رقي الامة الحقيقي ، وتعزز أركان الدولة المغربية . فهل رعت الحماية تعهداتها أو حافظت على مصالحنا وحقوقنا في التشريع وفي التنظيمات الادارية ؟(...)

(...) على أننا في ملاحظاتنا نعترف بأنه لم يكن من السهل إصلاح كل الانظمة العتيقة في ظرف اثني وعشرين سنة . ولهذا لانطالب الحكومة إلا بما كان واجبا عليها أن تفعله خصوصا ونحن نرى ما قامت به من الاعمال في سبيل الجالية الاوروبية . ألم يكن في استطاعة الحكومة – على الاقل – وضع برنامج لسياستها العامة ، والاصلاحات الهامة ، والشروع في تنفيذه ، وإعداد الرجال له ؟ ففي ميدان العدلية مثلا – والعدالة أقدس حقوق البشر – لم تجد الحماية سنة 1912 – بقطع النظر عن المحاكم القنصلية – أثرا لمحاكم فرنسية ، ولا لعدلية فرنسية يصح أن يطلق عليها هذا الاسم . ولم تلبث أن شيدت لها البنايات الشاهقة ، وأن نظمتها تنظيما يغار منه رجال القضاء بفرنسا نفسها ، وخصصت للموظفين فيها المرتبات العالية والتعويضات الكثيرة ، كل ذلك من ميزانية الدولة المغربية . فماذا فعلت الحماية فيما يرجع للعدلية المغربية ، وقد وجدتها قائمة الذات ، يتحاكم إليها ملايين من المغاربة والاجانب أنفسهم في كثير من القضايا ؟

إن العدلية المغربية لاتزال إلى اليوم على هامش الميزانية العامة ، فالقواد والقضاة لا يتقاضون أجورا ثابتة ، وليست لهم أنظمة ولا ضمانات .

إن العدلية المغربية لا تزال فاقدة لكل نظام من ناحية التشريع ، ومن ناحية السيطرة ، ومن ناحية التنفيذ .

إن ما ذكرناه عن العدليتين الفرنسية والمغربية يصح أن نعيده في باقي الاعمال الادارية ، كالتعليم ، والاقتصاد والصحة ، والاسعاف ، والعمل وغير ذلك . وهذا يبين بجلاء كيف تسود في البلاد سياسة الامتيازات العنصرية ، ويغفل جانب سكان البلاد الاصليين ، رغم ما يجب أن يكون لهم من الحقوق كمغاربة وكأغلبية ساحقة في هذه البلاد (...).

(...) لم تكتف الادارة بتمييز العنصر الاوروبي على المغربي بل أرادت اتباع سياسة التفرقة بين المغاربة أنفسهم ، فأحدثت أنظمة شاذة كالنظام المبني على السياسة البربرية ، لتوجيه الاكثرية العظمى في الامة المغربية نحو الثقافة الفرنسية والقضاء الفرنسي ، ولمقاومة الاسلام ، والثقافة العربية ، ووحدة القضاء المغربي ، وسلطته الشريفة ونفوذ جلالة السلطان .

وقد تيقن المغاربة أن السياسة البربرية سياسة إدماج ، وأنها مظهر من مظاهر السياسة العامة المتبعة في البلاد : أي سياسة الحكم المباشر المنافى تمام المنافاة لمعاهدة الحماية التي تقضي بأن الحكم للمغرب وحده ، وأن ليس للدولة الحامية سوى حق المراقبة وواجب المساعدة . إن عدم اهتمام ولاة الحماية بإدخال الاصلاحات اللازمة على النظم القديمة ، وإيثارهم الجالية الاوروبية على سكان البلاد الاصليين بخيرات البلاد ، واتباعهم سياسة الادماج وطريق الحكم المباشر جهارا وخفية : كل ذلك أصبح شديد الوطأة على المغاربة ، وأحدث اضطرابا عاما في الافكار ، واستياء عميقا في جميع الاوساط . وقد وقعت أثناء السنين الاربعة الاخيرة مظاهرات واحتجاجات شديدة . ورفعت لجلالة السلطان ولولاة الحماية ولرجال الحكومة

« مطالب الشعب المغربي »

الفرنسية عشرات من العرائض، ومئات من البرقيات. وكتبت في الداخل والخارج أسفار من الابحاث والمقالات قصد التعريف بالامر ورغبة في تحسن الحال.

وقد كانت الامة المغربية متضامنة – شيوخا وشبابا – في حركة احتجاجاتها على تصرفات الادارة، مع كتلة عاملة من أبنائها الساهرين على مصالحها. فبرهنت في مختلف المناسبات على شديد ارتباطها بهم وعظيم ثقتها فيهم وتحبيذها لخطتهم.

وقد أصبح مدى هذه الحركة المنتشرة في كل أنحاء البلاد المغربية معروفا لدى كل الناس، وملموسا بالاخص في الدوائر التي يرجع إليها النظر في شؤون هذه البلاد، واعترف كثيرون من رؤساء الادارة بأن أغلاطا كثيرة قد وقعت في تطبيق نظام الحماية، حولتها عن الغاية التي وضعت من أجلها، فخاب أمل الذين كانوا يرون فيها المساعدة والمدد، وشعروا بوجوب العودة إلى العمل من جديد، وتدشين الحماية للمرة الاولى بالمعنى الذي يتفق ومصلحة المحميين. وحينئذ فقد أصبح واجبا على الامة التي طالما انتظرت تغيير الحالة الحاضرة أن تعرف الحكومة بكيفية بينة بالاصلاحات التي يجب تحقيقها لتحسين حالتها العامة.

وقد استخلصت الكتلة المغربية العاملة – التي تضم النخبة المجاهدة في البلاد – هذه المطالب المحتوية على تعريف ضمني بالسياسة المنتقدة، والتصرف الاستثنائي من مجموعة العرائض والشكايات والمطالب الجزئية التي رفعها الشعب في أوقات مختلفة لجلالة السلطان وللحكومة.

وقبل إعطائها صيغتها النهائية عملت على الاتصال بمختلف طبقات هذه الامة في حواضرها وبواديها. وهكذا استطاعت أن تدرس نفسية الشعب، وأن تعرف الفكر العام معرفة كاملة. وعلاوة على ذلك، فقد وردت عليها شتى الرسائل في الاعراب عن حاجة البلاد الماسة إلى نظام صالح يحفظ حقوق المغاربة ومصالحهم أمة وأفرادا، وييسر بهم في صراط التقدم المستقيم.

وقد حرصت الكتلة عند وضع هذه المطالب على إيجاد حلول للمشكلات الحاضرة، يتيسر معها تحسين العلائق بين مختلف العناصر المتساكنة في البلاد وتضمن للجميع مصالحهم والمحافظة على حقوقهم المشروعة ضمن الاوفاق الدولية، وطبقا للحماية كما تقتضيها المعاهدات وتسمح بها في حدود القانون الدولي.

وقد وجدت أثناء تهيئة هذه المطالب أن قسما من الاصلاحات التي تتوق إليها الامة قد وضع له تشريع منذ زمن بعيد فهي لاتطالب بأكثر من تطبيق ذلك التشريع على المغاربة. إذ كثيرا ما يقصر تطبيقه على الجالية الاوروبية، مثال ذلك، التشريع الخاص بالعمل والحالة المدنية والحريات الشخصية.

على أن القسم الاعظم من حاجات الامة المغربية، قد أغفله التشريع المغربي. فالكتلة العاملة المغربية تطالب بوضع تشريع له يرضي البلاد، واتباع خطة رشيدة في تطبيقه. ومن هذا القبيل إصلاحات سهل تناولها، يمكن للحكومة تحقيقها في الحين، مثال ذلك ما يرجع للتعليم والسياسة الاقتصادية، ولاعانة الفلاحين والصناع الصغار. وهناك إصلاحات لايمكن تحقيقها برمتها دفعة واحدة. فيجب على أي حال قبول نظامها المقترح والشروع فيه من سلوك التدريج في إنجازها، مثال ذلك إصلاح العدلية المغربية. فهو يقتضي تنظيم المحاكم بكيفية عصرية وتقسيمها إلى درجات وهذا يقتضي اعداد موظفي القضاء، الامر الذي لا يتيسر في زمن قصير. فالواجب في مثل هذا الحال الشروع في إعداد الموظفين القضائيين، مع اتخاذ تدابير مؤقتة لضمان حقوق المتداعين وجعل حد حاسم للظلم والتعدي.

ومهما يكن من الامر فيما يرجع لتحقيقها المعجل أو المؤجل، فالمطالب التي نقدمها اليوم، كلها ضرورية، وانها أضمن وسيلة لرقي الامة وتحقيق أمانيها.

هذا وإننا لم نكن في هذه المطالب حريصين على شيء، حرصنا على التوفيق بين رغبات الشعب الحقيقية ومصالحه الثابتة من جهته، والاوفاق والمعاهدات التي يراعيها جلالة الملك المفدى من جهة أخرى مع الاقتصار على ما هو – في الواقع – ضروري للمغرب في طوره الحالي (...).

علال الفاسي

عبد الكريم غلاب

اسم لمع على رأس الحركة الوطنية ، منذ ظهورها أواخر العشرينات حتى توفي سنة 1974 . وهو من عائلة الفاسيين الفهريين الذين هاجروا من الأندلس إلى المغرب سنة 880 هـ

علال الفاسي مع أبيه الشيخ عبد الواحد الفاسي سنة 1925 .

أثناء طرد العرب من الأندلس . هاجروا مطاردين من لبلة (عمالة اشبيلية) إلى مالقة . ثم هاجروا إلى فاس مطاردين مع بقية العرب المسلمين . وأسهموا طوال هذا التاريخ في العطاء العلمي والوطني . وعرف التاريخ الحديث في مدينة فاس من هذه العائلة أسماء لمعت كعلماء في القرويين وقضاة وموظفين وخطباء في المساجد . يذكر التاريخ أسماء من آل الفاسي كانوا علماء ووزراء ولكنه لا ينسى أبا المحاسن سيدي يوسف الفاسي الذي ساهم في معركة « **وادي المخازن** » ضد الغزاة البرتغاليين ، كمتطوع استطاع أن يتزعم نخبة من رجال العلم والطلبة ليخوضوا المعركة التي كانت فاصلة مع البرتغاليين في هجماتهم المتوالية على المغرب (معركة وادي المخازن 4 غشت 1578) .

والد علال الفاسي الشيخ عبد الواحد عرفته مجالس العلم في القروين ، والمنابر خطيبا ، ثم موظفا في المجلس العلمي ، كما عرفته دوائر الافتاء . وكان المفتي مساعدا مهما للقضاء الاسلامي يقدم للقاضي وجهة نظر الشرع في القضايا والنوازل المعقدة . وكثيرا ما يلجأ المفتي إلى اجتهاد قضائي يأخذ به القاضي - أو يرفضه - ولكنه يغني الاجتهادات العلمية ، كما يساعد أصحاب القضايا على تلمس الطريق للوصول إلى حقهم أمام القضاء .

وهكذا ولد علال الفاسي في بيئة علمية سنة 1910 وربي تربية علمية دينية ، لا تخلو من جانب أدبي على غرار ما كان والده ، إذ كانت خطبه تتسم بطابع أدبي في أسلوبها البليغ وفصاحة إلقائها .

وبدأ علال يلفت النظر إليه من بين شباب العائلة الفاسية في بعض المناسبات كإحياء ذكرى المولد النبوي الذي كان مهرجانا تحضره جماهير غفيرة من سكان فاس . وقد فاجأ علال منظمي هذه الحفلات - التي كانت تقليدية - بخطاب خاص عن ذكرى الرسول . وفي مناسبة أخرى فاجأهم بقصيدة طويلة ذات مضمون جديد . لم يكن للأوساط المثقفة آنذاك عهد بمثلها ، وخاصة من شاب لم يَعدُ السابعة عشرة من عمره آنذاك .

علال الفاسي ، طالبا في القروين ، في السابعة عشرة من عمره .
(من وثائق حزب الاستقلال) .

في القرويين

هذه المناسبة أعطت لعلال الفاسي اسما لامعا في مدينة فاس التي كانت تعيش حياة مقفلة ، ولكنها متحركة ، بحيث لم تكن في حاجة

علال الفاسي

إلى اعلام لتتعرف على « الحدث المهم » وهو أن شابا تحدى من هم أكبر منه سنا، وتحدى التقاليد المتبعة في الاحتفال بالمولد النبوي، وتحدى « القوانين » التي لا تسمح بإلقاء الخطب والقصائد في التجمعات، ولو كانت إسلامية، التي يحضرها الجمهور.

لهذا نظر إلى عمل كهذا على أنه عمل سياسي إلى جانب مظهره الثقافي.

العمل الثاني الذي لفت النظر إلى علال الفاسي في سنه المبكرة هو أنه تزعم مع أحد أصدقائه (الحسن بوعياد) كتابة عريضة باسم أعضاء **المجلس البلدي** في فاس – وهو المجلس الوحيد في المغرب الذي كان منتخبا – يحتجون فيها على محاولة تحويل ماء « **وادي فاس** » لضيعات المعمرين، والمدينة – وضواحيها – تعتمد عليه في الري والاستعمال المنزلي. وقد كان هذا العمل محاولة لاعطاء الممارسة الاستعمارية طابعها السياسي والاقتصادي، وليست فقط ممارسة إدارية يمكن للسلطات أن تقوم بها. نظمت تجمعات في القرويين وضريح مولاي إدريس للاحتجاج على محاولة تحويل الماء. وخطب علال الفاسي في هذه التجمعات. بدأت سلطات الحماية تنظر إلى هذا الشاب الذي أخذ يتجاوز مجاله كطالب في القرويين إلى توجيه المجلس البلدي الذي كان أعضاؤه في الغالب من الأعيان، نحو التمرد والاحتجاج، تنظر إليه نظرة فيها كثير من الحذر والريبة...

العمل الثالث الذي لفت إليه الأنظار – أنظار الطلبة والمثقفين بصفة خاصة – هو الجمعية التي أنشأها بعض الطلبة في القرويين. وقد تكونت من الطلبة المتنورين، الذين يشتركون في اهتمامات علمية وأدبية. وكان على رأسها الطالب علال الفاسي. كانت تنظم مباريات أدبية، فينظم الذين يقولون الشعر من بين أعضائها قصائد تقرأ داخل الجمعية وتناقش. ويجيب شاعر آخر بقصيدة تخضع مرة أخرى للقراءة النقدية والمناقشة. ويشهد بعض أعضاء الجمعية (محمد المختار السوسي – وكان من أهم أعضائها الشعراء) أن علال الفاسي كان أبرز الشعراء وأكثرهم اشعاعا.

العمل الرابع أن هذه الجماعات الصغيرة من الطلبة – وعلال الفاسي من أبرز أعضائها – أخذت تطالب بتنظيم الدراسة في **القرويين** وتنظيم الشهادات التي تنتهي بها المراحل الدراسية. وقد خاضت هذه الجماعة صراعا من أجل النظام ضد إدارة الحماية، التي كانت تريد أن تبقى الدراسة على شكلها القديم الذي لا يخضع لنظام ولا تمنح فيه شهادة رسمية ولا يتقاضى الأستاذ مرتبات إلا المنح الضئيلة التي كانت تخصصها الأوقاف لبعض المدرسين. كما خاضت هذه المجموعة من الطلبة صراعا ضد بعض التقاليد والخرافات التي كانت تنخر الفكر المغربي والمجتمع المغربي عموما. كان هذا الصراع انطلاقا من الاتجاه السلفي الذي انتشر في العالم الاسلامي بفضل نشاط محمد عبده وجمال الدين الأفغاني.

العمل الخامس كان عملا موازيا لكل هذا النشاط وهو **العمل السياسي**، الذي ارتبطت به حياة علال الفاسي إلى الرمق الأخير. ويمكن أن نقول في البداية إن السياسة لم تكن لها الحدود الضيقة التي تعرفها الحكومات والشعوب التي تمارس العمل السياسي في حرية. المغرب كان يعيش حياة مقفلة يحرم فيه كل نشاط يتصل بالحريات العامة: حرية الممارسة والتعبير والاجتماع ... ولذلك فكل تحرك، يفهم منه توجيه لوم أو نقد للادارة أو مطالبة بعمل ما، كان محرما لأنه سياسة.

بداية العمل السياسي

وفي ظل هذه « القوانين » و« الضوابط » بدأت **الجماعة الوطنية الأولى** – وقد التقت فيها جماعة فاس مع جماعة الرباط وجماعة تطوان – تتحرك لمواجهة الادارة بالمطالبة والنقد. وكانت هذه الجماعة التي أنشئت سنة 1927 – ومعظم أفرادها من شباب القرويين والمدرسة الثانوية وبعض الأعيان – قد أقسمت على **العمل السري** وعلى أن هدفها الأسمى هو **استقلال المغرب**. ولعلها لم ترد أن تجهر بهذا الهدف آنذاك نظرا لأن **الحرب التحريرية في الريف** كانت قد انتهت قريبا (1926). وكان علال الفاسي من أبرز شباب هذه الجماعة، التي كانت **النواة الأولى** لكتلة العمل الوطني التي تحولت إلى الحزب الوطني ثم إلى حزب الاستقلال.

ظهر علال الفاسي على نطاق أوسع في الحوادث التي نشأت على إثر إصدار **الظهير البربري** في 16 مايو 1930. فقد أعقبت صدور هذا الظهير حركة شعبية بدأت بالتجمع في المساجد، وتطورت إلى مظاهرات تجوب الشوارع احتجاجا على صدور هذا الظهير. وقد اعتقلت الادارة منظمي هذه التظاهرات في المساجد والشوارع، وخاصة في مدن فاس والرباط وسلا. وكان علال الفاسي من بين المعتقلين إذ سجن ونفي من المدينة.

وبعودته من المنفى – بعد بضعة أشهر – أخذ نشاطه السياسي يتضح. فلم يعد يقتصر على العمل في إطار السلفية الاسلامية أو في الجماعات المحدودة: الطلبة، أو مقاومة الظهير البربري، أو الدفاع عن ماء فاس، وإنما اتضحت أهدافه كزعيم وطني يتبلور فيه النشاط الذي تقوم به الجماعات الوطنية السرية التي تجمعت في كتلة واحدة تستهدف المطالبة بالاستقلال، وتتبع في ذلك خطة المراحل، في مقدمتها **المطالبة بالاصلاحات الجهوية**.

هذا النشاط الوطني سار في موازاته نشاط آخر، علمي في ظاهره، سياسي في عمقه. ذلك أن علال الفاسي أخذ يلقي دروسه على طلبته ومريديه في المساجد الصغرى بفاس أولا، ثم تحول إلى « القرويين ». كان يتجمع حوله

مذكرات من التراث المغربي

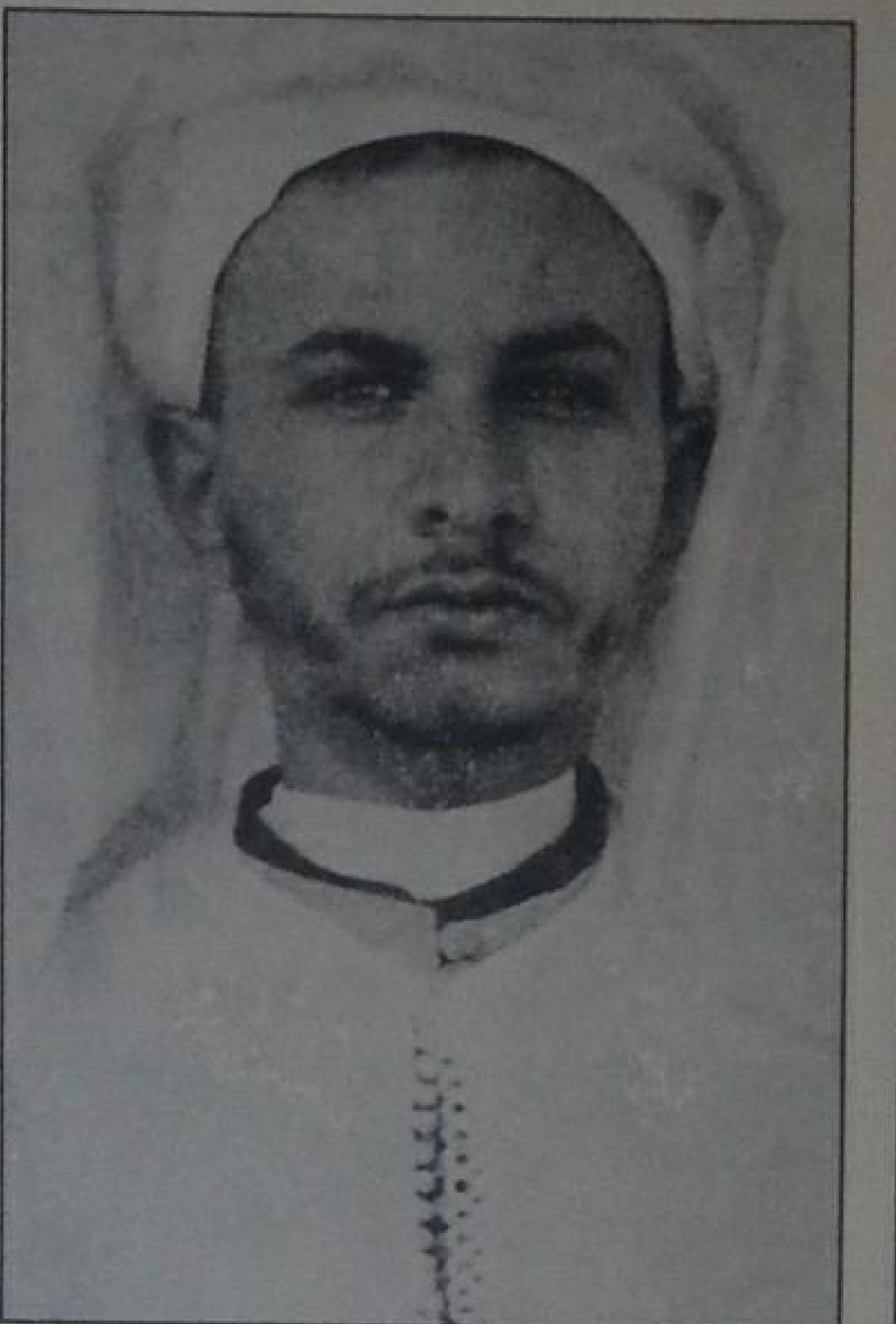

الطالب علال الفاسي، وقد اختاره رفاقه سنة 1927 لقيادة أول منظمة سياسية سرية بفاس.
(من وثائق حزب الاستقلال).

آلاف من المتتبعين لدروسه التي تعنى بتاريخ الاسلام، ولكنه كان يتخذ من التاريخ سبيلا لاثارة الأفكار حول أوضاع المسلمين الحاضرة وبالأخص في المغرب.

وقد اعتبرت الادارة الفرنسية هذه الدروس بمثابة مظاهرة يومية يتزعمها علال الفاسي ويخطب فيها، لأنها كانت تتسمع إلى أصدائها وآثارها في المواطنين. وحاولت أن تمنعه بالقوة فلم تستطع، ثم حاولت عن طريق « حكم » من « المجلس العلمي » باعتباره يقول في دروسه ما لا يتفق مع الدين. وبث عليه في دروسه شاهدين (عدلين) يسجلان ما يتحدث به، فلم يهتد الشاهدان إلى شيء يخالف الدين فيما يتحدث به. وهكذا فشلت خطة استصدار « حكم » من المجلس العلمي بمنعه من التدريس. ولم تبق إلا وسيلة واحدة هي اعتقاله لسبب أو لآخر. ففي صيف 1933 سافر إلى شمال المغرب فزار طنجة ثم تطوان. وفي حفلة تكريم أقيمت له في تطوان خطب خطابا سياسيا اعتبره الاسبانيون مساسا بسياستهم فأخذوا في مضايقته. وحينما زار مدينة سبتة منعه الاسبانيون في « الحدود » من العودة إلى تطوان. ولذلك عاد إلى طنجة عن طريق الجزيرة الخضراء. وفي طنجة وصلته رسالة من « **كتلة العمل الوطني** » تخبره أن الاقامة العامة قررت اعتقاله في « الحدود » عند عودته إلى فاس. ولهذا سافر من طنجة إلى فرنسا وسويسرا (حيث اتصل لأول مرة بالأمير **شكيب أرسلان** الذي كان الوطنيون بالمغرب يعتبرونه مستشارا وأبا روحيا لحركتهم).

ظل في المنفى الاختياري نحو سبعة أشهر أخبرته الاقامة العامة بعدها أنها رفعت الحظر عن عودته إلى المغرب. وفي طنجة اجتمع معه مندوب عن الاقامة العامة عدة اجتماعات تحادثا فيها محادثات سياسية حاول فيها المندوب الفرنسي تقريب وجهة النظر بين إدارة الحماية والوطنيين. وانتهى إلى أن يعرض على علال الفاسي أن يتولى وزارة العدل في « الحكومة المغربية ». ولكنه اعتذر عن عدم قبول وظيفة في نظام ليس للوزير فيه حرية التصرف.

وسمح له بعد ذلك بالعودة إلى ممارسة نشاطه وإلقاء دروسه.

كتلة العمل الوطني

ساهم علال الفاسي بعد ذلك في تحضير دفتر « **مطالب الشعب المغربي** » وفي الوفد الذي قدمه لجلالة الملك وللادارة الفرنسية سنة 1934. ثم ترأس المؤتمر الأول الذي عقدته كتلة العمل الوطني في الرباط سنة 1936 بعد أن يئست من تنفيذ مطالب الشعب المغربي. وقد أسفر هذا المؤتمر عن استخلاص « **المطالب المستعجلة** » من المطالب العامة. وتهم بالأخص: الحريات الديمقراطية العامة، وإصلاح التعليم، ونظام القضاء، والفلاحة، والصحة العمومية، والتخفيف من الضرائب، وتمكين العمال والحرفيين من حقوقهم...

« ... عمل مستمد من السلفية ... » الأمير شكيب أرسلان، وعن يمينه الشاب علال الفاسي وعن يساره محمد بنونة سنة 1933.
(من وثائق حزب الاستقلال).

لم يكن لهذه المطالب المستعجلة حظ أحسن من المطالب العامة. ولذلك نظمت الكتلة بزعامة علال الفاسي مهرجانات لتأييدها في المدن الكبرى، وبعد مهرجان فاس نظمت مهرجانا شعبيا خطابيا في الدار البيضاء. فاعتقل منظموه والذين كان من المنتظر أن يخطبوا فيه، وعلى رأسهم: علال الفاسي ومحمد اليزيدي ومحمد بن الحسن الوزاني.

احتجاجا على هذا الاعتقال نظمت مظاهرات شعبية في بعض المدن المغربية التي انتهت باصطدام مع الشرطة، واعتقالات واسعة في صفوف المناضلين الوطنيين. لم يدم اعتقال علال الفاسي وصحبه والمناضلين الذين تظاهروا في المدن غير شهر، أفرج عنهم بعده. فواصل علال عمله السياسي على رأس الكتلة. وامتاز العمل في هذه الفترة بكثير من التحديات:

– في الصحافة الوطنية التي سمح بإصدار بعضها بالعربية والفرنسية . وكان للكتلة صحيفة أسبوعية بالعربية « **الأطلس** » التي كان علال يكتب فيها مقالات في مهاجمة نظام الحماية ، وتصرفات وسلوك بعض الاداريين فيها والقواد الكبار .

– في إثارة الرأي العام إزاء مشاكل سياسية كمشكلة **ماء أبي فكران** في نواحي مكناس ، الذي حاولت الادارة أن تحوله لضيعات المعمرين ، كما حاولت ذلك من قبل بالنسبة لماء وادي فاس . وقد أفضت هذه المشكلة إلى اصطدامات دامية ذهب ضحيتها عدد من المواطنين ، وكمشكلة البؤس والبطالة وهجرة الفلاحين إلى المدن التي نشأت عن الجفاف .

– في تنظيم الكتلة على أساس حزب منظم – دون إذن قانوني – ينخرط فيها المواطنون وتفتح مراكزها في المدن ، وتتحدث باسم الحركة الوطنية ، مع أن الاقامة العامة لم تكن تعترف رسميا بالكتلة . وقد قررت الادارة حل الكتلة في مارس 1937 فأنشأت بدلها **الحزب الوطني** .

– اجتماعات تنظيمية مع الشغالين المغاربة للدفاع عن حقوقهم وتكوين نقابات مغربية . وبدأ العمال بالفعل يتجهون في هذا المخطط .

– اجتماعات تنظيمية مع الحرفيين لتكوين تعاونيات .

– مقاومة الخطة الاستعمارية في نزع ملكية الأرض من الفلاحين لصالح المعمرين .

– بث روح التمرد في البادية ضد رجال السلطة الذين يعتدون على المواطنين كما حدث في بني يازغة بناحية فاس .

– الاحتجاج ضد « الحج الرسمي » لكنيسة سانتاتريزا في مدينة الخميسات . وقد جعلت إدارة الحماية من هذه العملية مظاهرة دينية للكاثوليكيين الأجانب في مدينة فلاحية مسلمة لا يوجد فيها من المسيحيين إلا الرهبان الأجانب . وكان ذلك مظهرا من مظاهر السياسة البربرية .

النفي

هذه التحديات – وغيرها كثير – التي قادها علال الفاسي ، جعلت الاقامة العامة تخطط للقضاء على الحركة الوطنية . وإذا كانت

علال الفاسي يزور سنة 1957 الأمكنة التي كان معتقلا بها في منفاه سنة 1937 .
(من وثائق حزب الاستقلال) .

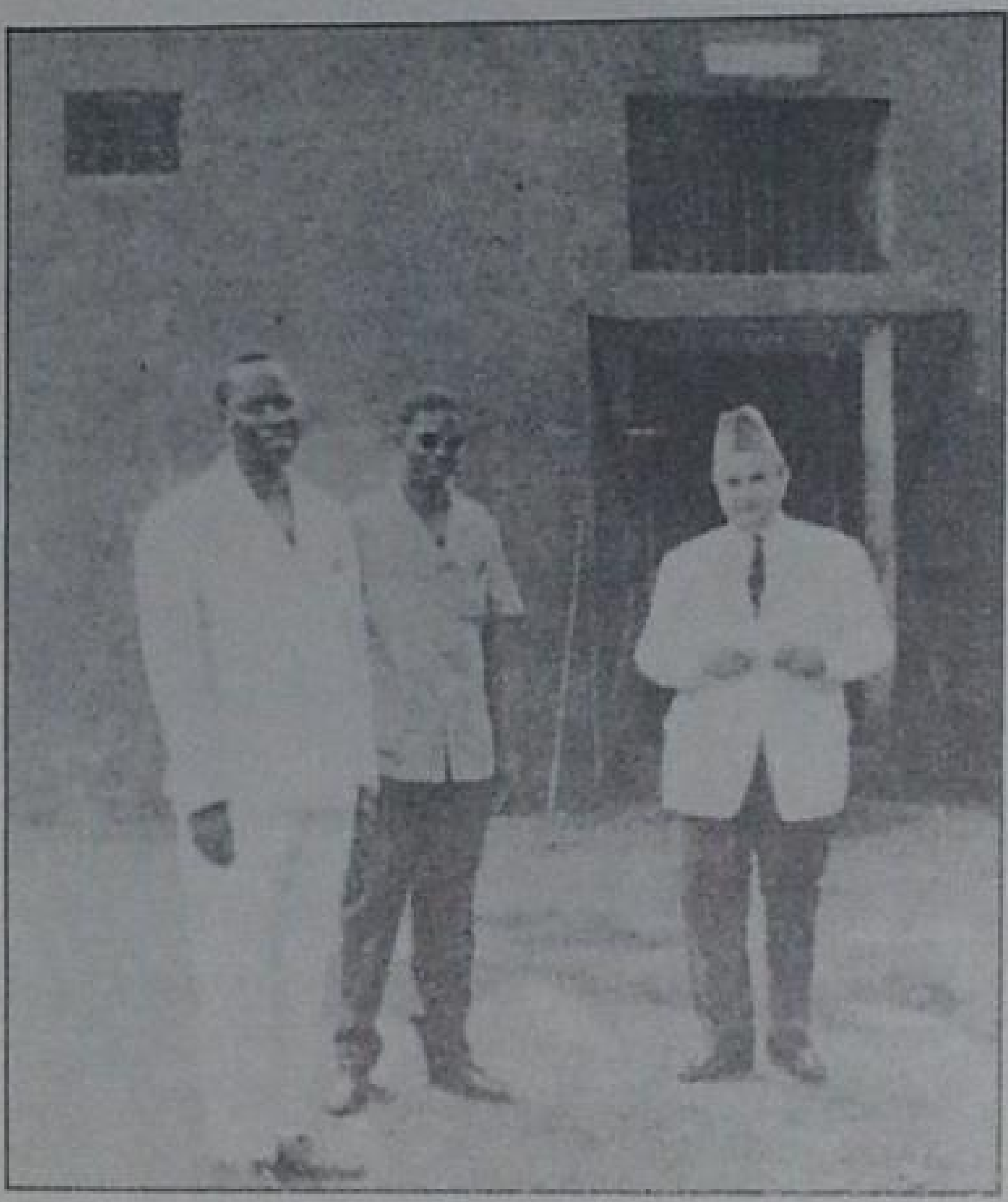

قد تراجعت في آخر سنة 1936 فأفرجت عن المعتقلين ، فلأن المقيم العام الجنرال نوجيس كان قد عين حديثا من حكومة الجبهة الشعبية . وكان أثناء حوادث 1936 في باريس . ولم يرد أن يتحمل مسؤولية الاعتقالات التي تمت أمام الحكومة وهو جديد بعد على رأس الاقامة . ولكنه بعد ذلك بنحو 11 شهرا كان قد مهد الجو . واتخذ حوادث الاصطدامات الدامية في (بوفكران) و (بني يازغة) وتنظيم الكتلة على أساس **حزب علني** ، اتخذ من ذلك حجة لاعتقال قادة الحركة الوطنية وفي مقدمتهم علال الفاسي الذي نفي إلى الكابون حيث قضى **تسع سنوات في المنفى** ، لم يفرج عنه إلا بعد الحرب سنة 1946 .

قضى نحو أربع سنوات منها في قرية صغيرة « مويلا » بجنوب الكابون . ثم نقل بعد ذلك إلى برازافيل حينما أخذت قوات الجنرال دوكول تسيطر على افريقيا الاستوائية . وفي هذه الأثناء

بعد العودة من المنفى ولقاء الرفاق بفاس ... الجالسون من اليمين إلى اليسار : قاسم بن عبد الجليل ومحمد الفاسي وأحمد مكوار ، في الصف الأول : محمد بن سودة وعبد الكبير الفاسي ، خلف محمد الفاسي ادريس السلاوي .

أجرى المسؤولون الفرنسيون من إدارات دوكول محادثات معه في شأن مستقبل المغرب . وكتب رسائل إلى زعيم فرنسا الحرة يؤكد فيها استعداد المغرب للتعاون مع فرنسا الحرة إذا كانت ستحقق مطالبه في إعلان استقلال المغرب . وبما أن الجنرال دوكول ومساعديه لم يكونوا مستعدين لاعلان استقلال المغرب ، فقد طويت صفحة هذه الاتصالات . وبقي علال الفاسي في منفاه خمس سنوات أخرى .

بعد عودته إلى المغرب سنة 1946 استأنف نشاطه كزعيم لحزب الاستقلال . وكان الحزب قد انفتح على العمل في الخارج إلى جانب العمل في الداخل . ففتح مكتبا له في باريس للاتصال والدعاية للقضية المغربية كما تكونت في مصر « **رابطة الدفاع عن المغرب** » من أعضاء الحزب الذين أنهوا دراستهم في القاهرة ، ثم كونوا مع الحركات التونسية والجزائرية **مكتب المغرب العربي** . وفي هذا الوقت تأسست الجامعة العربية التي ربط المكتب صلته بها . لهذا سافر علال الفاسي إلى فرنسا ، ثم إلى القاهرة حيث اتخذها مركزا للدعوة للقضية المغربية في المشرق العربي جميعه . وساهم في هذه الفترة في تحرير الزعيم البطل عبد الكريم الخطابي . وفتحت له سائر الجمعيات والنوادي أبوابها للمحاضرة والحديث والاتصال .

ومن القاهرة كان على صلة وثيقة بالمغرب وبحزب الاستقلال .

لم تكن الادارة الفرنسية تنظر إلى وجوده في المغرب نظرة ارتياح ، خاصة بعد أن عادت إلى سياسة القمع منذ أن تولى الجنرال جوان مسؤولية الاقامة العامة سنة 1947 . ولذلك عاد علال الفاسي إلى طنجة في نهاية 1948 بعد أن أنهى مهمته في الشرق العربي . وكان بذلك قريبا من الحزب ، تعقد معه اللجنة التنفيذية اجتماعا في طنجة كلما تطلب الأمر ذلك .

كانت طنجة متنفسا للحركة الوطنية نظرا لوضعيتها الدولية . ولذلك فقد قاد علال الفاسي النضال ضد سلوك الجنرال جوان مع جلالة المغفور له محمد الخامس ومع الحركة الوطنية طيلة السنوات الخمس التي ولي فيها سلطات الاقامة العامة ، وضد تصرفات خلفه الجنرال كيوم الذي نفذ سياسة الحكومة الفرنسية في محاولة القضاء على الحركة الوطنية ونفي الملك وعائلته . فمن طنجة كان يصدر البيانات للعالم أجمع ويتصل بمختلف الشخصيات والهيئات الدولية . ومن طنجة كان ينتقل في أنحاء المعمور من أندونيسيا حتى أمريكا وجنوبها داعيا للقضية المغربية وموجها الرأي العام الدولي إلى خطورة السياسة الاستعمارية التي تسلكها الادارة الاستعمارية بالمغرب .

نداء القاهرة

وصادف أن كان في القاهرة عند إقدام الاقامة العامة على نفي محمد الخامس في 20 غشت 1953 . ومن إذاعة القاهرة وجه نداءه التاريخي المشهور الذي أكد فيه أن شعب المغرب لا يعترف بأية سلطة إلا سلطة محمد الخامس ، ودعا الشعب أن يحمل السلاح للنضال ضد الوجود الاستعماري وتصرفات الاقامة العامة .

وعلى إثر « **نداء القاهرة** » بدأ العمل الفدائي بالمغرب بمحاولة الشهيد علال بن عبد الله . وتوالت الأعمال الفدائية التي كانت تقوم بها التنظيمات الاستقلالية بتوجيه من علال الفاسي ومساعديه وكان آنذاك ينتقل بين تطوان وأوروبا والشرق العربي .

وفي مصر ، ومن مكتب المغرب العربي ، أشرف على تكوين **جيش التحرير** الجزائري والمغربي باتفاق مع القيادة الجزائرية التي أعلنت – طبقا لهذا الاتفاق – ثورة فاتح نوفمبر 1954 . كما أعلنت ثورة جيش التحرير المغربي في الريف في أكتوبر 1955 . وهو الذي أعلن البلاغ الأول لجيش التحرير المغربي يوم 4 أكتوبر

علال الفاسي ، وقد أحاط به بعض الطلبة المغاربة أثناء رحلته إلى باريس سنة 1947 .

علال الفاسي

علال الفاسي ، الأمين العام للجنة تحرير المغرب العربي في منزل محمد بن عبد الكريم الخطابي . وعن يمينه مولاي المهدي الصقلي .
(من وثائق حزب الاستقلال) .

لم يعد للمغرب إلا في ربيع 1956 بعد عودة محمد الخامس وإعلان الاستقلال . وقد أعلن قبل ذلك موقفين أساسيين :

أولهما : أنه كان ضد المائدة المستديرة التي نظمتها الحكومة الفرنسية في « **اكس ليبان** » في صيف سنة **1955** لأنه كان يعتبر المفاوضة مع فرنسا وعلى شكل المائدة المستديرة التي جرت عليها غير ذات موضوع ، قبل عودة محمد الخامس وإعلان الاستقلال .

وثانيهما : أن استقلال المغرب سيظل غير تام ما لم يعترف بوحدة المغرب ضمن جميع مناطقه ، ومنها الصحراء المغربية .

وقد اتسم كفاحه أثناء الاستقلال بالعمل من أجل الصحراء وإقرار نظام ديمقراطي دستوري . ومن أجل هذين الهدفين ساهم في **المجلس التأسيسي** ووضع « القانون الأساسي » . وعلى أساسه ساهم في الحكومة كوزير للشؤون الاسلامية بين سنتي 1961 و 1963 .

وفي هذه المدة ساهم في نشاط إسلامي وعربي مهم . فكان من مؤسسي حركة « فتح » الفلسطينية ، وبذل جهودا لتقريب شقة الخلاف بين البلاد العربية وإيران ، يوم كانت إيران تثير صعوبات في وجه بعض البلاد العربية في الخليج ، وتهدد العراق عن طريق إثارة الأكراد . وكان من مؤسسي **رابطة العالم الاسلامي في مكة** .

وإلى جانب عمله النضالي داخل المغرب وخارجه ظل على اتصال بالميدان العلمي فكان يلقي دروسه كأستاذ في كلية الحقوق ودار الحديث الحسنية . وكان عمله كأستاذ هو مصدر عيشه وعيش عائلته .وكتب مجموعة مهمة

المرحوم محمد الخامس يستقبل علال الفاسي سنة 1960 .
(من وثائق حزب الاستقلال) .

مذكرات من التراث المغربي

اللحظات الأخيرة من حياة المناضل ... عند الرئيس الروماني يوم 13 ماي 1974 .
(من وثائق حزب الاستقلال) .

من الكتب الفكرية والسياسية التي ضمنها أفكاره .

عاش علال الفاسي حياة متحركة منذ طفولته حتى اللحظة التي أسلم فيها الروح وهو في مكتب الرئيس الروماني « تشاوشيسكو » في بوخاريست ، يعرض عليه قضية فلسطين وقضية الصحراء يوم 13 مايو 1974 . وهذه الحياة المتحركة أكسبته شخصية ذات أبعاد متعددة ، شخصية الوطني والمناضل والمفكر والعالم والكاتب والشاعر والخطيب . فهو من نماذج زعماء الثورات الكبرى الذين لا يناضلون من منطلق عاطفي أو وطني شوفيني ، ولكنهم يناضلون من منطلق فكري وفلسفي . وفكره الوطني يتسع في نطاق الشمولية الفكرية . ولذلك كانت الوطنية هي مفتاح شخصيته .

ولعل مما جعل علال الفاسي وطنيا صلبا في وطنيته ، أنه درس التاريخ : تاريخ المغرب وجغرافيته وموقعه الاستراتيجي فوجد أنه خضع لعدة غزوات ، منذ التوسع الروماني حتى الامبراطوريتين الفرنسية والاسبانية . وعاش مع المغرب في العصور الأخيرة وهو يقاوم البرتغال في الشواطئ المغربية ، المقاومة التي انتهت بمعركة وادي المخازن سنة 1578 ، وهو يقاوم الاسبانيين في سبتة ومليلية حتى انهزم أمامهم في تطوان سنة 1860 ، ويقاوم الانجليز في طنجة ، وهو ينهزم أمام الفرنسيين في إيسلي ، ويوقع الحماية في فاس ، ثم يثور في الصحراء وفي فاس وفي الأطلس وفي الريف . هذا هو النموذج الذي قدمه التاريخ كوطن لعلال الفاسي ، فكان لا بد أن يكون ابنا لهذا الشعب الذي قدم الأبطال الذين حموا هذه البلاد طيلة تاريخها .

مفهوم الوطنية

الوطنية عنده لا يحددها التاريخ وحده ولا الأرض وحدها ولا الانسان وحده ، ولكنها مدينة لكل ذلك ، ولأكبر من ذلك ، وهو الانسانية . ولهذا يؤكد « **أن الفكر الوطني ينبع من التحام النموذج النفسي بروح الأرض والتحامهما معا بروح العصر** » . ولهذا فالوطنية لا تعتمد على الجنس كعرق وعنصر . بل إنه ضد العرقية « **لأنها - أي العرقية - تعتبر المثال الثقافي للانسان في أفق حيواني خالص . وفوق ذلك فهي مادية محضة** » .

ولهذا فهو ينظر إلى المغرب العربي على أنه وطن للمغاربة ، وإلى الوطن العربي على أنه نموذج للوحدات الثقافية والحضارية والجغرافية ، وإلى الأمة الاسلامية أو العالم الاسلامي على أنه وطن للمسلمين الذين توحدهم العقيدة ، ويمكن أن يتعاونوا من خلالها سياسيا واقتصاديا وثقافيا . وهذا هو الدور الذي كان يجب أن تقوم به الخلافة في مخطط لتعبئة المسلمين للدفاع عن العقيدة وعن الغزو الديني والاستعماري الذي يواجهها .

ومن هذا نرى أنه لم يكن متعصبا ولا شوفينيا ، بل كان - انطلاقا من سعة فكره - يرى أن الوطنية ليست ضيقة الأفق منكمشة على نفسها ، متوارية عن الانسانية التي هي أصل كل وطنية .

مفهوم الحرية

علال الفاسي يستند في نضاله الوطني على التنظير أكثر مما يستند على العاطفة . وإذا كان لا جدال في أن الحرية هي المبدأ والغاية لكل مناضل من وزن علال الفاسي أنفق حياته في سبيل تحرير وطنه ومواطنيه ، واتسع نضاله إلى تحرير الوطن العربي والاسلامي ، فإن علال الفاسي مع ذلك اندفع بمسؤوليته الفكرية ليكتب كتابا عن « الحرية » من وجهة النظر الفلسفية والتاريخية والسياسية ، ومن وجهة نظر الفكر المسيحي، والاسلامي ، وعصر التنوير ، والديمقراطية الغربية ، والديمقراطية الاشتراكية . وله إلى جانب ذلك نظرته الخاصة في كل القضايا التي عالجها . ولذلك يمكن تلخيص نظرته الفلسفية إلى الحرية كما يلي :

- الحرية هي مجموع العمل النفسي للتوفيق بين الارادة وبين المعرفة . وليست مجرد شعور ثابت ، بل هي أعظم صفات الوجدان الانساني . ولذلك فالحرية الأساسية هي حرية الاختيار ، ومنها تطل كل الحريات الأخرى .

علال الفاسي

– ويعتبر علال الفاسي أن تاريخ الانسانية كله هو تاريخ الحرية بهذا الاعتبار القيمي الذي أشرنا إليه .

– وأول مظهر للحرية هو الارادة . أي أن أكون حرا في أن أريد أو لا أريد ، وأن أعمل ما أريد أو لا أعمل . فهذا هو المفهوم البدائي للحرية ، أي الحرية المطلقة . ولهذا فإن الذي يضفي القيمة على العمل ، أي عمل ، هو الحرية .

– ويعتبر علال الفاسي أن الاسلام لا يعتبر الحرية حقا من حقوق الانسان فحسب ، ولكن يعتبرها كذلك واجبة على الانسان . فنحن كبشر يجب أن نتمتع بالحرية وليس من حقنا أن نتنازل عنها . والطاعة والقانون العادل لا يحدان من الحرية . ولكنهما يعممانها .

– وحتى تكون الحرية كاملة لا يمكن أن تبقى في إطار التجريد ، فليست هي حرية النفس التي هي مطلقة ، لأنها خاصة بالفكر وعلاقته بالارادة وبالواقع ، ولكنها الحرية المدنية التي تتمثل في الحياة الاجتماعية . وهي أصل كل الحريات الأساسية ، لأنها تتعلق بحياة الانسان ، وترجع إلى إثبات قيمته وضمان كرامته كفرد . وهي التي تتيح له أن يتقدم نحو الحرية الكاملة كمثل أعلى .

وتتمثل هذه الحريات الأساسية في :

– **الحرية القومية** التي تعني استقلال الوطن . ولا تغني عن هذه الحرية الحريات العامة التي قد يحصل عليها شعب ما في ظل الاحتلال . والحرية القومية عند علال الفاسي ليست حقا فحسب ، ولكنها واجبة أيضا . فليس من حق دولة ما أن تتنازل عنها أو تقبل الاستعمار .

– **الحرية الشخصية** . فكل شخص له الحرية المطلقة في تصرفاته لا يعتدي أحد عليها . وتدخّل الدولة بالاشراف والتوجيه والمساعدة وبالحماية أحيانا ، لايتنافى مع الحرية الشخصية . والدولة لا تبدو إلا كحارس على تنفيذ القانون وتعميم الحرية بين المواطنين . وتنظيم القانون إنما

علال الفاسي ، الزعيم السياسي والمفكر السلفي والشاعر الوطني .

كان لضمان عدم الحيف أو الاعتداء على الحرية الشخصية في كل مظاهرها ، من حرية التصرف ، إلى المنزل ، إلى الملكية الخاصة ، إلى الشغل ، إلى الدين والتدين ، إلى حرية الفكر ، والتعبير عنه .

– **الحرية السياسية** : وهي حرية العمل في الميدان العام والمشاركة في تدبير شؤون البلاد ، ليس عن طريق المؤسسات المنتخبة فحسب ، ولكن كذلك عن طرق الادارة والأمن ووضع النظم والقوانين ، والحكم والتعليم والقضاء ... ويؤمن علال الفاسي بأن الحرية السياسية لاتتحقق إلا في الحكم الديمقراطي ، أي في النظام الذي يحكم فيه الشعب نفسه بنفسه . ولذلك فأكبر مظهر للحريات السياسية هو حرية الانتخاب ، وابداء الرأي ، أي التعبير الخارجي عن التفكير الباطني . ولا يمكن أن تتأتى هذه الحرية بغير حرية الحركة والاجتماع والتكتل . والأحزاب السياسية أحسن الدعائم التي ينبني عليها النظام الديمقراطي . ومثل الأحزاب النقابات والجمعيات المهنية والفكرية .

ولا شيء يضمن الحريات السياسية مثل استقلال القضاء .

– **الحرية الاجتماعية** : ويقصد بها حرية التعليم والاستشفاء والعمل ، واختيار العمل الذي يريده ويرغب فيه المواطن ، والتأمين ضد البطالة ، والحصول على القدر الحيوي للأجور الذي يتفق مع قدر العمل وحاجة العامل ، والتأمين على المرض والشيخوخة وولادة المرأة .

– **الحرية الاقتصادية** : وهي خامسة الحريات . وتقوم هذه الحرية على تعادلية في المجتمع . فلا إقطاعية في الأرض وما تنتج وما يصنع منها من حديد وفحم وسماد . ولا إقطاعية في رأس المال (البنوك مثلا) ، ولا احتكار لوسائل العيش ووسائل الانتاج ووسائل العمل . العمل للجميع والفرص متساوية للابتكار . وحق العمال وسائر المنتجين يجب أن يكون مضمونا لمراقبة التدابير الاقتصادية والمالية ، وإقرار الضمان الاجتماعي ، وتحرير المواطن من خوف اليوم والغد ، أي من التهديد بالعوز والبطالة والشيخوخة ...

لكل الحق في أن يأكل وفق حاجته ويلبس ما يليق بكرامته ، ويتزوج ويبني الأسرة التي يريد ، ويجد الوسائل للاستشفاء عند الحاجة والدراسة وشغل الوقت الثالث . كل ذلك ليس عن طريق الصدقة أو الاسعاف ، ولكن عن طريق العمل الشريف والكسب المشروع وفي حماية الدولة وكنفها ، وفي أمن من كل اضطهاد واستعباد .

علال الفاسي السلفي

عرف علال الفاسي منذ نشأته بأنه **عالم إسلامي** تخرج من كلية القرويين التي حمت الثقافة الاسلامية في الغرب الاسلامي أزيد من

ألف ومائة سنة . ومن القرويين استمد العناصر الأولى لثقافته الاسلامية الواسعة . وكانت بداية الحركة الوطنية مطبوعة بالطابع الاسلامي ، فالفكرة السلفية التي نادى بها الثائرون في المشرق كـ**جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** ، والتي نقلها عنهم الثائرون الاسلاميون في المغرب كالشيخين **أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي** ، هي التي طبعت الفكر الثوري عند تلاميذهم وفي مقدمتهم علال الفاسي . ولذلك كانت الحركة الوطنية ذات أبعاد ، في مقدمتها العودة بالتفكير الاسلامي إلى أصوله السليمة ، وتطهير المجتمع من الخرافات التي التصقت بالدين ، ومقاومة الانحرافات التي كان الاستعمار يستغلها لتدعيم جذوره ، ومعارضة كل سياسة صليبية تنهجها إدارة الحماية في المغرب كالسياسة البربرية التي أشرنا إليها سابقا .

العمل السياسي إذن ارتبط بالاسلام لأن المجتمع المغربي مجتمع إسلامي ، ولأنه يستجيب للأفكار الاسلامية الواضحة في ذهنه أكثر مما يستجيب للأفكار التجريدية السياسية أو الاقتصادية . وعن طريق الاسلام كان الشعب يفهم الوطنية ويقاوم الاستعمار ، وعن طريق الاسلام كان يتفهم الممارسات الاقتصادية للاستعمار .

وانطلاقا من ثقافته وممارسته السياسية عن طريق الاسلام كتب علال الفاسي عدة كتب ، وفصول من كتب ، عن الفكر الديني والاسلامي وعن الشريعة الاسلامية . وتتسم كتاباته بالنزعة الفلسفية في فهم الدين ودور الشريعة كقانون إسلامي في تطوير المجتمعات . فالدين عنده ليس خاصا بجانب من جوانب الحياة دون غيرها ، ولكنه يسري في كل شؤون الحياة . ويعتبر الالحاد موقفا سلبيا لا يسري في أمة إلا عادت القهقرى وآلت بعد عزتها إلى الانحلال . أما الثورات التي قامت في العالم المسيحي ضد الكنائس ومظاهر الدين فهي في الحقيقة ثورات ضد الأنظمة الكهنوتية ، كما وصلت إليه في عصور التخلف .

وانطلاقا من الفكرة الثورية للاسلام كما يفهمها علال الفاسي يقول : « **الاسلام بصفة خاصة لا يمكنه إلا أن يجند كل ثورة تقضي على التحكم في العقول والأشخاص باسم الدين ، أو تمنح طائفة من البشر مكان التشريع الديني والقداسة الروحية التي تجعلهم آلهة أو أنصاف آلهة** » .

وللعقل قيمة كبرى في الاسلام والقرآن . فإن الدين في نظر الاسلام لا يمكن إلا أن يكون عونا للعلم . والصراع الذي قام بين العلم والدين في أوروبا لم يكن في الحقيقة إلا كفاحا من العلم رغبة في التحرر من الارتباط الكلي بالأفكار الرسمية للكنيسة .

وفكرة أخرى يعالجها علال الفاسي ، هي التي تقول : بفصل الدين عن الدولة . منشأ هذه الفكرة آت من رد فعل لبعض الرهبان الألمان لمقاومة الاضطهاد الحكومي للمسيحية . وإذا كان الاسلام لا يعطي سلطة معينة لرجال الدين ، باعتبارهم رجال دين ، لأن السلطة الكنسية غير موجودة في الاسلام ، فلا مجال لفصل الدين عن الدولة ، حتى لا تكون هناك دولة داخل الدولة .

من هذه الأفكار التحررية عن الدين يدرس الاسلام فيرى أنه لم يكن موجها لمعاداة أية دولة أجنبية أو محاربتها ، ولا لمعاداة دين من الأديان ، ولكنه ثورة عقلية وروحية واجتماعية ضد الوثنية وضد الطغيان والاستعباد كلما ظهر . فهو ثورة على المجتمع الفاسد ، وتحرير للعقل من سيطرة أي طغيان ينومه . والاسلام من أجل تحقيق أهدافه يستدعي اتصالا كاملا بالفكر الانساني في شتى أشكاله ، والتعاون المطلق مع كل ذوي الأهداف المشتركة ولو لم يدخلوا في الاسلام ، ولو لم يعترفوا به كدين سماوي منزل .

ويعتبر علال الفاسي أن أعظم طابع يميز الديانة الاسلامية هو قابليتها للتطور وقدرتها على أن تكون صالحة لكل الطبقات ولكل العصور . فقد احتفظت بأصول العقيدة في وحدانية الله والايمان بما جاء في القرآن من نظريات وممارسات ، وتركت للمسلمين حق النظر في كل ما هو من شؤون الحياة التي تتطور بحسب تطور المصلحة .

ولهذا فالاسلام حركة متطورة إلى الأمام يمنع المسلمين من الانكماش على أنفسهم والاستسلام لعوامل الانحطاط ، بل يدفعهم للاتصال بكل العقول والمعارف ، والتقاط الحكمة من كل الجهات ، والتطلع إلى كل جديد .

ويعتبر علال الفاسي أن الشريعة الاسلامية نزلت أصولها من السماء ، ولكنها تفتح لنفسها طريق النمو مع الزمان ، لا في قواعدها الأساسية ، ولكن في جزئياتها التي تنطبق عليها . وبما أنها نزلت - في أصولها - من السماء ، فهي قائمة على أسس من العدل ومبادئ الانصاف . وهي تتميز كذلك بحمايتها للأخلاق ، لأن الأخلاق جزء من الايمان ، وهي بذلك تدخل في دائرة الالزام الاسلامي . وتتميز الشريعة كذلك بيسر تكاليفها ، وبتحرير الانسان من أثقال دينية ودنيوية ما أنزل الله بها من سلطان . فالخطيئة الأصلية التي أثقلت كاهل البشرية زمنا لا وجود لها في الاسلام . ولذلك فالشريعة تدعو إلى الحريات الأساسية : الحرية من الاسترقاق ، وحرية المرأة ، والتحرر من الحرب العدوانية التي اعتبرها الاسلام جريمة .

ومن مميزات الشريعة عنده أنها لا تطلب من الانسان الايمان بما فوق العقل ولا بما يناقضه ، ولا ما يتنافى مع الفطرة السليمة أو يعارضها . فهي متعادلة ، وتعادل بين الروح والمادة ولا تحتقر الجسد فتأمر بتعذيبه ولا تذل النفس ، ولا تقر الزهد المغرق الذي يتجاوز حدود الطاقة . وهي تفرق بين المعاملات بين الربح والربا ، ولا تعطي للمال قيمة الغاية .

وإذا كانت الشريعة تحفظ الاستقرار التشريعي فلأن أصولها ثابتة ، ولكنها تساير الظروف والأزمنة بحسب تغير المقتضيات والاعتبارات . وهذا هو سر الاجتهاد الذي أباحه الاسلام للقادرين عليه من المسلمين .

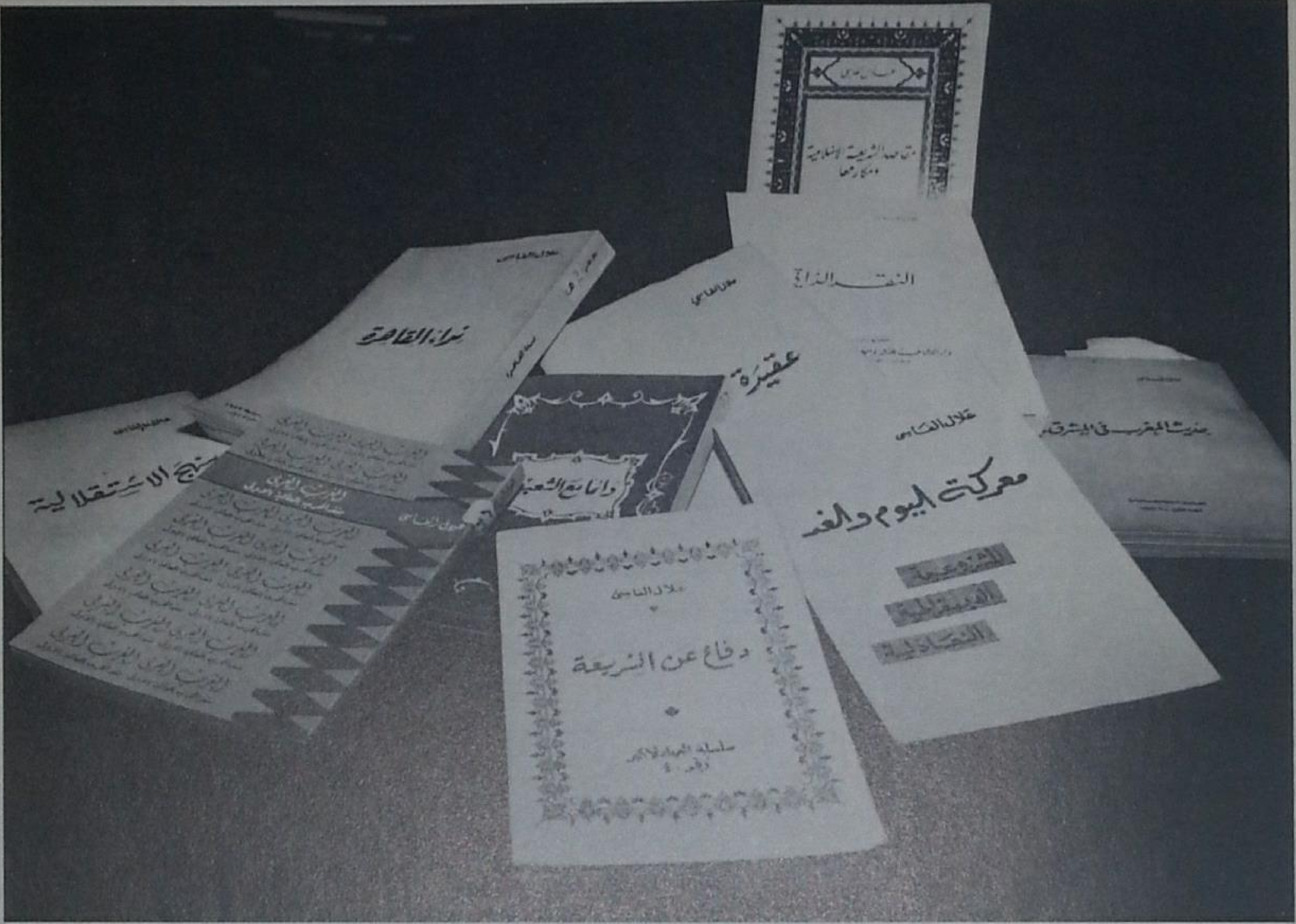

بعض مؤلفات علال الفاسي .

فكره السياسي

مثال آخر عن شمولية فكر علال الفاسي نأخذه من فكره الديمقراطي ، أو بصورة عامة من **فكره السياسي** ونظريته في طبيعة الحكم وممارسته . ويمكن أن نجمل نظرياته في ذلك في النقط الآتية :

– إذا كانت قيمة الحكم هي أنه يعمل للمجتمع جميعه ، فإن في كل عضو من الجماعة (المجتمع) سلطة معنوية يتحمل مسؤوليتها كحق وواجب ، لايحق لأحد أن يسلبه منه ولا يجوز له أن يتخلى عنه ، حتى في إهمال الانتخابات وعدم المشاركة فيها ، ولا أن يتخلى عن مراقبة السلطة إذا ما أناب عنه (عن طريق الانتخاب) من يقوم بها بالتشريع أو بالتنفيذ .

– الحكم يجب أن يكون مشتركا بين الشعب والرؤساء الذين يختارهم . ولذلك فمسؤولية الحكومة خير حل للمشاكل التي تعرض لأنظمة الحكم .

– الحق الذي تملكه الأمة في أن تحكم نفسها بنفسها ، هو نفس الحق الذي تملكه في أن تنيب عنها من يقوم بتسيير شؤونها . وهو نفس الحق الذي يمكنها من المراقبة الشعبية لأعمال من تنيبهم عنها .

– هذه الأسس تفرض عند علال الفاسي تنظيم الحكم على أساس ديمقراطي دستوري برلماني انتخابي . وهو بذلك يرفض كل أنظمة أوتوقراطية أو استبدادية أو ديمقراطية شكلية لا تنبع فيها المؤسسات من الشعب ، أو تنبع من المصالح المالية والاقتصادية المتناقضة التي يصبح الحكم فيها أداة للدفاع عن هذه المصالح أو لنصرة مجموعة من أصحاب المصالح ضد مجموعة أخرى . ولا يقبل فكرة الحزب الوحيد ، (هذا الرأي أعلنه علال الفاسي سنة 1949 وظل مخلصا له رغم كل التطورات التي حدثت في المغرب المستقل) لأن الحزب الوحيد يلعب الدور الرسمي في الدولة ، ويكون عصبية في الحكم بين المواطنين الأكثر

إخلاصا للحزب والنظام القائم عليه . ويؤدي إلى تكدس السلطة في يد فئة واحدة .

– ضرورة رقابة الناخبين على ممثليهم حتى يبقى للشعب نصيبه من المسؤولية أثناء نيابة شخص عن مجموعة .

على أساس هذه الأفكار التي اعتنقها كمبادئ ظل يكافح في سبيل إقامة نظام ديمقراطي في المغرب وأسهم عمليا في **المجلس التأسيسي** الذي انتخب رئيسا له ، ولكن المجلس انتحر في وقت ميلاده . ووضع القانون الأساسي سنة 1961 وشارك في برلمان سنة 1963 . وقاد بنفسه الحملات الانتخابية والاستفتائية .

وكان النظام الديمقراطي عنده المثل الصالح للحكم ولاخراج البلاد النامية من أزماتها .

في القضايا الاقتصادية

مثال آخر عن شمولية فكر علال الفاسي نأخذه من **تفكيره في القضايا الاقتصادية** . وقد درس علال الفاسي النظريات الاقتصادية التي فكر فيها علماء الاقتصاد في مختلف العصور والأمم . ويعتبر ابن خلدون أسبق من كارل ماركس في تفسير التاريخ بالمؤثرات الاقتصادية . ولكن ابن خلدون أوسع فكرا . فليست المؤثرات الاقتصادية وحدها هي التي تصنع التاريخ ، بل يعتبر الاقتصاد فقط من أهم العوامل وأبرزها وضوحا إلى جانب بواعث أخرى كالباعث السياسي والعامل الديني والروحي والنفسي والطبيعي ، والتسلط وحب السيطرة والاستئثار بالنفوذ .

من هذا الأفق الواسع درس علال الفاسي النظريات الاقتصادية عند الأوروبيين والأمريكيين وعند قدماء المسيحيين والمسلمين ، عند ابن خلدون وابن مسكويه مثلا . وانتهى إلى نظريات ليست جميعها من ابتكاره ، ولكنه تبنى بعضها ودافع عنها . واستنتج بعضها من الحلول التي ارتآها الاسلام لقضايا المال والغنى والفقر ، ولتعامل المجتمع مع كل الوسائل المالية والاقتصادية في المجتمع الاسلامي الذي ينشده .

وهذه بعض النظريات التي تحدد فكره الاقتصادي والتي كان يوجه إليها بلاده وهو يكتب أو يخطب في الحزب أو البرلمان أو في التجمعات الطلابية والشعبية ، وفي المحاضرات التي كان يلقيها في الكلية كأستاذ أو كمحاضر .

يرى علال الفاسي أن :

– المشكلة الاجتماعية العصرية تتلخص في احتكار الثروة في يد أقلية ضئيلة تستخدمها لغير صالح الفرد والمجتمع .

– الرأسمالية المتضخمة آفة العصر قضت على الكفاءات وعلى الاستعمال الرشيد للثروة ، وسخرت الانسان كعبد للمصالح التي يكونها الاحتكاريون .

– الرأسمالية تقضي على الحرية التي ينشدها الانسان كقيمة .

– خطر الرأسمالية العصرية أنها تقضي على كل الأنظمة والديانات والمبادئ السامية التي يدين بها الانسان .

وعلى ضوء هذه المبادئ يؤكد علال الفاسي فشل معظم الحلول التي أتى بها الاقتصاديون والفلاسفة الاجتماعيون ، وحتى النظريات الشاذة التي ظهرت في التاريخ الاسلامي . ويخلص من ذلك إلى الحلول التي نجدها في الاسلام لمشكلة المال – سواء كان عينا أو منفعة أو عقارا – وتعامل الانسان معه . ويمكن تلخيص نظرياته الاقتصادية المستمدة من الاسلام فيما يلي :

– المال وسيلة لا غاية أي ان كسبه يجب أن يكون لتحقيق المصالح البريئة المعتدلة للفرد والمجتمع . ولذلك فكل تجارة في المال محرمة ومنها الربا والقمار ، كما هو محرم تبذير المال وإنفاقه في غير المصلحة أو في إفساد الذمم وتخريب المجتمع .

– الاكتساب واجب على الانسان ، ولكن من أبوابه الشرعية . الملكية إذن مباحة حتى يستطيع الانسان أن يصرف على نفسه وعائلته . ولكن لايجوز أن يتخذ المال وسيلة للاحتكار . وإلا خضع لقانون ادخار المال ، لأن هذا الادخار يجعل منه غاية ويعطل هذا المال عن تحقيق مصلحة المجتمع .

– الزكاة حل لمشكل المجتمع الغني والمجتمع الفقير ، وهي ليست صدقة يتبرع بها غني على فقير ، ولكنها حق للفقير في مال الغني ، وهي ترويج واستعمال للمال .

– والاسلام يوجب أن يتمتع كل فرد من المجتمع بالقدر الحيوي لحياته وتعليمه وأمنه وسلامته . وبذلك يحقق التضامن الاجتماعي في أوسع مظاهره .

– الاحتكار لكل ما يحتاجه المجتمع في حياته يعتبر محرما .

– والارث في الاسلام وسيلة من وسائل توزيع الثروة ، حتى لا تظل محتكرة في يد فرد واحد بعد وفاة صاحبها . فإن لم يكن للميت وارث فالمجموعة الاسلامية بواسطة الدولة هي التي ترثه .

– وملكية العقار – أرضا كان أو ما يلحق بها – مباحة . ولكن على ألا تجتمع الأراضي كلها في يد قلة من الناس فيقع المجتمع في جريمة الاحتكار والاستغلال لغير المنفعة .

هذه مجمل النظريات الاسلامية التي استعملها علال الفاسي حلا للمشكلة الاقتصادية التي يرهق العالم الآن حلها . وهي التي تحرر العالم من الصراع – الذي يصبح أبديا – بين الفقراء والأغنياء ، بين الذين يملكون المال والذين يملكون العمل ، بين الذين يملكون القوة أو العلم فيحمون ثروتهم ويتسلطون على ثروة الآخرين ويستنزفونها .

وإذا لم تكن فيها الحلول لكل الجزئيات التي تنشأ عن المشاكل الاقتصادية فهي أصول لحل هذه المشكلات .

محمد حسن الوزاني حرب القلم

عز العرب الوزاني

ولد محمد حسن الوزاني بفاس في 17 يناير 1910 في أسرة الشرفاء الوزانيين آل البيت. انخرط كسائر المغاربة من مثل وسطه، في الكتاب القرآني للحصول على تكوين ديني وعقائدي. فدخل في سن مبكر إلى مسيد سيدي الغيار (بساقية الدمناتي بفاس) ليتعلم القرآن الكريم.

وأثار انتباهه، وهو مايزال طفلا صغيرا، الاحتلال الفرنسي لبلاده. فرغب، وهو متحير قلق من هذا الوجود الأجنبي، أن يتعلم لغة الأمة التي تحتل بلاده، فانخرط في سلك تلاميذ مدرسة اللمطيين، حيث تلقى تكوينا عصريا، وتابع في نفس الوقت تكوينه القرآني، آخذا دروسا خاصة في اللغة العربية عن الشيوخ الأساتذة: المهدي بن الحاج، والحسن الداودي، وأحمد بن يزيد البدراوي، وأحمد الشبيهي.

وبعد مدرسة اللمطيين تابع دراسته الابتدائية والثانوية بمدرسة درب المطير (في البليدة) وبثانوية مولاي ادريس بفاس.

بداية الوعي

اكتشف محمد حسن الوزاني أثناء قراءته للصحافة التونسية والفرنسية الأحداث العالمية، وخاصة الأحداث المتعلقة بالعالم العربي والاسلامي التي تحمل أفكار جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا. وكان العالم العربي و الاسلامي قد بدأ يشعر بذاتيته. ولقيت أفكار تجديد المجتمع الاسلامي صدى أعمق في المغرب لكونه كان حديث عهد بالوقوع تحت النفوذ الأجنبي. وإذا كانت الحيرة أو الثورة الصامتة تميز موقف المغاربة على إثر ضياع استقلالهم سنة 1912، فإن الشاب الفاسي اليافع الذي كان إياه محمد حسن الوزاني في بداية العشرينيات وجد نفسه، وهو مشبع بهذه القراءات، منجذبا أكثر فأكثر إلى القضايا السياسية.

محمد حسن الوزاني «... حرب القلم ...».

لقد أيقظت أحداث الحرب الريفية في نفسه شعورا وطنيا قويا لن يفارقه مدى الحياة ، واستهوته الأعمال الباهرة لمصطفى أتاتورك الذي حرر تركيا من التدخل الأجنبي ، بقدر ما استهوته أحداث الشرق وبخاصة سوريا . وأوحت إليه الصحف الفرنسية بتعدد وجهات النظر ، وبالتالي الاختيارات السياسية لاسيما في موضوع الأحداث التي هو سريع الاحساس بها بكيفية خاصة . وهكذا أحس بأن الحالة التي يوجد عليها المغرب غير عادية ، وأنها بدون شك مؤقتة ، لأن الأمة المحتلة ليست مجمعة على هذا الوضع ، سواء تعلق الأمر بممثليها أو المعمرين في المغرب نفسه ، أو بالأحزاب السياسية أو فرق الرأي بفرنسا . ومن ثم جاء اهتمامه بالتعرف أكثر على الثقافة والسياسة الفرنسيتين . وهكذا لم يكد يتم دراسته بفاس ، حتى التحق بليسي كورو بالرباط حيث قضى سنتين ، كداخلي عند الآباء الفرانسيسكانيين ، فكان أصدقاؤه ، قبل كل شيء ، شبانا أوروبيين من مختلف الجنسيات ، لأنه قلما كان مواطنوه المغاربة يلتحقون بالليسي . كان كثيرا ما يذهب إلى المكتبة الوطنية ويتصل بالزمرة الأولى من الشباب أنصار العمل لمقاومة النفوذ الأجنبي ، والنهوض بالمجتمع المغربي .

الاقامة الأولى بفرنسا :

توجه محمد حسن الوزاني إلى باريس وهو لم ينه بعد دراسته الثانوية ، حيث هيأ شهادة البكالوريا في ليسي شارلماني . وفي سنة 1927 ، بالرغم من النصيحة التي قدمها له المريشال ليوطي الذي كان يشجع الشبان المغاربة على الدراسات الادارية والتقنية ، سجل نفسه في المدرسة الحرة للعلوم السياسية – التي سيكون أول خريج مغربي منها – وفي معهد فرنسا ، ومعهد الصحافة . فأتيحت له فرصة التعرف على طلبة شمال افريقيا والعالم العربي عندما كان يتابع دروسه بمدرسة اللغات الشرقية . وعمق معارفه في السياسة الدولية بمشاركته في دروس التاريخ الديبلوماسي والقانون الدولي المنظمة من قبل مؤسسة « كارنوجي » للسلام . واتصل ، وهو يتابع دراسته العليا ، بالأحزاب السياسية الفرنسية ، وخاصة أحزاب اليسار ، بفضل مساعدة أساتذته .

وشارك مع طلبة شمال افريقيا في تأسيس « **جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين** » ، وفي داخل هذه الجمعية التي سيكون أمينها العام ،

محمد حسن الوزاني عند الآباء الفرنسيسكانيين بالرباط سنة 1926 .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني).

محمد حسن الوزاني مع مصالي الحاج ، مؤسس جمعية « نجم شمال إفريقيا ».
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني).

نشأت فكرة إلمغرب العربي . كما شارك في جمعية « **نجم شمال افريقيا** » التي سعى في تأسيسها مصالي الحاج بمؤازرة الحزب الشيوعي الفرنسي . وشارك مشاركة فعالة كذلك في تأسيس « **جمعية الوحدة العربية** » التي كان أول رئيس لها محمد صلاح الدين ، الذي سيصبح فيما بعد وزيرا للشؤون الخارجية في حكومة النحاس باشا بمصر ، وكانت القضية الفلسطينية في جدول أعمال هذه الجمعية ؛ وتحت تأثير الأمير **شكيب أرسلان** لم يكن ينشر ويطور في حظيرة الجمعية مذهب نهضة الشعوب الاسلامية فحسب ، ولكن أيضا التضامن بين العرب ، والتضامن الافريقي-الأسيوي .

رجع محمد حسن الوزاني إلى المغرب سنة 1930 . وعلى إثر مظاهرات الاحتجاج ضد الظهير البربري اعتقل بفاس هو وعشرون من الوطنيين . واعتبر أحد المحرضين على حركة الاحتجاج فجلد أمام الجمهور جلدا مبرحا بعد أن وضعت « الفلقة » في رجليه ، ثم حكم عليه وقضى مدة السجن بتازة . وبعد ثلاثة أشهر خرج من السجن وألزم الاقامة المحروسة بفاس .

العمل السياسي بأوروبا :

تمكن محمد حسن الوزاني ، بدعوى اجتياز امتحانات بباريس بتعاون مع أحد أساتذته ، من الحصول على جواز صالح لمدة شهرين فقط ، وغادر المغرب إلى فرنسا سنة 1931 . وفي باريس نشر كتابا بعنوان : « **عاصفة على المغرب . أو أخطاء سياسية بربرية** » بمؤازرة الأوساط السياسية الفرنسية المعارضة للسياسة الاستعمارية للحكومة . فأثار نشر هذا الكتاب ضجة كبيرة ، شاركت فيها مجلة « **الأمة العربية** » التي كان يديرها شكيب أرسلان في جنيف ، وأسهمت بذلك في خلق صدى عالمي للقضية المغربية . وهكذا جعلت التحركات السياسية لهذا الشاب الوطني المغربي مقامه بفرنسا غير مرغوب فيه . فخرج منها متسللا متوجها إلى سويسرا حيث أقام الشطر الأخير من سنة 1931 ، وسنة 1932 .

تعاون محمد حسن الوزاني مع الأمير شكيب أرسلان تعاونا وثيقا ، ونشر في مجلة « **الأمة العربية** » مقالات عن الحالة بالمغرب بإمضاء « **لجنة مغربية بأوروبا** » (أعداد مارس – أبريل – ماي – جوان 1932) . وظهر فيها اسم محمد حسن الوزاني كتوقيع لاحتجاج الجالية الاسلامية والمسيحية العربية المقيمة بجنيف في موضوع مقال فيه افتراء على النبي محمد عليه السلام ، ظهر في « **جريدة جنيف** » بتاريخ 20 جوان 1932 (الأمة العربية ، عدد ماي – جوان 1932) . وربط في جنيف علاقات متينة مع **الوكالة السورية-الفلسطينية** ، وأعطى دروسا للطلبة العرب . ولما لم تتحمل سويسرا نشاط محمد حسن الوزاني ، اضطر إلى مغادرة الاتحاد السويسري متجها إلى اسبانيا عبر إيطاليا .

الأستاذ روبير – جان لونكي

(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

استقر محمد حسن الوزاني في مدريد بعد أن أخرج من سبتة بطلب من سلطات الحماية ، وأسس في العاصمة الاسبانية « **الجمعية العربية – الاسلامية** » وربط صلات طيبة مع الأوساط السياسية الاسبانية ، فقامت بالوساطة لدى الحكومة الفرنسية لتسمح له بالسفر إلى فرنسا والدخول إلى المغرب .

وفي أواسط سنة 1932 شارك بباريس مع روبير – جان لونكي (حفيد كارل ماركس ومحام بمحاكم باريس ، وصحفي) . في تأسيس مجلة

رونوديل (بالبزة) عضو لجنة الدفاع في الجمعية الوطنية الفرنسية وعضو هيأة تحرير مجلة « **مغرب** » . في بيت محمد حسن الوزاني بفاس . أبريل 1954 .

(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

« مغرب » (جويي 1932) ونشر فيها مقالات عديدة ، سواء بإمضائه الصحيح أو بإمضاء « المغرب » أو « مراسل مغربي » . وينبغي التنبيه على أن لجنة تحرير مجلة « مغرب » كانت مؤلفة من شخصيات سياسية فرنسية ، أمثال : بيرجوري ، وجان لونكي ، ورونوديل ... وإسبانية أمثال : دي لوس ريوس ، وأرطيكا إي كاصي ، وأرجيلا ...

نشر محمد حسن الوزاني في مجلة « مغرب » دراسات مطولة عميقة عن الحماية ، وقاوم الظهير البربري ، وتعرض في مقالات كثيرة إلى العلاقات الاسبانية المغربية :

– « السياسة المغربية والاسلامية لاسبانيا » (غشت 1932) .

– « اسبانيا والمغرب قبل مجيء الجمهورية وبعدها » (سبتمبر 1932) .

إحياء الذكرى الأولى لتأسيس مجلة « مغرب » . يحيط بمحمد حسن الوزاني وهو يلقي خطابه ، كل من علال الفاسي ومحمد اليزيدي ومحمد المكي الناصري . سلا ، يوليوز 1933 .

– « التعاون الاسباني المغربي » (سبتمبر 1932) .

– « المشكل المغربي والاشتراكية الاسبانية » (نفمبر 1932) .

– « المشكل المغربي والحزب الراديكالي الاسباني » (ديسمبر 1932) .

– « في موضوع الأرض بالمنطقة الاسبانية » (ديسمبر 1932) .

ومنذ سنة 1930 كان مقام محمد حسن الوزاني باسبانيا متكررا ، وربط صلات وثيقة مع الأوساط التقدمية الاسبانية التي له فيها عدد عديد من الأصدقاء . وبعد مجيء الجمهورية إلى اسبانيا سنة 1931 ووصول عدد من رجال الثورة الجدد إلى الحكم ، اغتنم محمد حسن الوزاني الفرصة ليشرح لهم القضية المغربية أولا ويحملهم على تغيير رأيهم لصالحها ثانيا . وهكذا فكرت الحكومة الاسبانية ، على لسان الوزير كاباليرو ، أن تجلو عن منطقة الحماية ، وترد الانتداب إلى جمعية الأمم .

النشاط السياسي بالمغرب :

استقبل محمد حسن الوزاني سنة 1933 بفاس صديقه روبير – جان لونكي الأمر الذي فجر غضب الصحافة الاستعمارية . وفي 4 غشت 1933 أسس بفاس الجريدة الشهيرة

Première Année N° 12 — Le Numéro : 0.50 — Vendredi 20 Octobre 1933

L'Action du Peuple

ORGANE HEBDOMADAIRE DE DÉFENSE DES INTERÊTS MAROCAINS

Directeur - Rédacteur en Chef : Mohamed Hassane EL OUAZZANI

BUREAUX DU JOURNAL : 166, Kasbah de Boujeloud, Fès — Boîte Postale : 207

LA PRESSE EST LIBRE. ELLE EXPRIME SA VOLONTE ET SES CRITIQUES DANS LES LIMITES NATURELLES DE LA LEGALITE ; IL EST DONC INSENSE DE LUI REPROCHER POURQUOI ELLE NOUS CRITIQUE. NOTRE DEVOIR N'EST-IL PAS DE NOUS DEMANDER POURQUOI NOUS NOUS LIVRONS A DES ACTES QUI APPELLENT JUSTEMENT SES CRITIQUES ? TOUTE RESTRICTION A LA LIBERTE DOIT FORCEMENT TROUVER SA JUSTIFICATION DANS LES FONDEMENTS DE LA LIBERTE ELLE-MEME. AUTREMENT, ELLE NE SERAIT QU'INJUSTICE.

ZAGHLOUL Pacha

ABONNEMENTS

Opinions et réalités

Sa Majesté le Sultan Sidi Mohammed

Devant le Nationalisme Marocain

محمد حسن الوزاني

« عمل الشعب » باللغة الفرنسية ، وهي أسبوعية ، لسان حال الحركة الوطنية للدفاع عن المصالح المغربية . دافع فيها بجرأته المعهودة عن مصالح الأمة المغربية ، وشهر بالتصرفات التعسفية لسلطات الحماية ، مطالبا بالحريات الديموقراطية وبالاصلاحات ، وقاد حملة ضد الظهير البربري ، وقدم وجهة النظر الوطنية والمطالب المغربية . وقد تسببت له مقالاته العديدة في متاعب كثيرة : القذف على أعمدة صحافة اليمين الفرنسية ، التهديد بالقتل من طرف المعمرين ، محاكمات الخ ...

وعلى إثر بعض المؤامرات ، حجز العدد 18 من « عمل الشعب » بتاريخ فاتح ديسمبر 1933 بقرار من رئيس المحكمة بفاس ، وتوقفت الجريدة ، وقد استأنف محمد حسن الوزاني القرار المذكور وأصدر في نفس الوقت بفاس في 8 ديسمبر 1933 **« إرادة الشعب »** . وبعد إلغاء القرار من طرف محكمة الرباط بتاريخ 16 يناير 1934 ، عاد إلى إصدار « عمل الشعب » دون أن يتخلى عن « إرادة الشعب » . وعلى صفحات « عمل الشعب » نادى بالاحتفال بعيد العرش .

ففي العدد 12 المؤرخ في 20 أكتوبر 1933 نشر صور جلالة الملك سيدي محمد مع الفقرة التالية : « ننشر أعلاه صورة صاحب الجلالة سلطان المغرب سيدي محمد . وقد خلف العاهل الشاب والده المغفور له مولاي يوسف ، في 18 نوفمبر 1927 . وهذا يعني أنه بعد بضعة أيام يمكن إقامة حفلات كبرى لاحياء ذكرى جلوس سيدي محمد على العرش الشريف . وهكذا سيصبح يوم 18 نوفمبر عيد العرش . إن إقامة هذا العيد يستجيب لاقتراح يبدو لنا تحقيقه ممكنا جدا . وإن « عمل الشعب » لتحيي العاهل الشاب وتتمنى له عمرا مديدا للاسهام في خير شعبه » .

« عمل الشعب » العدد 12 ليوم 20 أكتوبر 1933 .

وخصصت « عمل الشعب » مقالات لعيد العرش في أعدادها 15 و16 و17 و18 ، وأقامت حفلة استقبال في مقهى جنان السبيل ببوجلود ، فكان أول احتفال بعيد العرش ، بصفة شبه رسمية ، يوم 18 نوفمبر 1933 ، بدعوة من « عمل الشعب » .

وفي عدد 4 ماي 1934 من « عمل الشعب » دعا محمد حسن الوزاني الشعب الفاسي إلى أن يظهر الزينة ، ويخرج في أعداد ضخمة للهتاف بحياة السلطان ، يوم 10 ماي ، عند دخوله الرسمي إلى فاس . ونظمت هيئة تحرير الجريدة في ذلك اليوم مهرجانا عظيما ، واستجاب الفاسيون لهذا النداء ، وهتف بحياة جلالة السلطان سيدي محمد جمهور جذلان وهو يصيح : يحيى الملك ، يحيى الاسلام .

لم يرق هذا الاستقبال الحماسي الاقامة الفرنسية التي عملت على إرجاع جلالة الملك في نفس يوم 10 ماي إلى الرباط ، بعد أن أذيع بلاغ الصدر الأعظم . فنشر محمد حسن الوزاني في عدد 11 ماي 1934 من « عمل الشعب » صورتين لصاحب الجلالة سيدي محمد ولسمو الأمير مولاي الحسن تحت عنوان كبير : يحيى صاحب الجلالة سيدي محمد .

وبعد هذه الأحداث ، اتهمت « عمل الشعب » بإثارة الاضطرابات ومنعت من الصدور ، فكان ذلك رجوعا عنيفا إلى سياسة الكبت والضغط .

برنامج الاصلاحات المغربية

تم وضع برنامج الاصلاحات المغربية في شهر نوفمبر ، وقدم إلى السلطات الفرنسية -المغربية يوم فاتح ديسمبر 1934 . وشارك محمد حسن الوزاني في الوفد الذي قدم البرنامج إلى الحكومة الفرنسية بباريس وبعد أحداث فاس في ماي 1934 ومنع صدور « عمل الشعب » غادر محمد حسن الوزاني المغرب وذهب إلى باريس . وهناك أخذ يتصل بالأوساط السياسية الفرنسية مثيرا انتباهها إلى خطورة الحالة بالمغرب . وتميزت هذه الاقامة الطويلة بنشر برنامج الاصلاحات المغربية في ديسمبر 1934 . وحضر المؤتمر الوطني لـ س.ف.ا.و. المقام في 31 ماي 1936 ووزع في الكواليس المطالب المغربية .

يضاف إلى هذا أن الوطنيين المغاربة ، بمجرد نشوب الحرب الأهلية الاسبانية اتصلوا بالحكومة الجمهورية وعرضوا عليها ، في مقابل سياسة جديدة إسبانية في المغرب ، تنسيق الجهود لمكافحة الثوار - بقيادة الجنرال فرانكو - الذين كانوا يملكون ساقة جيش قوية بالمغرب .

ولما رجع محمد حسن الوزاني إلى المغرب اعتقل مرة أخرى على إثر اجتماع سياسي عقد في الدار البيضاء يوم 14 نوفمبر 1936 . ثم اشتغل بتهييء إصدار جريدة باللغة العربية **« الدفاع »** يتوجه من خلالها إلى المواطنين قصد اطلاعهم على أخطار الحماية على المغرب .

نشأة الحركة القومية

بالرغم من النجاح الباهر الذي نالته **كتلة العمل الوطني** خلال سنتي 36-1937 أخذ يبدو أن الأحداث تجاوزتها . فقد بدأت تظهر ضروب من الاختلاف وسوء التفاهم بين رؤساء الكتلة في موضوع قيادة الحركة ، وبخاصة ما يتعلق بسبيل العمل ووسائله . وتقرر أن تتحول الكتلة الوطنية إلى حزب سياسي منظم . وكلفت لجنة من ثلاثة أشخاص ، من بينهم محمد حسن الوزاني بوضع قوانين الحزب المزمع تكوينه . اختلف أعضاء اللجنة ، ونشأ عن ذلك الخلاف حركتان : **الحزب الوطني** ، **والحركة القومية** بزعامة محمد حسن الوزاني .

وجاءت حوادث مكناس (سبتمبر 1937) على إثر تحويل مياه وادي بوفكران وصرفها عن المدينة إلى حقول المعمرين ، فقامت مظاهرات في مجموع المغرب ، وجرت موجة من الاعتقالات شملت مآت من المناضلين ومعظم القادة الوطنيين . وقد حرم محمد حسن الوزاني من حريته ، ثم نفي بظهير مؤرخ في 3 نوفمبر 1937 إلى معتقل في جنوب البلاد ، ولم ينته نفيه إلا في ماي 1946 . لكن خلال هذه السنوات الطوال من الصمت والمحن ، كان محمد حسن الوزاني يفكر ويكتب كثيرا .

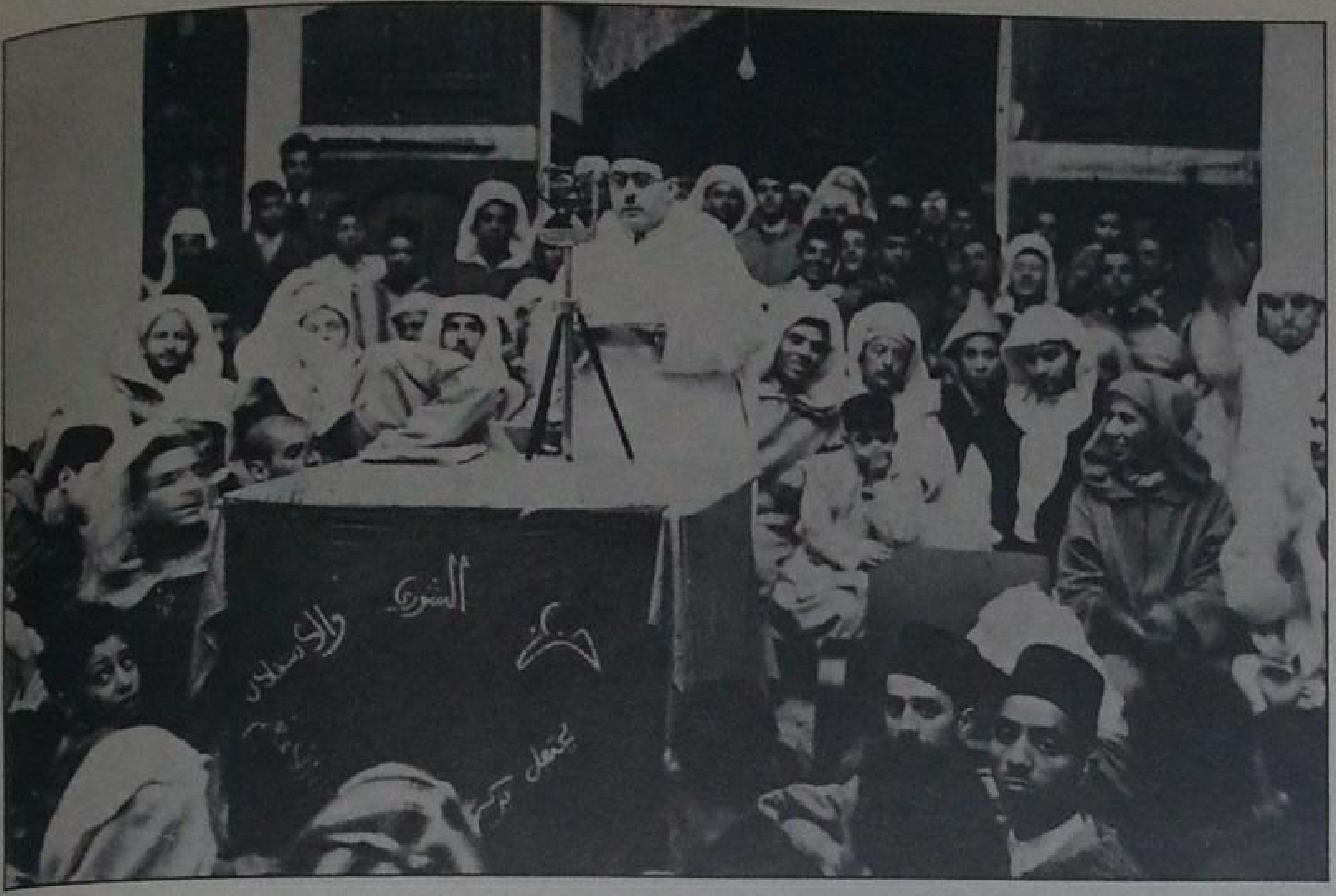

المؤتمر التأسيسي لحزب الشورى والاستقلال سنة 1946 .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

الرجوع من المنفى

عندما تحرر محمد حسن الوزاني رجع إلى أصدقائه ، ودعا إلى عقد مؤتمر بالدار البيضاء ، في شهر جويبي 1946 ، حيث أسس حزب **الشورى والاستقلال** . ولما فشل المقيم العام إيريك لابون في مهمته ، خلفه الجنرال جوان الذي جاء ليطبق سياسة العنف . حاول حزب الشورى والاستقلال أن يستدرج الاقامة العامة السابقة والحكومة الفرنسية إلى تفهم تطور المغرب ومطامحه في الاستقلال والحرية . وفي هذا الاتجاه قام محمد حسن الوزاني بمحاولة فتح حوار لايجاد حل للمشاركة الفرنسية - المغربية على أساس مذكرة قدمت في نفس الوقت ، يوم 23 سبتمبر 1947 ، إلى كل من صاحب الجلالة السلطان ، والمقيم العام جوان ليقدمها إلى حكومته . وتتكون الاصلاحات المقترحة في إطار هذه المذكرة من إلغاء الحماية ، واسترجاع السيادة الوطنية ، وانتخاب مجلس وطني تكون مهمته الأولى تزويد المغرب بدستور مبني على الملكية الدستورية . لكن الحكومة الفرنسية - للأسف - لم تستجب للاصلاحات المقترحة .

محمد حسن الوزاني إثر عودته من المنفى . ماي 1946 .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

الاقامة بالقاهرة

غادر محمد حسن الوزاني في غشت 1951 مدينة طنجة ، التي وصل إليها سرا ، متوجها إلى القاهرة . وفي العاصمة المصرية أخذ يشرح القضية الوطنية ويدافع عنها أمام الحكومة المصرية والصحافة ، معززا في ذلك من طرف زميله القديم في الدراسة محمد صلاح الدين الذي عرفه في باريس 1929 - 1930 ، والذي أصبح آنذاك وزيرا للشوون الخارجية المصرية . وقد سهلت علاقات الصداقة بين محمد حسن الوزاني ومحمد صلاح الدين كثيرا من الأمور .

ولما عقدت الجامعة العربية دورتها الصيفية بالأسكندرية ، عرض محمد حسن الوزاني أمامها الملف المغربي ، وطلب أن تتبنى الجامعة العربية القضية المغربية وتجعل منها قضيتها الخاصة ، لتسجل هذه القضية في جدول أعمال الدورة القادمة لمنظمة الأمم المتحدة التي ستعقد في قصر شايو بباريس ، وبفضل ذكاء وتفهم رجال بارزين أمثال عبد الرحمان عزام باشا ومحمد صلاح الدين عرضت القضية المغربية على المنتظم الدولي .

محمد حسن الوزاني

محمد حسن الوزاني ومحمد صلاح الدين ، وزير الخارجية المصري آنذاك . الدورة السادسة لهيأة الأمم المتحدة . باريز، 1951 .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني).

أضف إلى هذا أن محمد حسن الوزاني شارك في **لجنة تحرير المغرب العربي** التي كان مقرها في القاهرة . وفي إطار هذه اللجنة التي كان يرأسها الأمير عبد الكريم الخطابي وحدت الأحزاب السياسية المغربية عملها **بإنشاء جبهة وطنية** في طنجة سنة 1951 .

ولما عقدت حكومة إيدكار فور مؤتمرها السياسي بإيكس ليبان في غشت 1955 ، كان

محمد حسن الوزاني رفقة محمد الخطابي والشيخ المكي الكتاني . القاهرة ، 1951 .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني).

وفد الوطنيين في ضيافة عمال مغاربة بنيويورك سنة 1954 . يبرز في الصورة على الخصوص : علال الفاسي ، أحمد بلافريج ، محمد حسن الوزاني ، المهدي بنونة ، المكي الناصري ،أحمد بنسودة ومحمد الغزاوي .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني).

محمد حسن الوزاني يشرف من لوزان المقيم بها آنذاك على تسيير وفد حزب الشورى والاستقلال .

وقد تكونت حركة المقاومة وجيش التحرير الوطني في داخل البلاد ، وقامت الأحزاب السياسية بتعبئة الجماهير ، فمكنت جهود هؤلاء وأولئك ، كمرحلة أولى ، من رجوع جلالة الملك سيدي محمد إلى عرشه في 16 نوفمبر 1955.

جلالة الملك سيدي محمد الخامس يستقبل محمد حسن الوزاني .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني).

محمد حسن الوزاني

وكمرحلة ثانية ، من استقلال المغرب الذي سلمت به فرنسا ، بعد مناورات عديدة ، في اتفاقيات باريس بتاريخ 2 مارس 1956 .

غداة الاستقلال

لما استعاد المغرب استقلاله ، قرر محمد الوزاني أن يرجع إلى بلاده . لكنه لما كان دائما يعتبر أن الاستقلال ليس غاية في حد ذاته ، فإنه وقف نفسه منذ ذلك الحين لاقامة ديموقراطية حقيقية بالمغرب . « **منذ ثلاثين سنة خلت ، يقول محمد حسن الوزاني ، وشغلنا الشاغل هو تحرير المغرب والدفاع عن وحدته الترابية . ويمكن القول إن هذا الهدف قد تحقق جزئيا ، ومع ذلك يبقى علينا أن نكمل استقلالنا ونتمم وحدتنا . وبموازاة مع هذا الكفاح من أجل التحرير ، فإن حزب الشورى والاستقلال طالب دائما أن يعطى الشعب المغربي تربية ديموقراطية ، ليتمكن عندما يتم تحرير البلاد من أن يدبر بفعالية شؤونه المحلية والوطنية** » .

وبشكل مواز كذلك ، تابع معركة التحرير الوطني مطالبا بالوحدة الترابية للبلاد . وما كاد يتنسم جو بلاده السائرة في طريق التحرير حتى ذهب إلى الخارج مرة أخرى في أبريل 1956 . ذهب إلى مصر وسوريا ليدافع فيهما أيضا عن قضية بلاده . وكان ، بصفته عضوا في لجنة تحرير المغرب العربي ، على اتصال بالمناضلين الجزائريين ، سواء في الشرق أو في جنيف حيث قضى صيف 1956 .

محمد حسن الوزاني في القاهرة . وفي أقصى اليمين علال الفاسي .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

وفي نهاية سنة 1957 ترأس الوفد المغربي الذي حضر في القاهرة مؤتمر التضامن الافريقي -الأسيوي ، ومتن الصلات مع زعماء جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، خاصة أثناء مقامه الطويل بسويسرا طوال الشهور الأولى من سنة 1959 .

وبمجرد رجوعه استدعى المجلس الوطني لحزب الشورى والاستقلال إلى اجتماع يعقد بالدار البيضاء في 16 غشت 1959 .

وانعقد مؤتمر الحزب بفاس كما كان مقررا ، يوم 18 سبتمبر 1959 ، ألقى فيه محمد حسن الوزاني خطابا استخلص فيه نتائج أربع سنوات من الاستقلال ، وحدد البرنامج الجديد للحزب ، وطالب بالدستور .

وقد أقر المؤتمر محمد حسن الوزاني في منصبه كأمين عام ، وقرر إصدار جريدة « **شورى الرأي العام** » لتكون لسان حال الحزب ، فظهر أول عدد منها في أكتوبر 1959 .

1960 : ميلاد حزب الدستور الديموقراطي :

انعقد أول اجتماع للجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر ، في 2 يناير 1960 ، فقررت أن تطلق على الحزب اسما جديدا . ومنذ ذلك الحين أصبح حزب الشورى والاستقلال يسمى **حزب الدستور الديموقراطي** . ويدل إدخال اسم الدستور على الرغبة الملحة في أن ترى البلاد وقد زودت بدستور يحدد العلاقات بين الدولة والمواطنين .

وفي جويي 1960 ، سمي محمد حسن الوزاني وزيرا للدولة في حكومة يترأسها جلالة الملك . وفي اليوم الثاني من تسميته وزيرا توجه إلى القاهرة على رأس وفد للحضور في المؤتمر

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل محمد حسن الوزاني والمرشال أمزيان، بعد توقيع المغرب على معاهدة الدفاع العربي – 1961.
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني).

التمهيدي للبلدان غير المنحازة، وخلال مقامه بالقاهرة وقع باسم المغرب ميثاق الدفاع العربي.

وفي نوفمبر 1961 أصدر جريدة أسبوعية باللغة العربية « **الدستور** » صار يحرر فيها بابا بعنوان « الوثبات » وتابع في نفس الوقت كفاحه السياسي بالمشاركة في الانتخابات التشريعية المغربية الأولى في ماي 1963.

وقد تلقى محمد حسن الوزاني بارتياح الدستور المغربي الثاني (1970)، واستحسن أهم ما فيه، لأن كل تجربة دستورية، في نظره، لايمكن إلا أن تملأ الفراغ السياسي المتولد عن حالة الاستثناء.

وفي جوان 1971، جرح محمد حسن الوزاني في أحداث الصخيرات، وبترت يده اليمنى، ففقد هذه اليد اليمنى التي طالما حبر بها المقالات في سبيل القضية المغربية. ثم أصيب بعد ذلك إصابة عنيفة بداء الكبد الحموي، وتلقى علاجا كثيرا طوال عدة شهور، سواء بالمغرب أو بالخارج. لقد أتعبه الجرح وانهكه المرض، لكنهما لم يؤثرا إطلاقا لا على معنوياته ولا على حيويته وقدرته على العمل.

قدم محمد حسن الوزاني إلى جلالة الملك، يوم 15 يناير 1972، مذكرة تلخص نظره ونظر الحزب في الحالة بالمغرب والحلول الملائمة لها؛ وقام بعد ذلك بتنقلات كثيرة عبر المغرب لشرح الفلسفة الجديدة للحزب.

وفي أكتوبر 1975 فقد حرمه السيدة أم كلثوم، فتأثر لذلك غاية التأثر، وساءت حالته الصحية، وأصابته نوبات قلبية، فأجريت له عملية جراحية ألزمته المقام طويلا بأوروبا. وبمجرد ما كانت صحته تسعفه، يشتغل في تحرير مذكراته بقوة وسعي حثيث، بقدر ما يعرف في جسمه من ضعف، لأنه كان يعتبر أن آخر واجب عليه هو أن يترك للأجيال المغربية الصاعدة شهادة حياة وجهاد دائب لا ينقطع، من أجل حرية المغاربة وكرامتهم.

وقد قضى محمد حسن الوزاني، وهو مهتم أشد الاهتمام بمستقبل بلاده، يوم 9 سبتمبر 1978، ودفن حسب وصيته في مقبرة الأسرة بفاس إلى جانب زوجته وبين أسلافه، وفي قلب هذه المدينة الشاهدة على النداءات الأولى للحرية والعدالة التي أطلقها في مطلع الثلاثينيات، فأعادت الثقة والأمل للشعب المغربي في ساعة قاتمة من تاريخه.

محمد حسن الوزاني سنة 1977 خلال إحدى زياراته الأخيرة لسويسرا.
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني).

أحمد بلافريج

أبو بكر القادري

بعد فرض الحماية الاستعمارية على المغرب سنة 1912 ، اتجهت السياسة الاستعمارية إلى تخدير الأفكار ، وزعزعة الثقة في النفوس ، والمقاومة العنيفة لكل من يرفع رأسه مطالبا بحق ، أو مشتكيا من مظلمة ، أو مستنكرا لتصرف مشين ، أو مستنهضا للهمم الشريفة ، أو مشجعا أو مباهيا بما يقوم به المقاومون الأبطال في الجبال .

لقد كان اليأس القاتل يقضي على النفوس ، لولا بريق من أمل صار يظهر في بعض المدن ، من جراء حركة جديدة مستنهضة انبعثت تدعو إلى الرجوع إلى ما كان عليه السلف من تمسك حقيقي بجوهر الدين ، والتشبث بما يدعو إليه من عزة وكرامة وحرية وثقة بالله وبما يقوم به الانسان من صراع للباطل ، ودفاع عن الحق ، وتمسك بالوحدة التي بها يستطيع أن يصمد أمام الظالم المعتدي . بدأت هذه الحركة خافتة مقتصرة على مقاومة البدع والمبتدعين ، ومصارعة الخرافة والخرافيين ، ثم صارت تتطور وتتعدد أهدافها ، بعد ما نما نبتها ، واشتد عودها ، وقوي مركزها ، فأعلنت عن نفسها كحركة وطنية مغربية عربية إسلامية ، تدعو إلى الانعتاق ، وتطالب بالاصلاحات في جميع مجالات الحياة ، وترفض الرفض القاطع جميع المخططات الاستعمارية .

لم يكن المتحملون لمسؤولية هذه الحركة كثيري العدد ، كبيري السن ، بارزين في المجتمع ، وإنما كانوا طلبة قليلين ، شعروا بمسؤولياتهم وهم في صيعة شبابهم ، وتحركت ضمائرهم في مقتبل أعمارهم ، فلم يقبلوا أن يستكينوا للوجود الاستعماري ، ولم يستسيغوا أن يلينوا ويضعفوا أمام مخططات الاستعمار . وكان من جملة هؤلاء شاب لم يتخط العقد الأول من عمره إلا ببضع سنوات ، يختلف إلى دروسه الثانوية ببعض المدارس الفرنسية ، ويحضر دروسا عربية إسلامية في بعض الأوقات الليلية . ومن دروسه هنا وهناك تكونت ثقافته ، وتنوعت معلوماته ، وتفتحت مداركه .

ذلكم الشاب هو أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال سابقا ووزير الخارجية ثم رئيس الحكومة والممثل الشخصي لجلالة الملك في عهد الاستقلال .

لقد تنبه بلافريج إلى ضرورة القيام بعمل وطني منظم ، ففكر في تكوين أول خلية من بعض الشباب الحي بالرباط ، تعمل على إنقاذ الوطن من الوهدة التي أصبح يتردى فيها ، وتقيه من العثرة الأليمة التي أصابته من جراء الهجمة الاستعمارية عليه ، فصار يتصل ببعض الشباب الذين لاحظ فيهم الغيرة على وطنهم ، والتعلق به

أحمد بلافريج سنة 1937 .
(عن « عمل الشعب » ليوم السبت 24 يوليوز 1937) .

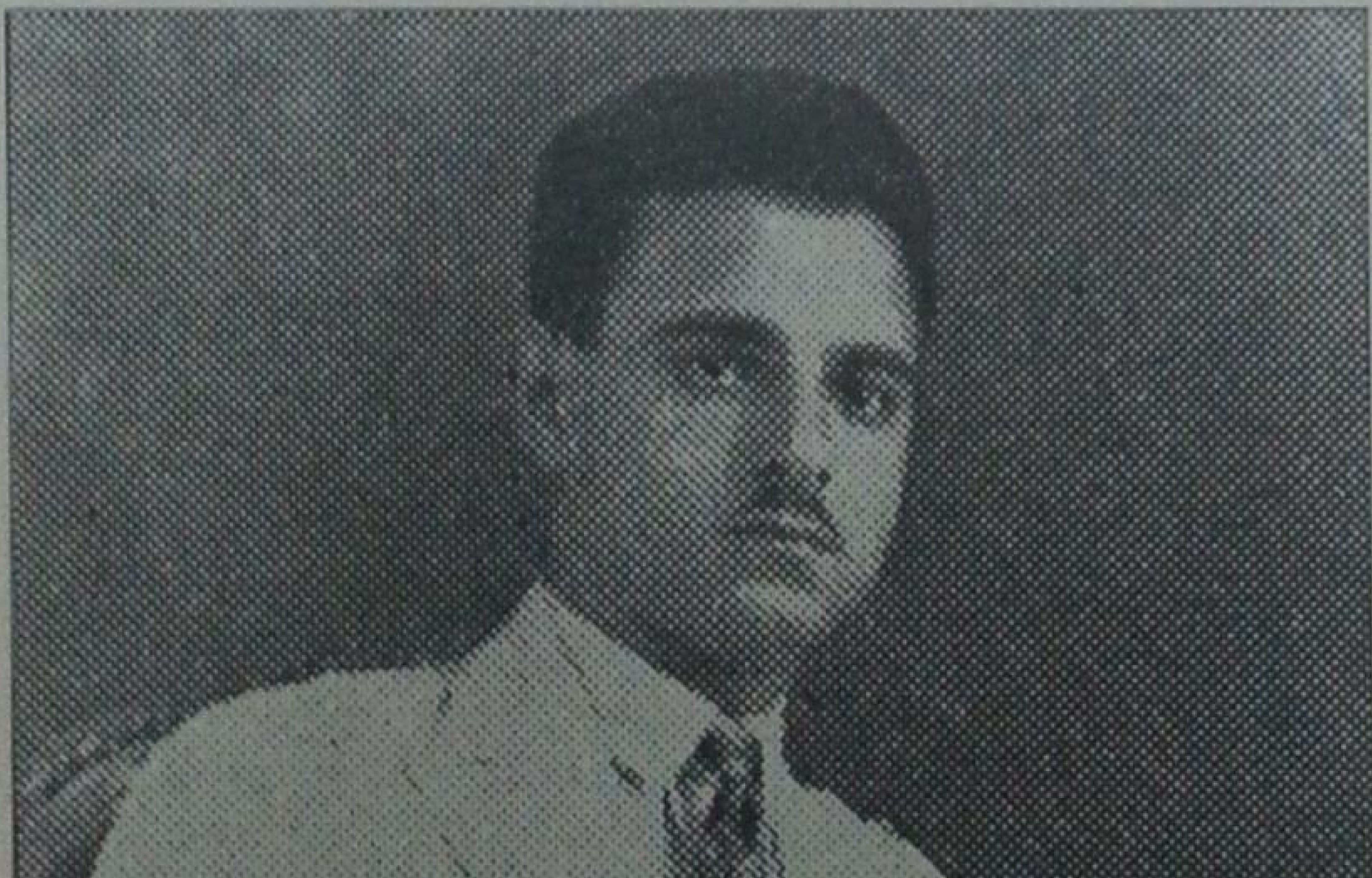

وصيته ، وهكذا نظم أول خلية وطنية جدية ، صارت تنمو وتكبر مع الأيام إلى أن صارت من الأسس القوية لقيام كتلة العمل الوطني ، ثم توسعت دائرة اتصالاته بالشباب الوطني في مختلف المدن المغربية ، كفاس وسلا وتطوان ، فربط العلاقات معها وعمل على توحيد جهودها ، وتوثيق عرى التعاون فيما بينهما .

وشاءت الأقدار أن ينتقل إلى باريس لاتمام دراسته العليا في جامعة « السوربون » ،فاغتنم فرصة وجوده بها ليوطد العلاقات مع الشباب الوطني المغربي القليل العدد وينظم وإياهم حركة سياسية وطنية ، تعرف بالقضية المغربية ، وترجع صوت المغرب عاليا من ظلم ومخططات الاستعمار .

وكان أهم عمل إيجابي قام به وهو بباريس اتفاقه مع إخوانه أعضاء « الطائفة » (الجماعة السرية التي نشأت منها كتلة العمل الوطني والحزب الوطني ثم حزب الاستقلال) في المغرب وفرنسا على إصدار مجلة فرنسية شهرية ، تعرف بالقضية المغربية عموما ، وتعطي عناية خاصة للمخطط الاستعماري الأثيم الذي تجلى في ظهير 16 ماي 1930 ، والذي كان يرمي إلى تفتيت وحدة الشعب المغربي ، وتقسيمه إلى عنصرين متطاحنين ، عنصر عربي وعنصر بربري .

لقد أصبحت مجلة « مغرب » لسان المغرب الناطق في الخارج ، وصوته المعبر عن أمانيه ، فكانت مقالاته الافتتاحية (باعتباره رئيس تحرير المجلة) تعبر عن حقيقة ما يطمح إليه المغرب من انعتاق ، وما يرفضه من اندماج . وكانت المقالات التي يدبجها يراع إخوانه العاملين معه في الصف ، أمثال المرحوم محمد بن الحسن الوزاني والمرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل ، والأخ محمد اليزيدي وغيرهم ، تفضح أساليب الاستعمار وأعماله المنكرة في المغرب . كما أن المقالات التي كان يحررها بعض الأحرار الفرنسيين الذين استطاع بلافريج أن يكسبهم للمجلة ، ويجعلهم من هيأة تحريرها ، كانت تثير مكامن الاستعماريين وتجعلهم في قفص الاتهام . ولقد حدد بلافريج بخط يده الغاية التي أسست من أجلها مجلة « مغرب » فكتب على ظهر غلافها ما يلي :

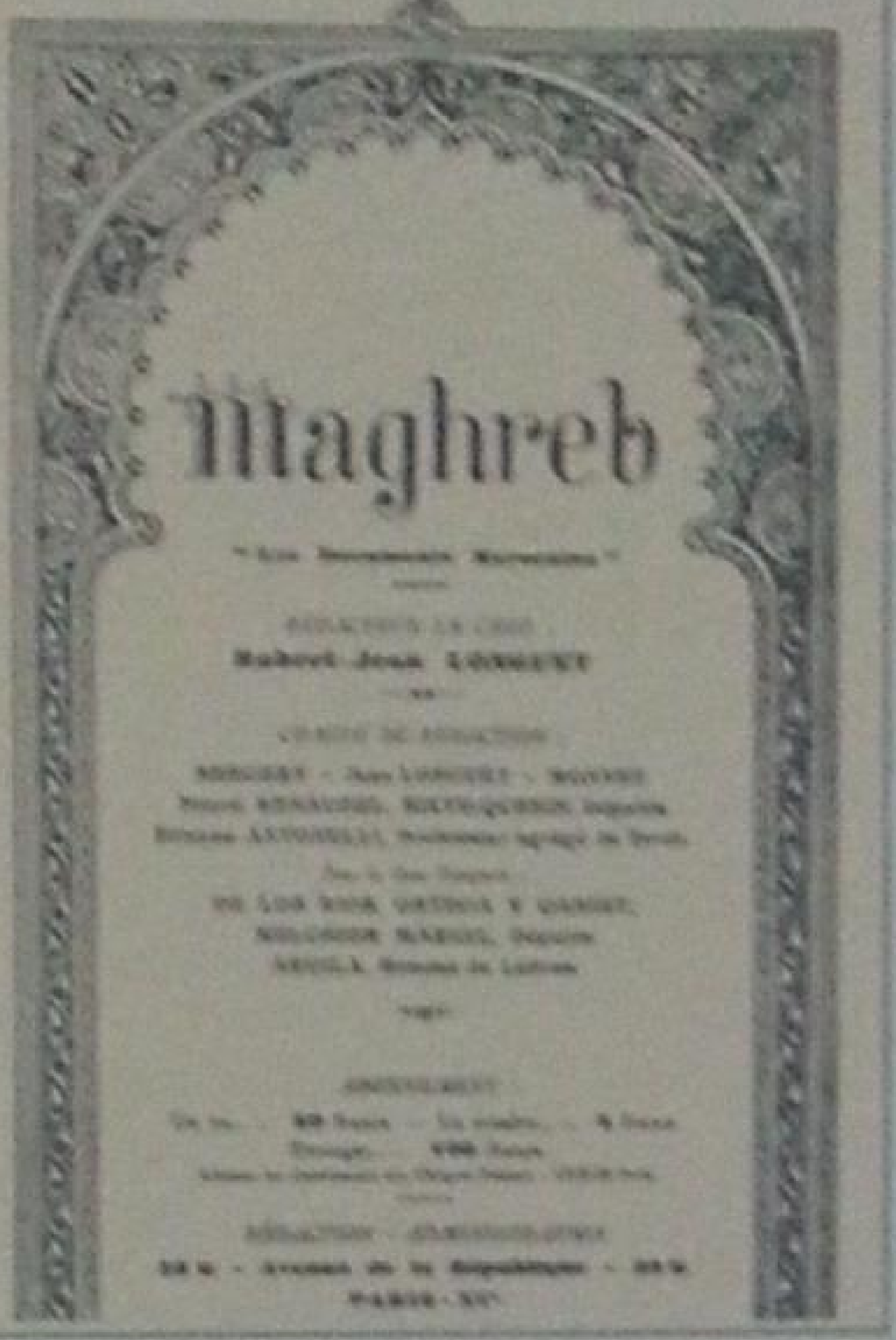

بلافريج يواصل عمله الدؤوب من أجل الاستقلال .
(عن « المغرب » العدد الرابع ، أكتوبر 1932) .

الصفحة الأخيرة لجريدة « المغرب » بخط يد أحمد بلافريج .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

« أيها المغربي ! قد أسست هذه المجلة للدفاع عن حقوقك ، ورفع صوتك عاليا برغائبك ومتمنياتك ، وأنت تعلم أن بلادك تشتد حاجتها الآن إلى مشروع كهذا ، إذ ضياع الحق في سكوت أهله عنه ، والاستسلام للباطل موت ، والمناقشة في الحق حياة ، فواجبك يقضي عليك بالسعي في تفهم محتوياتها ، والتحلي بروحها ، والدعاية لمبادئها ، والمساعدة على نشرها » .

لقد صدر العدد الأول من مجلة « مغرب » في صيف سنة 1932 ثم تتابع صدورها إلى سنة 1934 ، وكانت توزع مجانا على الشخصيات الفرنسية والأجنبية في فرنسا وغيرها من الأقطار الأوروبية ، كما كانت توزع داخل المغرب في تستر وخفية ، حيث إن السلطات الاستعمارية لم تسمح ببيعها وانتشارها .

وخلال هذه الفترة انتقل بلافريج إلى القاهرة ليقضي بها مدة انخرط فيها في سلك طلبة

أحمد بلافريج

الجامعة المصرية ، وكثر من اتصالاته مع رجال العلم والفكر والأدب والسياسة في بلاد الكنانة ، معرفا بقضية بلاده ، وعاملا على كسب الرجال الأحرار لمساندتها في تحقيق مطامحها . وبعد رجوعه إلى بلاده سنة 1934 ، قرر أن يخوض معركة جديدة من معارك النضال بالاضافة إلى المعركة السياسية ، وأعني بها عمله على تكوين الأجيال ، ونشر الثقافة ، والعناية بأبناء المواطنين ، ومقاومة الجهل الفتاك . وهكذا أنشأ مدرسته الحرة التي أسماها مدرسة « **محمد جسوس** » والتي أعطاها من وقته وتدبيره وعنايته ، ما جعلها مقصد الأبناء من جميع أنحاء المغرب ، وما جعل المتخرجين منها يلجون المعاهد التعليمية العليا في الداخل والخارج بكفاءة واقتدار .

وفي الوقت الذي كان يقضي أكثر أوقاته في الاهتمام بمؤسسته التعليمية التي لازالت قائمة الذات ، وتعطي ثمارها إلى الآن ، كان يواصل اجتماعاته مع إخوانه العاملين لتحضير **مطالب الشعب المغربي** أو برنامج الاصلاحات المغربية التي قدمت إلى جلالة الملك محمد الخامس نور الله ضريحه وإلى السلطات الفرنسية في ديسمبر سنة 1934 .

وتأتي سنة 1936 لتتخذ الحركة الوطنية خطة متحركة جديدة تتجلى في عقد مهرجانات خطابية كبرى وتعلن فيها **المطالب المستعجلة للشعب المغربي** ومنها ضرورة السماح بالحريات العامة والاصلاح الفلاحي والنظر في قضايا التعليم والصحة وتمتيع الفلاحين بجميع الحقوق وخصوصا العمال الفلاحيين إلى غير ذلك من المطالب الحيوية للبلاد ، فيقرر الحزب أن يبعث بوفد إلى فرنسا ليعرض على الحكومة الفرنسية مطالب الشعب المغربي ، ويكثر من الاتصالات مع الأحرار الفرنسيين الذين كانوا لايبخلون على المغرب بتأييدهم لمطالب المغرب المشروعة ، ويكون في طليعة هذا الوفد الأستاذ بلافريج والمرحوم الحاج عمر بن عبد الجليل .

لقد كانت مهمة الوفد أن يتصل بحكومة الواجهة الشعبية ، ويذكر الاشتراكيين فيها بضرورة الوفاء بما كانوا يتعهدون به من مناصرة للقضية المغربية ومطالب الشعب المغربي . فكانت الاتصالات مثمرة ، وانفتحت الآفاق بعض الشيء أمام الحركة الوطنية ، فصدرت بعض الصحف الوطنية التي كان من جملتها جريدة « **الأطلس** » لسان **الحركة الوطنية لتحقيق المطالب المغربية** وجريدة « **العمل الشعبي** » باللغة الفرنسية ، وكان بلافريج من أبرز مسيريها

الجريدة الأسبوعية « **الأطلس** » . عدد 14 أكتوبر 1937 . السنة الأولى .
المدير محمد اليزيدي .
(عن « **رجال عرفتهم** » لأبي بكر القادري) .

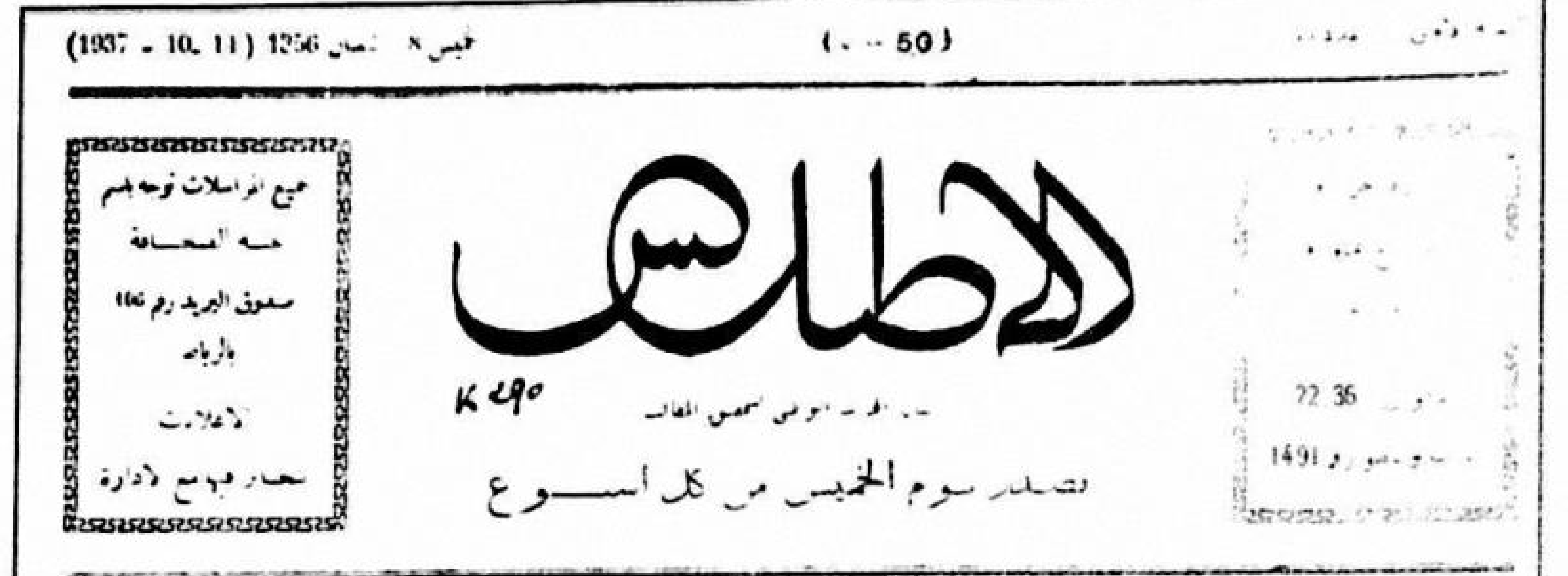
خميس 8 شعبان 1356 (11 - 10 - 1937)
الأطلس
تصدر يوم الخميس من كل أسبوع
عصورنا الوسطى

الصفحة الاولى من الاطلس فى احد أعدادها الاخيرة. الاستاذ محمد اليزيدى تحمل مسؤولية ادارتها وتحريرها الى جانب مهماته القيادية وقد عاصر الحركة الوطنية ، منذ نشأتها . مثال الشخصية الفذة التى تقف مع تعاليم الحزب واهدافه . لم تمر الحركة بازمة الا وكان فى مقدمة ضحاياها وقد قضى فى السجن والنفى سنوات عديدة . وظل اليزيدى منارة هادية من منارات الوطنية والنضال .

والمحررين لها . وكانت افتتاحياتها بالخصوص تعبر عن مطامح الشعب المغربي ، وتهاجم السياسة الاستعمارية مهاجمة عنيفة ، وتفضح المخططات الاستعمارية فضيحة منكرة ° كانت الاقامة الفرنسية العامة تضج منها ، وكانت إدارة الأمور الأهلية تعتبرها حربا معلنة ضدها .

ولا زلت أتذكر مقالين افتتاحيين كان الموحي بأفكارهما وربما كان المحرر لهما أيضا الأستاذ بلافريج (حيث إن افتتاحيات « الأطلس » كانت تحرر من طرف لجنة مشتركة ، كانت تدعى بلجنة الصحافة) . أما المقال الأول ، فتحت عنوان : « حقرتهم » وأما المقال الثاني فتحت عنوان : **تقدم ! ولكن إلى الوراء** .

لقد ضج الفرنسيون من المقالات التي كانت تكتبها الصحافة الوطنية ، فصاروا يكيدون لها كل أنواع الكيد ، ثم فرضوا الرقابة عليها ، فصارت تصدر مبتورة ، محذوفا منها كثير من التعابير والجمل ، لدرجة أن البعض من هذه المقالات أصبح لايعبر عن شيء ، وكثيرا ما كنا نفتح الصحيفة ، فيتجلى لنا أول ما يتجلى ، تعبير (حذفته الرقابة) ويتكرر هذا في أغلب الصفحات ، وفي أغلبية المقالات السياسية .

إزاء هذا الموقف المعاند من الادارة الفرنسية قررت الحركة الوطنية لتحقيق المطالب بعث بلافريج مرة ثانية إلى فرنسا لعرض المشكل المغربي والحريات العامة على أنظار حكومة الواجهة الشعبية . وهكذا سافر إلى باريس ، واتصل بالمسؤولين الفرنسيين موضحا لهم أن عقلية رجال الادارة بالمغرب لم تتغير ، وملحا كل الالحاح على ضرورة تمتيع المغاربة بحرياتهم العامة . وإني أذكر ليلة كنا مجتمعين بمنزل الأخ الأستاذ محمد اليزيدي لنقرر الدفع بحركتنا التحريرية إلى الأمام ، مهما كانت العراقيل والصعوبات ، والأخ اليزيدي واضع سماعة الهاتف على أذنيه مبلغا الأستاذ بلافريج بباريس ما قر عليه عزمنا ، ومتبادلا معه الرأي في بعض القرارات التي من جملتها إعلان تأسيس الحزب بصفة علنية ، فكان الاتفاق معه على أن نطلق على الحزب المؤسس اسم **الحزب الوطني لتحقيق المطالب** . لقد كنا ندعو أنفسنا برجال الحركة الوطنية أو **بكتلة العمل الوطني** حيث إن الادارة لم تسمح مطلقا أن يكون لنا حزب وطني سياسي علني ، ولكن في تلك الليلة خرجنا بقرار تأسيس « **الحزب الوطني** » الذي صار فيما بعد « **حزب الاستقلال** » .

وهكذا أعلنا عن تأسيس الحزب الوطني الذي صار يقبل الانخراط فيه بصفة علنية وفتح له مركز كبير بفاس حيث صارت تتوافد عليه الجماعات والأفراد من الحاضرة والبادية مؤدية القسم وطالبة الانخراط ، ثم تأسست فروع أخرى في أغلبية المدن الكبيرة والصغيرة على السواء .

لقد كان بلافريج ممثل الحزب بالخارج والمعبر الأمين عن مطامحه وأهدافه . وعندما وقعت أحداث 1937 بعد مؤتمر الحزب ، تصدى بلافريج بقوة وعزيمة للسياسة الاستعمارية الفرنسية ، وشوه سمعتها ، وشهر بأعمالها ، ودعا إلى مقاطعتها وعدم التعامل مع الفرنسيين إلى أن يستجيبوا للمطالب المغربية ، ويطلقوا سراح المعتقلين الذين كانوا يبلغون الآلاف ، ولقد كان يتنقل بين فرنسا وسويسرا مقويا اتصاله بأمير البيان « **شكيب أرسلان** » الذي كان يعطف عليه عطفا خاصا ويدعوه بابنه ، نظرا لما رأى فيه من وطنية صادقة ، ونضال مستميت ، وحكمة سياسية ، ونظرات بعيدة إلى القضايا .

ولدى مقام بلافريج بسويسرا وفرنسا ، أصيب بمرض السل ، الذي نخر جسمه ، وأضعف قوته ، فاضطر أمام إلحاح الأطباء إلى إجراء عملية جراحية في رئته ، ومكث في المستشفى عدة أسابيع ، كان يرعاه فيها ويواسيه أمير البيان أوائل سنة 1938 « شكيب أرسلان » رحمات الله عليه . ولقد حكى لي المرحوم سعيد حجي أنه سافر للاتصال به بسويسرا سنة 1938 فصادف الحال أن وصوله إليها ، كان هو يوم إجرائه العملية فاكتفى

العدد الأول من « المغرب » ، وهي مجلة أسسها سنة 1937 سعيد حجي ، المناضل الذي وافته المنية سنة 1942 عن [illegible] الثلاثين من عمره
(من « رجال عرفتهم » لأبي بكر القادري)

بالاتصال بالأمير شكيب الذي وجده متأثرا غاية التأثر ، بل باكيا على الحالة المرضية التي كان عليها إذ ذاك والتي تمنعه من الانشغال بالقضايا السياسية لفترة أسابيع .

وبعد خروجي من السجن في 27 أكتوبر 1938 تلقيت من بلافريج خطابا مشجعا ، يوصي فيه بمواصلة العمل ، ويحض على دراسة الأوضاع ، ومواجهتها بما تستحق ، ولقد اطلعت على رسائل متعددة كتبها بخط يده للسجناء ، يوصيهم فيها بالحذر في الخطوات والمساعي التي كان يقوم بها لحل الأزمة ، ويوافق على بعض الاجراءات التي تتوفر فيها الشروط والضمانات الكافية للتغلب على الخصم الذي لا يطمع إلا لتهدئة الأجواء والعواصف التي أثارها بلافريج ضده .

ولدى إعلان الحرب العالمية الثانية 1939 بقي بلافريج بسويسرا ، يتتبع الأحداث عن كثب ، ويقوم بالاتصالات والاستطلاعات

أحمد بلافريج

الخطيرة ، وينتظر الوقت الملائم للقيام بواجبه نحو تحرير وطنه من قبضة الاستعمار .

بعدما صارت الأزمة المغربية تنفرج بعض الشيء ، حيث أطلق سراح المعتقلين ورجع أغلب المنفيين ، عاد بلافريج من أوروبا للمغرب حيث استقبل الاستقبال الحار من طرف إخوانه ومواطنيه ، وحيث نظمنا معه الاجتماعات ، واستفدنا من تحليلاته وسعة اطلاعه وخبرته بأسرار القضايا السياسية . وفي هذه السنة بالذات ، توطدت العلاقة بين الحزب وبين جلالة الملك المقدس سيدي محمد الخامس رحمات الله عليه ، فكان الاتصال السري محكما بين قادة الحزب الأولين وبينه ، وكان بلافريج على رأس الذين يثق جلالته بوطنيتهم وحنكتهم وثقافتهم ودراسة الأمور معهم لمواجهة المخططات الاستعمارية .

وفي هذه الاتصالات وقعت المناقشة والمذاكرة والتحليل للوضع المغربي أثناء الحرب التي أوشكت على نهايتها ، فكان قرار تقديم **وثيقة المطالبة بالاستقلال** التي تقدم بها حزب الاستقلال إلى جلالة الملك المرحوم والاقامة الفرنسية وسفارات الدول الكبرى في 11 يناير 1944 . وهنا يجب أن نسجل بكامل الاعتراف بالجميل والامتنان ، أن بلافريج كان في مقدمة من آمنوا بأن ساعة المطالبة بالاستقلال ، وإزالة كابوس الاستعمار قد حانت ، وأن الواجب يقضي أن نضع قضية استقلال المغرب من جملة القضايا التي يجب أن توضع في الملف الدولي ، وأن الجميع يجب أن يستعد لخوض المعمعة ، مهما كانت النتائج ، وكيفما كانت التضحيات التي يتطلبها المطلب الغالي .

لقد قال لنا يوما ونحن نناقش موضوع المطالبة بالاستقلال ، والموقف الذي ستقابلنا به السلطات الاستعمارية : « **لنجعل أرواحنا في أيدينا ، ولنفرض أننا كنا مارين في الطريق فداستنا سيارة وقضت علينا ، ففارقنا هذه الحياة شهداء ، فكذلك الآن يجب أن نغمض أعيننا عن العواقب ، ونجعل مصلحة أمتنا واستقلال بلادنا ، هما مهمتنا في هذه الحياة** » .

إنه موقف في منتهى الصدق والاخلاص والشجاعة والاندفاع ، وقلما رأيت بلافريج يتكلم باندفاع وبدون إعطاء أي اعتبار للعواقب إلا في هذا الموقف الذي اتخذنا فيه قرار المطالبة بالاستقلال .

ووالينا الاجتماعات اليومية تارة بمنزله بحي الليمون ، وتارة أخرى بمنزل الأخ محمد اليزيدي لدراسة الوسائل التطبيقية من تحرير للوثيقة والذين سيوقعون عليها ، واستقطاب الرأي العام الوطني لتأييدها ومناصرتها إلى غير ذلك من الوسائل التي من شأنها أن تنجحنا في مساعينا .

وهنا أيضا يجب أن أسجل منقبة أخرى لبلافريج تنم عن روحه الوطنية الصميمة ، وتجرده عن الحساسيات الأنانية في القضايا العليا للوطن ، لقد قال لنا ذات يوم ونحن مجتمعون بمنزل المرحوم الفقيه محمد غازي : « **إن الواجب يفرض علينا أن لا نقدم على عمل وطني كبير مثل المطالبة بالاستقلال دون أن نفكر في إخبار أخ من إخواننا لا يوجد بيننا الآن لأنه لازال يقاسي محنة النفي والابعاد وأعني به الأخ محمد بن الحسن الوزاني (رحمه الله) . إنه** - يقول بلافريج - **إذا اختلف معنا في الرأي وأنشأ حركة خاصة ، هي الحركة القومية ، فإن مطلب الاستقلال ، مطلب كل وطني ، ويجب أن تتضافر عليه جهود كل المواطنين ، ويجب أن يشعر « الوزاني » بما قررنا القيام به بطريقة أو أخرى** » . وهكذا دبرنا الأمر ، وبعثنا بمن يبلغ الوزاني قرارنا في حكاية يطول شرحها .

ومضت أيام على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال التي ارتجت لها أركان الاستعمار ، فصار الاستعماريون يفكرون ويدبرون لطمس فكرة « **الاستقلال** » ، والقضاء على المتزعمين لها ، الذين يأتي في طليعتهم بلافريج الذي أصبح الأمين العام لحزب الاستقلال منذ تقديم وثيقة الاستقلال في 11 يناير 1944 . وجاء يوم 29 يناير عامه تمتد اليد الأثيمة لبلافريج ويلقى عليه القبض ويريد الاستعمار أن يقدمه للمحاكمة العسكرية بتهمة أنه كان يتصل بالمحور ، بعد أن افتضحت التهمة التي كانوا يتهمون بها الوطنيين باتصالهم بالشيوعية وعملهم في ركابها .

وبمجرد ما علم الحزب بإلقاء القبض عليه وعلى الأخ اليزيدي قامت المظاهرات العنيفة في الرباط أولا ثم في سلا ثم بفاس . فسالت الدماء ، وسقط الضحايا في الشوارع والطرقات نتيجة الرصاص الذي كان يتساقط على الأبرياء من جيش اللفيف الأجنبي ، وحتى من بعض الفرنسيين المدنيين .

لقد كان الشباب الوطني والجماهير الوطنية تتصايح في الطرقات ، وترفع أصواتها في المظاهرات معلنة تضامنها المطلق مع بلافريج ومنددة بتصرفات الادارة الاستعمارية ، ومطالبة بإطلاق سراحه العاجل .

إنه يوم مشهود وموقف رائع وقفه الشعب المغربي متضامنا مع حزب الاستقلال ومع الأمين العام لحزب الاستقلال ، تجلى فيه صدق الوطنية ، وتعلق المواطنين بالمبادئ التي يضحي من أجلها حزب الاستقلال ، والتي قدم نفسه ضحية من أجلها الأمين العام بلافريج .

وقررت الادارة الاستعمارية أن تقدم بلافريج « للمحاكم العسكرية » وبقي في الاستنطاق والمتاعب مدة طويلة رغم حالته الصحية التي كانت لاتدعو إلى الاطمئنان . ولما لم تجد الادارة الاستعمارية ما تثبت به التهمة التي أرادت أن تحيكها ضد بلافريج وجماعته ، قررت أن تبعده وتنفيه إلى جزيرة كورسيكا التي لبث فيها مبعدا نحوا من ثلاث سنوات ، بعد ما قضى بسجن العلو بالرباط بضعة أيام .

وإن أنس فلا يمكنني أن أنسى يوما ونحن معتقلون بسجن « لعلو » المذكور عندما اتصل بي أحد الحراس الوطنيين ، وأخبرني بأن بلافريج يوجد بإحدى الزنزانات وحيدا فريدا وانه سيدبر لي لقاء ولو خاطفا معه .

وهكذا اغتنم الحارس المذكور إحدى الفرص المتاحة له ، ففتح الزنزانة التي كنت فيها ودعاني إلى أن أسير وراءه على مهل ففتح النافذة الصغيرة الموجودة في الباب ، حيث أطللت عليه محييا ومتسائلا عن حالته الصحية وما قاساه أثناء استنطاقه فأجابني باقتضاب على عادته ، وذكر أن الاستنطاق كان متعبا مستمرا ليل نهار ، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة حلوة ، وكأنه يقول : « لابد من الثمن » . كان هذا هو أول اتصال وآخره بالسجن مع بلافريج . فلقد غابت عنا أخباره إلى أن أخبرنا بأنه أبعد إلى جزيرة كورسيكا حيث قضى بها نحوا من ثلاث سنوات .

وفي سنة 1946 عندما صارت تنفرج الأزمة ويطلق سراح المسجونين والمبعدين رجع بلافريج إلى بلاده حيث واصل العمل بجانب إخوانه الاستقلاليين كمسؤول أول في حزب الاستقلال وكربان سياسي ماهر لا تنطلي عليه حيل الاستعمار ولا أساليبه في الاغراء والعروض الاصلاحية المبطنة بالمكر والخديعة وزحزحة الفكر الوطني عن التشبث بالاستقلال .

لقد جاء المقيم العام الفرنسي « إيريك لابون » يعرض إصلاحاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ليزحزح الحزب عن أهدافه الحقيقية وليدعو إلى تعاون فرنسي مغربي بعيد عن فكرة « الاستقلال » . ولكن الحزب بقيادة أمينه العام بلافريج كان حذرا مع عروضه كل الحذر ملتزما الخط الذي أقره برنامج الحزب بعد تقديم وثيقة الاستقلال .

وفي سنة 1947 قرر جلالة الملك المنعم محمد الخامس نور الله ضريحه القيام بزيارة لمدينة « طنجة » التي كان يديرها نظام دولي ، ليثبت ويؤكد وحدة التراب المغربي تحت رمز السيادة

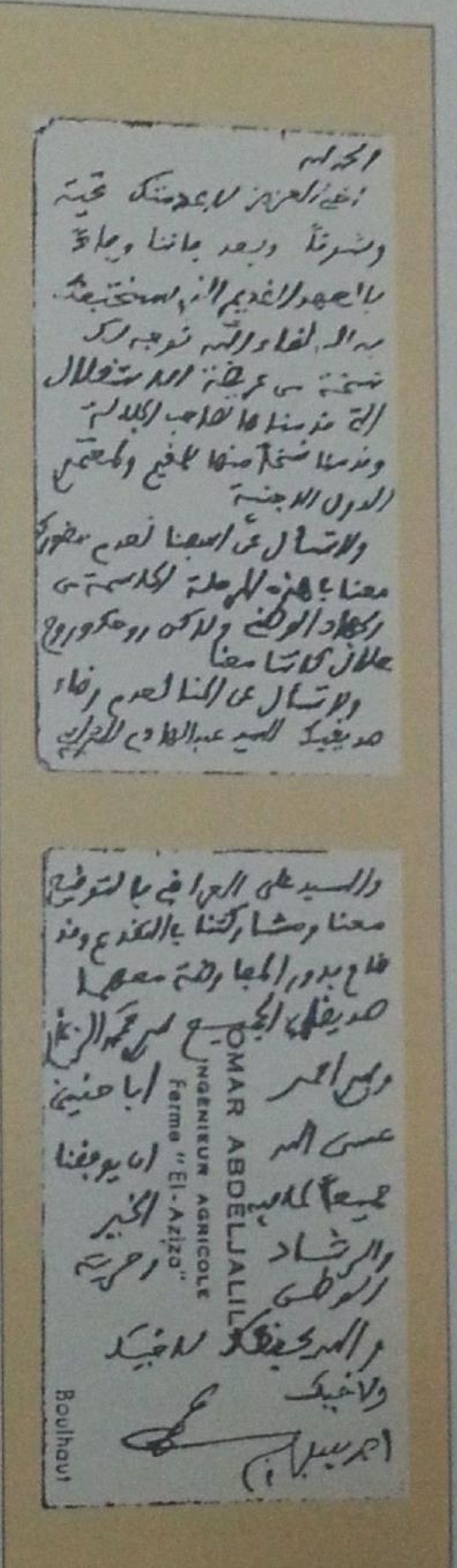
الحمد لله
أخي العزيز بعد منكم تحية
وشوقا وبعد جاءتنا وجاءت
بالعهد القديم الذي نستحق بعثه
من الدار الفانية ... توجه ...
شيخة من عرفة ... استقلال
التي عرفناها لصاحب الجلالة
وعرفنا شيخا صدقا للمغرب وللمجتمع
الدول الاجنبية
والاتصال عن أصحابنا لعدم حضوركم
معنا بهذه المرحلة الحاسمة من
الجهاد الوطني ولكن روحكم وروح
علال كانتا معنا
والاتصال عن المنال لعدم رضاه
صديقكم السيد عبد الهادي الشرايبي

والسيد علي العراقي بالتوضيح
معنا وشاركتنا بالتقدم وهو
فلاح ... المجاورة معه
صديقكم الجميع سي محمد الزغاري
وسي أحمد
عسى الله
جميعا للعمل
والرشاد
الوطني
والمرجو ... لأخيكم
ولأخيك
أحمد بلافريج

OMAR ABDELJALIL
INGENIEUR AGRICOLE
Ferme "El-Azizo"
Boulhaut

صورة البطاقة الشخصية لعمر بن عبد الجليل تحمل توقيعه وتوقيع أحمد بلافريج وهي موجهة لمحمد حسن الوزاني بالأزور في يناير 1944 .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

المغربية جلالة الملك المعظم ، وليعلن للعالم أجمع أن المغرب لايرضى باستقلاله بديلا وأنه تواق إلى ربط علاقاته مع أشقائه في البلاد العربية باعتباره جزءا لا ينفصم من الجسم العربي ، ويرفض الرفض القاطع كل فكرة اندماجية مع فرنسا .

وبعد الأحداث التي وقعت إثر خطاب طنجة ، واستبدال المقيم الفرنسي ، « إيريك لابون » بالجنرال جوان ثم الجنرال كيوم ، استقر بلافريج بطنجة أولا ثم غادرها إلى فرنسا وسويسرا واسبانيا حيث كان يقوم بنشاط هام للتعريف بالقضية المغربية ، وللتشهير بما تقوم به الادارة الاستعمارية ضدا على المغرب وعلى ملكه الشرعي جلالة محمد الخامس .

وبعد أحداث ديسمبر 1952 التي امتحن فيها حزب الاستقلال امتحانا قاسيا وتعرض قادته لأحكام الاعدام وسجن أعضائه بالآلاف ، وبعد نفي جلالة الملك المقدس هو وأسرته الشريفة وعلى رأسها جلالة الملك الحسن الثاني ، بقي بلافريج يرفع صوت المغرب في الخارج متنقلا بين الأقطار ، داعيا إلى إنصاف المغرب بإعطائه استقلاله وبرجوع محمد الخامس إلى عرشه .

وجاءت سنة 1955 ليرجع محمد الخامس إلى عرشه ، وليحقق الله وعده وينصر عبده ، وليتحقق الاستقلال ، وتتمتع بلادنا بكرامتها وحريتها . فتتأسس أول حكومة مغربية مستقلة يتولى بلافريج شؤون وزارة الخارجية فيها فيضع الأسس الصحيحة المتينة للسياسة الخارجية المغربية التي تنبع من استقلالية قرارها ، وعدم تبعيتها إلى معسكر من المعسكرات . ثم يتولى بعد ذلك بالاضافة إلى الخارجية رئاسة الحكومة المغربية ثم يعينه جلالة الملك الحسن الثاني بعد وفاة والده المنعم وزيرا ممثلا شخصيا لجلالته . إن شخصية بلافريج شخصية نادرة المثال ، فهو الرجل السياسي المحنك ، وهو الرجل القائد المتبصر وهو المفكر القدير المتزن ، وهو الوطني الصلب الذي لا تغريه المطامع ، ولا تخدعه الأقاويل . عرف

طريقه وهو شاب في مقتبل العمر ، فما انحرف عن وطنيته ، وما تزحزح عن عقيدته ، وما قبل أن يساوم في استقلال فكره ، واستقلال وطنه .

لفت أنظار الأساتذة الكبار ، والسياسيين الحاذقين وهو في مقتبل عمره ، حيث لاحظوا فيه حصافة الرأي ، والنظر البعيد إلى عمق القضايا وحقائقها ، والادراك السليم لواقع الأحداث ، وعدم التسرع في الأحكام على القضايا التي يود معالجتها ، ودراسته المتأنية لجميع جوانبها ، وإحاطته الشاملة بكل ما يعتورها ، حتى إذا ما استوفى الدراسة ، وأحاط بالموضوع ، وتعمق في التفكير ، هناك يأخذ الرأي الثابت الذي يدافع عنه الدفاع الحار المستميت ، بكل ما أوتي من حصافة ولباقة وقوة تأثير .

وتأثير بلافريج في سامعيه والمتحدثين إليه ، ليس عن طريق الاكراه وفخفخة الألفاظ ، وتزيين العبارات ، ولكنه عن طريق الاقناع وقوة المعرفة والايجاز الكامل ، إنه لما يناقش المواضيع التي لم يدرسها الدراسة الواعية الكاملة ، ولا يريد أن يحرج عليك وأنت تدرس معه بالكلام المعسول ، ولكنه يثبت لك دون عناء وفي هدوء أن الرأي الذي أخذ به ، هو الرأي الصواب الذي يجب أن يتبع ، لأنه جاء نتيجة البحث والتفكير والنظر البعيد .

لقد كانت شخصيته الجذابة تكسو اجتماعاتنا معه كثيرا من الاحترام ، والتقدير الطوعيين ، وتفرض نفسها بابتسامته المشرقة ، ورزانته الهادئة ، وأناقته المحببة ، وثقافته الواسعة . وكانت مطالعاته المتعمقة ، وتتبعه للأحداث ، وربطه الأسباب بالمسببات ، ومعرفته بالشخصيات ، وسبره لأغوارها يضفي على الاتصال به والمذاكرة معه كثيرا من الاعتبار ، ويجعل المتصلين به والمتحدثين إليه لايفارقونه إلا وهم معجبون له ، ومتعلقون بشخصيته ، ومفتنعون بآرائه . وفي اجتماعاتنا معه لم يكن نفورا ولا متحجرا ولا جادا فوق الحد ، ولكن جلساتنا لم تكن تخلو من نكتة ، ومن تعاليق بريئة ،

أحمد بلافريج ، الممثل الشخصي لجلالة الملك الحسن الثاني .

ومستملحات حلوة ، تجعل مناقشتنا رغم جديتها يسودها كثير من الانشراح والانبساط .

هو يسير مع جماعته وإخوانه يؤيد قراراتهم ، ويدافع عن خططهم ، وإذا ما أخذوا رأيا لم يكن يقتنع به ، لايشاكس ولا يعاكس ولا يقاوم ولا يحارب ، بل يبقى متمسكا برأيه ، معبرا عنه داخل الجماعة ، غير محدث به انقساما أو انفصالا .

هو كثير المطالعة ، شغوف بالقراءة ، ملم كل الالمام بالسياسة الدولية ، متتبع للأحداث العالمية ، شغوف بوطنيته ، محب لبلاده ، معتز بحضارته ، مدافع عن ذاتيته وشخصيته ، مقدر كل التقدير معنى الانتماء لوطنه المغربي ، والارتباط بالحضارة العربية الاسلامية ، رافض الرفض القاطع كل انتماء غير الانتماء العربي الاسلامي .

هو منفتح كل الانفتاح على الثقافات المختلفة ، وكل تعاون مع الدول والشعوب على اختلاف اتجاهاتها وتعدد مذاهبها ، ولكنه يرفض كل اندماج في الغير ، سواء كان اندماجا ثقافيا أو فكريا أو سياسيا .

لقد رفض الاندماج مع الغير وهو شاب في صبغة الشباب عندما دعاه بعض أصدقائه الاشتراكيين الفرنسيين إلى الاندماج في حزبهم ، فكتب مقالا في مجلة « مغرب » ، يرفض فيه هذا العرض ، ويشرح أهداف الحركة الوطنية المغربية ، ويوضح أن الانخراط في الاشتراكية الفرنسية نوع من الاندماج الذي تقاومه الوطنية المغربية ، وأن أي تعاون أو اتصال مع المجتمع الدولي والحركة الدولية لا يقع إلا باعتبار المغاربة مغاربة .

إنه يرفض الاندماج في الغير ، ويؤكد أن المغاربة متمسكون بمغربيتهم ، معتزون بمدنيتهم ، رافضون التنازل عن لغتهم العربية ودينهم الاسلامي الذي يعتبرونه طريق خلاصهم وسر عزهم وشرفهم ، وأن ما يطمحون إليه من عز وتقدم ، لا يتحققان إلا في دائرة عقيدتهم وتقاليدهم الصحيحة التي يتشبثون بها ، والتي لا محيد لهم عنها .

عبد الخالق الطريس

محمد العربي المساري

عبد الخالق الطريس .

في الجمع العام الذي عقدته شركة **التعاون الصناعي** في 28 فبراير 1934 ، كان الشاب عبد الخالق الطريس (24 سنة) هو المتكلم باسم كتلة المساهمين المسلمين ، وذلك في حضور أقطاب يكبرونه سنا ، في طليعتهم الحاج عبد السلام بنونة ، الداعية المسموع الكلمة . وفي الوقت الذي أخذت الحساسيات في الجنوب تملي إيراد الأسماء في بعض الوثائق اعتمادا على ترتيب الحروف الأبجدية كانت الحركة في الشمال تدين بدون منازع بزعامتها للشاب المندفع الذي سلم له أساتذته بالزعامة ، تكريسا للدور الذي أخذ يحتله الشباب .

كانت شركة « التعاون الصناعي » مشروعا تعاونيا جمع رأس ماله من اكتتاب عمومي أقبل الناس على المشاركة فيه بحماس ، حتى إنه يمكن القول إنه لم يوجد من سكان تطوان من لم يحمل اسهما فيه (2330 مكتتب من المسلمين إلى جانب 274 من اليهود ، و 306 من الاسبان وهما فئتان كانت لهما مشاركة رمزية) . وكان الغرض من إنشاء الشركة هو إنتاج الكهرباء وتوزيعها بثمن منخفض عن الشركة الأجنبية . وكان ظهور الشركة في 1928 عنوانا على مخاطرة لم يسبق لها مثيل ؛ تتمثل في إقبال المغاربة على استثمار صناعي ضخم ، وفي اقتحام ميدان التيكنولوجيا الحديثة ، وكان المشروع واحدا من المبادرات النهضوية التي ظهرت بكثافة في المدينة الصغيرة التي جعلها

...ـس : أربعون سنة من النضال

التقسيم الاستعماري للمغرب ، عاصمة لمنطقة فقيرة بشريا واقتصاديا ، ولكنها قاعدة سياسية وإدارية للمناطق التي آلت لاسبانيا وهي الريف وإيفني والصحراء . وتركزت هذه المبادرات في مجالين : الثقافة لتهيء أطر المستقبل ، والاقتصاد لاحتلال موقع قوة في المجتمع العصري .

كان هذا الاتجاه هو الذي اختارته الحركة السياسية في الشمال ، حين انتهت « التهدئة » في 1927 بعد أن وقع الاجهاز على ثورة الريف . كان عماد « النهضة » التي نشأت كرديف للعمل المسلح ضد المحتل ، هو العمل الاجتماعي والثقافي ، مثل ما حصل في الجنوب ، ولكنها تهيأت على يد الجيل الذي رأى الستار يسدل على عهد الحكم الوطني المستقل . ثم ترعرعت على يد جيل الشباب الذي فتح عينيه في ظل الاحتلال . وعلى عكس شباب الرباط وفاس الذي انبثق من مناخ الصدام ، فإن رواد النهضة في تطوان من الكهول كان شغلهم الشاغل هو اكتساب المقومات ، وفق برنامج تكتنفه الحيطة وطول النفس .

ولد عبد الخالق الطريس في 16 جمادى الأولى 1328 (26 ماي 1910) ونشأ في بيت ارستقراطي توارث ظهائر خدمة المخزن ، فقد كان أبوه أحمد لفترة قائدا على تطوان . وجده محمد أمينا للمستفاد بالدار البيضاء ثم باشا بها، ثم منذ 1883 إلى 1908 نائبا للسلطان بطنجة يباشر العلاقات الخارجية للدولة ، في البداية كمساعد للنائب بركاش ثم متوليا الأمر مباشرة ، وذلك في عهد كل من مولاي الحسن وابنه عبد العزيز الذي بقي النائب الطريس على ولائه له ، متخلفا عن بيعة تطوان لشقيقه مولاي عبد الحفيظ . وبقي الحفيد عبد الخالق راعيا للوشائج مع المولى عبد العزيز حتى سنة 1946 ، حيث سنجده موطدا من قبل مولاي الحسن بن المهدي

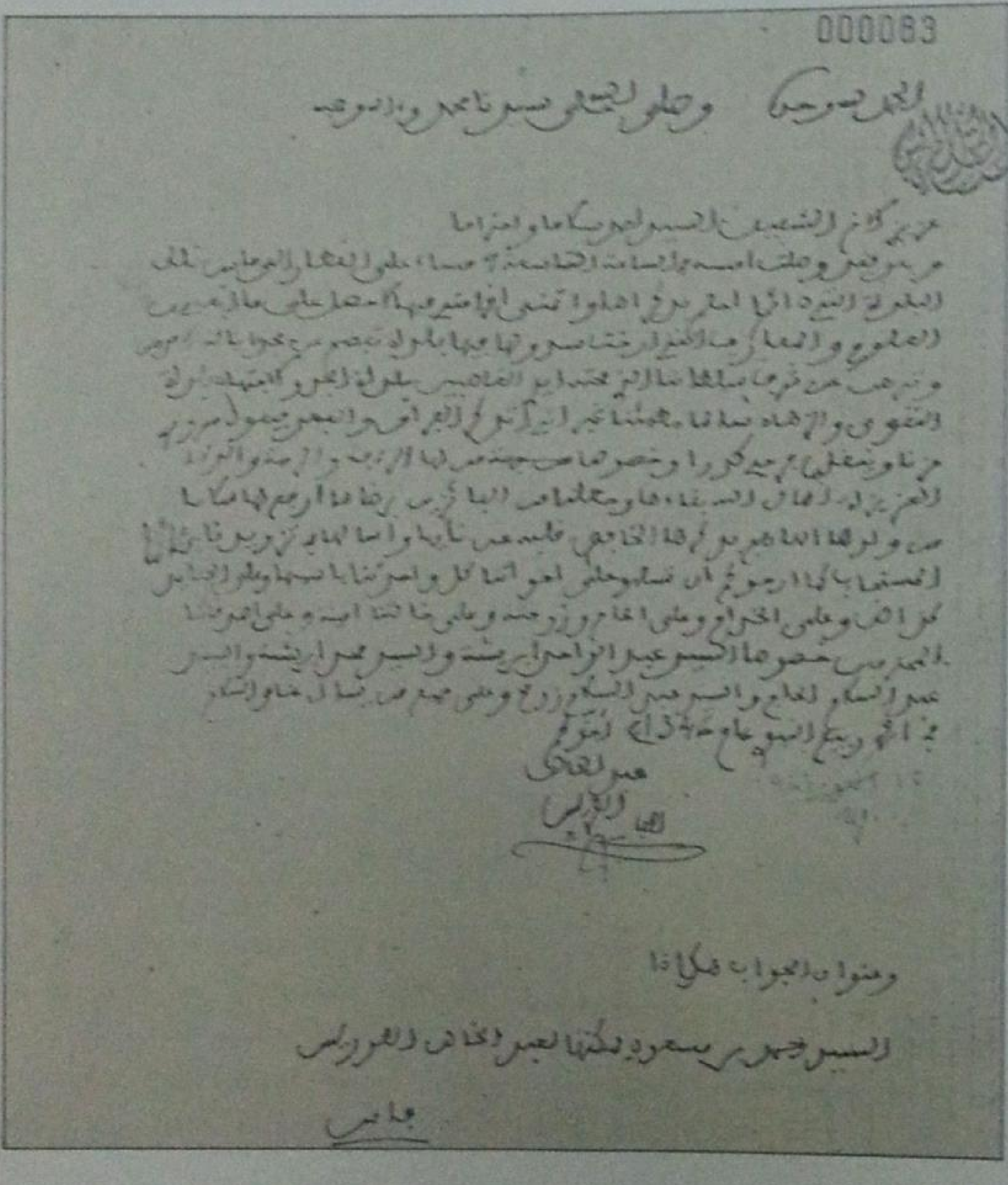
000083

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

رسالة خطية تحمل تاريخ 18 نونبر 1927 بعثها الطالب المجتهد إلى أخيه الحاج أحمد الطريس .
(وثائق بن عبود حكيم) .

الضياء

القاهرة في يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٥٠ — ٢٩ يونيه سنة ١٩٣١

مراكش

اسبانيا الجمهورية ومطالب الريفيين

تطوان في ١٢ يونيو سنة ١٩٣١ لمراسل « الضياء » الخاص

الطالب الطريس يكتب على أعمدة صحافة القاهرة لعرض المطالب المغربية .
(« الضياء » — 29 يونيه 1931 . وثائق بن عزوز حكيم) .

الخليفة على تطوان ، لدى المولى عبد العزيز المستقر بطنجة حتى مماته ، وذلك لمفاتحته في شأن زواج الخليفة من ابنته للافاطمة الزهراء (الفقيه الرهوني ، الأنيس عدد 1 يونيو 1949) . ويصف لنا فرناندو آمور (عالم نباتي اسباني زار تطوان في النصف الأول من القرن 19) يصف لنا الحاج محمد الطريس هذا بأنه على ثقافة عالية ، يعيش عيشة أوروبية وربما يكون المغربي الوحيد الذي يكتب قليلا بالاسبانية ويضيف أن له ثروة عظيمة ورثها عن أبيه باشا الصويرة . تجول كثيرا وهو ينفق كما لو كان أميرا (ترجمة مدينة في الحرية 12 أكتوبر 1946) .

حينما ولد عبد الخالق أقام والده حفلات دامت أسبوعا وبقيت أصداؤها حديث المجالس .

ومثل جميع أطفال عصره ، ألحق عبد الخالق بـ « المسيد » لتلقي مبادئ الكتابة والقراءة ولحفظ القرآن . ثم انتقل إلى مدرسة عصرية رسمية ، ولكن ما إن فتحت المدرسة الأهلية في

الطالب الطريس كان من بين مؤسسي جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين . باريس .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

20 دسمبر 1924 حتى كان في طليعة أول فوج فيها . وهي مدرسة حرة أنشئت للتلقين بطرق عصرية تولى إدارتها الأستاذ **محمد داود** . بعد سنتين توجه عبد الخالق الطريس وجمع من رفاقه إلى فاس للالتحاق بالقرويين ، ولكنه يضيق بطرق التدريس التقليدية ، فيحزم أمره بعد شهور وينتقل إلى القاهرة حيث التحق بالجامعة المصرية . وهناك يحتك بطه حسين وأحمد أمين وأمين الخولي ، وفي نفس الوقت يسجل عبد الخالق

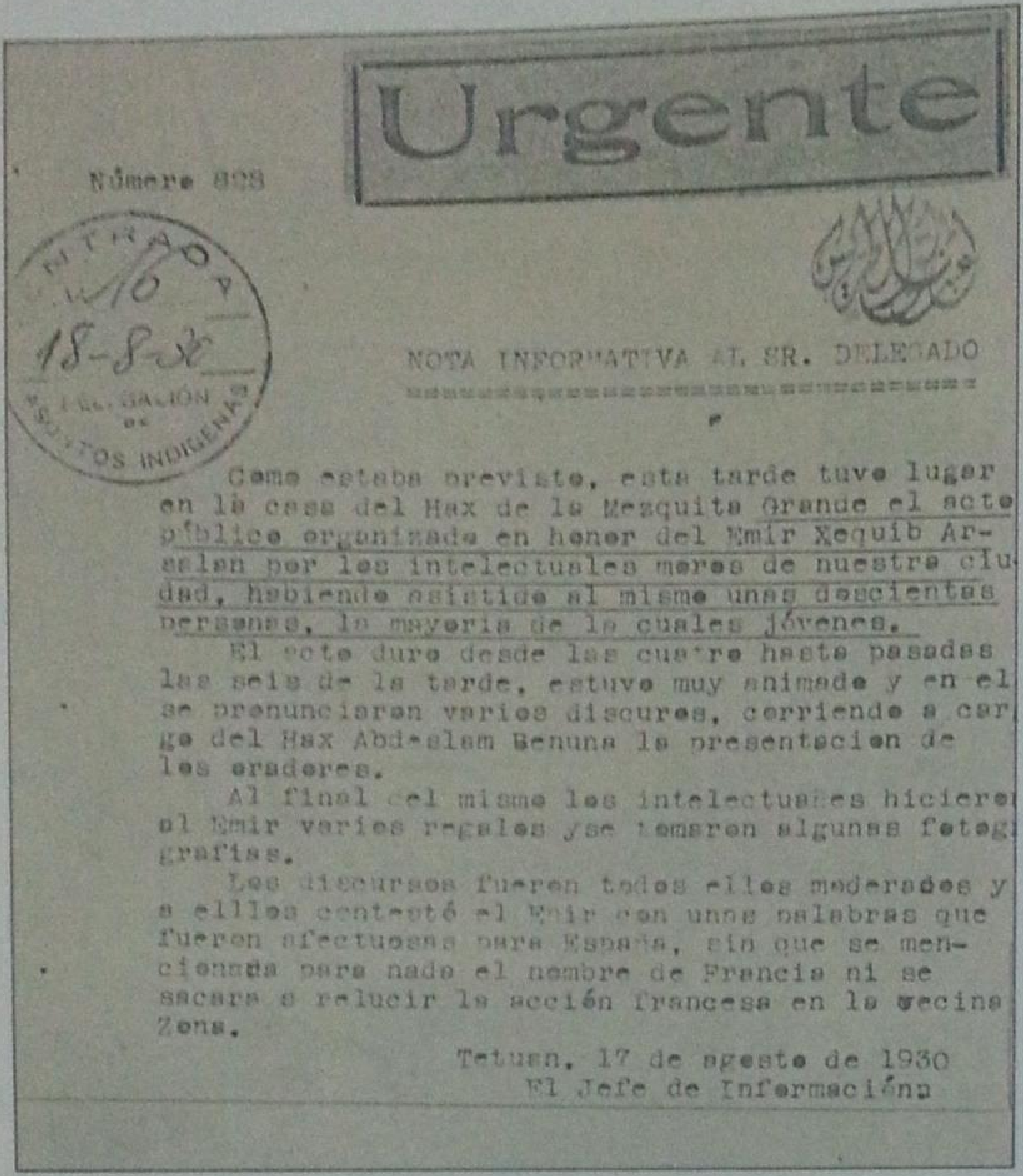
Urgente

Número 898

ENTRADA
18-8-30
DELEGACIÓN DE ASUNTOS INDIGENAS

NOTA INFORMATIVA AL SR. DELEGADO

Como estaba previsto, esta tarde tuvo lugar en la casa del Hax de la Mezquita Grande el acto público organizado en honor del Emir Xequib Arsalan por los intelectuales moros de nuestra ciudad, habiendo asistido al mismo unos doscientas personas, la mayoria de la cuales jóvenes.

El acto duro desde las cuatro hasta pasadas las seis de la tarde, estuvo muy animado y en el se pronunciaron varios discursos, corriendo a cargo del Hax Abdeslam Benuna la presentacion de los oradores.

Al final del mismo los intelectuales hicieron al Emir varios regalos y se tomaron algunas fotografias.

Los discursos fueron todos ellos moderados y a ellos contestó el Emir con unas palabras que fueron afectuosas para España, sin que se mencionara para nada el nombre de Francia ni se sacara a relucir la acción francesa en la vecina Zona.

Tetuan, 17 de agosto de 1930
El Jefe de Información

حسب السلطات الاسبانية ، حوالي مائتي مواطن كانوا في استقبال شكيب أرسلان لدى وصوله إلى تطوان في 27 غشت 1930 .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

نفسه بمعهد اللغات (4 ابريل 1931) . وفي نفس السنة يتوجه إلى باريس للتسجيل بمدرسة اللغات (1 نونبر 1931) .

وإذا كانت حياة الطريس الدراسية غير متميزة بالاستقرار ، فليس لأسباب مزاجية فحسب ، بل إنه مثل باقي أفراد جيله ، كانت المهام العمومية تستعجله . وفي القاهرة بالذات التي كانت تعيش عنفوان حركة سياسية وثقافية جد نشيطة ، يدرك الشاب عبد الخالق أن دوره ليس فقط هو التحصيل كطالب ، فينشر مقالات للتعريف بأوضاع بلاده في صحف مصرية مثل مقاله عن سياسة المقيم خوردانا في « الشورى » لمحمد علي طاهر (31 دسمبر 1930) وهو أول مقال ينشر له . ثم نشر مقالات في « المساء » (25 يناير 1931) لفضح سرقة الاستعمار لأراضي الفلاحين المغاربة ، و « المغرب بين المستعمرين » (17 ماي 1931) . وفي القاهرة يعمل على تأسيس جمعية للدفاع عن القضية المغربية مع رفاقه المغاربة هناك . وفي باريس يضم جهوده إلى مؤسسي **جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين** ، النواة الأولى للعمل الوحدوي على صعيد المغرب العربي ، ونراه يشارك في المؤتمر الثاني للجمعية بالجزائر سنة 1932 .

وفي عطلة الصيف حين كان عبد الخالق يعود إلى مسقط رأسه ، كان يدعى للقيام بأدوار ، ليست من الصنف الثاني ، بل كانت التطورات تدفعه إلى احتلال المقدمة في بلورة المبادرات التي كانت المراسلات تتوالى بشأنها فيما بين تطوان والقاهرة وباريس . ويلمع الطريس في صيف 1930 بمناسبة زيارة **شكيب أرسلان** إلى تطوان (14 غشت 1930) حيث ألقى خطابا بالمناسبة كان أول خطاب له في العموم وتدشينا لموهبة مارسها بتألق حيث كانت خطبه بالغة التأثير بلفظها وقوة شخصية صاحبها . وكان لقاء الوطنيين المغاربة بشكيب أرسلان فرصة سانحة للتشهير بسياسة فرنسا وتأليب الرأي العام العربي والاسلامي عليها خاصة بسبب الظهير البربري الذي كشف أمره في صيف ذلك العام .

علاقات قلقة مع الجمهورية

لكن صيف 1931 هو الذي سيشهد ميلاد زعامة عبد الخالق الطريس لجماعة الشمال . ويقترن الأمر بحدوث **انقلاب هام في اسبانيا** التي باتت ملكية في 14 أبريل 1931 فأصبحت على إثر ظهور نتائج الانتخابات البلدية جمهورية بعد فوز المعارضة مما أدى إلى تنازل ألفونسو الثالث عشر عن عرش اسبانيا . وكان من شأن الحادث أن تكون له انعكاسات على وضع المغرب نظرا لأن بعض فئات المعارضة في اسبانيا كانت تنادي بالتخلي عن المغرب (هناك ملتمس صريح بهذا المعنى في مؤتمر PSOE سنة 1928) .

وانشغل الشبان الوطنيون بهذا الحادث وانعكاساته أيما انشغال . فهناك رسالة من علال

الفاسي إلى عبد السلام بنونة بتاريخ 16 أبريل 1931 يعبر فيها عن اعتقاده بأن الجلاء مستبعد الوقوع وأن الظروف الجديدة يجب أن تستغل لما فيه الفائدة . بينما رسالة الطريس في 5 ماي تدعو إلى تشاور « **جميع مفكري المغرب ورجالاته للخروج بموقف قوي في حالة وقوع الانسحاب الاسباني** » .

وحينما وقع تقديم عريضة وطنيي تطوان إلى الجمهورية الاسبانية وهي أول عريضة سياسية للوطنيين المغاربة تدفع إلى الدولة الحامية ، كان للطريس رأي انتقادي في أسلوب تلك العريضة حيث لم ير من المناسب تأكيد « التمسك بالحماية » (هكذا باللفظ) وإنما يقتصر على إعطاء تطمينات عن الميل إلى المهادنة والتعامل ، كما كان يدعو إلى ذلك شكيب أرسلان وكتلة الجنوب التي أوفدت بلافريج للتباحث في شأن عريضة المطالب التي قدمت في مدريد بتاريخ 8 يونيو 1931 . وحينما أتى الطريس إلى تطوان في الصيف ، قاد المفاوضات مع المقيم ريكو ايبو حول التعجيل بتكوين المجالس البلدية .

لقد فتح التحول الجمهوري في اسبانيا بابا جديدا في التعامل بين الوطنيين المغاربة والادارة الاسبانية . ولم تطمح **كتلة العمل الوطني** في الجنوب والشمال إلى أكثر من الاستفادة من الجو الانفراجي وصولا إلى تكثيف العمل الثقافي وتحسين ممارسة الحريات السياسية وتوسيع قاعدة الوعي . وفي هذا الاطار تم في 24 سبتمبر 1931 تكوين مجلس بلدي في تطوان بالانتخاب . وكان فيه للوطنيين الأغلبية . وأمكن من جهة أخرى تنمية العلاقات السياسية والثقافية مع المشرق كالاشتراك في المؤتمر الاسلامي بالقدس (ديسمبر 1931) والمضي في العمل التنظيمي **للكتلة الوطنية** وهذا هو اسم الكتلة في الشمال ، التي اتخذت لها على سبيل الاحتياط رغم الجو الودي تنظيما علنيا وآخر سريا .

وفي 1932 استقر الطريس نهائيا بتطوان بدعوة من الكتلة التي باتت في حاجة إلى زعيم قادر بقوة شخصيته على التوحيد ، وقادر بإقدامه على تسيير دفة التعامل مع الادارة المجبولة على الالتواء والتردد . وإلى جانب عضوية الطريس في قيادة الكتلة ، أنشأ تنظيما خاصا كان قوامه الشباب هو « **جمعية الطالب المغربية** » التي تأسست في 23 مارس 1932 .

وفي 30 يونيو 1932 تقدم الطريس بطلب إنشاء جريدة باسم « **الحرية** » فلم يؤذن له . ثم عاود الكرة في 14 سبتمبر 1932 بطلب رخصة لانشاء جريدة باسم « **الفجر** » بغير نتيجة أيضا . وبدلا من الوفاء بالوعود من قبل الأصدقاء بمدريد ، وقع حل المجلس البلدي لتطوان . فقاد الطريس مظاهرة شعبية للاحتجاج على ذلك وانتهى الأمر بتغيير المقيم العام لويس فرير .

وفي حظيرة الكتلة نفسها احتل الطريس مقاما بارزا هو كاتب التنظيم وذلك في أوائل 1933 (انظر المحاضر في وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب « الجزء الأول ») ثم من 20 نونبر 1933 إلى 31 يناير 1936 أصبح يتولى رئاسة الكتلة ويتولى التفاوض مع الادارة الحامية في كل من تطوان ومدريد .

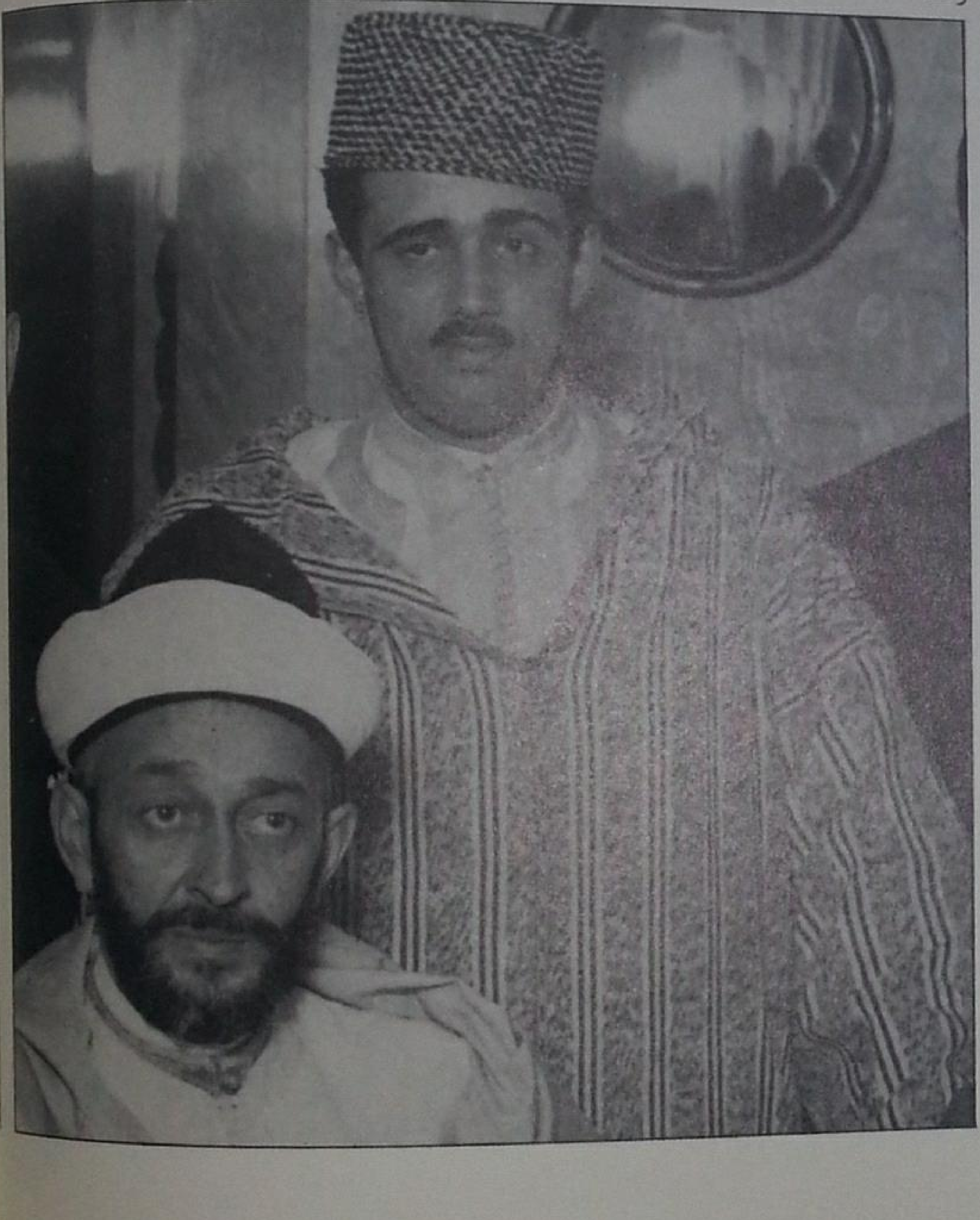

الطريس مع عبد السلام بنونة ، أحد الوجوه البارزة للحركة الوطنية المغربية .

أحرز الوطنيون على الأغلبية داخل المجلس البلدي المنتخب يوم 24 شتنبر 1931 .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

مخطوط القانون الأساسي لجمعية الطالب المغربية التي أسسها الطريس بتاريخ 23 مارس 1932 .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

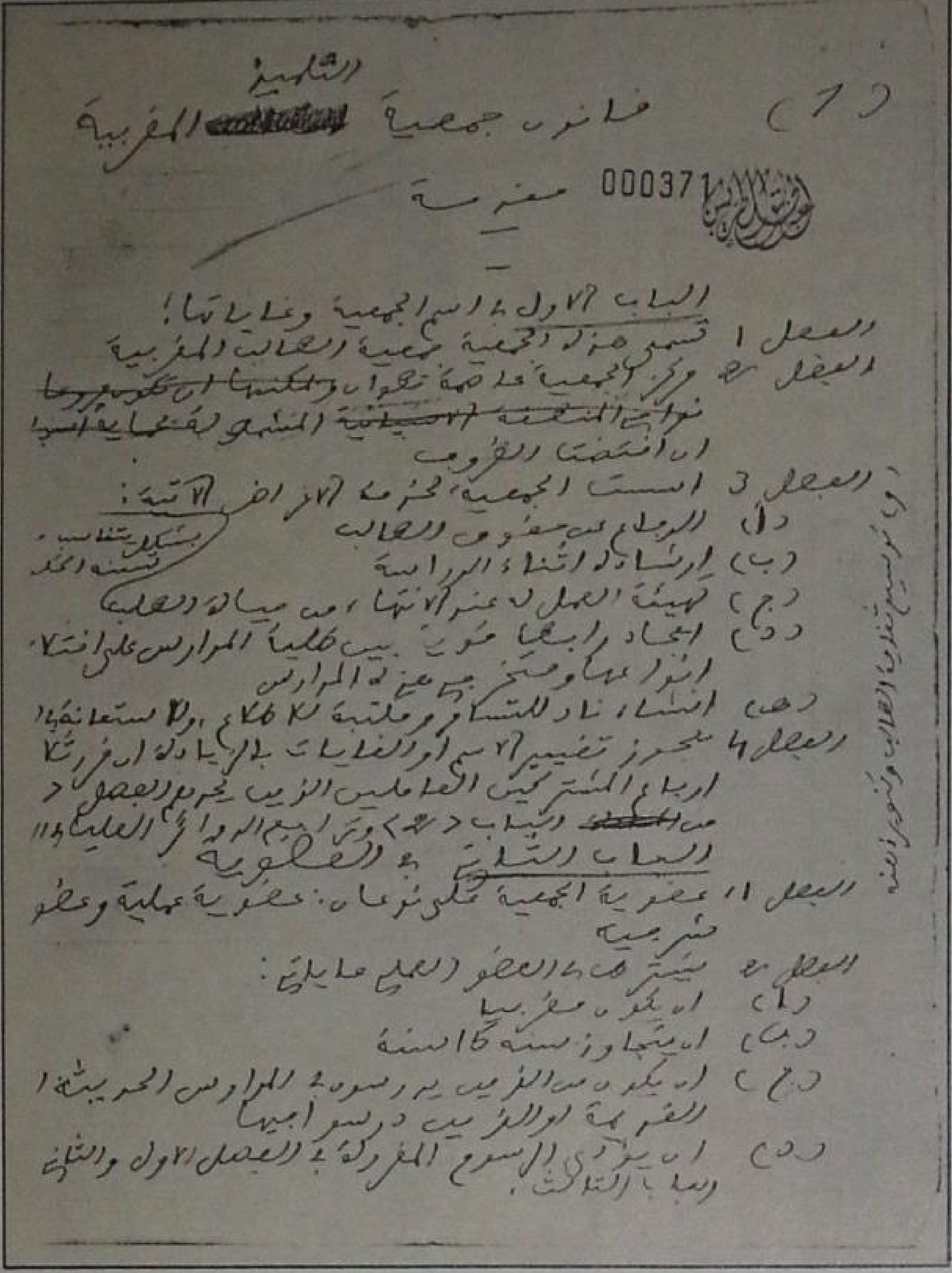

(1)

التلاميذ

قانون جمعية [illegible] المغربية

000371 [illegible]

الباب الاول في اسم الجمعية وغاياتها

الفصل 1 تسمى هذه الجمعية جمعية الطالب المغربية

الفصل 2 مركز الجمعية عاصمة تطوان [illegible]

ان اقتضت الظروف

الفصل 3 اسست الجمعية لخدمة الاغراض الآتية:

(أ) الدفاع عن حقوق الطالب

(ب) ارشاده اثناء الدراسة

(ج) تهيئة العمل له عند انتهائه من حياة الطلب

(د) ايجاد رابطة قوية بين تلامذة المدارس على اختلاف انواعها [illegible] المدارس

(هـ) انشاء نادي للتسامر ومكتبة للاطلاع [illegible]

الفصل 4 يجوز تغيير الاسم او الغايات بالزيادة او النقص [illegible]

الباب الثاني في العضوية

الفصل 11 عضوية الجمعية على نوعين: عضوية عملية وعضوية شرفية

الفصل 12 يشترط في العضو العملي ما يأتي:

(أ) ان يكون مغربيا

(ب) ان يتجاوز سنه [illegible] سنة

(ج) ان يكون من الذين يدرسون في المدارس الحديثة او القديمة او الذين درسوا فيها

(د) ان يؤدي الاشتراك المقرر في الفصل الاول والثاني من الباب الثالث

اعضاء المجلس البلدى بتطوان المنتخب انتخابا حرا فى سبتمبر 1931

الجالسون من اليمين : محمد المؤذن (المحتسب) — خوسى البيرولا — ادريس الريفى (الباشا) — القنصل الاسبانى (المراقب) — الحاج عبد السلام بنونة (خليفة الرئيس) — اكوستين بوير

الواقفون فى الوسط : مصطفى الريسونى — مصطفى انيلال — عبد السلام اجزول — عبد السلام حجاج — ادولفو بابلوس — محمد طنانة — منويل سنيودو —

الصف الثالث : بدرو سوبياس — فرنادو الكراس — سلبادرو بوساطى — انطونيو برينطوس — محمد داود — مهندس البلدية — الدكتور طرايا (طبيب المجلس) —

أحد اللقاءات التي كانت تنظمها جمعية الطالب المغربية .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

المقيم العام لويس فيري
(وثائق من خوان حكيم)

وفي مقابل خطط الطريس ورفاقه بشأن بلوغ أهداف محددة في ميادين بعينها في انتظار إنضاج الظروف لاقتحام المسألة السياسية في جوهرها ، كانت الادارة – رغم الجو الودي الناشئ بعد قيام الجمهورية حيث أصبح كثير من أصدقاء الحركة المغربية في موقع القرار – ترخي الحبل إلى حد مرسوم وتعمل بحذر على ألا يقع تجاوزه . فقد وقع الترخيص بإصدار جريدة « الحياة » في 1 مارس 1934 ولكن رغم المهادنة والاحتياط في التعبير تتعرض الجريدة إلى غرامات ومضايقات مما أدى إلى إقفالها بعد 77 عددا بسبب ثقل الغرامات . وفي جو الوداد والانفراج تقرأ اعلانا في « الحياة » عن كتاب « غزوات العرب » لشكيب أرسلان ، وكان الاعلان مزيجا من الغرابة والسخرية ففي عدد 27 أكتوبر 1934 تقول الجريدة لقرائها عن هذا الكتاب « اقرأوه قبل أن يقع منعه » .

وكان مبيتا من قبل الادارة أن تشغل الحركة بنفسها من خلال بعض التدابير والاستفزازات ،

مخطوط جدول أعمال متعلق باجتماع عقدته الكتلة يوم 6 يناير 1936 .
(وثائق حزب الاستقلال)

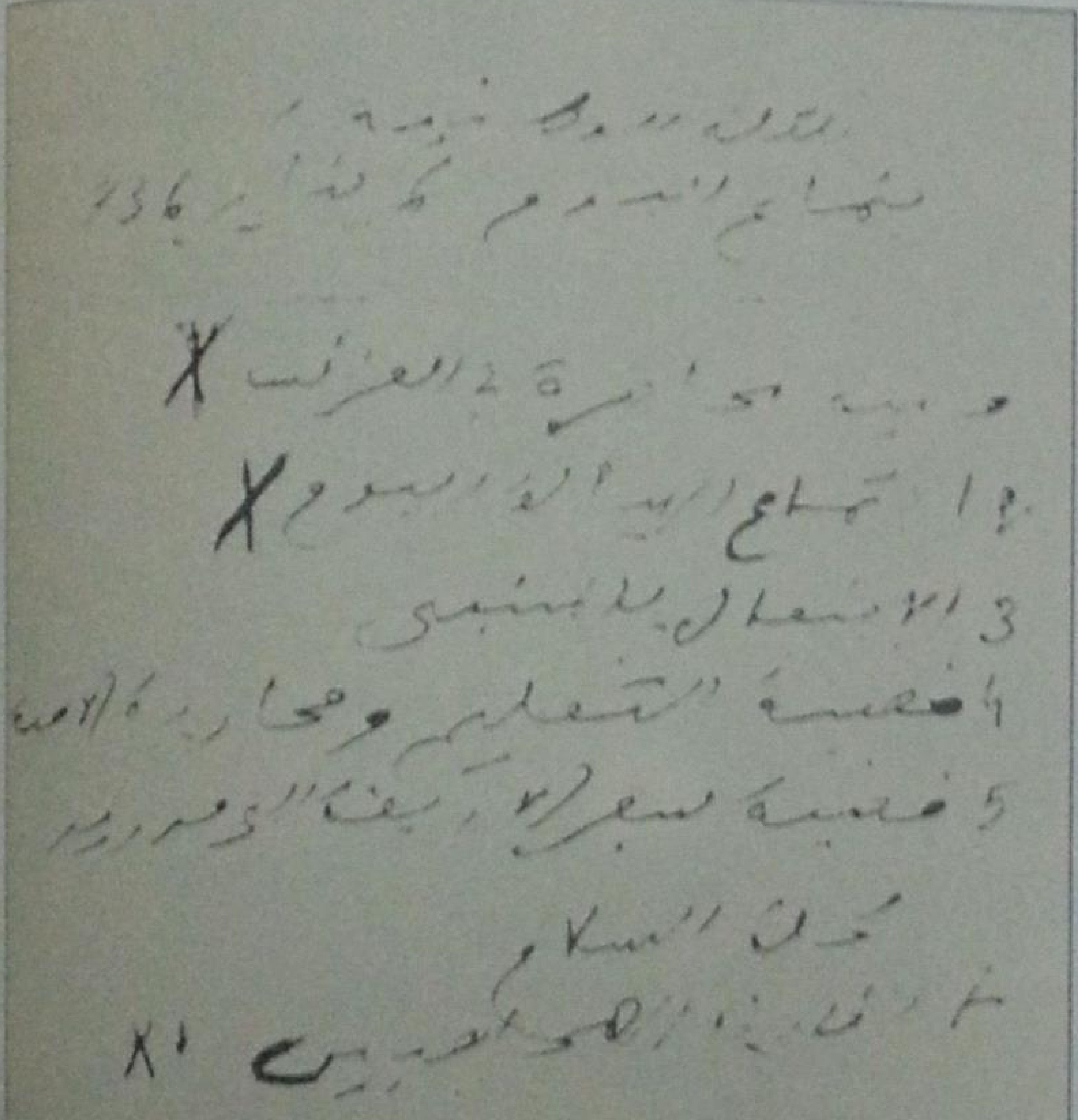

برنامج اجتماع للكتلة الوطنية برئاسة الاستاذ وفيه جميع النقط التي اعدها للاجتماع . وقد كان من عادته ان يستعد للاجتماعات بتهيء مثل هذه النقط . ومثل ذلك يصنع بعد الاجتماعات او بعد لقاءاته الساسية ويرى من بين نقط الاجتماع (٧ ـ نقابة الصحفيين) وقد كان الاستاذ نائبا للرئيس في هذه النقابة التي كانت تضم المغاربة والاسبان المحترفين للصحافة ويرأسها رفائل دي روضة وهو اسباني متحرر .

عبد الخالق الطريس

الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

من ضمير الى ضمير

العدد الأول للأسبوعية « الحياة » الصادر يوم فاتح مارس 1934
(وثائق بن عزوز حكيم)

لكي لا تتمكن من نشر عملها في البادية التي ظلت محظورة على العمل السياسي . ولعبت مسألة شركة الكهرباء من خلال الصعوبات العنيفة التي عرقلت مسيرها دورا في إنهاك الحركة حتى إنها آلت إلى فخ . ومن جراء المماطلة والالتواءات التي أبدتها الادارة في العهد الجمهوري عبرت مجلة « **مغرب** » التي كانت كتلة العمل الوطني تصدرها بباريس ، عن منتهى المرارة والتقزز من استمرار الروح الاستعمارية لدى الأصدقاء اليساريين ، فكتبت تقول في سبتمبر 1933 : **« لقد بدأ المغاربة في المنطقة الاسبانية يأسفون على أيام الملكية المائلة . لقد كان العسكريون في ذلك العهد يتحلون بالشهامة ، أما يسوعيو اليوم المتنكرون وعلى رأسهم موليس فليسوا قادرين على المبادرة »** .

باتفاق مع الكتلة في الشمال والجنوب معا تقرر الاقدام على خطوة محدودة وهي أن يتولى الأستاذ الطريس **مديرية الأوقاف** لانقاذ هذا المرفق من تدخل الادارة ولترشيد استعمال مداخله في الغايات النافعة ، وفي الحفل التكريمي الذي أقيم بالمناسبة ألقى الأستاذ الطريس خطابا عبر فيه عن قلقه من جراء البلبلة التي قد تؤدي إليها تلك الخطوة ، ونبه الشعب إلى التمعن في أبعادها ثم قال بصريح العبارة أمام الملأ المحتفى به : **« وقد لا أتأخر عن الانسحاب كلية عن الأعمال العامة التي أعتقد أني منغمس فيها إخلاصا للبلاد »** (الحياة 30 نونبر 1934) .

ولم يطل الأمر كثيرا ففي 2 سبتمبر 1935 قدم الأستاذ استقالته احتجاجا على مصادرة امتعة « الحياة » . ودخلت العلاقات مع الادارة في توتر استمر حتى قيام انقلاب فرانكو . وفيما عدا محاولة الأستاذ لاصدار جريدة باسم « **الأيام** » ثم أخرى باسم « **الأطلس** » . كان أبرز ما عرفته الكتلة في هذه الفترة هو فتح « **المعهد الحر** » أول مؤسسة حرة في التعليم الثانوي في المغرب ، واجتماع عقدته الكتلة بحضور مندوب من كتلة الجنوب هو الأستاذ محمد اليزيدي (في 26 سبتمبر 1935) لدراسة الوضع الدولي وانعكاساته على المغرب خاصة من خلال ما تعرفه فرنسا واسبانيا من ارهاصات . وتقرر في هذا الاجتماع أن يطرح على كتلة الجنوب التصور التالي :

1 – ضرورة استغلال الموقف الدولي .

2 – مدى استعداد المنطقة السلطانية من الناحية المالية والحربية .

3 – الاتصال بالخارج لدى الهيئات والحكومات في أوروبا .

4 – تضامن مجموع الشمال الافريقي ضد فرنسا .

5 – تنظم في الشمال مقاومة مسلحة تتسرب إلى الجنوب .

لقد بدأ العهد الجمهوري بالنسبة للوطنيين المغاربة بالمظاهرة العمالية الأولى من نوعها في المغرب ، فجوبهت بقمع دموي في فاتح ماي 1931 . وكان إغلاق « الحياة » إيذانا بانتهاء الصداقة مع اليسار الذي خيب الرجاء . وفي غمرة ذلك ، كان التحول الذي وقع هو استلام الشباب لمقاليد القيادة . وقد سبق للأستاذ أن

محمد اليزيدي مندوب « الكتلة » في الجنوب .
(وثائق بن عزوز حكيم)

مظاهرة معادية للسياسة الفرنسية في المغرب، تطوان 1934 .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

كتب في مجال رثاء أحد شيوخ الوطنية المرحوم بوهلال : « للشيوخ فضلهم وللشباب دورهم » .

انقلاب 1936

حينا وقع **انقلاب فرانكو** ، كان الوطنيون منطوين على مرارة من المعاملة التي لقوها من الجمهورية وكما لم يعتبر الحادث فقط أمرا داخليا اسبانيا على الساحة الدولية ، فبالنسبة للوطنيين المغاربة كذلك نظروا إلى الأمر باعتبار الانعكاسات التي قد تقع على القضية المغربية . وتوجه وفد من كتلة العمل الوطني إلى مدريد لمخاطبة حكومة الجمهورية في شأن تحالف شمولي قوامه عرقلة الوطنيين المغاربة لانقلاب فرانكو في مقابل الاعتراف بالحقوق الديمقراطية للمغاربة وصيانة الكيان الدولي الموحد للمغرب . لكن محادثات مدريد فشلت وتوجه مبعوثا الكتلة (الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد بن الحسن الوزاني) إلى برشلونة للاستنجاد بالأصدقاء الكاتالونيين لكن بغير نتيجة . أما الطريس وصحبه فكانوا في تطوان ، القاعدة التي انطلق منها الانقلاب . وفي ما نشر وذاع أن الطريس « رهن الاعتقال عند الفاشست » كان الكولونيل بيغبيدير في تطوان يخاطب الوطنيين بما يلي : « إن انقلاب فرانكو سينجح . ويجب ألا يعرقله المغاربة ، وفي ساعة النصر سيقتطف المغاربة معنا أينع الورود ، ومن الآن سيلمس الوطنيون أن هناك معاملة مغايرة : السماح بحرية الحركة . التوسع في التعليم . تكثيف العلاقة مع الشرق » . ووقع الاتصال مع التهامي الوزاني الذي سمح له فورا بإصدار جريدة مستقلة باسم « **الريف** » دون أن يودع الضمانة المعلومة . وصدر العدد الأول منها في 27 غشت 1936 . وجاء في الافتتاحية وهي متعلقة بانقلاب 18 يوليو « الذي هو حدث خارجي ليس لأجنبي أن يتدخل فيه » قولها : « في السياسة الداخلية ستكون « الريف » مغربية قحة لاتقبل هوادة ولا مرارة . أما في السياسة الخارجية وبالأخص فيما يتعلق بالأمم المتصلة بالمغرب فسوف تلبس لكل حالة لبوسها وسوف تدور مع المصلحة الحقيقية للمغرب غير

حرب إسبانيا – مدريد في غشت 1936 ودخول فرانكو إلى بوركوس .
(Illustration ، 15 و 29 غشت 1936) .

مبالية بالنزعات والنزغات » . وقصد اختبار النوايا كتب الطريس مقالا في العدد الثاني من « الريف » بعنوان « لتحيى الوطنية » وفي عددي 7 سبتمبر 1936 و 17 سبتمبر 1936 كتب الطريس مقالا بعنوان « موقف الوطنيين الدائم » يشرح فيه أن « هدف الحركة الوطنية المغربية في جميع المناطق هو تهيئة البلاد لنيل الحرية والاستقلال ، وأن اسبانيا موجودة في المغرب بهدف حماية شاطئها ، أما المشكل الحقيقي فهو مع فرنسا التي لها غرض استيطاني . وحتى في ظل الجبهة الشعبية (بفرنسا) لا أمل في تغيير السياسة الاستعمارية ، وأن العدو الحقيقي للأمة المغربية هو

عبد الخالق الطريس زعيم حزب الاصلاح الوطني يتحدث مع صحفي إسباني . 1936 .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

فرنسا . أما اسبانيا فإن علينا أن تدرك أن مصلحتها هي في صداقة المغاربة . ولا زلنا مستعدين للتعاون إن اقتضت الأحوال تعاوننا وللمعارضة إن حتمت علينا . وقد أقمنا الدليل على أننا كما لانتهور ونسرع للاساءة ، لا نجبن أمام أي خطر في سبيل حقنا ومصلحتنا » .

لاسترضاء الطريس وصحبه بادرت الادارة بتفويت بناية ينتقل إليها المعهد الحر (في سبتمبر 1936) ثم بناية للمدرسة الأهلية . ورخصت بتنظيم مؤتمر جمعية طلبة شمال افريقيا بتطوان بعد أن منعته إدارة الرباط (المقيم آنذاك بيروتون) كما تم الاسراع بالترخيص بإقامة حزب الاصلاح الوطني (7 ديسمبر 1936) وفتح بيغبيدير أمواج الاذاعة لقادة الوطنية المغربية . ولكن بدأ التفكك ، حيث ظهر أن الشيخ **محمد المكي الناصري** يتحرك باستقلال ، الأمر الذي سيتبلور فيما بعد بشكل أكثر وضوحا ، حيث أنشأ الناصري حزبا خاصا هو **حزب الوحدة المغربية** وأنشأ صحيفة خاصة ومؤسسة تعليمية له هي معهد مولاي المهدي .

وفي مؤازرة هذه الترضيات التي انطلقت وفق مخطط مرسوم يحركه بيغبيدير الذي أصبح مقيما عاما ثم وزيرا للخارجية ، كان الانقلابيون الاسبان يقدمون على خطوة خطيرة في حربهم ضد النظام الجمهوري في مدريد ، وهي استخدامهم للجنود المغاربة في حربهم . ورغم الاحتجاج المبدئي من لدن السلطان والخليفة في بادئ الأمر ، فإن العملية استمرت بكثافة متعاظمة . وكان الانقلابيون في هذا الباب يسيرون على خطو النظام الجمهوري الذي سبق له أن استعان بالجنود المغاربة في قمع ثورة عمال المناجم في استورياس (أكتوبر 1934)

عبد الخالق الطريس بزي رئيس « الفتيان » ، منظمة مليشيا شبيبة حزب الاصلاح الوطني .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

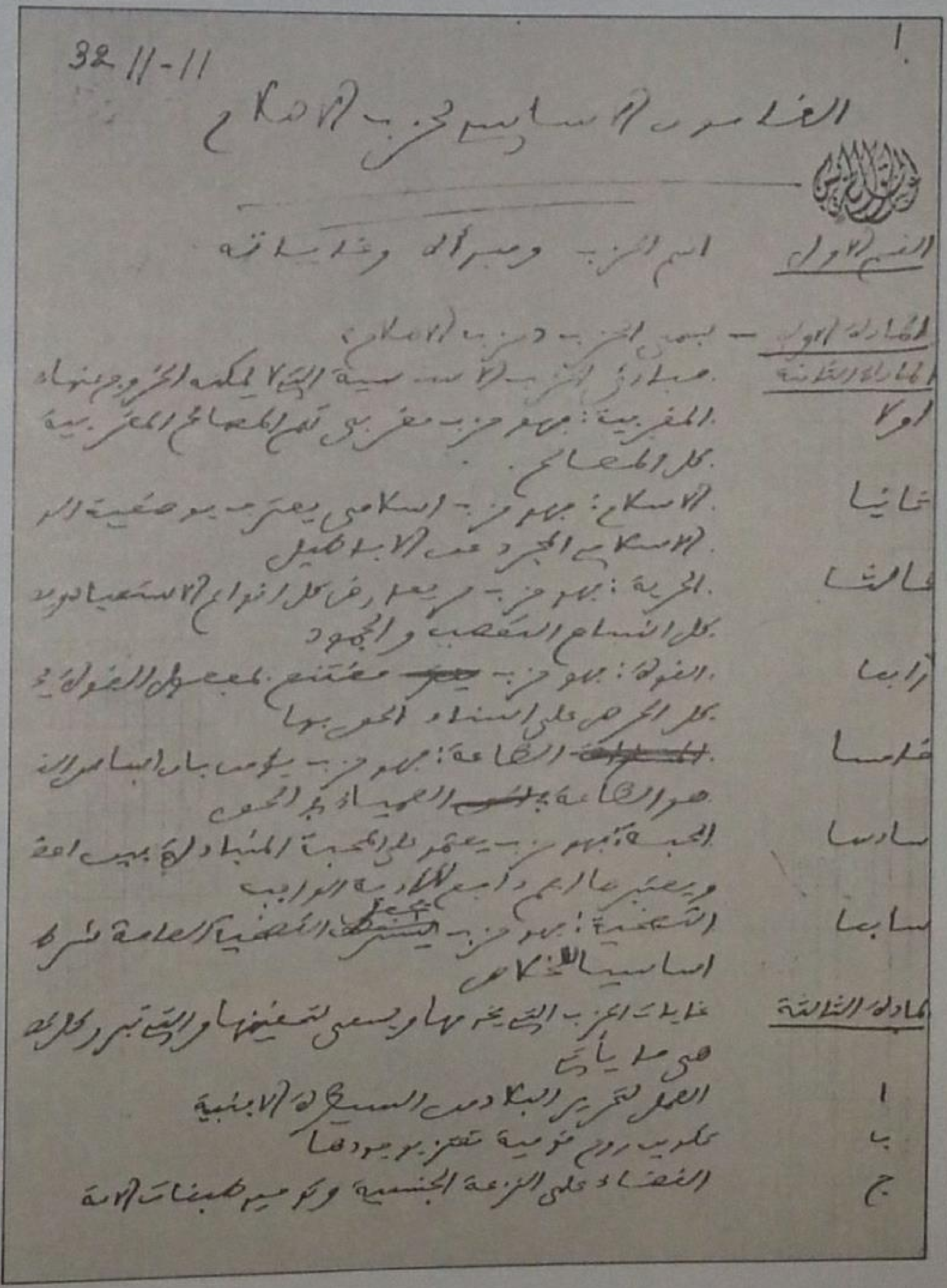

32-11-11　　1

القانون الأساسي لحزب الإصلاح

الفصل الأول　اسم الحزب ومبادئه وغاياته

المادة الأولى — يسمى الحزب حزب الإصلاح

المادة الثانية — مبادئ الحزب الأساسية ...

أولا — المغربية: بما أن حزب ... بكل المصالح

ثانيا — الاسلام: بما أن الحزب إسلامي يعترف بـ ... الإسلامي المجرد عن الأباطيل

ثالثا — الحرية: بما أن الحزب يعارض كل أنواع الاستعباد ... بكل التسامح التعصب والجمود

رابعا — القوة: بما أن الحزب مقتنع بمفعول القوة ... بكل الحرص على إنشاء المغرب قويا

خامسا — الطاعة: بما أن الحزب يؤمن بأن أساس ... هو الطاعة ...

سادسا — المحبة: بما أن الحزب يعتمد على المحبة ... ويعتبر ... الواجب

سابعا — الشخصية: بما أن الحزب يعتبر الشخصية الكاملة شرطا أساسيا للكمال

المادة الثالثة — غايات الحزب ... هي ما يأتي

ا — العمل لتحرير البلاد من السيطرة الأجنبية

ب — تكوين روح قومية تعتز بوجودها

ج — القضاء على النزعة الجنسية وتكوين طبقات الأمة

مخطوط القانون الأساسي لحزب الاصلاح الوطني الذي أحرز على ترخيص السلطات الاسبانية بتاريخ 7 دجنبر 1936 .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

عبد الخالق الطريس

راية حزب الاصلاح الوطني .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

وفي 24 ديسمبر 1936 أعلن بيان حزب الاصلاح الوطني أن الطريس قابل الخليفة الذي أخبره بعزمه على إسناده وزارة الأحباس ، أي الدخول في تجربة جديدة للتعاون مع الادارة ويشمل هذا التعاون تعيين الأستاذ محمد داود مفتشا عاما للمعارف المغربية الاسلامية وتكليفه برحلة إلى مصر لاقتباس النظم التعليمية . لكن ما ان عاد محمد داود من مصر حيث قابل مصطفى النحاس ، حتى كان الطريس يستقيل من الوزارة وأعلن ذلك في بيان اللجنة التنفيذية لحزب الاصلاح الوطني (27 مارس 1937) . ويوضح الطريس فيما بعد (الحرية 12 يوليوز 1937) أن قبوله للوزارة كان على أساس ثلاثة شروط : استقلال الأحباس – عدم المعارضة في حزب الاصلاح – الاهتمام بالتعليم . وبعودته إلى التفرغ للحزب يعمل الطريس على تطوير تنظيم مواز أطلق عليه « **الفتيان** » وهو ميليشيا تتركب من فرق ذات نظام شبه عسكري . وتمت مراسلات – عقبتها زيارة حافلة – مع حزب مصر الفتاة ، كما عمل على توسيع القاعدة التنظيمية للحزب في الفروع . وقد جعل الطريس للحزب هتافا رسميا هو « الله أكبر والمجد والسمو للمغرب » وجعل لحزبه لباسا رسميا هو الأبيض والأسود وراية خاصة هي (الأبيض والأسود) علم الموحدين ، وكان هو نفسه معجبا بالمهدي بن تومرت وكثير من مقالاته وقعها بإمضاء « المهدي » واسمه السري في الكتلة كان هو « المهدي » . وقد ركز الأستاذ الحملة على فرنسا بقوة وأخذ يوالي الضغط على اسبانيا في مجال السياسة التعليمية وممارسة الحريات ، ولكن مع التزام الحذر في

لائحة جديدة للمطالب تم تقديمها للسلطات الاسبانية يوم 12 دجنبر 1936 .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

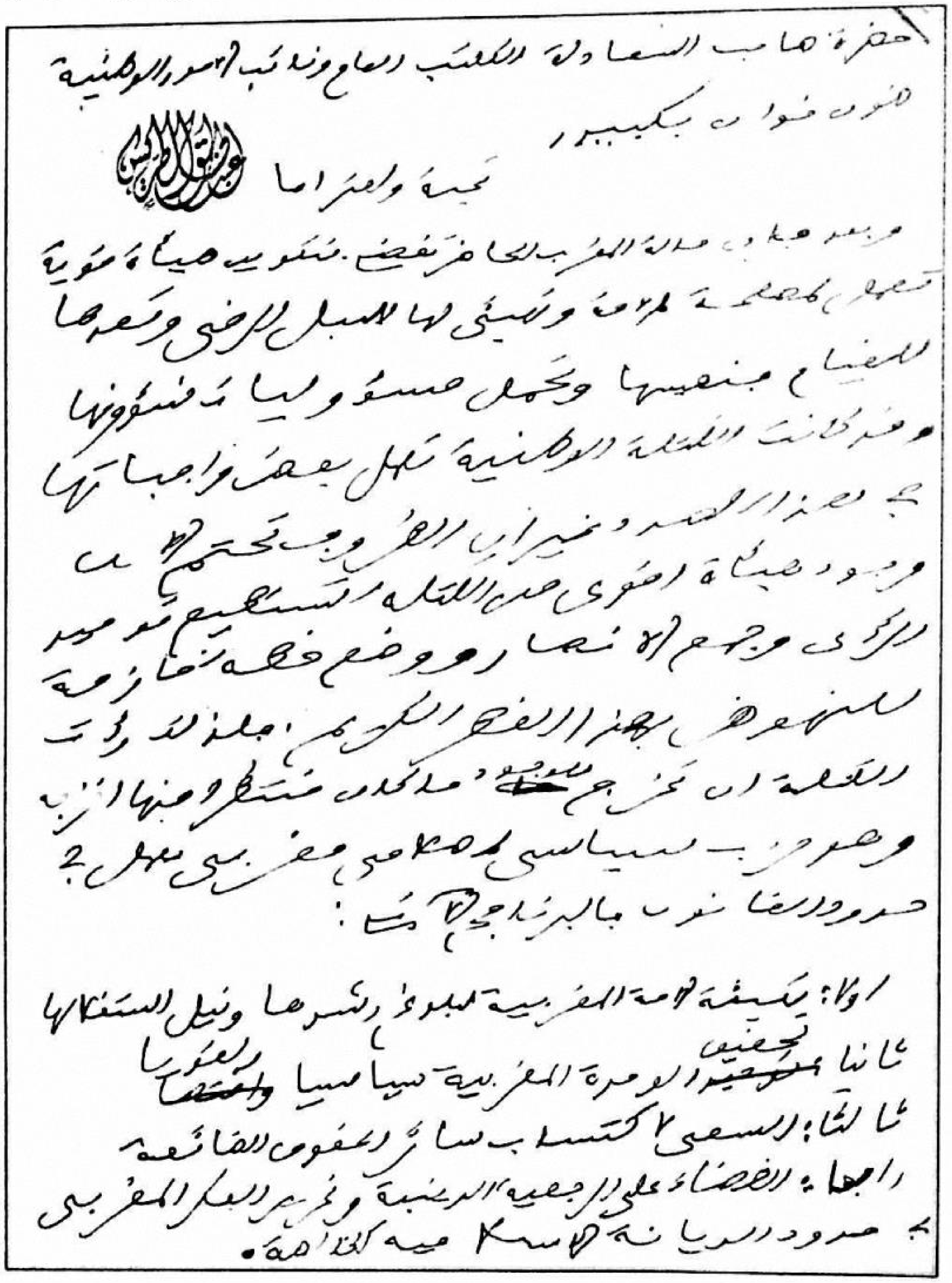

حضرة صاحب السعادة الكاتب العام ونائب الامور الوطنية
الكولونيل دون خوان بكبيدر

تحية واحتراما

وبعد فمنذ حالة المغرب الحاضرة تقتضي تكوين هيئة قوية
تعمل لمصلحة الامة وتنير لها السبيل الرضي وتعرفها
المنافع منفعتها وتحمل مسؤولية شؤونها
وقد كانت الكتلة الوطنية تقوم ببعض واجباتها
في هذا الصدد ونظرا لتطور الحالة ومع تحتم [illegible]
وجود هيئة اقوى من الكتلة تستطيع توحيد
الرأي وجمع الكلمة ووضع خطة تامة
للنهوض بهذا القطر الكريم فلذلك قررت
الكتلة ان تخرج من شكلها متشكلة منها الحزب
وهو حزب سياسي اصلاحي مغربي يعمل في
حدود القانون بالبرنامج الآتي :

اولا : تثقيف الامة المغربية لتبلغ رشدها وتنال استقلالها
ثانيا تحقيق الوحدة المغربية سياسيا ولغويا
ثالثا : السعي لاكتساب سائر الحقوق الضائعة
رابعا : القضاء على الرجعية الدينية وتحرير الفكر المغربي
في حدود الديانة الاسلامية [illegible]

السياسة العامة . فلدى إلحاق المنطقة الخليفية بالتراب الاسباني من لدن حكومة فرانكو احتجت « **الحرية** » الجريدة التي أنشأها الطريس في 14 مارس 1937 لتكون اللسان الرسمي لحزبه ، وأكدت أن « **المنطقة جزء من الامبراطورية الشريفة وهذا هو الحق القانوني** » . ووقع الاحتجاج كذلك على تكوين المجالس البلدية بالتعيين ، مع التذكير بأن الوطنيين طالبوا دائما بأن يقع تكوينها بالانتخاب (الحرية 9 ماي 1937) . وللابقاء على جو الحوار قدمت اللجنة التنفيذية للحزب عريضة مطالب جديدة إلى كل من الخليفة والمقيم . وأخذت تنظم حملة تضامن مع هذه العريضة في بعض مدن المنطقة ، مع اغتنام الفرصة لتنظيم تجمعات في البادية (الحوز ، بني يحمد ، الرحلة إلى مولاي عبد السلام) واستصدار أصداء من الريف .

وفي أكتوبر 1938 يقوم الطريس برحلة إلى مصر ، هي الأولى من نوعها لزعيم قيادي مغربي ، حيث يخطب في المؤتمر البرلماني العربي بالقاهرة وفي عدد من المحافل داعيا للقضية المغربية وبمحضره أسس 30 طالبا مغربيا في القاهرة **جمعية للطلبة المغاربة بمصر** . تألف المكتب من محمد العربي العلمي سكرتيرا والمهدي بنونة مساعدا وعبد الكريم غلاب أمينا للصندوق . وكأعضاء في المكتب : أحمد بن المليح ، العربي بناني ، محمد المسفيوي ، الوارثي .

ومع تأكيد الروابط مع الجنوب ووحدة القضية المغربية يعود الطريس إلى إثارة المطالب القائمة في خطبه وافتتاحياته . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بهذه العينة : ما بعد القول إلا العمل (الحرية 15 ديسمبر 1938) . تمويه هناك (في مدريد) وتباطؤ هنا (في تطوان) (الحرية 22 ديسمبر 1938) . متى البلديات (الحرية 25 يونيو 1939) . آمالنا عظيمة وسيرنا لن يقف (الحرية 18 اكتوبر 1939) . إلى متى سوء التفاهم (الحرية 27 نونبر 1939) . المظالم ودفاعنا عنها (الحرية 24 ديسمبر 1939) . القضاء على المظالم (الحرية 4 فبراير 1940) . التذكير بالمطالب (الحرية 13 فبراير 1940) . اما لهذا النظام الشاذ من نهاية (الحرية 9 مارس 1940) . في عنقنا عهد لن نخونه (الحرية 24 يونيو 1940) . لن نسمح بشبر (الحرية 27 ابريل 1940) . في سبيل الغاية (الحرية 4 يوليوز 1940) . محاربة الوطنية لاتدل على حسن النية (الحرية 12 اكتوبر 1940) . الظروف صعبة ولكن لا يأس (الحرية 21 اكتوبر 1904) . الوطنية تدور مع المصلحة (الحرية 5 ابريل 1940) . ما لايمكن التنازل عنه (الحرية 8 سبتمبر 1942) . لا تبعية (الحرية 30 اكتوبر 1942) .

عبد الخالق الطريس ، أول زعيم وطني مغربي يحضر أشغال المؤتمر البرلماني العربي المنعقد بالقاهرة في أكتوبر 1938 لتدارس القضية الفلسطينية .
(وثائق بن عزوز حكيم) .

استغلال ظروف الحرب

وفي ثنايا ذلك يحدث شيء خطير ، وهو احتلال الألمان لباريس ، وقد تقبلته « الحرية » بابتهاج كبير (في الحرية 15 يونيو 1940) . عنوان عريض ملأ الصفحة الأولى كلها : « الله أكبر خربت خيبر . دخول الألمان لأم العواصم » ويتلوها نشر افتتاحية بقلم الطريس « ما هو مصيرنا » (الحرية 16 يونيو 1940) . جاء فيها « **من الطبيعي أن يكون المغرب من أقصاه إلى أقصاه على استعداد تام لاستغلال الظروف الحاضرة والقيام بعمل موحد . المغاربة لا يرضيهم شيء إلا استقلال بلادهم الموحدة . المغاربة يريدون طرد الفرنسيين من بلادهم ، ولا يقبلون من أحد أن يجعل مصير المغرب من نصيبه ولهذا لا يبخل المغاربة بتقديم كل التضحيات والاقدام على جميع المغامرات . المغاربة**

مسرورون من الضربات التي تكيلها ألمانيا لعدوّيهم فرنسا وينظرون الوفاء من اسبانيا . إن الوطنية لاتقبل المشاركة في أي عمل من شأنه أن يخل باستقلال المغرب . شعار الوطنية اليوم : استقلال المغرب الموحد » .

وقبل ذلك خطب الطريس في تجمع للتضامن مع الطلبة المنفيين من فاس وقال على الخصوص : « لن تمر على الشعوب العربية تجربة 1918 حيث حصلت على استقلالات مشلولة » .

وحينما اختفى الطريس من أعمدة الجريدة لم يكن الدافع مثل ما كان في خريف 1940 هو تربص أحد الموتورين به دفع لطعنه بخنجر ، مما أدى إلى إعلان اعتزاله للسياسة احتجاجا على العقوق ، بل كان للاختفاء سبب لم يعلن إلا بعد سنين ، وهو أن الطريس كان في رحلة إلى برلين ، قادته إليها الاتصالات التي ربطها مع الألمان لاستطلاع نواياهم نحو المغرب . الآن نعرف أن تلك الرحلة التي تمت في 1941 في طي الكتمان ، وكانت نتيجتها سلبية . فقد أبلغ الطريس من قبل ساسة الرايخ ، أن مسألة المغرب يرجع النظر فيها إلى إيطاليا . وهنا فهم أن السياسة الألمانية هي دفع المغاربة ليكونوا حطبا في نار توقد ضد فرنسا ، ولكن لتنضج طبخة استعمارية جديدة . وهنا توقفت كل الاستعدادات التي تمت لشرح عمل مسلح ضد فرنسا ينطلق من إيفني ومن الشمال . وركن الطريس إلى تحليل جديد ربما كان للحاج أحمد بلافريج الذي كان يتردد بين تطوان وطنجة دور في بلورته ، وهو يقضي بعدم المراهنة على المحور . ولكن هذه المغامرة التي لم تتم ، أدت إلى إصدار حكم غيابي بالاعدام على الطريس من لدن محكمة عسكرية فرنسية في مكناس ، ويستقر التحليل على ما يلي طبقا لما في الحرية 22 مارس 1942 : « هناك أسباب تحمل المغاربة على كره فرنسا وانجلترا وأسباب تحمل على التحفظ من ألمانيا . للحرية ثمن يجب أن يؤديه المغاربة . لا يظنن أحد أن ألمانيا تدخل يدها في النار لتخرج منه الحلواء للمغاربة » .

ميثاق 1942

وتعود الأوضاع السائدة في عين المكان هي المشاغل المباشرة للطريس والحركة في نفس المحاور المعهودة : الاضطهادات ، التعليم ، الوضع في الجنوب ، مع انتباه خاص للتطورات الدولية (قضية فلسطين والوضع في الشرق الأوسط العربي بوجه خاص) واصطدامات مع السلطة لأسباب مصطنعة ، غرامة للحرية 1000 بسيطة بسبب مقال فيه مس بالمقيم العام الفرنسي نوكيس . وغرامة قدرها 2000 بسيطة مع توقيف خمسة أيام لاشارة وردت في مقال عن ذكرى أوقاف الجزيرة وصفت فيها هذه الأوقاف بأنها كانت حملا ثقيلا ، ثم غرامة 1000 بسيطة بسبب إهانة الماريشال بيتان . وتتوقف « الحرية » ظاهريا بسبب وطأة الغرامات ، وسياسيا ليترك للرأي العام المحموم بالحماس لانتصارات ألمانيا على الدول الاستعمارية الفرصة كي يهدأ وكي يستوعب نتائج المعارك وهي حينئذ ترجح كفة الحلفاء .

وفي هذه الظروف حل الانفتاح والتعاون محل القطيعة والتوتر بين كل من الطريس والناصري ووقع كل من حزب الاصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية وثيقة سميت « بالميثاق الوطني » (9 حجة 1361 موافق 18 ديسمبر 1942) وهي مؤلفة من 17 بندا تنص على تكوين جبهة وطنية موحدة بين الحزبين للسعي من أجل إقامة نظام إداري وسياسي جديد في المغرب يمهد الوصول في أقرب وقت إلى حياة حرة مستقلة ، بدلا من النظام الحالي المفروض الذي لا يتلاءم مطلقا مع الأماني الوطنية ، واعتبار برنامج مطالب الشعب المغربي حدا أدنى بشرط أن كل ما يناقض من تلك المطالب مبادئ هذا الميثاق لفظا أو معنى يعتبر لاغيا . وينص الميثاق على ممارسة المغاربة للحقوق الديمقراطية ، بما في ذلك صيانة مصالح اليهود والأجانب طبقا لما هو معمول به في التشريعات الحديثة للدول المستقلة . وينص البند الخامس على العمل على استرجاع وحدة التراب المغربي الكاملة إداريا وسياسيا واقتصاديا وقضائيا وماليا ، والبند السابع على ربط علاقات منتظمة مع كل الأمم على أساس معاهدات متكافئة ، والبند العاشر على الاتصال بالأوساط الدولية التي لها أثر في تسوية القضية المغربية . وينص البند التاسع على : رفض كل اتفاق دولي يكون على أساس التنازل عن بعض أجزاء المغرب وعدم قبول المساومة في أي قطعة من الشاطئ المغربي سواء في ذلك بالبحر الأبيض المتوسط أو في الأطلسي . وقد طابق هذا الميثاق نزول الحلفاء بالمغرب وتم تقديمه إلى قناصل الدول مصحوبا بمذكرة لم تنشر إلا سنة 1969 بمناسبة الاحتفال بالذكرى 25 لعريضة 11 يناير 1944 .

وكان هذا الميثاق إعلانا للقطيعة مع الادارة وسدا لمنفذ الفرقة الذي استفادت منه الادارة منذ أيام بيغبيدير ، وإرهاصا بتوجه جديد نشأ لدى النخبة المغربية ، يقضي بأن ظروف الحرب يجب أن تقترن باستعادة المغرب لسيادته كدولة كاملة الحقوق في المنتظم الدولي .

الاستقلال مع الوحدة

وكذلك كان . ففي نهاية 1943 كان زعماء الحزب الوطني يتحركون في إطار تهيىء عريضة المطالبة بالاستقلال . وفي القاهرة كانت رابطة الدفاع عن مراكش تسير في نفس الاتجاه . وفي برازافيل كان المنفي بالغابون يشترط للتعاون مع ديغول الاعتراف بحق المغرب في الاستقلال . وحينما أعلنت عريضة 11 يناير ، بادر الطريس وصحبه بتحرير عريضة تأييد تميزت بتأكيدها القوي لبند رئيسي لايستقيم الاستقلال بدونه وهو وحدة تراب المملكة . ووجهت العريضة إلى محمد الخامس تأييدا لعريضة حزب الاستقلال .

وفي جميع المناطق إذن ساد الشعور بأن السعي عن طريق الاصلاحات لاستعادة الاستقلال طريق مسدود ، وأنه آن الأوان للعمل من أجل استعادة الاستقلال ليتأتى تطبيق الاصلاحات التي تتطلبها حالة البلاد .

ودخلت « القضية المغربية » في منعرج جديد . فبعد القمع والجمود ، جاء انفتاح سنة 1946 بعودة علال الفاسي من المنفى ، والترخيص بإنشاء جريدة « العلم » . وفي الشمال استأنفت « الحرية » صدورها لأربعة شهور . وتميزت هذه السنة بنقل القضية المغربية إلى الصعيد الدولي ، وخاصة على الصعيد العربي ، وفي واجهة محدودة وهي الضغط على الجامعة العربية لكي تتبنى القضية المغربية . ولهذا الغرض قام محمد بنعبود مبعوث حزب الاصلاح بجولة موفقة في أكتوبر 1946 شملت القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد . وفي نفس التاريخ يوجه الطريس برقية إلى الأمين العام للأمم المتحدة ورؤساء الوفود يطالب فيها بإلغاء الحماية . وكتجاوب مع هذه المساعي يدلي الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمان عزام بتصريح في لندن ، ثم في باريس عن اهتمام الجامعة بالوضع في أقطار شمال افريقيا . وبعد سوريا التي كانت أول دولة عربية تعلن رسميا عن تأييدها للمطالب المغربية (تصريح للقوتلي إثر استقباله لبنعبود في الحرية 16 أكتوبر 1946) ، أورد الملك فاروق في خطابه لدى افتتاح البرلمان المصري إشارة تبرز الاهتمام بالبلدان العربية غير الممثلة في الجامعة

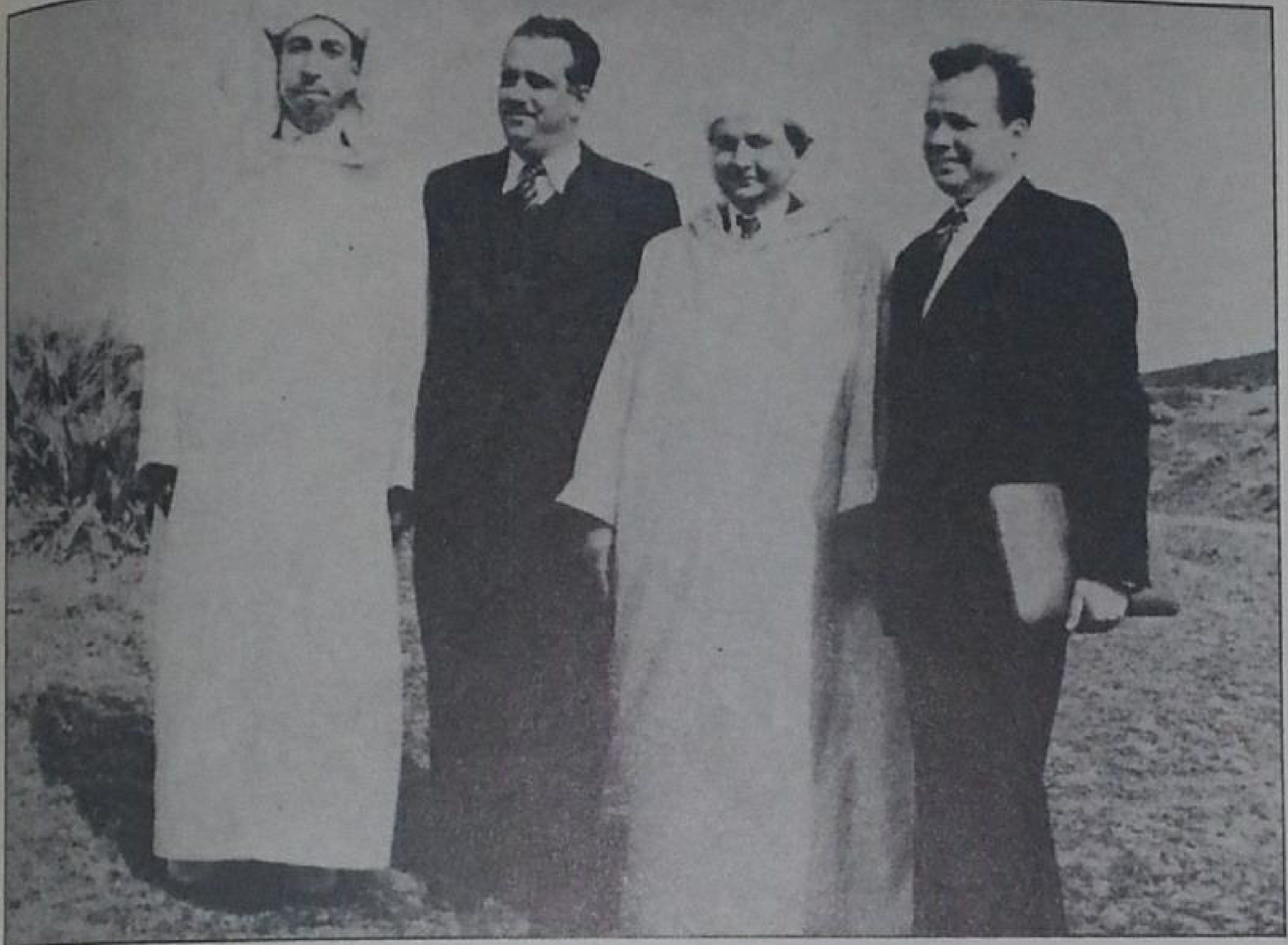

الطريس رفقة علال الفاسي وأحمد بنسودة ومحمد المكي الناصري .

عبد الخالق الطريس في القاهرة سنة 1947 ، صحبة الحاج أمين الحسيني .
(وثائق حزب الاستقلال) .

(الحرية 15 نونبر 1946) . ومع ابراز هذه الأصداء في « الحرية » يحرص الطريس على أن يبرز في جريدته أصداء التنديد باسبانيا في الأمم المتحدة . وأمام المطالبة في المنتظم الدولي بسحب السفراء من مدريد ، يتمكن فرانكو من اقناع الدول العربية بعدم تأييد الدعوة .

وكحل وسط ينسحب المندوبون العرب أثناء التصويت . وتتكرس القضية المغربية كقطب رحا في العلاقات الاسبانية العربية . ويتميز خطاب الطريس في عيد الجهاد الوطني لسنة 1946 (ذكرى تأسيس الحزب) بشدة عنفه حيث يعلن : « **لم يبق إلا العمل المباشر لاسقاط الحماية** » . ويعلن أن « **الصوت يجب أن يكون أقوى**

عبد الخالق الطريس

من الصدى » ، أي أن العمل في الخارج يجب أن يكون مكملا . وأما الأساس فهو المقاومة بالداخل.

وتضطرب السياسة الاسبانية إزاء الوطنيين بين مشروع إصلاحات باريلا (ستأتي على غرارها في الجنوب إصلاحات جوان) ، وبين الاستفادة من الاصوات العربية في المجال الدولي ، ولكن اندفاع الطريس في هذه الفترة كان قويا ورهانه كبيرا على المؤثرات الخارجية . فقرر التوجه إلى القاهرة لدفع القضية دفعة قوية في المجال الدولي (أنظر رسالة من محمد بنعبود إلى أحمد المسكوري بتاريخ 22 ماي 1947 عن إعداد زيارة الطريس والاستعداد لرحلة علال الفاسي بعدها . النص في الصفحة 131 العدد 25 و 26 من المجلة التاريخية المغربية . تونس . يونيو 1982) . كانت تلك الرحلة على إثر زيارة محمد الخامس إلى طنجة وخطابه الشهير بها . وقد خلف نشاط الطريس استياء كبيرا لدى الادارة الاسبانية وعلى رأسها المقيم العام باريلا . فمنع الطريس من الدخول إلى تطوان ونشبت احتجاجا على ذلك مظاهرات دامية في 8 فبراير 1948 واعتقلت اللجنة التنفيذية لحزب الاصلاح وسيقت بجميع أفرادها إلى سجن الاشو في سبتة وانتشر القمع والرعب في دائرة واسعة بتطوان وشفشاون وغيرهما .

عبد الخالق الطريس (حزب الاصلاح الوطني) ومحمد المكي الناصري (حزب الوحدة المغربية) ومحمد حسن الوزاني (حزب الشورى والاستقلال) ومحمد الغزاوي (حزب الاستقلال) وهم مجتمعون بطنجة في أبريل 1951 لتوقيع اتفاقية انشاء الكتلة الوطنية .
(وثائق مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

رجل الحسم

وعرف العمل السياسي الوطني في الشمال نكسة ، استمرت حتى سنة 1952 حينما أخذت اسبانيا تبحث عن منافذ جديدة لتحتل مكانها في الساحة الدولية . فوقع الاتصال بالطريس في طنجة وجرت مفاوضات انتهت بعودته إلى تطوان . وباستيناف حرية العمل لحزب الاصلاح الوطني الذي أنشأ جريدة هي « الأمة » التي ذخرتها الظروف لتكون ، بعد منع حزب الاستقلال في الجنوب سنة 1952

رجال المقاومة المغربية يحدثون انفجارا في طائرة حربية فرنسية بالقاعدة الجوية بمراكش
تفجير عدة قنابل في مختلف الجهات ومواصلة اصطياد الخونة والمتعاونين ورجال البوليس

الأمة

لسان حال حزب الاصلاح الوطني

الاستاذ لوغران

يفضح وحشية البوليس

جهد اللصوصية الدولية !!

بقلم الاستاذ الكبير محمد الطنجي وكيل حزب الاصلاح الوطني

جريدة « الأمة » أصبحت لسان حال الحركة الوطنية المغربية والمقاومة المسلحة .
(وثائق عبد اللطيف بنجلون) .

ونفي محمد الخامس وأسرته سنة 1953 ، لسانا للوطنية المغربية وللمقاومة المسلحة . وسن الطريس سياسة تقارب وتعاون مع اسبانيا في إطار الاتفاق على مقاومة السياسة الفرنسية بالمغرب . ونزل الطريس بكامل ثقله في المعركة انطلاقا من يقينه الراسخ بأن المشكلة المغربية في جوهرها مع فرنسا . وفي ظل اقتناعه العميق بوحدة العمل بين الوطنيين ، وكما قال في 1937 إن الحزب الوطني وحزب الاصلاح هما شيء واحد ، أكد في 1953 ثم في 1956 أن حزب الأستقلال وحزب الاصلاح شيء واحد .

وبمجرد عودة محمد الخامس من المنفى متوجا بالانتصار ، وانتزاع الاعتراف من فرنسا باستقلال المغرب وبطلان معاهدة الحماية ، أقدم الطريس لتجسيم وحدة الوطنيين على خطوة مهمة وحاسمة في إدماج حزب الاصلاح في حزب الاستقلال . وتم التوقيع على بيان مشترك في هذا المعنى في 18 مارس 1956 وتوحد الوطن في 7 أبريل 1956 كما كان يتمنى الطريس . وأشرف الاستاذ على أطوار التوحيد الاداري للمملكة . وأسدى للوطن بذلك خدمة لاتقدر بثمن ، واستحق عليها من الأجيال لقبا مشرفا هو « **زعيم الوحدة** » لأنه كان الزعيم العربي الوحيد في جيله الذي يترك كرسي القيادة ليتابع النضال .

لقد كتب الطريس في العدد الأول من أول جريدة أنشأها يقول بتواضع : « **إنما أنا شاب انجبتني حاجة الأمة** » ونذر نفسه أن يكون « **مجددا ، لا تغريه طفرة ولا يقيده جمود** » . وقد تصرف فعلا بدافع شعوره لتلبية حاجة الأمة .

وأدى رسالته كواحد من جيل الانقاذ وبذل كل ما عنده . مؤهلاته وجهده وماله إذ إنه أنفق ثروته في سبيل العمل الوطني ، حتى قيل لكأن الوطنية « نشأت على حسابه » .

وقد وجدت في أوراقه بطاقة دون فيها لائحة الاستعدادات للسفر الطويل إلى المشرق الذي استغرق النصف الثاني من 1947 وفي طليعتها :

– بيع دار مرتيل
– عطاء السلطان
– عطاء سمو الخليفة
– مدخول الأهل من شركة النور

كان ينفق دون تقدير ، وكان يقول إنه لايحسب في شيئين ، في انفاق ما عنده وفي عواطفه . لم يكن هناك بالنسبة له عدو . وكانت له نقطة ضعف أخرى ، ضعف الذاكرة .

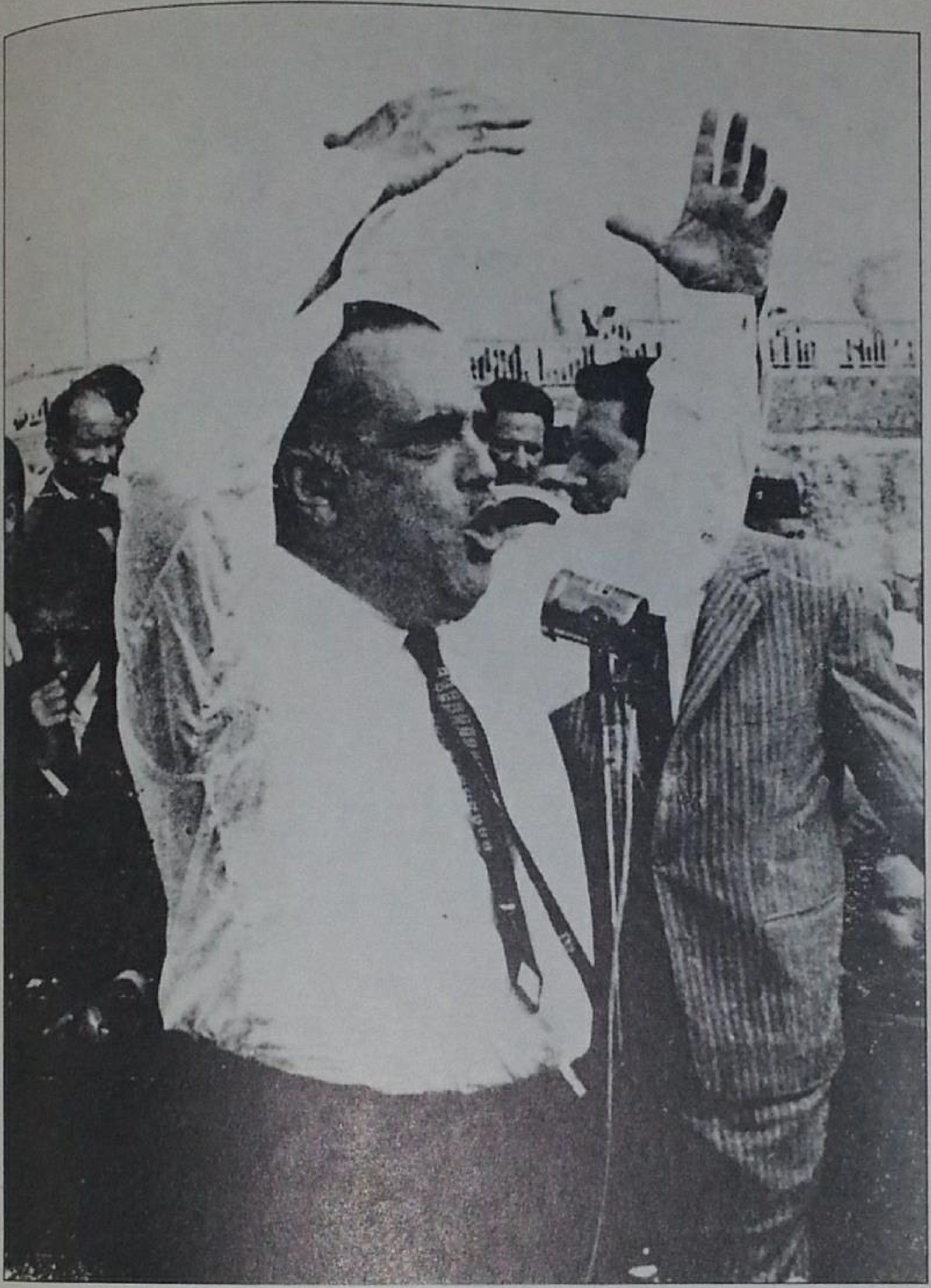

عبد الخالق الطريس خطيب لامثيل له .
(وثائق حزب الاستقلال) .

واعترف بذلك في محاضرة له سنة 1960 . وقال : « **خير لي ألا أكون مشدودا إلى الماضي فالمرء بحاضره ، وبما يعمله للمستقبل** » .

وأسدل الستار على تلك الحياة المليئة في صبيحة يوم الثلاثاء 27 ماي 1970 بفندق بطنجة إثر سكتة قلبية .

عبد الخالق الطريس

شخصية ذات وزن عالمي

نظرا للتجزئة التي تعرض لها المغرب في بداية القرن، شاءت الاقدار أن يحيى عبد الخالق الطريس ويناضل من أجل الدفاع عن الافكار الوطنية، في المنطقة التي كانت خاضعة للاستعمار الاسباني.

وهذا لا يعني أن كفاحه كان محصورا في مسقط رأسه هذا. بل العكس تماما.

فقد اكتست زعامة الطريس بعدا عالميا، وخصوصا عندما تمكن منذ الثلاثينات، من تمثيل بلدان المغرب العربي الثلاثة في مؤتمرات عربية وإسلامية. فأثناء انعقاد المؤتمر البرلماني في القاهرة سنة 1938، تحدث عبد الخالق الطريس باسم المغرب والجزائر وتونس. وخلال الفترة الممتدة من 1937 إلى 1944، عندما كان قادة « كتلة العمل الوطني » رهن الاعتقال أو النفي، حل الطريس محل الحركة الوطنية في الجنوب، للدفع بالكفاح الوطني. وقد شكل آنذاك « حزب الاصلاح الوطني »، الذي كان مؤسسه، رأس الرمح في عملية تعبئة الجماهير حول المطامح الشعبية الاساسية. كما عملت جريدة « الحرية » الناطقة باسم هذا الحزب، على نشر مقالات كان لها وقع كبير وسط طلبة ومناضلي باقي مناطق المغرب.

ومنذ الرابع عشر من فبراير سنة 1943، قام الطريس بتحرير أول وثيقة للاستقلال، سلمت آنئذ لممثلي الحلفاء بطنجة وتطوان.

وفي يوم 19 أكتوبر 1930، وجه رسالة مختومة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية للتنديد بإصدار الظهير البربري. وإثر ذلك ببضعة أيام، أسس في القاهرة بتاريخ 20 نونبر « جبهة الدفاع عن المغرب بالخارج »، وبتاريخ 23 مارس 1932، أنشأ بتطوان « الجمعية الثقافية للمغرب » بتطوان. وقد استطاع من خلال المحاضرات التي ألقاها بالشرق الاوسط وأوروبا والمغرب، اثارة الحماسات لدرجة أنه تمكن من تشكيل لجان وحلقات ومن تنظيم ندوات حول التعليم، وكذا تأسيس أول مدرسة حرة لتعليم الفتيات. وعلاوة على كل ذلك عمد إلى استشارة المواطنين بشأن الحركة الوطنية عن طريق استفتاء نظمه يوم 22 شتنبر 1933 بتطوان.

وإضافة إلى تأسيس جريدة « الحياة » يوم فاتح مارس 1934، نظم فرق الكشفية المغربية في نفس الشهر، وأصدر « الكتاب الاسود » ضد الظهير البربري. وبعد إنشائه للجنة مناهضة الحماية الفرنسية، في منطقة الشمال، شكل لجنة للتعليم الحر ستؤدي إلى إنشاء 25 مدرسة حرة بتطوان والعرائش وأصيلا وغيرها.

كما يرجع إليه الفضل أيضا في فتح أول معهد للتعليم الثانوي بتطوان في فاتح نونبر 1944. وقد أنشئت بعده بقليل « دار المغرب » بكرونوبل، التي كانت الاولى من نوعها بالخارج. وبإيحاء منه أيضا خرجت إلى الوجود سنة 1935، جمعية الكتاب المغاربة « نبراس الفكر » التي مكنت من تنظيم أول معرض للكتاب العربي ومن خوض حملة لمحاربة الامية وسط البالغين في يونيه 1935.

لقد أدى نضال عبد الخالق الطريس إلى العديد من المبادرات التي كانت- حاسمة في الوعي بالقضية الوطنية، ونخص بالذكر العرض الذي ألقاه من على منبر Athénée الاسبانية بمدريد في نونبر 1935. كما ساهم أيضا في تنظيم مؤتمر جمعية طلبة شمال افريقيا بباريس، وهو الاول من نوعه الذي ينظم فوق التراب المغربي، وذلك بتطوان في شهر أكتوبر سنة 1946.

كما تجلى كفاح الطريس الدؤوب والحازم، في نضاله المتواصل أثناء فترة نفي جلالة المغفور له محمد الخامس. وقد كان لخطبه ومقالاته المنشورة في جريدة « الامة » بتطوان، وكذا تعاليقه الاذاعية، أثر كبير على نشاط المقاومة بالدار البيضاء وباقي ربوع الوطن.

تفجيرات ومجابهات

واندلعت نار الحرب العالمية الثانية . وساهم المغرب مع الحلفاء في هزم دول المحور . وبذلك أصبح العاهل مخاطبا ومحاورا للقوات الأمريكية والانجليزية والفرنسية ورفيقها في التحرير . ولما حُررت البلاد المحتلة طالب جلالة المغفور له سيدي محمد بن يوسف والحركة الوطنية باستقلال المغرب .

مساهمة المغرب في

كي مارتيني

تسلسل الاحداث

3 شتنبر 1939 : دخول المغرب في الحرب العالمية الثانية – تصريح جلالة المغفور له محمد الخامس .
10 ماي 25 يونيو 1940 : حملات بلجيكا وفرنسا .
25 يونيو 8 نفمبر 1942 : الهدنة .
23 أكتوبر 1942 : اللقاء السري في مدينة شرشال (بالجزائر) بين الجنرال كلارك Clark والجنرال ماست Mast .
8 – 11 نفمبر 1942 :نزول القوات الامريكية في المغرب في شواطئ المهدية وبوقناديل وفضالة (المحمدية) وآسفي .
معركة بحرية في عرض الدار البيضاء .
24 دسمبر 1941 : قنبلة الطيران الالماني مدينة الدار البيضاء .
14 – 24 يناير 1943 : مؤتمر أنفا . لقاء جلالة المغفور له محمد الخامس الرئيس روزفيلت Roosevelt .
19 نفمبر – 13 ماي 1943 : حملة تونس .
7 ماي 1943 : دخول البريطانيين مدينة تونس .
10 يوليوز – 17 غشت 1943 : حملة صقلية .
13 شتنبر – 4 أكتوبر 1943 : حملة كورسيكا .
11 دسمبر 1943 – 22 يوليوز 1944 : حملة ايطاليا .
11 ماي 1944 : معركة كاريكليانو Garigliano
4 يونيو 1944 : دخول مدينة روما .
30 مارس – 8 ماي 1945 : حملة المانيا والنمسا : راين – دانوب Rhin-Danube .
18 يونيو 1945 : الجنرال دوكول de Gaulle يستقبل المغفور له محمد الخامس ومعه نجله ولي العهد الامير مولاي الحسن بباريس ويوسم السلطان بوسام التحرير Ordre de la Libération . وكان محمد الخامس الوحيد من غير الفرنسيين الذي نال ذلك الوسام . وكان عدد رفقاء التحرير Compagnons de la Libération ألف شخص ، وُسم منهم 500 بهذا الوسام العسكري بعد وفاتهم .
صيف 1945 : عودة الاسرى والجيوش المغاربية إلى بلادهم .

الحرب العالمية الثانية

تصريح السلطان سيدي محمد بن يوسف يوم 3 شتنبر 1939 : « **يجب أن نساند فرنسا مساندة غير مشروطة وألا نتردد في إمدادها بكل ثرواتنا ولا التضحية بكل ما لدينا** » .

وانتزع الجنود المغاربة الاعتراف لهم بالشجاعة كما سبق أن فعلوا في الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918 .

شتمبر 1939 : تحل ستة أفواج من الرماة المغاربة بفرنسا .

أكتوبر 1939 : تحل فرقة مغربية بفرنسا .

ماي ويونيو 1940 : يدفع بعشرة أفواج من الرماة جميعهم إلى الخط الأمامي في حملة بلجيكا وفرنساز 30.000 رجل) .

رحلة الفرقة المغربية الأولى (17.000 رجل : الأفواج الأول والثاني والسابع من الرماة وفوج من سلاح المدفعية) :

10 ماي 1940 : الحلول ببلجيكا على ضفاف نهر ديل Dyle ، شرقي بروكسيل .

14 ماي 1940 : قنبلة عنيفة بطائرات من طراز Stuka وسلاح المدفعية الألمانية .

15 ماي 1940 : القضاء على فوج كامل من سلاح المدفعية . وقد اشتد على الفرقة ضرب مصفحات سريعة الحركة . وأصابها قصف الطيران ، فتقهقرت إلى شمالي فرنسا حيث أعيد تنظيمها .

28 ماي 1940 : قسمت الفرقة المغربية إلى ثلاثة أقسام . ثم تراجعت إلى مدينة ليل Lille ، وأسر منها عدد كثير . أما باقي الجنود ، فقد حوصروا ، ثم تراجعوا وركبوا البحر في مدينة دانكيرك Dunkerque وتوجهوا إلى انجلترا . وقد ضاع من هذه الفلول عدد آخر من الرجال قتلوا في البحر بعد ما قتبلهم سلاح الطيران .

2 – 5 يونيو 1940 : مقام قصير في انجلترا .

6 – 10 يونيو 1940 : نقل الأربعة آلاف جنود الباقين إلى بريست Brest ونورمانديا Normandie بفرنسا لاستئناف القتال .

18 يونيو 1940 : أسر من بقي حيا من الفرقة المغربية . ولم يعد من الفرقة الأولى أحد سنة 1940 . ولم يعد الأسرى إلا سنة 1945 .

معارك لاموز La Meuse

كان السيد البكاي – الذي عين فيما بعد سنة 1955 رئيسا لمجلس الوزراء – ضابطا في كوكبة من الخيالة يوم 10 ماي 1940 في معارك لاموز La Meuse . وقد أصابته إحدى قذائف الطيران الألماني ، فجرح جرحة خطيرة وبترت ساقه . وكان الفوج السادس من الرماة المغاربة مستوليا على قناطر لاموز في ناحية نامور Namur يوم 14 ماي 1940 . فهاجمته المصفحات الألمانية ، فتقهقر إلى الخط الحديدي الذي يربط نامور ببروكسيل ، ثم في ليلة 15 ماي إلى ناحية شارلوروا Charleroi . وقاوم ذلك الفوج العدو مقاومة ضارية في الشمال ، قرب

استعراض جنود الفوج السابع من الرماة المغاربة .
(وثائق خاصة) .

استمر التجنيد بكيفية مريعة .
(وثائق خاصة) .

الحدود الفرنسية ، لكن حاصرته المصفحات وأسرته .

معارك لاصوم La Somme

وفي يوم 5 يونيو 1940 تصدعت الجبهة في كل مكان إلا أمام الفوج العاشر من الرماة المغاربة ، وكان عددهم 3000 رجل . ولم يبق منهم بعد حملات شديدة إلا عشرة رجال جمعوا على ضفاف نهر لواز L'Oise

بيان الخسارات المغربية

لقد أصيب جميع هؤلاء الرجال ما بين قتلى وجرحى وأسرى ومفقودين .

جيش الهدنة (25 يونيو 1940 – 8 نفمبر 1942)

تجنيد المغاربة في دسمبر 1942 .
(وثائق خاصة) .

مساهمة المغرب في الحرب

السيد مبارك البكاي ، الضابط في فرقة الخيالة .
(عن منشورات JEUNE AFRIQUE) .

لقد أذنت لجان الهدنة الألمانية والايطالية أن يقيم بالمغرب نصف القوات التي سُمح لها رسميا بالبقاء في شمالي افريقيا . وكان هؤلاء الستون ألف رجل ينتمون إلى سبعة أفواج من الرماة المغاربة أعيد تكوينها ، وإلى وحدات من المدفعية والخيالة . وكانت بعض الوحدات الخفيفة من « الكوم » قد عُبئت وسلحت ودربت . وكانت أعدادها قد ازدادت سنة 1939 — 1940 من 120 إلى 160 . ثم انخفضت إلى 100 من سنة 1940 إلى سنة 1942 . وكانت لجان الهدنة تجهل أن سلاح ست فرق قد أخفي في المغرب ، وذلك لتعبئة جيش من 70.000 جندي عند الاقتضاء .

وهكذا أخفيت مدافع وذخيرة ودبابات مفككة القطع وكميات من المواد الخام : 6000 طن من النحاس و 5 أطنان من أوكسيد اليورانيوم و 800 لتر من الماء الثقيل في مختلف أنحاء المملكة .

المغاربة في الحرب العالمية الثانية

العمليات في تونس وإيطاليا وكورسيكا وفرنسا وألمانيا والنمسا
دسمبر 1942 — 8 ماي 1945

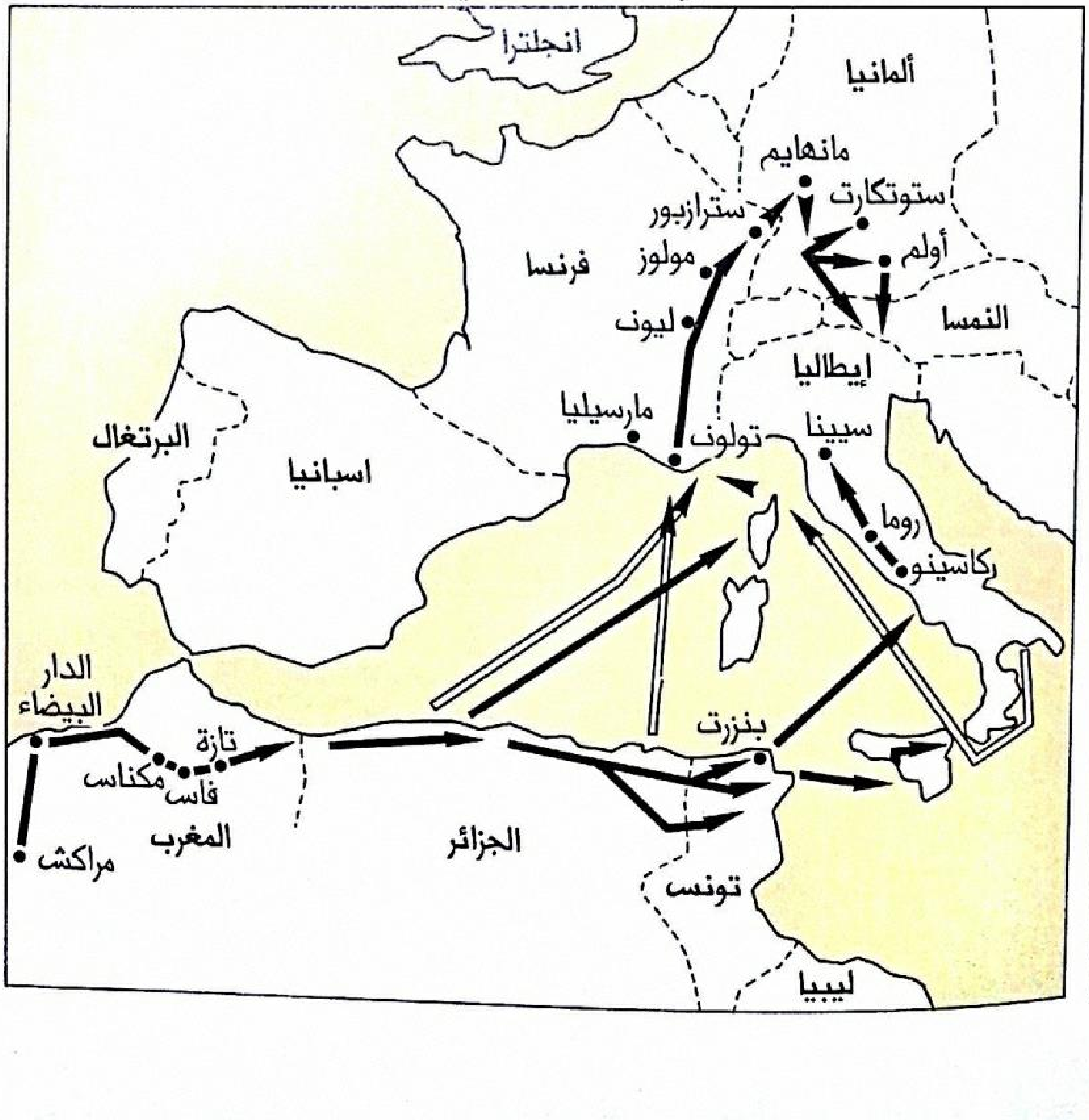

مؤتمر آنفا

لقد وافق حلول الرئيس الأمريكي فرانكلان دولانو روزفيلت FRANKLIN DELANO ROOSEVELT والوزير الأول الانجليزي وينستون تشرشل WINSTON CHURCHILL منعطفا هاما في مجرى الحرب العالمية الثانية . ذلك أن العالم الحر أصبح ينظم مسيرته إلى النصر ، إذ في آنفا صرح الرئيس روزفلت باسم الحلفاء عزم هؤلاء على الاستمرار في الحرب إلى أن تستسلم دول المحور بدون شرط . وبذلك بعث مؤتمر آنفا آمالا عراضا من جديد في نفوس سكان أوروبا المحتلة .

واتخذ المؤتمر في **الميدان العسكري** قرارات سرية أعدتها هيأة أركان الحرب الأمريكية والانجليزية ، وهي :

— غزو صقلية في أجل قريب .

— غزو أوروبا في ربيع سنة 1944 . وقد حددت الشواطئ التي تنزل فيها الجنود في منطقة نورماندیا NORMANDIE (وأعدت المخططات في فيلا ميرادور VILLA MIRADOR حيث كان تشرتشل مقيما) .

— التزام روزفيلت كتابة بمد شمالي افريقيا بالسلاح والعتاد اللازم لتجهيز ثلاث فرق مصفحة وثماني فرق محمولة و 500 طائرة مطاردة ، و 300 طائرة مقنبلة و 200 طائرة للنقل . وقد سلمت بعد ذلك في شهر أبريل 1943 تجهيزات فوجين اثنين مصفحين وثلاثة

مقارنة أعداد الضحايا المغاربة بأعداد ضحايا الحلفاء

	القتلى	الجرحى	المفقودون	المجموع	
المغاربة والفرنسيون					
فرقة المشاة المغاربة الثانية	1396	6744	315	8455	في 7 أشهر ونصف
فرقة المغاربة الجبليين الرابعة	889	3389	151	4429	في 4 أشهر ونصف
الاسلحة والمصالح					
جنود الكوم المغاربة	598	2362	8	2968	
	2883	12495	474	15852	
الجزائريون والتونسيون والفرنسيون					
فرقة المشاة الجزائريين الثالثة	1068	4529	679	6276	في ظرف 6 أشهر
الجزائريون والسينغاليون والفرنسيون	673	2066		2739	في ظرف شهرين
الامريكيون – الجيش الخامس	14000		93144	107144(1)	
الجيش الثامن (البريطانيون والبولونيون والهنود)				12000	
الالمانيون				25000	
مجموع ضحايا الحلفاء (القتلى والجرحى والمفقودون في معركة روما)				144011(2)	

نسبة أعداد ضحايا المغاربة 12 بالمائة من أعداد ضحايا الحلفاء

(1) من 15 يناير إلى 4 يونيو . وبالاضافة إلى ذلك أصيب من الامريكيين قرب كاسينو 15864 بين قتلى وجرحى ومفقودين (نفمبر 1943 - 15 يناير 1944)

(2) 147908 من نفمبر 1943 إلى 4 يونيو 1944

أفواج للاستطاع وثلاث فرق محمولة وثلاث كتائب من مطاردات الدبابات .

أما في **الميدان الدبلوماسي** ، فكان لقاء سلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف بروزفلت وتشرتشل حدثا تاريخيا ، إذ أخذ يحقق بوضوح فكرة ميثاق المحيط الأطلسي ، وأخذت تبدو آمال المسيرة نحو استقلال الشعب المغربي . ذلك أن عاهل المغرب حادث لأول مرة منذ 1912 ، ومباشرة ، رئيس الولايات المتحدة ، أقوى دولة في العالم . فقد استقبل روزفيلت صاحب الجلالة السلطان يوم الجمعة 22 يناير 1943 في فيلا السعادة مرتين ، الأولى للحديث معه على انفراد .

مساهمة المغرب في الحرب

وكان اللقاء الثاني بمناسبة العشاء الرسمي الذي حضره صاحب الجلالة الحسن الثاني ، وهو يومئذ ولي للعهد وعمره 14 سنة . وقد صرح فيما بعد ، للكاتب جورج فوشي GEORGES VAUCHER بما يلي :

« كان ذلك أول سر للدولة بالنسبة إلي . كان اليوم يوم جمعة . صحبت والدي على الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال بدعوى تدشين مدرسة بالدار البيضاء . وقد ذهبنا وحدنا بالسيارة . ولم أحضر الحديث الذي كان بينه وبين روزفيلت . لكنني دعيت للعشاء الرسمي الذي أقيم ليلا والذي حضره تشرتشل

مرحلة حاسمة من الحرب العالمية الثانية : الرئيس الأمريكي فرانكلان دولانو روزفيلت ومعه ، من الشمال إلى اليمين الجنرال جيرو والجنرال دوغول ووينستن تشرتشل بالدار البيضاء .

لقاء آنفا .
(المركز الثقافي الأمريكي) .

أيضا . وكان الحديث السري الذي جرى بين السلطان والرئيس روزفيلت ذا أهمية عظيمة . وقد صارح كل منهما الآخر بما في نفسه . ولو لم يعاجل الموت روزفيلت لقام بدور هام في تحرير المغرب وتحرير القارة الافريقية كلها » .

وكان السلطان سيدي محمد بن يوسف ضيف الشرف في هذا العشاء الرسمي ، إذ جلس على يمين مضيفه الرئيس روزفيلت . وبهذه المناسبة دخل الأمير الشاب مولاي الحسن لأول مرة عالم أقطاب الدبلوماسية الدولية . ورافق السلطان كذلك الصدر الأعظم المقري ، وقد ناهز التسعين من عمره ، والسيد المعمري ، رئيس التشريفات . وقد حضر حفل العشاء أيضا وينستن تشرتشل والقائد الأعلى للجيوش الأمريكية الجنرال مارشال Marshall والجنرال باتن Patton ، قائد القوات التي نزلت بالمغرب وروبيرت مورفي Robert Murphy ، ممثل الرئيس روزفيلت الشخصي لشؤون شمالي افريقيا ، والكولونيل ايليوت روزفيلت Eliott Roosevelt ، ابن الرئيس الأمريكي ، وكذلك مساعدو روزفيلت وتشرتشل : هاري هوبكينس Harry Hopkins ، مستشار الرئيس الأمريكي الخاص ، والقبطان جوهن ماكرى John. D. Macrea الملحق العسكري بالبيت الأبيض ، وهارولد ماك ميلان Harold Mac Millan . وحضره كذلك الجنرال نوكيس Noguès ، إذ كان ما يزال مقيما عاما لفرنسا بالمغرب .

نزول القوات الأمريكية بالمغرب (8 – 10 نفمبر 1942 عملية « طورش » Torch

لقد غادرت قوات الغزو الأمريكية المسماة Western Task Force بلدة هامبتن رودس Hampton Roads يوم 23 أكتوبر . وغادرت

التحدي

وعندما كنا نترك مائدة العشاء ، استأذن البعض بالانصراف وكان من بينهم الجنرال نوكيس فأذن لهم ، بينما تمسك بنا الرئيس الامريكي ورجانا أن نبقى ، وهكذا وجدنا أنفسنا مجتمعين : ف. د. روزفيلت وونستون تشرشل وروبرت مورفي ، ووالدي ، وأنا .

وبعد حديث دار عن الحالة العامة ، أخذت المحادثة شكل حوار بين الرئيس ووالدي ، وكان السيد المعمري يترجم للآخر ما يقوله الاول ، وفي الواقع أكد الرئيس الامريكي أن النظام الاستعماري قد عفا عليه الزمن وبالتالي أصبح محكوما عليه بالزوال في رأيه ، ولكن تشرشل أكد في البداية على ضرورة التدقيق في وجهة النظر هذه وقال بعدها : إنه بعد الغزو الفرنسي للجزائر « قامت بريطانيا خلال نصف قرن بوظيفة الحارس لسلامة الامبراطورية الشريفة » !! محاولا بذلك « أن يغرق السمكة » كما يقول المثل الفرنسي .

ولكن روزفلت علق حالا على ذلك قائلا : إننا لم نعد الآن في سنة 1830 ولا في سنة 1912 ، وتطلع إلى اليوم الذي سيصل فيه المغرب بيسر إلى الاستقلال وفقا لمبادىء الحلف الاطلسي ، متمنيا أن يكون هذا اليوم قريبا يوم ان تضع الحرب أوزارها . وأضاف مؤكدا : بعد الحرب ستصبح إعادة التنظيم السياسي – الاقتصادي للمجتمعات الانسانية ضرورة ملحة ، وقال ان الولايات المتحدة لن تكتفي يومئذ بعدم وضع أية عراقيل في وجه استقلال المغرب ، بل انها – كما أكد – ستخص المغرب المستقل كذلك بمعونات اقتصادية مناسبة .

مقتطف من كتاب « التحدي »
جلالة الملك الحسن الثاني

مجموعة الخفر يوم 24 بلدة كاسكو باي Gasco Bay قرب بورتلاند Portland ، بينما غادرت البواخر حاملات الطائرات المنتمية إلى المجموعة الجوية جزر بيرمودا Bermudes يوم 25 . فاجتمع ما يقرب من 100 باخرة يوم 28 وعلى ظهرها 35.000 رجل . وشرع في تزويد هذه القوات في أواخر أكتوبر . واتجه الأسطول وجهة داكار Dakar ، وذلك لتلافي الغواصات الألمانية الموجودة في جزر آصور Açores . وتبع نفس الطريق إلى يوم 2 نفمبر حيث انقلب الأسطول عن طريقه بمقدار زاوية من 90 درجة . وتزود للمرة الثانية يوم 6 نفمبر . وكان الأسطول يمتد على 80 ميلا طولا و20 ميلا عرضا ، تتقدمه البارجة ماساتشوسيتس Massachussetts ، وتتبعها الطرادة اوكوستا Augusta ومعظم الأسطول مشتملا على ناقلات الجنود بينما تبعتها حاملات الطائرات في المؤخرة ، ورافقتها في الجناحين مدمرات الخفر . ولما بلغت البواخر خط عرض الرأس الأبيض قرب نواذيبو ساء الطقس وفكر الأميرال هيويت Hewitt في عبور جبل طارق وإنزال قواته قرب الجزائر ، عند مدينة غزوات قرب الحدود المغربية . غير أن هيأة أركان حرب الأميرال هيويت تنبأت بتحسن الجو تحسنا محليا . لذلك أمرت البواخر بالتفرق ، فاتجهت وجهة آسفي والمحمدية (فضالة آنذاك) والمهدية .

كانت الليلة من 7 إلى 8 نفمبر دامسة الظلام . ووصلت البواخر الأمريكية إلى آسفي في الساعة الحادية عشرة ليلا والدقيقة الخامسة والأربعين ، وإلى المحمدية في الحادية عشرة والثالثة والخمسين ، وإلى المهدية في الثانية عشرة ليلا عند مصب نهر سبو . وكان الأميرال هيويت على ظهر الطرادة أوكوستا ومعه الجنرال جورج باتن ، الابن Georges Patton القائد العام للقوات الأمريكية التي أنزلت في المغرب .

وكان أمام آسفي الجنرال إيرنيست هارمون Ernest Harmon ومعه 6500 رجل . وكان يجهل في الساعة الثالثة والدقيقة العشرين صباحا أن حالة الطوارئ قد أعلنت في صفوف الجيش الفرنسي بآسفي استعدادا لما قد يداهم المدينة من جهة البحر . وكانت الليلة حالكة حتى تعسرت عملية إنزال قوارب العبور إلى اليابسة ، فأجل إنزال القوات إلى الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة والثلاثين صباحا . وبعد سبع دقائق وصل أول جندي أمريكي إلى ميناء آسفي . وقد تحلق حول القوم الطارئين شرذمة من الصيادين المغاربة جاءوا غير وجلين ليشهدوا « مباراة » بين الجنود الأمريكيين والجنود الفرنسيين . ووقف اثنا عشر مغربيا على رأس جندي أمريكي يجهد نفسه في نصب رشاشاته ، وهم ينظرون إليه باهتمام . وكانوا يتتبعون الطلقات النارية ملتفتين يمنة ويسرة غير مبالين بالخطر . وكانوا يسخرون كلما أصيب أحد الأمركيين ويواسون الجرحى . وما أسرع ما استولى الأمريكيون على المناطق ذات الأهمية العسكرية (مثل المحطات والأبواب وملتقيات الطرق) باستثناء المطار . واستطاع الجنرال هارمون أن ينزل مصفحاته في أرصفة الميناء وجميع رجاله وكمية احتياطية من النفط . وفي اليوم التالي أي تاسع نفمبر انطلقت المصفحات الأمريكية في الطرق متجهة إلى الدار البيضاء . أما المطار ، فقد استولى عليه الأمريكيون في مساء 10 نفمبر بعد إيقاف القتال الرسمي .

أما عملية إنزال القوات شمالا ، فكانت بيوقناديل (شاطئ الأمم) . فقد وصلت إلى مصب نهر سبو ، على بعد 5 كلم من الشاطئ ، في الساعة الثانية عشرة ليلا ، البارجة العتيقة تيكساس Texas والطرادة الخفيفة سافانا Savannah واثنتان من حاملات الطائرات وثلاث مدمرات وأربع حافرات وثماني ناقلات الجنود على ظهرها 9000 رجل . وكان الجنود والبحارة يبصرون أنوار مدينة المهدية تتلألأ . غير أن التيارات البحرية دفعت بالبواخر فبددتها . فأجلت عملية الانزال إلى الساعة الرابعة والنصف . وكان الجنرال بتوار Bethouart قد أمر

خطأ في الترجمة

يوجد حي آنفا الفاخر على بعد كيلومتر جنوبي الدار البيضاء . واضطر سكان هذا الحي من مغاربة وفرنسيين إلى مغادرة بيوتهم في الاسبوع الثاني من شهر يناير 1943 . ونقل الشيوخ والمرضى إلى بيوت الاستشفاء . ثم حولت منطقة تل آنفا إلى موقع محصن ، فعزلت عن باقي أحياء المدينة وأحيطت بالاسلاك الشائكة ، وشحنت بعدد من المدافع المضادة للطائرات ، وكلف جند الجنرال الامريكي باتن Patton بحراستها حراسة مشددة .

وأنذر الجواسيس الاسبانيون الكثيرون الذين كانوا يعيشون في المغرب المصالح السرية الالمانية بأن قادة الدول الحليفة يستعدون للاجتماع في « كاسا بلانكا » بحضور روزفيلت وتشرتشل . لكن الجاسوس الالماني الذي أخبر عاصمة برلين بالامر عن طريق الراديو ترجم الكلمة « كاسا بلانكا » ترجمة حرفية بالعبارة « البيت الابيض » . ففهم الذين تسلموا الخطاب أن الاجتماع لا ينعقد في مدينة الدار البيضاء بالمغرب ، بل في واشنطن ، في بيت رئيس الولايات المتحدة .

وهكذا أصبحت العاصمة الاقتصادية مقرا هاما للمحادثات السياسية الدولية مدة عشرة أيام من 14 إلى 24 يناير 1943 ، فنعمت بهدوء شامل .

مؤتمر آنفا
(الدار البيضاء)
22 يناير 1943

كان السلطان ... تلك الليلة ... ضيفا علينا .

وقد رافقه ابنه الشاب ، ولي عهده وتبعه وزيره الاكبر (الصدر الاعظم) ورئيس التشريفات ، وقد ارتدوا جميعا لباسا حريريا فاخرا أبيض فضفاضا ...

وشرع في العشاء . وكان السلطان عن يمين أبي وتشرتشل عن يساره ...

وخاض السلطان وأبي في الحديث عن ثروات المغرب الطبيعية وأسباب التنمية الواسعة التي يمكن المغرب استغلالها . وقد انشرح كلاهما لهذا الحديث . ولما كانا معا يتكلمان الفرنسية بطلاقة - بخلاف تشرتشل - فقد استطاعا التعمق في عدة مواضيع ، منها رفع مستوى معيشة السكان المغاربة ، ولذلك رأوا ضرورة الاحتفاظ في المغرب بجزء هام من ثرواته .

وصرح السلطان أنه يرغب شديد الرغبة في ايجاد كل ما يمكن من المساعدة على مجهوداته لبناء مؤسسات صحية عصرية ولتشجيع نشر التعليم .

وصرح أبي بأن على السلطان ألا يأذن للمصالح الاجنبية بحرمان بلده من ثرواته بواسطة الامتيازات التي تُمنحها ، وذلك ليستطيع إنجاز تلك الاعمال التي يصبو إليها .

وحاول تشرتشل تغيير موضوع الحديث ، لكن السلطان عاد إلى الموضوع ، وسأل أبي عما ينبغي استنتاجه من نصيحته فيما يتعلق بالحكومة الفرنسية المقبلة .

ثم نبه أبي ، في مرح ، وهو يداعب شوكته - التي كان يأكل بها - إلى أن الاوضاع - وخاصة الاوضاع الاستعمارية - قد تتغير بعد الحرب تغيرا حاسما . ثم تنحنح تشرتشل وحاول مرة أخرى توجيه الحديث وجهة أخرى . لكن السلطان التفت إلى أبي وسأله عما يعني بالعبارة « التغيير الحاسم » .

وأبدى أبي ملاحظة حول العلاقات التي كانت تربط أرباب رؤوس الاموال الفرنسيين والبريطانيين قبل الحرب وحول شركاتهم التي كانت تتجدد تجددا تلقائيا وحول ما كانت تهدف إليه من تصريف ثروات المستعمرات (إلى بلادها) . وتكلم كذلك عن امكان اكتشاف حقول البترول في المغرب .

وتحمس السلطان لهذه القضية وصرح بأنه يوافق على استغلال جميع الثروات الطبيعية ، وبأنه يحب الاحتفاظ داخل البلاد بريع تلك الثروات . ثم طاطا رأسه أسفا . ذلك أنه كان يتحسر على قلة العلماء والمهندسين من بين مواطنيه ، وبالتالي على انعدام التقنيين الذين قد يستطيعون انجاز تلك الاعمال بدون الاستعانة بالغير .

واضطرب تشرتشل على كرسيه وبدت عليه علامات الانزعاج .

وأوحى أبي خفية بأن بالامكان تكوين المهندسين والعلماء بالمغرب بواسطة برنامج تعاون جامعي مع الولايات المتحدة مثلا .

وأشار السلطان برأسه بموافقته على ذلك الاقتراح . ولولا ضرورات الاعراف والسلوك في هذه الاحوال لسجل في حينه عناوين الجامعات المعنية . واستمر أبي في شرح فكرته ، وهو يداعب كأس الماء في يده ، فقال إن في إمكان السلطان

مساهمة المغرب في الحرب

نزول القوات الأمريكية في فضالة (المحمدية اليوم) يوم 8 نونبر 1942 .
(المركز الثقافي الأمريكي) .

رفعت سيارته علما أبيض . غير أن أحد الرماة المغاربة أطلق النار على السيارة لما وصلت أحد مفترقات الطرق ، فلم تجر المفاوضات .

أما في المحمدية ، فقد ألقت الطرادة أوكوستا وكذلك البارجة بروكلين Brooklyn وأربع مدمرات وإحدى عشرة خافرة وخمس عشرة ناقلة مراسيها على بعد 14 ميلا من المدينة ، إذ كانت أنوارها تُرى في الفترات التي تنقطع فيها الأمطار . وبقي 19000 جندي ينتظرون وقت النزول . وكان منهم من ألف البحر إذ قدموا من البحرية التجارية . لكن كان من بينهم من لا خبرة له بالبحرية ، إذ رأوا البحر لأول مرة في هذه الرحلة . وكان الجنرال بيتوار قد أخبر قائد الجيش الفرنسي بالمحمدية بعملية النزول ، إذ كانت مقررة في الساعة الثانية . ولما طال انتظاره ولم ينزل أحد رد رجاله إلى ثكناتهم . فكانت عملية الانزال مدافع الشاطئ بعدم إطلاق النار . غير أن هذا الأمر بطل لما تأخر نزول الأمريكيين . فلو نزلوا على الساعة الرابعة لما أُطلق النار ولبذل الجنود الفرنسيون المساعدة للأمريكيين . وكان ثلاثة آلاف جنود مغاربة وفرنسيين يقيمون في المرتفعات مستترين بالمستنقعات عند منعطف نهر سبو . وما لبثوا أن أمدوا بما يقرب من 50 سيارة مصفحة قدمت من الرباط . ودمرت الطائرات الأمريكية من طراز Wildcat عددا من الطائرات الفرنسية وهي ماتزال جاثمة على الأرض . لكن بعضها طار في الجو وأضر بالأمريكيين . واستمر القتال ثلاثة أيام . وكانت الخسائر جسيمة عند الفريقين : 88 جنديا أمريكيا وخسارات لها بال في صفوف الرماة المغاربة . وكان من بين القتلى الأمريكيين الكولونيل كراو Craw الذي كان يحمل رسالة من رئيس القوات الأمريكية الجنرال تروسكوت Truscott إلى رئيس قوات القنيطرة . وقد استطاع أن يدخل المدينة ويمر بأول حاجز دله على طريق القيادة العامة بنفس المدينة . وقد

أن يطلب مساعدة المؤسسات التجارية الامريكية التي قد تعينه على إنجاز برنامج للاستثمار ، وذلك بمنحها تعويضات جزافية أو نسبا مئوية . ونبه أبي إلى أن من فوائد مثل هذه الخطة تمكين الحكومة المغربية ذات السيادة من مراقبة ثرواتها إلى حد بعيد ، ومن الانتفاع بنصيب وافر من ريع هذه الثروات ، ومن تحمل مسؤولية اقتصاد البلاد عاجلا أو آجلا . ثم دمدم تشرتشل وتظاهر بعد الاستماع إلى حديثهما .

ومر العشاء في جو لطيف جدا . وقد وجد الضيوف فيه متعة كبيرة باستثناء أحدهم . ولما ابتعدنا عن المائدة أكد السلطان لابي أنه سيدعو الولايات المتحدة ، بمجرد انتهاء الحرب ، للاستعانة بها على تنمية البلاد تنمية شاملة .

وكانت عيناه ، وهو يتكلم ، تتلألأ فرحا ، ثم قال « إنه مستقبل زاهر لبلدي » .

وخرج السلطان من قاعة الاكل وتبعه الوزير الاول البريطاني وهو يعض على « سيجاره » من شدة الغيظ .

Eliott Roosevelt
«Mon père m'a dit»

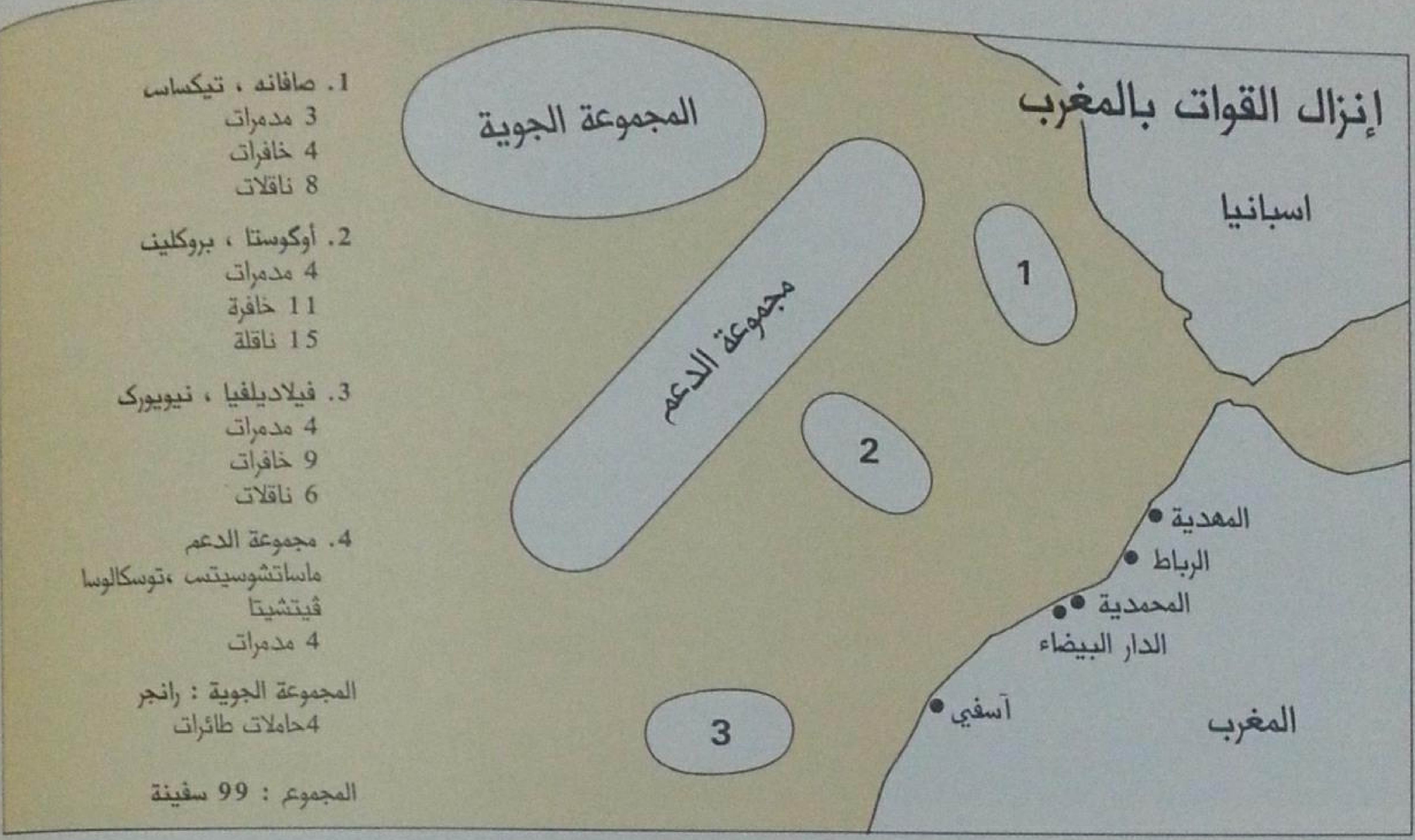

هذه أسهل من غيرها ، لكنها فشلت أكثر من غيرها . فأخذ الجنود يتذمرون ويرفضون النزول بواسطة الشباك الممدودة على جوانب البواخر . وكان كثير منهم قد نشبوا في عيون الشباك ، فزلقوا وغرقوا في البحر ، إذ كانوا يحملون أثقالا كثيرة . فأجلت ساعة الانزال . ثم عادت سفن الريادة التي كانت بُعثت من قبل لاستكشاف المنطقة ، غير أنها اختفت لما وصلت قوارب الانزال الأولى . وأخذت القوارب تُنزل الجنود في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة من البواخر إلى الشاطئ كل ربع ساعة . وكانت هذه القوارب المصفحة تحمل ما يقرب من خمسين جنديا ، وتحمل أحيانا ضعف هذا العدد ، وأحيانا ثلاثة أضعافه حسب أصنافها . وكانت مزودة بمحرك في مؤخرها وبقنطرة متحركة في مقدمها . وقد نتج عن بعض الأخطاء التقنية أن تورطت هذه

روزفلت وتشرتشل .

ميثاق الاطلنتيكي

في يوم 14 غشت 1941 ، وبعد خمسة أيام من المفاوضات أمضى رئيس الولايات المتحدة روزفيلت ووزير المملكة المتحدة الاول ، تشرتشل ميثاق الاطلنتيكي على ظهر المدرعة Augusta في خليج بلاسنتيا Placentia في جزيرة Terre-Neuve . وقد ورد في هذا الميثاق ما يلي :

1 –أن بلديهما لن يسعيا إلى أي توسع ترابي أو ما يشابهه .

2 –أنهما لا يرغبان في أي تغيير ترابي لايوافق إرادة عبرت عنها الشعوب المعنية تعبيرا حرا .

3 –أنهما يحترمان حق جميع الشعوب في اختيار نظام الحكم الذي تريده لنفسها ، وأنهما يرغبان في أن تعاد حقوق السيادة والاستقلال للبلاد التي حرمت منها بالقوة .

4 –أنهما سيبذلان جهودهما ، في إطار الالتزامات الجارية لتمكين جميع البلاد ، كبيرة كانت أو صغيرة ، غالبة أو مغلوبة ، من الاستفادة استفادة متساوية من الاسواق أو المواد الخام الموجودة في العالم والضرورية لتنميتها الاقتصادية .

5 –أنهما يرغبان في تعاون جميع الدول التعاون الاوثق في المجال الاقتصادي حتى تصلح ، في جميع البلاد ، أحوال معيشة العمال ، ويضمن التكافؤ والامن الاجتماعيان .

– أنهما يأملان ، بعد القضاء على طغيان المانيا الهيتليرية ، أن يستقر السلام الذي يمكن جميع الشعوب من التمتع بالامن داخل حدودها والذي يضمن لجميع البشر بجميع البلاد حياة تحررهم من الخوف والحاجة .

7 – أن من شأن هذا الامن أن يمكن جميع البشر من اختراق البحار والمحيطات بدون أية عرقلة .

8 –أنهما يعتقدان أن على جميع أمم العالم أن تعدل على استعمال القوة لاسباب مادية ومعنوية .

(...)

القوارب الخفيفة وتحطمت على الصخور . وعندما طلعت الشمس كان 162 قاربا من هذه القوارب جاثية على شاطئ المحمدية ، وقد أصبحت حطاما لا يصلح لشيء . أما القوارب التي بلغت إلى الشاطئ ، فكانت بعيدة جدا بعضها عن بعض ، وذلك ما صعب معه تجميع الرجال . ولم يكن هناك أي جندي مغربي على الكثبان ، إذ عادوا جميعا من قبل إلى ثكناتهم .

وأسرع بعض جنود الفرقة الثالثة الأمريكية إلى المدينة ووصلوا إلى دار الأمير مورا Murat ، وأيقظوه كما أزعجوا جميع الذين كانوا نياما في ذلك الوقت وأسروهم وهم مايزالون لابسين مناماتهم وبعثوهم إلى الولايات المتحدة .

وأضاء النهار بعد الساعة السادسة بقليل ، وبدأت مجموعة المدافع الشاطئية المنصوبة في قنطرة بلوندان Blondin تطلق قذائفها من عيار 190 مم . وردّت عليها المدمرات الأمريكية والبارجة بروكلين على الساعة السادسة والنصف . وكان الأمريكيون قد فقدوا عند بداية إطلاق النار ثلاثمائة رجل من جنودهم غرقا . ولم تكن وقاية مدافع قنطرة بلوندان محكمة . لذلك دمرتها القذائف الأمريكية تدميرا ، كما دمرت بيوت المصطافين وسكانها الذين أتوا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بها . وكانت بعض المدافع قد أصابت ، من قبل مرجل إحدى المدمرات ، فابتعدت عن الشاطئ . وكان الطقس جميلا ، قليل الضباب ، ولم يكن البحر شديد الاضطراب . وقد أطلقت الطرادة بروكلين 757 قذيفة من عيار 150 مم حتى الساعة السابعة والدقيقة الثانية والأربعين . ثم أخذت ترسل وابلا من القذائف على مجموعة مدافع العنق . وقد عُلم ، فيما بعد ، أن قائد مجموعة المدافع الشاطئية قد اتصل بالقائد الأمريكي ليخلي مواقعه .

وفي الساعة السابعة استعدت طائرات الباخرة حاملة الطائرات رانجر Ranger للاقلاع . وفي الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة ، أي عشر دقائق بعد طلوع الشمس ألقت 18 طائرة مقنبلة قذائفها الأولى على ميناء الدار البيضاء وأغرقت ثلاث غواصات : لورياد L'Oréade وبسيشي Le Psyché وأمفيتريت L'Amphitrite . ثم أرسل وابل من القنابل على الرصيف الأكبر وعلى البارجة جان بار Jean Bart الضخمة ذات حمولة 33000 طن ، إذ كانت هدفا قريب المنال ، تسهل معاينتها من أعلى خزانات القمح العالية . وأصيبت كذلك ثلاث بواخر مسافرين

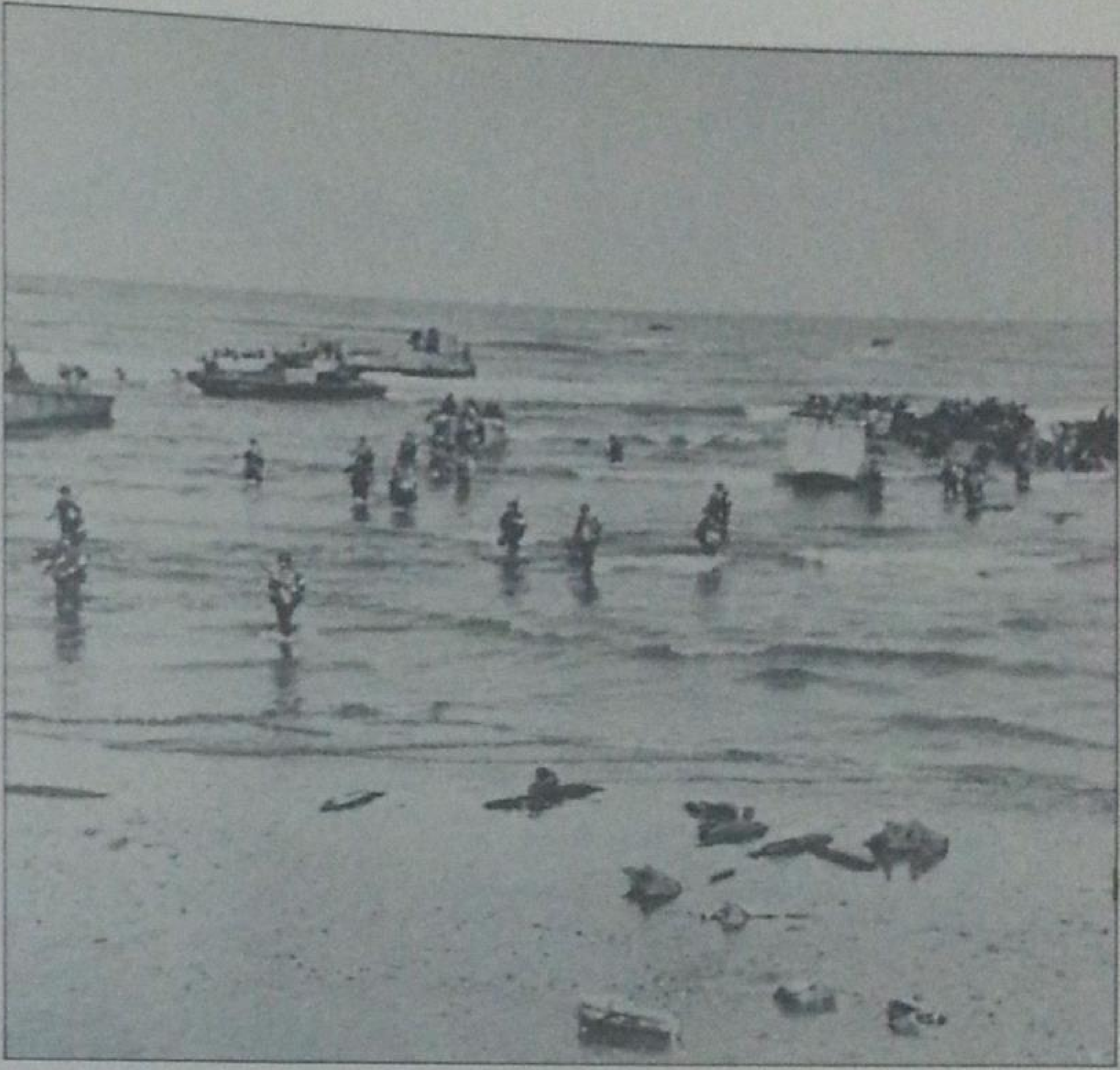

نزول القوات الأمريكية في بوفنادل (شاطئ الأمم)
(المركز الثقافي الأمريكي) .

قدمت من داكار وبواخر كانت في حوض الاصلاح . وأخطأت القذائف ناقلتين للبترول فلو أصيبتا لاحترق الميناء كله .

واستمرت مدافع العنق في قذف البواخر الأمريكية . وأخذت البوارج فيشيتا Wichita وتوسكالـــوسا Tuscaloosa وماساشوسيتس Massachussetts تقذف الباخرة جان بار . ثم أخذت الطائرات المقنبلة دوكلاص داونطيس Douglas Dauntless تنقض عليها وتقصفها بدون انقطاع . أما البارجة جان بار نفسها ، فقد قذفت مرتين قذائف من عيار 380 مم ، لكن الرؤية كانت سيئة بسبب الضباب ودخان البواخر المجاورة التي كان البحارة يقاومون نيرانها . وبعد 21 دقيقة من القصف أصيبت البارجة جان بار ، فسادت الميناء فوضى شاملة .

وفي الساعة التاسعة غادرت العمارة الثانية المكونة من نسافات صغيرة الميناء بسرعة 18 عقدة ، وكانت بقيادة الأميرال جيرفي دولافون Gervais De Lafond « ولم يكن للبواخر السبع أمل في النجاة » . فقام الفرنسيون بعمليات انتحارية . وأخذت طلقات البواخر وقذفات الطائرات راحت تتركز . ودُمرت البارجة لوفوكو Le Fougueux على الساعة العاشرة والدقيقة الأربعين بعدما أصابتها قذائف من عيار 406 مم ، أرسلتها عليها الماساتشوسيتس وقذائف توسكالوسا . فغرقت دون أن تكف عن القذف . وفي الساعة الحادية عشرة خرقت قذيفة من عيار 406 مم مقدم البارجة لوميلان Le Milan ، فانحرفت عن الطريق وجنحت . ونقل جيرفي دولافون علامته إلى الطرادة لوبريموكي Le Primauguet . وفي الساعة الثانية عشرة دُمرت البارجة لوبولوني Le Boulonnais ، أصابتها مجموعة من القذائف

مدافع مضادة للطائرات تحمي نزول القوات في فضالة (المحمدية) .
(المركز الثقافي الأمريكي) .

قنبلة الطيران الالماني مدينة الدار البيضاء

في الليلة من 30 إلى 31 دسمبر 1942 قدمت من مدينة تولوز 18 طائرة حربية ألمانية من ذات الاربعة محركات ، وقد عاقتها القذفات القوية الصائبة التي كانت المدافع الامريكية المضادة للطائرات ترسلها عليها ، ومع ذلك فقد قنبلت درب الطلبة بالمدينة الجديدة قرب شارع الفداء وطريق مديونة ، وألقت أربع قنابل على هذا الحي ، فأصابت 110 ضحية ، ولم تصوب هذه القنابل إلى هدف معين ولا إلى مخازن النفط في الميناء ، وباءت الكرة الثانية بخسران فادح على الالمانيين إذ فقدوا ثلثي طائراتهم .

المدرعة JEAN BART في ميناء الدار البيضاء في شهر نونبر 1942 .

المدفعية الجانبية ، فمالت بعشرين درجة وغرقت في البحر في نفس اليوم مثل البارجة لوفروندور LE FRONDEUR . أما البارجة ألباطروس L'ALBATROS ، فقد أصابتها قذيفة من عيار 406 مم في مقدمتها ، ثم أصيبت في مؤخرها ، ثم تباطأت في سيرها وغرقت ليلا . وكانت قد أرسلت قبل ذلك 450 قذيفة . وفي ما بعد الزوال كانت البارجة لوبريوكي عاجزة عن القتال بعد ما مات من جنودها 90 رجلا وجرح مئتان . أما الغواصة لوسيبي LE SYBILLE ، فقد اختفت . أما سيدي فروش SIDI FERRUCH ، فقد أفلتت وعلى ظهرها ثلاثة ضباط و63 جنديا . ثم كُشف موقعها على خط عرض الداخلة (بعد إعلان وقف إطلاق النار) . وأصابتها قذائف إحدى الطائرات وأغرقتها وهي تحاول أن تدرك مدينة داكار . أما الغواصة لاميدوز LA MEDUSE ، فقد خرجت من الميناء بسرعة خمس عقد أو ست ، وهي غاطسة في الماء . فأطلقت ثلاث نسائف على الماسانشوسيتس ، لكنها تحركت حركة سريعة ، فنجت منها . وكان البحارة قد سمعوا من قبل ضربات على هيكل البارجة ، إذ كانت الماسانشوسيتس قذفتها بقذائف من عيار 406 مم طاردتها نسافات أمريكية وأرسلت عليها قذائف تحت الماء . غير أنها أفلتت وعادت إلى العمق وظهرت على سطح الماء . واستصدرت الأوامر بواسطة العلامات . وكانت نوافذها السطحية مفتوحة . فانقضت عليها على حين غفلة طيارات مطاردة أمريكية برصاصات خطاطة من عيار 12،7 . فجرح ثلاثة رجال : ضابط أصابته شظية في بطنه واثنان أصابتهما رصاصة في الكتف . وأدرك البحارة أن الهيكل قد خرق . ثم رُتِّبت الخروق في الصابورات . فغاصت لاميدوز من جديد وتوجهت إلى آسفي . غير أنه تعذر عليها الظهور على سطح الماء ، فكانت تميل تارة

البيضاويون يذكرون حوادث

8 نفمبر 1942 :

« لقد سمعت صفارة الانذار في الدار البيضاء ، قبيل طلوع الشمس . ثم سمع دوي المدافع التي قصفت قصفا عنيفا . وينبغي أن نشير ، من الان ، إلى الثبات الرائع الذي تحلى به السكان المغاربة والفرنسيون ، إذ لم يلاحظ أي ذعر على الناس ، فاستمروا جميعا في أشغالهم » .

(عن الجريدة Le Petit marocain الاحد 8 والاثنين 9 نونبر 1942)

« لقد أيقظتني في الفجر على الساعة السادسة إلا ربعا جميع صفارات الانذار التي أخذت تدوي . ثم سمعنا كذلك دوي محركات الطائرات تقترب من المدينة . فصعدنا ، أنا وجميع أفراد أسرتي إلى سطح البيت ، مثلما فعل جميع جيراننا . والقيت على المدينة آلاف المناشير . وفتر أزيز المحركات وابتعدت الطائرات وتركت إثرها وريقات ترفرف في السماء القليلة الضباب . وقد كتبت باللغتين ، العربية والفرنسية ، ورسمت عليها صورة الرئيس الامريكي روزفيلت وشخص مغمور هو الجنرال أيزنهاور . لقد جاء الامريكيون « لغاية وحيدة ، وهي الانتصار على العدو المشترك » أي الالمانيين . وارتفع النهار ، لكن الشمس لم تظهر بعد . وأبصرت في الافق ، في جهة فضالة ، أسطولا عديدا رماديا يحجب البحر . وأخذت المدافع تدوي عن بعد منذ الساعة السادسة . كان دويها خفيفا أول الامر ، ثم استمر وأخذ يتزايد ويقوى . وسمعت آلاف الطلقات ، وخلت سطوح المنازل من السكان ، وأخذت أسوار البيوت ترتج ، وخاصة منذ الساعة السابعة أو الثامنة حينما أخذت مدافع المدرعات الضخمة وقنابل الطائرات ترعب النساء والصبيان بطلقاتهما الكثيمة . ودام ذلك الرعب عدة ساعات » .

« وفي الصباح الباكر أيقظت القذائف والانفجارات سكان مدينة الدار البيضاء . وأخذت طائرات أمريكية تحلق على ارتفاع قليل وتلقي مئات الالاف من الاوراق الصغيرة مزينة بالعلم الامريكي (...) ومعلنة تحرير المغرب (...) فتوجهنا إلى الميناء حيث أغرقت ثلاث بواخر مسافرين . وكان على ظهرها أطفال ونساء أجلوا من مدينة داكار . ذلك أن الامريكيين استطاعوا أن يوهموا الالمانيين أن قواتهم البحرية ستنزل في السينغال (...) وكان الاطفال والنساء يتجاورون في الميناء لابسين مناماتهم وهم يبحثون بعضهم عن بعض . ولم تُيسر قذائف الجيش الفرنسي وقنابله جمع هؤلاء إلا قليلا ، ثم نقلوا إلى المدارس والمستشفيات . وأغرقت الباخرة Lipari التابعة للشركة Messageries Maritimes وبلغ أسفلها القعر على عمق ستة أمتار أو سبعة ، واختفى ما بين سطوحها في الماء ولكن هياكلها الفوقية بقيت ظاهرة فوق الماء ... » .

« كنا نسكن السور الجديد غير بعيد عن الحديقة العمومية . وكان البيت يرتج (من شدة القنبلة وطلقات المدافع) لقربه من الميناء . ومكثت في البيت مع بعض النساء بينما رّحل أبي بعض أفراد العائلة إلى دار بوعزة .

8 - 10 نفمبر 1942

وذهبت في اليوم التالي إلى المدرسة ، فعلمت أن رئيس الفرقة علي الشيهب الحجامي قتل في اليوم السابق ، إذ قطعت رأسه قذيفة مدفع » .

(عبد الله الرداد)

« حوالي منتصف النهار ، أبصرت ثلاث طائرات تحلق في السماء قادمة من الداخل ، وتنقض بقذائفها على مجموعة مدافع العنق قرب منارة الميناء . وقد قتلت امرأة في بيتها بقنبلة فيما بين الساعة الثانية عشرة والساعة الثانية بعد الزوال في أول يوم من القنبلة . وكانت تسكن في المدينة الجديدة قرب القصر الملكي بشارع Rhur خلف Casa-Rayon . وكانت طائرات أمريكية تحلق فوق المدينة . وكنا نسمع ذوي قذائف السلاح المضاد للطيران قادما من جهة الميناء . فسقطت قنبلة على البيت واخترقت سقف الطابق الاول وسقطت شظاياها في ساحة الدار .

(عمر الصقلي)

الليلة من 9 إلى 10 نفمبر 1942

« لقد قـضّـت مضاجعنا أثناء الليل . ولم يكن هناك قصف مقلق . لكننا كنا نسمع ، كل نصف ساعة تقريبا ، قذفة مدفع ضخم بعيدا في الميناء في وسط الظلام الدامس حيث كان الرعب منذ أيام قليلة : كان كل ما حولنا يهتز ، واستيقظ جميع النيام . أأصيبت البارجة Jean Bart ، تلك المدرعة الفرنسية الهائلة الراسية في الميناء ؟ أقصفت هي باخرة أخرى ؟ لماذا هذا الدوي الهائل ، ثم خيم الصمت ؟ ثم نمنا والكابوس يشغل بالنا وأشباح البارجة Jean Bart لا تفارقنا كأنها أبو الهول صامتا كاتما أسراره . »

(عن الجريدة Le Petit Marocain
11 نفمبر 1942)

10 نفمبر 1942

« ثم رأينا كثيرا من تلك الطائرات التي تنقض من السماء على مرتفعات الارض ، وتستطيل فوق مدينة الدار البيضاء حسب منحدرات المدينة وسط القصف المفاجئ الذي أحدثته المدافع المضادة للطيران ، وكأنها تريد الغوص في البحر في وقع شديد . عندئذ استطاعت الاعين التي احتفظت بحدة الشباب أن تبصر عن بعد مجموعة من الحبوب الصغيرة ، تتناثر منها في الاعالي القاصية ، مجموعة من القذائف .

« وكان كل شيء يبدو هادئا عند الغداء ، إلا صوتا غير واضح كأنه صوت حرب جيش المشاة ، أكان ذلك في الشمال الشرقي ؟ في عين السبع ؟ إنها بعض قذفات المدافع أو الهاون وبعض طلقات الرشاشات . ثم أخذ الدوي يشتد ويقترب . أهو دوي أمريكيي فضالة يقتربون بمثل هذه السرعة ؟ ما أشبه ذلك بهدير الخيل تركض . لكن تبين أخيرا أنها جلجلة أعظم من ذلك ، إنها القنابل السوداء تقذفها في سماء الميناء المدافع المضادة للطيران . »

(عن الجريدة Le Petit Marocain
11 نفمبر 1942)

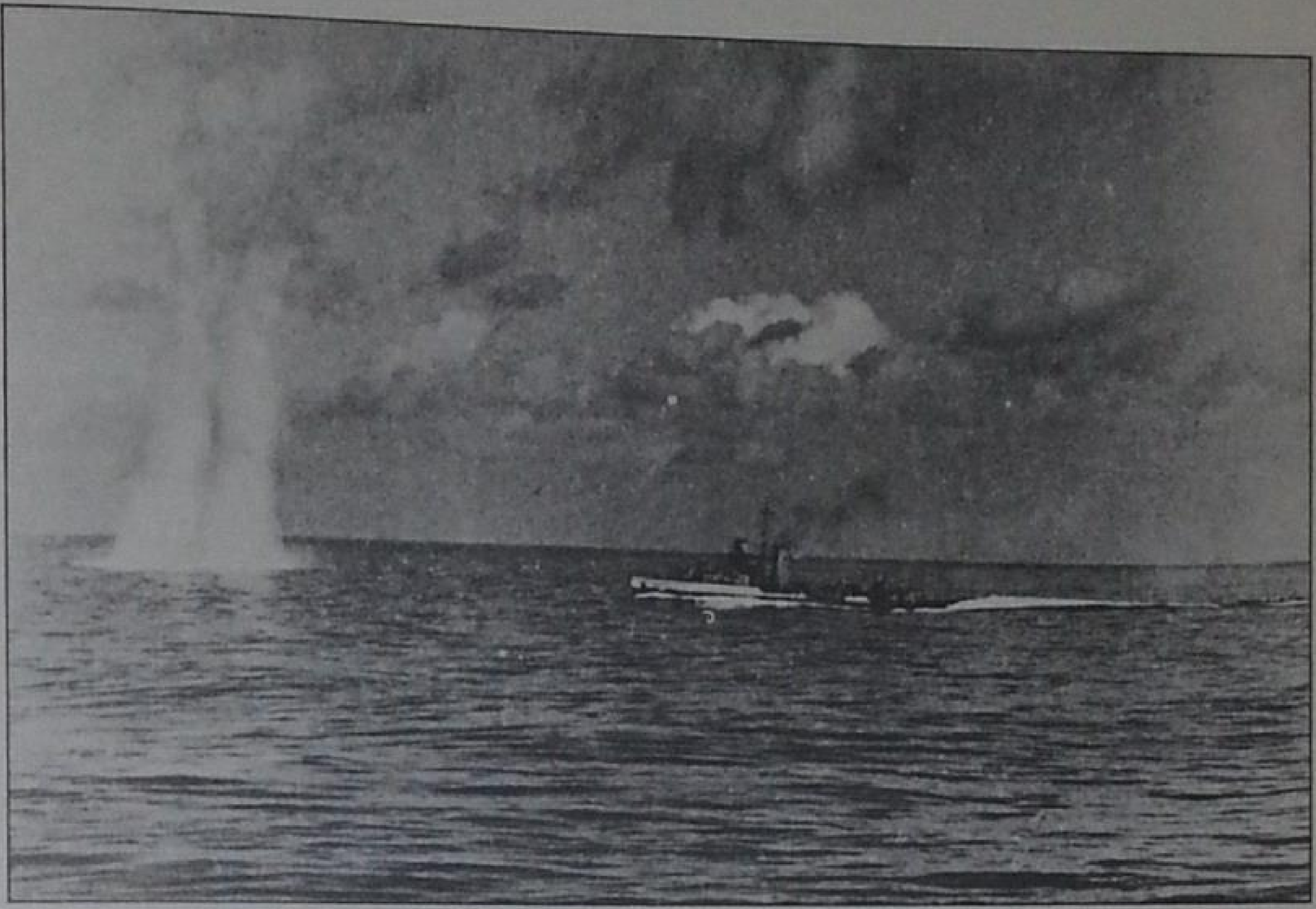

تصاعد الماء إثر إرسال المدرعة Jean Bart قذيفة من عيار 380 مم على مدمرة أمريكية (أخذت الصورة من سطح المدرعة الأمريكية Augusta) .
(من وثائق الكاتب) .

لقد عطب برج المدرعة Jean Bart ولم يعد يتحرك . يرى في الصف الأول بوشو Pucheux وزير الداخلية الفرنسي والجنرال نوكيس ، مقيم فرنسا العام .
(من وثائق الكاتب) .

إلى الأمام وتارة إلى الوراء . فأنزلت الجرحى الثلاثة في آسفي . ثم هاجمتها الطائرات الأمريكية مرة أخرى ، فذهبت إلى الجرف الأصفر حيث توجد إلى الآن ، وتشاهد قرب الرأس الأبيض عند أقصى الجزر . أما الجرحى ، فقد أنزلوا منها .

أما الغواصة التي كانت في حوض الاصلاح ، فقد خرجت من الميناء يوم 8 نفمبر بدون استعمال منظارها ، فأغرقتها الطائرات الأمريكية . وحاولت الغواصة لوطونان le Tonnant أن تغرق حاملة الطائرات رانجر ، ثم توجهت إلى قادس Cadix حيث أغرقها ربانها يوم 15 نفمبر .

ولم ينج من الغرق إلا غواصة واحدة ، وهي لالسيون l'Alcyon .

وقد شُده الأميرال هيويت لما تبين له أنه أرسل ثلاثة أرباع قذائفه من عيار 406 على مجموع مدافع العنق دون أن يصيبها . وكانت البارجة جان بار هي الوحيدة التي استمرت في مقاومة الأمريكيين . وقد عطب برجها ، فتوقف عن الحركة ، فأصلح العطبَ أحد رجال الصناعة ، لكن المدافع لم تتحرك .

وفي اليوم العاشر من نفمبر على الساعة الثانية عشرة والدقيقة العشرين اقتربت الطرادة أوكوستا ، وبعد عشر دقائق أصبحت على بعد 17 كلم (وكانت جان بار تستطيع أن تصيب هدفها على 25 وحتى 30 كلم) . لكن القذائف الأولى لم تُصوب ، إذ عاقتها رافعة ضخمة كانت بالقرب منها . وكادت القذفة الخامسة أن تصيب مقدم أوكوستا ، إذ كان على

مساهمة المغرب في الحرب

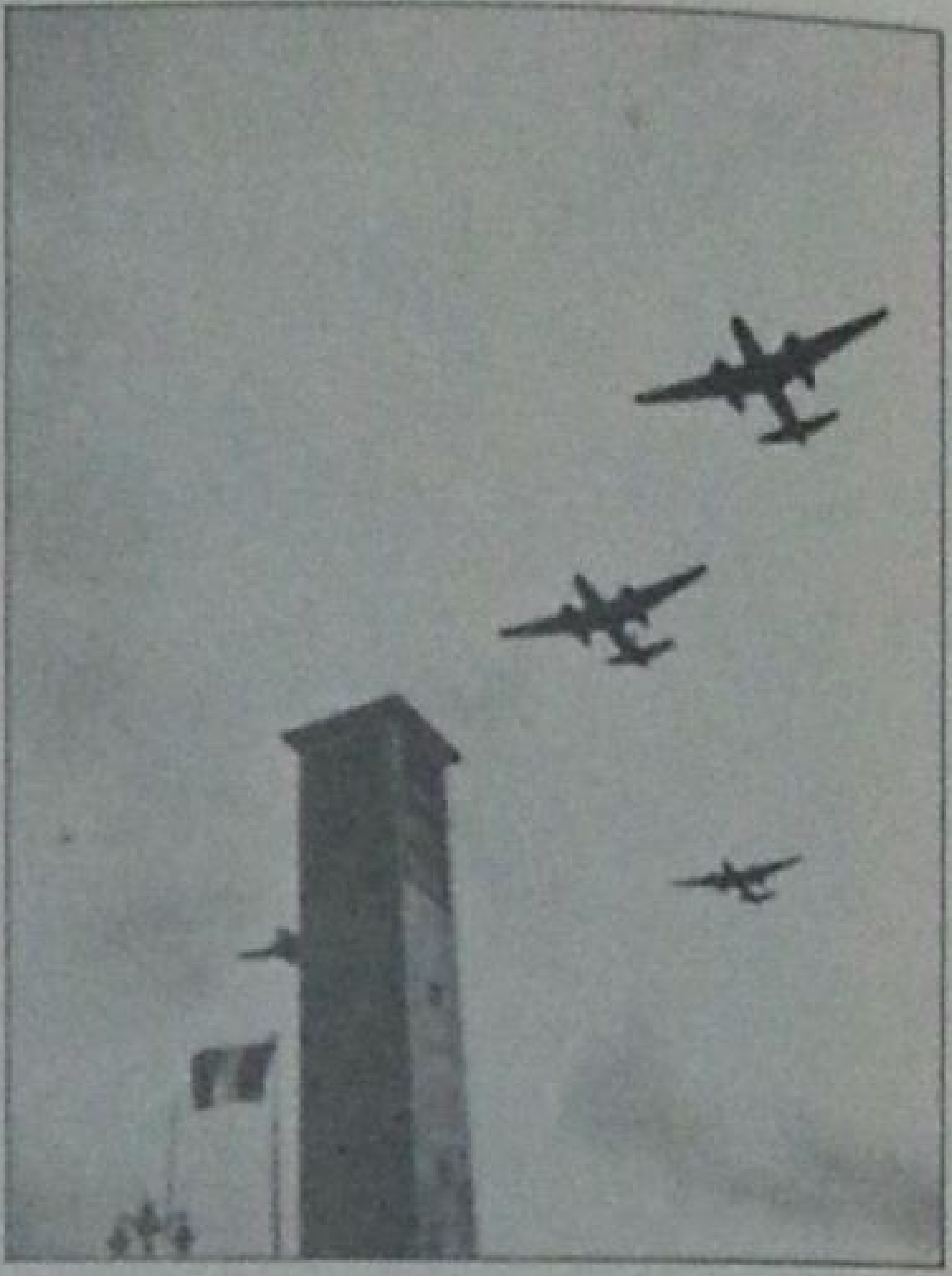

سرب من الطائرات الأمريكية فوق ساعة البلدية (اليوم ولاية الدار البيضاء) يوم 13 نفمبر 1942.

ظهرها الأميرال هيويت واثنان من مساعديه والجنرال باتن وجنرال آخر وصحافيون، وأصيب الأميرال برشاش كثير من الماء المصفر اللون، فاضطر إلى تغيير بذلته. فغضب وأمر بتدمير «تلك الباخرة الصفراء». وقد أصابتها قذائف من عيار 1000 رطل خرقت مؤخرها. ثم خرقت مقدمها. ثم رست في الميناء. وقد قتل 19 من نوتيتها وجرح 42 منهم. ونتج عن مجموع هذه العمليات البحرية 462 قتيلا (803 حسب تقديرات أخرى) و 640 جريحا (أكثر من ألف). وقد يزول الفرق بين هذه الأعداد إذا أضفنا أعداد المدنيين إلى أعداد الملاحين.

وإذا أحصينا المصابين برّا وبحرا أصبح العدد 3000 قتيل، منهم 2000 عند الفرنسيين. أما سكان الدار البيضاء المدنيون، فقد أوشكوا أن يصيبهم من القنابل ما أصاب غيرهم، ولم يفلتوا إلا بخط يسير. ذلك أن الأمريكيين سبق لهم أن استعدوا لقذف المدينة ودك بعضها. لكن عاصفة كانت مقبلة. وأخذت بعض الغواصات الألمانية تتجمع. وبعث الجنرال ايزنهاور EISENHOWER برقيات مرموزة لم تصل، إذ تُرك دليل الرموز الذي يستعمله باتن في إحدى البواخر. ثم بعث ايزنهاور رسالة بواسطة الطائرة، لكنها أسقطت. وفي النهاية أخبر أمريكيو القنيطرة الأميرال هيويت، واستطاع قائد جيش القنيطرة تروسكوت أن ينقذ مدينة الدار البيضاء. فقد أمر الجنرال نوكيس NOGUÈS بوقف إطلاق النار الذي أمر به الأميرال دارلان DARLAN. أما في فيشي VICHY، فقد تعمد الأميرال أوفان AUPHAN أن يأمر الأميرال ميشليي MICHELIER بالمقاومة أكثر ما أمكنه ذلك. وفقد الفرنسيون 170 طائرة وجميع بواخرهم.

حملة تونس

ودخل المغرب الحرب دخولا فعليا، وللمرة الثانية. فشارك الجنود المغاربة الحلفاء من أمريكيين وانجليزيين وفرنسيين، كما فعلوا من قبل سنة 1918. وكانت الحرب ضارية وفاجعة بالنسبة للألمانيين والايطاليين. وابتدأت المعارك الأولى يوم 19 نفمبر 1942، أي 11 يوما قبل نزول الحلفاء بالمغرب والجزائر. وانتهت العمليات يوم 13 ماي 1943 بدخول الحلفاء مدينة تونس.

كان عدد الجنود المغاربة 35000، أي نصف مجموع أعداد الجنود القادمين من المغرب والجزائر وتونس، المشاركين في الحرب. وكانت هذه الوحدات قليلة التجهيز. فقد كانت تتنقل على الأقدام، كما فعلت سنة 1940. وكانت الخيل هي التي تجر المدافع. أما العتاد، فكان منعدما. فلا شاحنة ولا دبابة، ولا مدفعية قوية، ولا كاشف عن الألغام. وقد قدر الجنود المغاربة حق قدرهم لشجاعتهم ومضائهم وثباتهم.

وأصبحت بلاد **تونس ميدانا للحرب**.

وكان الجنرال الأمريكي ايزنهاور قد ابتكر المخطط **«طورش»** TORCH، وأعده لغزو قوات الحلفاء

علم أحد الطوابير المغربية.
(مجموعة القبطان MERCHEZ).

شمالي افريقيا. وكان قد تعمد حصر العمليات في المغرب والجزائر. ولم يرد الأخذ باقتراحات الانجليز الذين كانوا أشاروا بإنزال الجنود في تونس. ذلك أن مطارات صقلية التي لا تبعد إلا بمائة وأربعين كلم قد تسهّل على الألمانيين والايطاليين التصدي للحلفاء، فقد يخسرون بذلك كثيرا من رجالهم وعتادهم حسب تقديره: ثلاث بارجات ضخمة على الأقل، من ضمنها حاملة للطائرات.

ورفض ايزنهاور كذلك اقتراح الأميرال الانجليزي ليستر LYSTER الذي كان أشار بإنزال الجيش في تونس ونقل 5000 جندي من مالطة إلى العاصمة التونسية، تتبعهم طائرات مقبلة كثيرة مشحونة بالجنود. وقد استحسنت القيادة الأمريكية هذه الاقتراحات، لكن الجنرال ايزنهاور رأى من الحكمة العدول عن ذلك. فلربما كان يخاف هجوم الألمانيين على أسطوله في المحيط الأطلنتيكي أو هجوما مباغتا على جبل طارق وشمالي المغرب عن طريق اسبانيا. وكان يرى نجاح إنزال الجيش في المغرب وتونس غير محقق لقلة

تنظيم الجيش

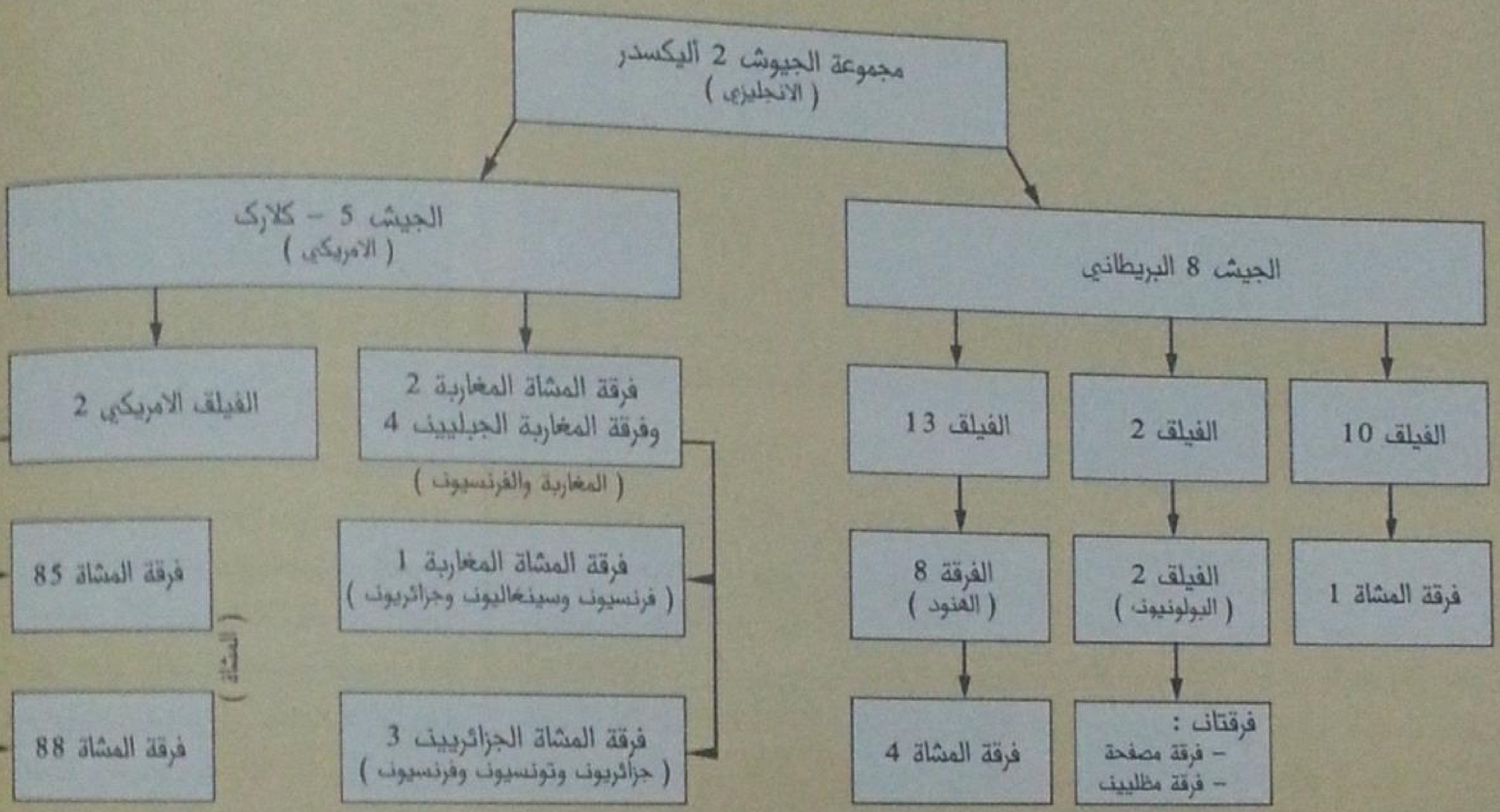

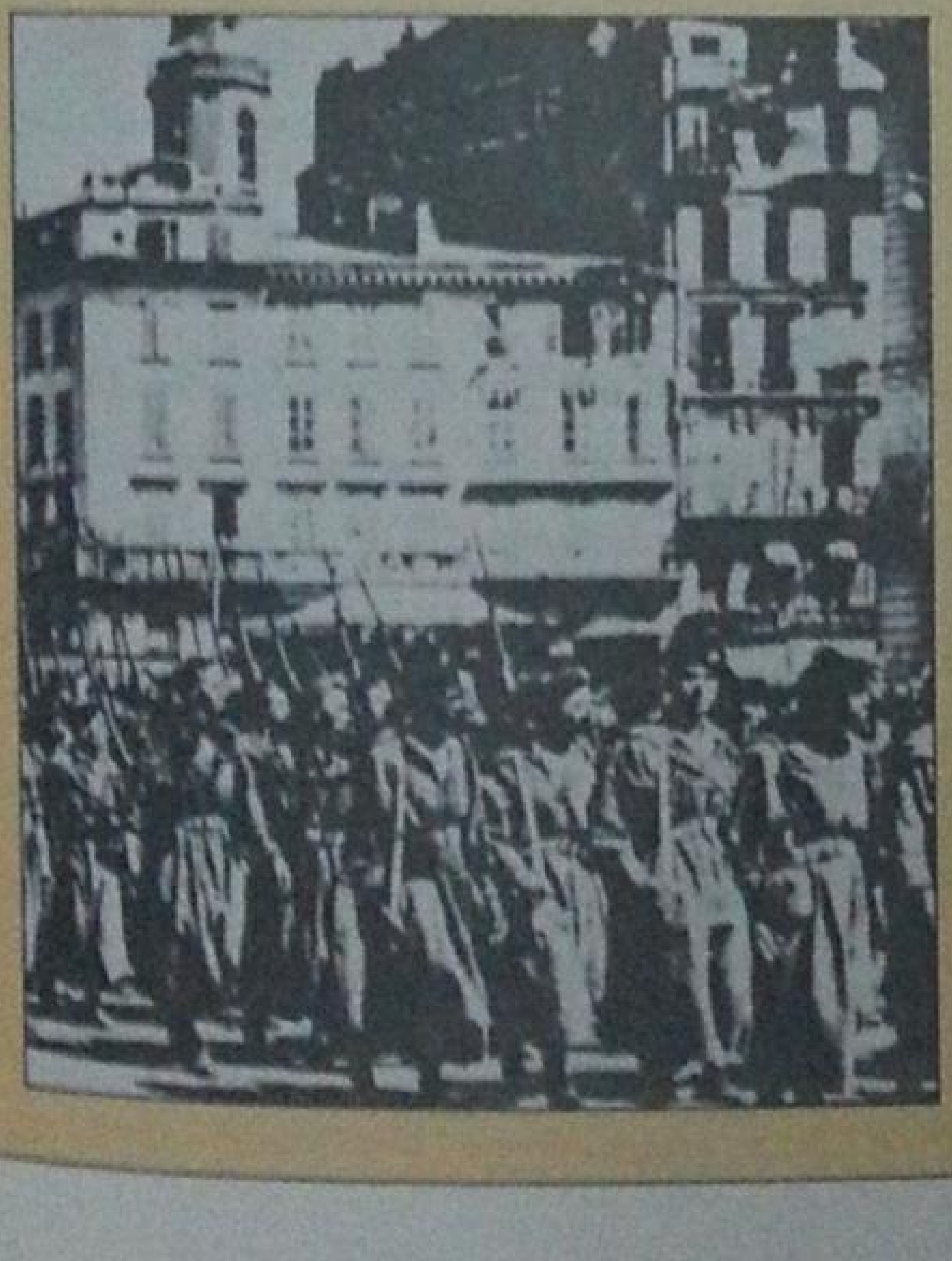

استعراض « الكوم » المغاربة في مرسيليا .
(من وثائق الكاتب) .

— أحد الرماة المغاربة حاملا طفلة في مقاطعة ألزاس ALSACE بين ذراعيه .
(من وثائق الكاتب) .

1. الجيش البريطاني الاول
فيلق إفريقيا
2. فوج الرماة المغاربة السابع
مجموعة الطوابير المغربية الاولى والثانية والرابعة والسادسة
3. الجيش البريطاني الثامن

نهاية الحملة في بلاد تونس

18 أبريل – 12 ماي 1944

عدد الجنود (105.000 جندي) ، إذ لا يمكن توزيعهم من آسفي إلى تونس على مسافة 1800 كلم .

وأُنزلت القوات الأمريكية في وهران ومدينة الجزائر يوم 8 نفمبر 1942 . وأنزل المظليون الانجليزيون في بجاية وعنابة يومي 10 و 11 من نفس الشهر . وقنبل الطيران الألماني البواخر الأُولى التي سبق لها أن نقلت المدد والسلاح . ولم يُحتل مطار عنابة إلا يوم 12 نفمبر . وظهرت مصفحات الجيش الأول البريطاني في بلاد تونس يوم 18 نفمبر لتلتقي بالقوات الفرنسية في مجاز الباب ، على بعد 50 كلم تقريبا من العاصمة .

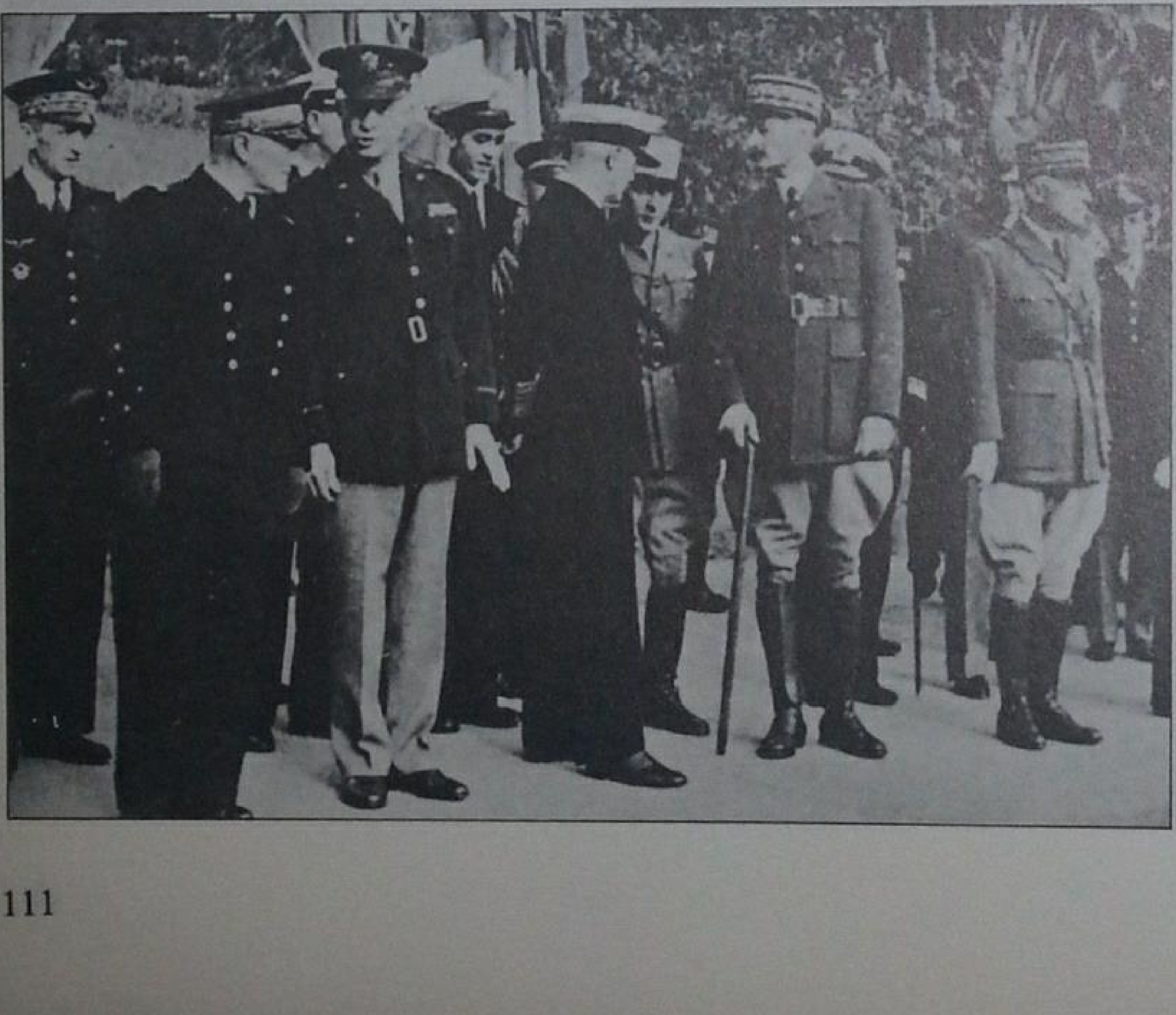

الجنرال ايزنهاور ، وهو الثالث من الشمال . وعن يمينه الجنرال BERGERET والأميرال DARLAN ، وعن يساره الأميرال CUNINGHAM والقبطان BEAUFRE والجنرال LEMINZER والجنرال NOGUÉS .
(من وثائق الكاتب) .

وفي يوم 19 نفمبر أُرسلت القذفات الأولى التي عاقت الألمانيين عن التقدم . وفي 25 من نفس الشهر قدمت الدبابات المتوسطة الحجم الانجليزية والأمريكية من الجزائر وهاجمت الألمانيين جنوبي بنزرت ، لكنها أخفقت في هجومها على تونس العاصمة ، إذ سبقها الألمانيون ، فأمكنهم أن ينظموا رأس جسر متين حول العاصمة وحول بنزرت .

وكان رد فعل الألمانيين مباشرة بُعيد نزول قوات الحلفاء في المغرب والجزائر . فقد أُنزلت 100 طائرة ألمانية يوم 9 نفمبر في مطار العاصمة التونسية . وكانت ثلاثون طائرة من طراز جونكر Junker قد قنبلت مدينة الجزائر . وفي يوم 10 نفمبر ، قدمت 150 طائرة حاملة 12000 جندي . وفي اليوم 12 من نفس الشهر أُنزلت كتيبتان ألمانية وإيطالية في مدينة بنزرت . وكان عدد الجنود الفرنسيين والتونسيين من زواويين (Zouaves) ورماة وخيالة لا يبلغ سوى 7000 رجل . فجلَوا على كبريات المدن الساحلية لاحتلال المواقع الدفاعية في المناطق الجبلية المشرفة على أهم الطرق المؤدية إلى الجزائر . وفي منتصف نفمبر قدمت من قسنطينة أمداد جزائرية . وبذلك استولى 20.000 جندي على جبهة طولها 400 كلم موازية للحدود الجزائرية . وأُخرج العتاد الذي كان الفرنسيون أخفوه منذ سنة 1940 ، كأن العمل عمل ساحر . فأُخرجت القاطرات والعربات والشاحنات من الشاطئ وبعثت جهة الغرب . وظهرت في الجبهة الرشاشات والمدافع المضادة للطائرات ، وحتى طائراتٌ من نوع عتيق جدا . وبقي الألمانيون سادة الجو لمدة محدودة . وكانت المطارات التي يستعملها الحلفاء على بعد 500 كلم ، فلا يستطيع الألمانيون الوصول إليها . وقد عرقل العمليات انعدامُ المواصلات انطلاقا من الغرب إلى الشرق . ذلك أن الطرق غير الرئيسية تستوحل بمجرد ما تنزل عليها الأمطار الأولى .

وفي مستهل دسمبر استقرت القوات المغربية في الغابات والجبال بالمنطقة الوسطى من القطر التونسي . فكان جنود الفوج السابع من الرماة المغاربة قد وصل قبل غيره من مكناس وميدلت . وما لبثت أن تبعته ستة أفواج أخرى من فاس وتازة وستة أفواج من « الكوم » . وفي 20 دسمبر هاجم الفوجُ السابع من الرماة المغاربة وجنود « الطوابير » الأدغال شمالي القيروان وجنوب غربي زغوان في مناطق جبال فكيرين وشيريش . وقد بطلت فائدة هذا الهجوم لانعدام المصفحات ، وذلك رغم مساندة المدافع البريطانية المضادة للدبابات . واضطرت القوات إلى العودة إلى منطلقها بعد يومين . وكان المطر

مجموعة البواخر الامريكية التي أنزلت الجيوش في المغرب .
(من وثائق الكاتب) .

الماريشال روميل يعطي أوامره .
(من وثائق الكاتب)

والوحل بعرقلان العمليات . ثم استؤنف الهجوم يوم 27 دجنبر بمساعدة عدد من الدبابات الخفيفة الأمريكية . وتقدم الجنود أول الأمر تقدما محسوسا واسترجعوا بعض البلاد . لكنهم تباطؤوا بعد ذلك . وفي 28 من الشهر هجمت الدبابات الثقيلة الألمانية هجمة عنيفة ، وتشبثت القوات المغربية بالمناطق العالية التي كانت تمكنها من الأشراف على السهل الشاطئي الضيق الممتد بين سوسة والقيروان ومن مراقبته . وفي الليلة ما بين 28 و 29 دجنبر استولى المغاربة على الفجاج التي تؤدي إلى القيروان . ثم لحقت بهم ستة أفواج من الرماة قادمة من فاس وتازة وأربعة « طوابير » وخمسة عشر فوجا من « الكوم » . ثم استقر الفيلق الثاني الأمريكي في قسنطينة وأدرك الماريشال روميل Rommel عندئذ ما يهدد مواصلات مؤخرة جيشه .

الماريشال روميل بين نارين

منذ انتصار البريطانيين بالعلمين يوم 4 نونبر ، تقهقر روميل بجيشه Africa Korps عبر الفيافي وزوابع الرمل على مسافة 2000 كلم ، وطارده الجنرال مونكومري Montgomery مطاردة مستمرة ، باستثناء الأوقات التي كان المطر فيها يعوق الجيش الثامن البريطاني عن متابعته . ودخل الجنرال الفرنسي لوكلير Leclerc بلاد الفزان في قلب ليبيا على رأس جيوش قادمة من التشاد . وبدت أمارات الوهن واضحة على الألمانيين والايطاليين . وكأن روميل أخذ بين فكي فم كماشة ضخمة قد تسحقه سحقا . وكان الجيش الثامن الموجود شرقا يشتمل على 220.000 جندي . أما الجنرال ايزنهاور ، فكان يُعد قوة مماثلة غربا . أما الفيلق الخامس البريطاني والأربعون ألف رجل من المغاربة والجزائريين والتونسيين والفرنسيين ، فقد كانوا يكافحون في داخل التراب التونسي . ولم يبق من الفيلق الثاني الأمريكي قرب منطقة العمليات إلا بعضه . وانتهى ترتيب هؤلاء الجنود البالغ عددهم 150.000 رجل في أواخر يناير . وكان الجنرال ايزنهاور يتأهب للقيام بهجمة عنيفة في نفس الحقبة .

على أن الماريشال روميل لم يمهل ايزنهاور ، إذ بادر هو قبل أن يهاجمه الحلفاء . ذلك أن الوضعية كانت خطيرة بالنسبة إليه ، فقد أوشك الحلفاء أن يقطعوا مواصلاته مع رأس الجسر الموجود في مدينتي تونس وبنزرت . ولذلك أعد هجمة واسعة كهجماته المعهودة . فحمل خمس مرات متوالية على القطاعات المغربية والجزائرية غربي القيروان من 18 إلى 27 دجنبر . ثم قرر أن يسترجع بكل الوسائل المنافذ المؤدية إلى القيروان . فقنبلت طائراته البلاد قنبلة عنيفة يوم 3 يناير . ثم أرسل حملة أخرى بوسائل عصرية ضخمة . وضحى في هذه المعركة بكتيبة كاملة . واستطاع أن يحتل أحد المنافذ الجبلية المؤدية إلى القيروان . وضاعت منه كل قمم المنطقة الوسطى من التراب التونسي ، إذ استقرت فيها القوات المغربية . وسارع إلى نقل الوحدة العاشرة Panzer (وهي وحدة مضرسة تحارب منذ 10

الجنرال مونكومري يحيط به ضباط هيأة أركان حربه .
(من وثائق الكاتب) .

مذكرات من التراث المغربي

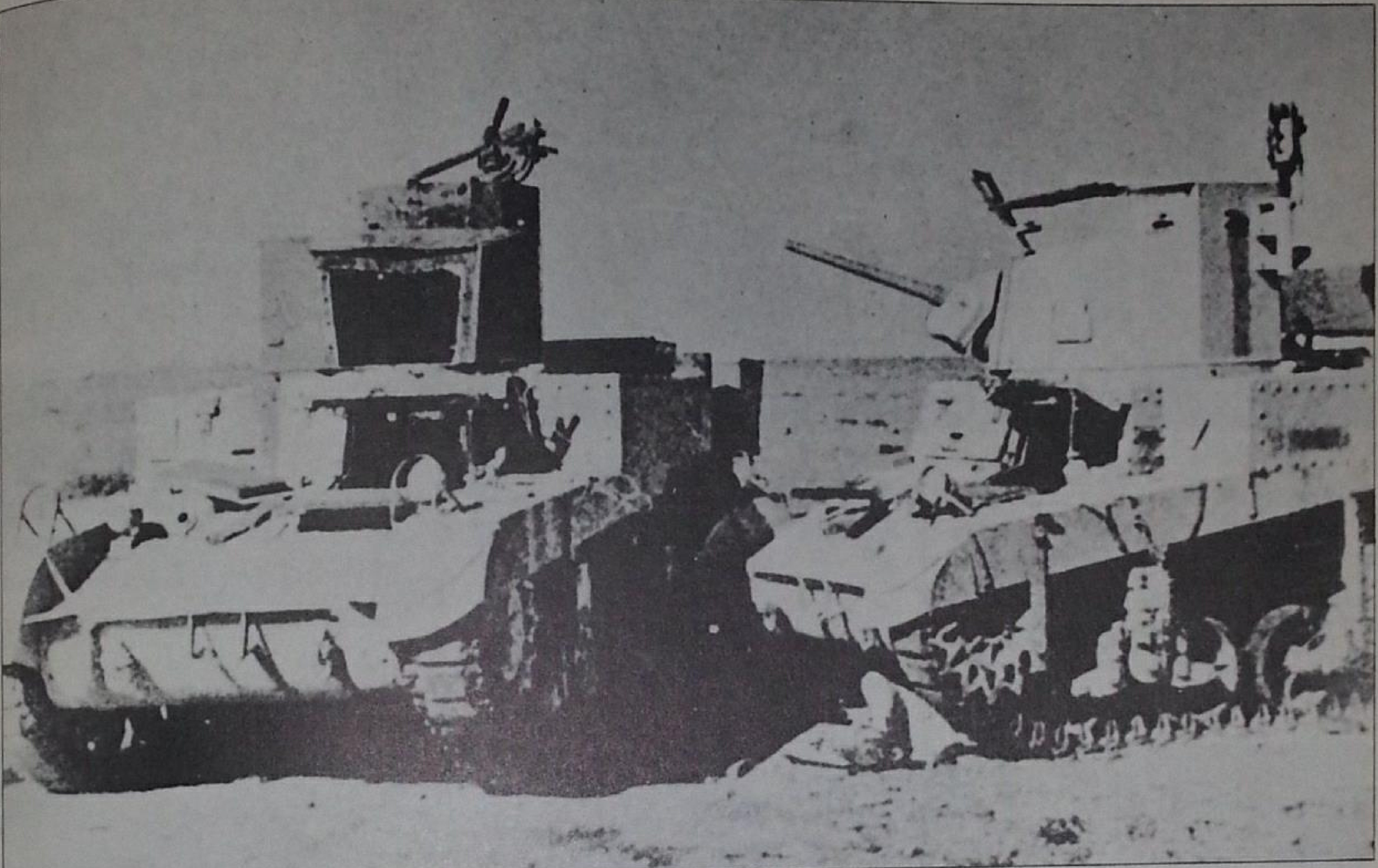

دبابات الجيش Afrika Korps الذي قاده روميل ، وقد تركت في الصحراء .
(من وثائق الكاتب) .

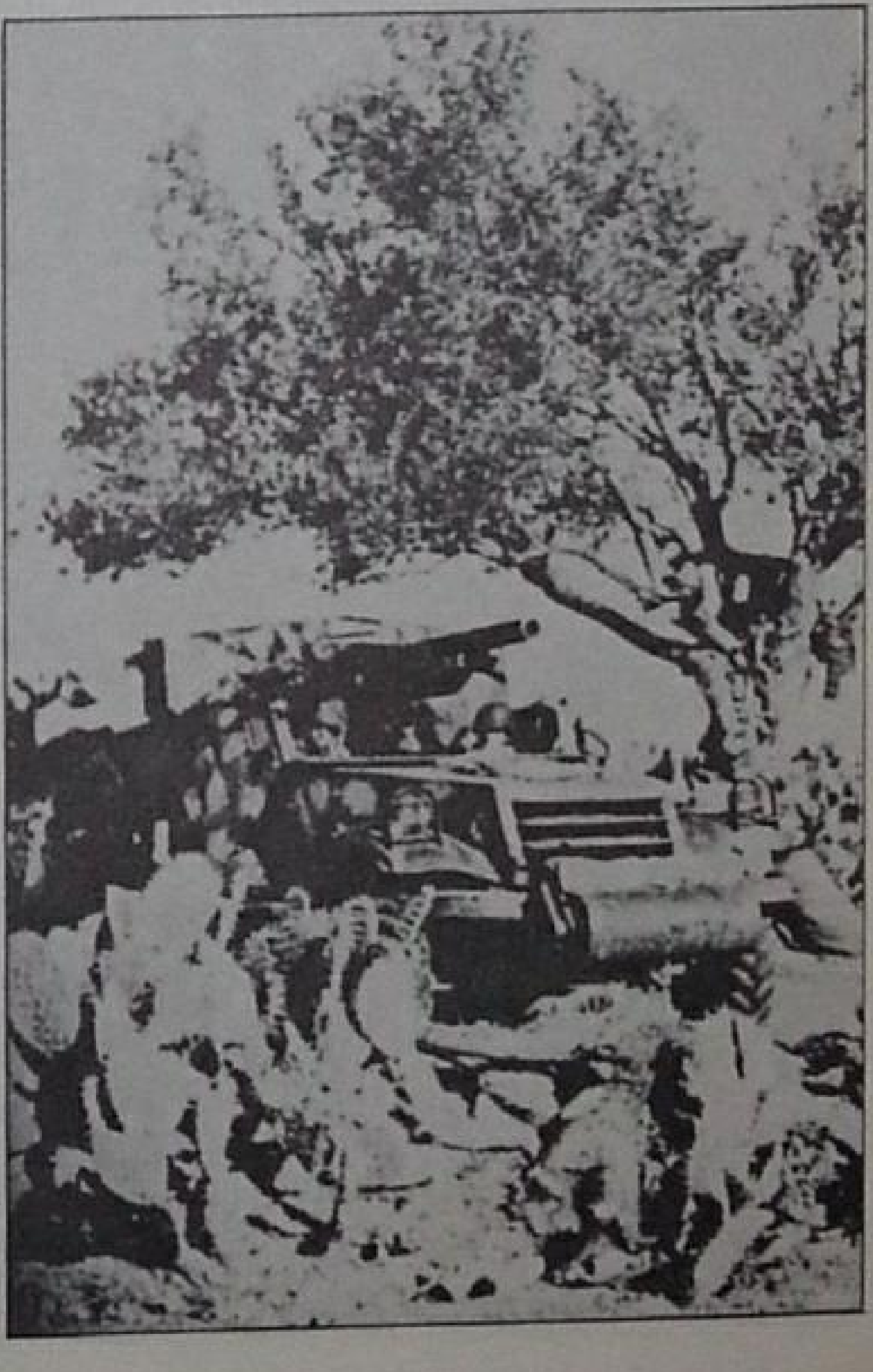

مدفع محمول يمر وسط حقل من الصبار في تونس .
(من وثائق الكاتب) .

ماي 1940). وأربع كتائب وفرقة من المشاة وعدد من المظليين ومن دبابات من طراز Panther من فئة 52 طن (وهي دبابات من نوع جديد لم يسبق ظهورها من قبل في افريقيا) . فأقامها في مدينة زغوان بين مدينتي تونس والقيروان . وابتدأت الحملة يوم 18 يناير على بعد 30 كلم جنوب غربي زغوان واستمرت في الليلة بين 18 و19 من نفس الشهر . واغتنمت الدبابات ليلة تمام البدر لتتقدم في زحفها . ولم تكن المدافع من طراز 74 ذات جدوى ضد الدبابات المصفحة . وحوصرت القوات المغربية ، وقصفت وهي في السهول ، فاعتصمت بالجبال بعد أن كابدت خسائر جسيمة . فتقهقرت جنوبا على بعد 20 كلم إلى جبل باركو . وصحبت معها الأسرى الذين أُسروا في العمليات السابقة . وكان رجال « الكوم » قد حاولوا عرقلة تقدم الألمانيين إلى بسيط أوسلتيا قرب القيروان .

وفي الليلة من 20 إلى 21 يونيو أحاط الألمانيون بمواقع المقاومة المغربية ، وهجمت الدبابات الأمريكية من 21 إلى 26 من نفس الشهر . وتمكنت من استرجاع المناطق المفقودة . وكانت القوات المغربية قد ابتليت بخسائر جسيمة . ولكن انقذتها الحملة الموفقة التي قادها الجنرال الأمريكي روبينيت Robinett . لكن روميل لم يكن ليرضى بما أنجزته قواته كامل

الرضى . لقد استطاع أن يجلي أعداءه عن الطرق الرابطة بين تونس وسوسة . وتخطت قواته ، قليلا إلى الجنوب ، السكة الحديدة الرابطة بين تونس وقسنطينة . واستطاع خاصة أن يربط الصلة يوم 26 يناير بين قواته وبين الأمداد الألمانية التي أنزلت منذ قليل بالقطر التونسي . غير أن الجنوب كان معرضا لخطر داهم . ذلك ، أن الحلفاء قد يقطعون الطرق الشاطئية الجنوبية التي تؤدي إلى صفاقس وقابس . وفقد الجيش Africa Korps بلاد ليبيا نهائيا إذ أصبحت هذه البلاد بمثابة مقبرة ثانية للجيش الألماني بعد ستالينكراد Stalingrad . فقد مات في الفيافي الليبية المحرقة 15.000 أو 20.000 من الشباب الألمانيين الذين لا تتعدى أعمارهم الخامسة والثلاثين سنة . وكأنهم حُنطوا بعد ما نهكتهم المعارك الضارية والزوابع الرملية والعطش . والتقت جنود الجنرال الفرنسي لوكلير بجنود الجنرال الانجليزي مونكومري Montgomery في مدينة طرابلس يوم 25 يناير . وقد قدم الأول من الجنوب ، من التشاد عبر واحات الفزان بينما قدم الثاني من الشرق .

وفي 30 يناير وصلت قوات لوكلير الحدود التونسية والتقت بالوحدات الجزائرية . وأدرك روميل أن الأرض أخذت تضيق به . فأرسل في نفس اليوم حملة جريئة بثمانين دبابة على فج فايد على بعد 100 كلم غربي صفاقس . وانقضت دبابات من الجيش Africa Korps على حراس الفج إذ كافحوا مدة 36 ساعة إلى أن نفدت ذخيرتهم . وكانت بعض المصفحات الأمريكية على مسافة 50 كلم من هناك . لكنها لم تستطع إسعافهم لما قاسته هي نفسها من نيران دبابات Panther التي منعتها من الحركة . وكان ذلك أول عهد هذه الوحدات الأمريكية بالحرب ، ولم يمض إلا قليل على وصولها إلى تونس . فتقهقرت وتخلت عن بعض عتادها . وفي 15 فبراير كان طريق قسنطينة قد خلا لروميل . وفي 17 منه كان قد أحبط الجهود المبذولة منذ ثلاثة شهور .

وفي 20 فبراير استولى على فج شامبي في منحدرات أعلى جبال تونس . وفي 21 و 22 اقتربت مصفحات من الحدود الجزائرية وأصبحت الوضعية حرجة .

فقد تخطت قوات روميل بلدة كسرين وأصبحت تهدد قسنطينة . وأوشكت أن تحمل من خلف على مجموع جبهة الحلفاء الوسطى . وفي فجر يوم 23 قصف طيران الحلفاء قوات روميل قصفا كثيفا ، فعاقها عن متابعة حملتها . فأصبحت مطارات الحلفاء أقرب في قسنطينة وسطيف . فتراجع الألمانيون إلى جنوبي القطر التونسي ، إلى قافصة أول الأمر ، ثم إلى جهة الشرق ، ثم إلى الشاطئ . وقد هدموا الجسور وزرعوا الألغام . لكن قوات الحلفاء لم تفتأ تتعقبهم بدون هوادة . ولم يمنعوا القوات المغربية من العودة يوم 5 مارس إلى المناطق العليا التي تشرف على سهل أوسلتيا غربي القيروان . وبذلك عادت القوات الحليفة إلى المواقع التي كانت تقيم بها في مستهل يناير 1943 .

فكسب روميل مدة شهرين في المنطقة الوسطى من البلاد التونسية . لكنه كان قد أحس بالخطر في المنطقة الجنوبية ، على بعد 45 كلم جنوبي قابس ، حيث كان الفرنسيون قد أقاموا سنة 1940 خطا من الحصون ببلدة ماريت بين جبال القصور والشاطئ ، في نفس خط بلدة جربة . فقد استولى عليه روميل منذ 20 يناير . وكان يخاف أن يحيط به الجيش الثامن الانجليزي ، إذ أخذ يستقر أمامه على طول خط ماريت . فحمل روميل على الانجليزيين وفقد في ذلك اليوم ما يقرب من 60 دبابة ، وتشبث بخط ماريت إلى متم شهر مارس .

حملة النصر على مدينة تونس

وساد الحلفاء في الجو سيادة كاملة . وفي منتصف شهر مارس كانت الفرق غير النظامية والفدائيون والبريطانيون يهددون بنزرت وتونس العاصمة من جهة الغرب . أما في الوسط ، فكان المغاربة يحتلون المناطق الجبلية والوديان والفجاج التي قد تمكن من النفوذ إلى السهول الشاطئية . أما في الجنوب ، فقد أقامت الفرقة الأمريكية الثانية في قفصة . واحتل الفرنسيون بقيادة الجنرال لوكلير المنطقة الجنوبية من البلاد . وتجمع الجيش الثامن البريطاني أمام خط ماريت Mareth .

وبدأ الحلفاء يتقدمون في كل مكان رغم المقاومة الضارية التي قاومهم بها الألمانيون . وأخذ هؤلاء يتقهقرون ويكابدون خسارات هامة من قتلى وجرحى وتحطيم عتاد . وفي 28 مارس حطم الجيش الثامن البريطاني خط ماريت . فدخل مونكومري قابس يوم 29 مارس وصفاقس يوم 10 أبريل . وكان يتصل اتصالا مستمرا بالفرقة الأمريكية الثانية التي نفذت غربا إلى السهل . وكانت « الطوابير » المغربية في نفس اليوم على بعد 25 كلم من مدينة القيروان . ووصلت هذه المدينة يوم 12 أبريل : فأسر من الألمانيين

الجنرال لوكلير في جنوبي تونس ومعه الجنرال الانجليزي مونكومري .
(م . وثائق الكاتب)

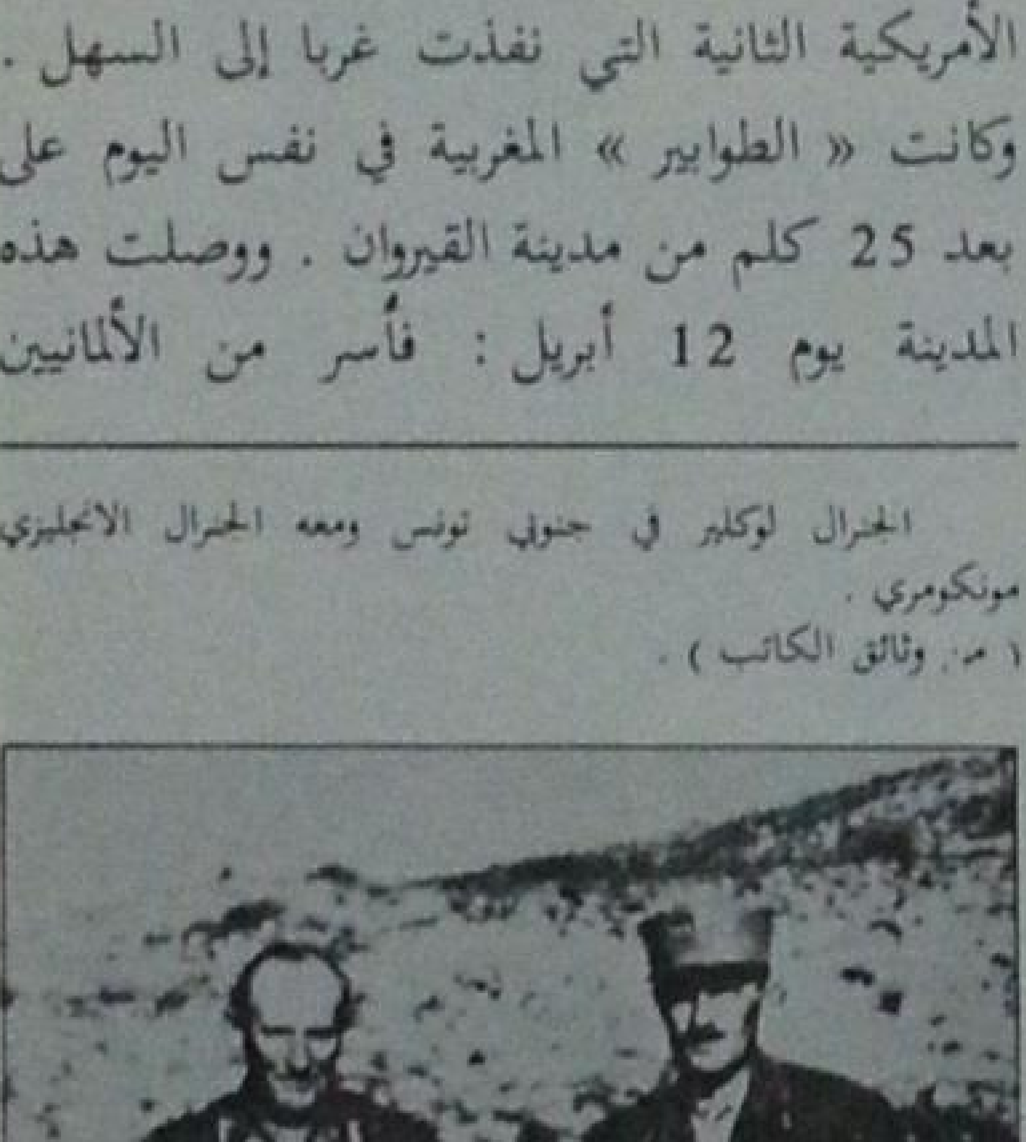

استعراض الكوم في تونس بعد استسلام قوات المحور.
(من وثائق الكاتب).

1100 جندي وغنمت عدة مدافع ورشاشات ومهارس وبقي في ساحة المعركة 500 رجل. ووصلت الدوريات الانجليزية في نفس اليوم إلى مدينة سوسة.

أما جنود الفوج السابع من الرماة المغاربة، فقد كانوا شمالا، تناوشهم المدفعية الألمانية وتعرقل الألغام مسيرتهم. فما كانوا يستولون على أحد الجبال حتى يهاجمهم الألمانيون ويقصفوهم قصفا شديدا ويزحزحوهم إلى السفح من غدهم.

وأصبح 200.000 جندي من الألمانيين والايطاليين محاصرين في رأس الجسر عند مدينتي تونس وبنزرت. وكانت آخر حملة يوم 5 ماي آذنت نهائيا بانهزام دول المحور في شمالي افريقيا.

وهجمت جميع قوات الحلفاء الهجمة الأخيرة يوم 6 ماي بعد قصف بالمدفعية دام طويلا. واخترقت الخطوط الدفاعية الثلاثة.

وحمل الانجليزيون الحملة الفاصلة من مجاز الباب. وكانوا، قبل ذلك بسبعة عشر يوما، قد كابدوا هجمة عنيفة أرسلتها عليهم فرقة هيرمان كورينك HERMANN GOERING، لكنهم كسروها. ففقد الألمانيون 33 دبابة في ساحة المعركة، منها 3 من طراز TIGRE MARK VI من فئة 65 طن. وقاسى البريطانيون محنا كثيرة في هذه الفترة. ولكن كان لهم شرف دخول مدينة تونس يوم 7 ماي قبل غيرهم. وفي يوم الغد دخل الأمريكيون مدينة بنزرت حيث سبقتهم جنود « الطوابير » والفرق غير النظامية الافريقية. واستسلمت أربع فرق ألمانية، منها كتيبتا PANZER العاشرة والخامسة عشرة اللتان كانتا تحاربان منذ ماي 1940 والفرقة المنتخبة هيرمان كورينك. وأُسر 250.000 رجل، وأصبح 827.000 جندي آخر غير قادرين على القتال، وغُنمت كمية كبيرة من العتاد.

وشارك المغاربة البريطانيين والأمريكيين والفرنسيين في الاستعراض الذي ترأسه في مدينة تونس الجنرال ايزنهاور والجنرال جيرو GIRAUD، وبذلك حققا الآمال التي تمخضت عن مؤتمر آنفا قبل أربعة أشهر. فضاعت من ألمانيا فرصة السيادة في البحر الأبيض المتوسط. وتيسرت بذلك الحملة على « القلعة الأوروبية » من جهة الجنوب، أي على صقلية وكورسيكا وإيطاليا.

حملة صقلية وكورسيكا

وكانت حملة صقلية قد تقررت في مؤتمر آنفا في شهر يناير 1943، وذلك ليتمكن الحلفاء من احتلال وسط البحر الأبيض

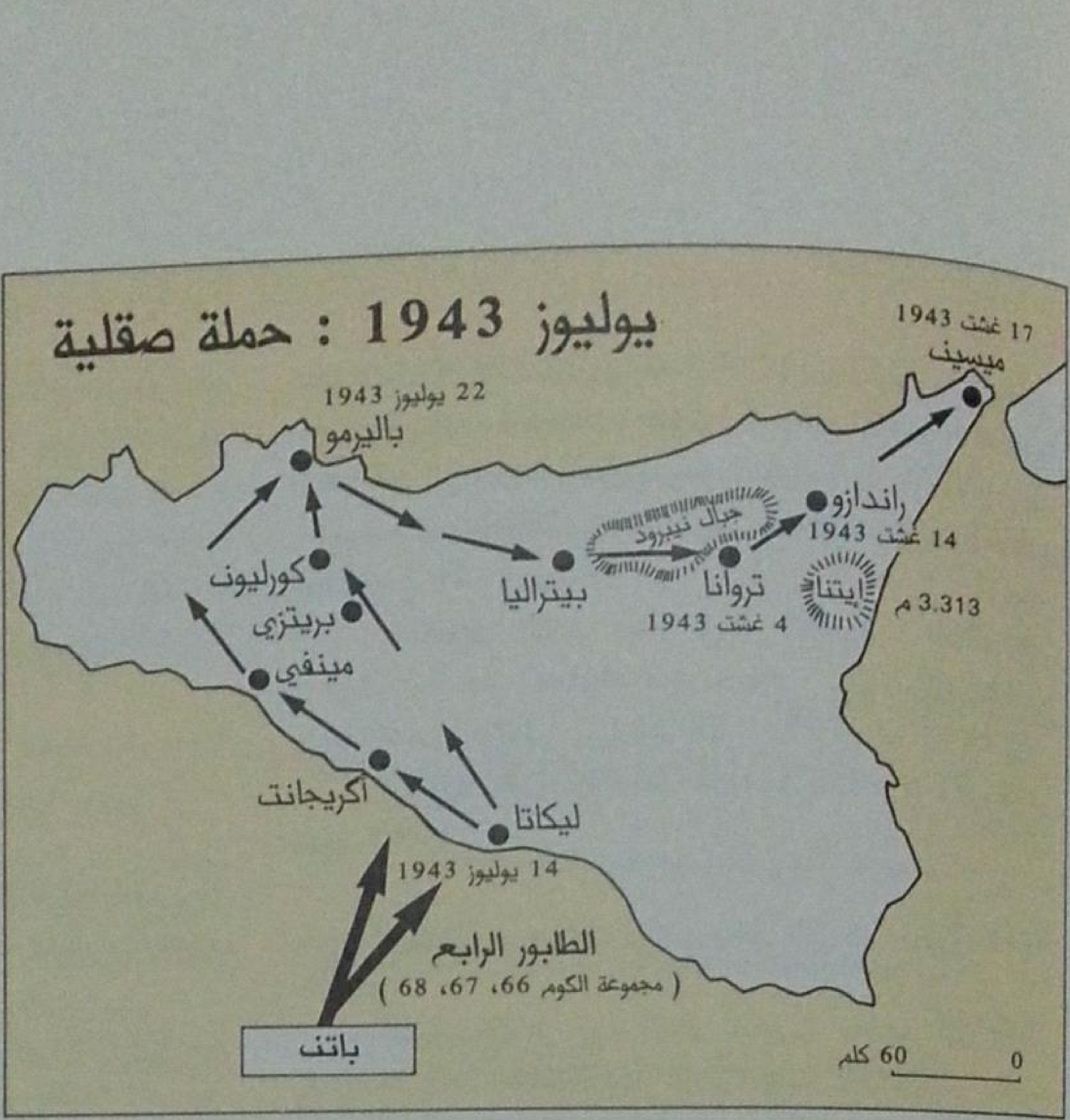

المتوسط . وابتدأت الحملة يوم 10 يوليوز من نفس السنة ودامت عشرة أسابيع . وقد قادها الماريشال البريطاني أليكسندر Alexander وساعده الجنرال باتن Patton قائد الجيش السابع البريطاني . وأنزلت القوات أول الأمر في جنوبي الجزيرة . وكان على باتن أن يحرر النصف الغربي من الجزيرة ، وعلى مونكومري أن يحرر الجزء الشرقي . واستنجد باتن « بالكوم » المغاربة في المناطق الجبلية لحماية حركة مصفحاته ، وذلك لأن الجبال في هذه المنطقة تعلو إلى 1000 و 1500 متر . فأنزلت المجموعة الرابعة من « الطوابير » المغربية في بلدة ليكاتا Licata شرقي اكريجانت Agrigente . وأنزلت معها الأفواج السادس والستون والسابع والستون والثامن والستون من « الكوم » . فشاركوا في معارك اكريجانت . وتقافز « الكوم » في الجبال كما تفعل الغزلان . وما أسرع ما قطعوا مسافة 120 كلم راجلين في ظرف أربعة أيام ليصلوا إلى مدينة باليرمو Palerme يوم 22 يوليوز . أما مونكومري ، فلم يكن له جُنْد جبال . لذلك لم يتقدم ولم يبرح بلدة كاتان Catane ، إذ قاومه الألمانيون مقاومة ضارية عند جبل إيتنا Etna الذي يبلغ علوه 3000 متر . وتدخل الجنرال باتن لغزو شمالي الجزيرة وليحيط بجبل إيتنا من خلفه . فنُقل « الكوم » بالشاحنات من باليرمو إلى بلدة بيترالي Petralia في منتصف الطريق بين باليرمو ومدينة ميسين Messine في جبال المنطقة الداخلية ، فاحتلوا ثلاث قمم : قمة كامبانيتو Campanito (1500 م) وقمة كونيكليو Coniglio (1100 م) وقمة أكوتو Acuto حيث كابدوا خسارات جسيمة . ثم وقعت بلدة تروانا Troina في يدهم يوم 3 غشت 1943 . وفي الفترة الممتدة من 3 إلى 14 غشت ، سار « الكوم » على طريق قمم جبال نيبرود Nebrodes شمال غربي إيتنا . فوصلوا إلى بلدة راندازو Randazo شمالي البركان . وفي أثناء ذلك سار الجنرال باتن على الطريق الشاطئية ووصل بلدة ميسين يوم 17 غشت 1943 .

« لقد اقتحموا ثلاث قمم علوها من 1100 إلى 1500 م » .
(من وثائق الكاتب) .

الجنرال باتن .
(من وثائق الكاتب) .

أما في الحملة على كورسيكا ، فقد كان الجنود أنشط ، إذ دام القتال ثلاثة أسابيع فقط ، عوضا عن ستة في صقلية . ودام احتلال الجزيرة

القوات المغربية في الجبهة الايطالية

11 دسمبر 1943 – 22 يوليوز 1944

75000 مغربي يغيرون على روما :

– 23000 من الرماة من بينهم 10.000 من فرقة المشاة المغاربة الثانية و 13.000 من الفرقة الجبلية المغربية الرابعة .

– 50.000 من رجال « الكوم » منهم 10.000 من مجموعات الطوابير المغربية و 40.000 غير منتمية إلى أية فرقة .

– 2.000 من جنود المدفعية

لم يدفع بالقوات المغربية قط في جبل كاسينو Cassino لكن على بعد 20 كلم شمالا ، ثم جنوبا .

فرقة المشاة المغاربة الثانية

10.000 من المغاربة و 6.904 من الفرنسيين .

الوحدات : أفواج الرماة المغاربة الرابع والخامس والثامن ، من نواحي تازة ومكناس ووجدة ، والفوج الثالث والستون من جنود المدفعية ، والفوج الثالث من الخيالة المغاربة .

كان وصولهم إلى مدينة نابلس يوم 21 نفمبر 1943 بعد ما عبروا البحر عبورا سريعا من بنزرت إلى بانيولي Bagnoli ، ثم تقدموا 80 كلم إلى الشمال الغربي .

في منطقة آبروز Abruzzes

الهجوم في وسط إيطاليا شمال جبل كاسينو في كتلة آبروز يوم 11 دسمبر 1943

– الفوج الرابع من الرماة المغاربة : الغارة على سان ميشيل San Michèle في 15 – 16 دسمبر 1943 . الاستيلاء على جبل كاسال Mont Casale (1220 – 1225 م) وعلى جوانب Monte San Croce (1044 م) في 12 – 13 يناير 1944 ، ثم اجتياز وادي رابيدو الاعلى .

– الفوج الخامس من الرماة المغاربة . الاستيلاء على Pantano (1100 م) .

– الفوج الثامن من الرماة المغاربة . القتال في La Cluse في Monte San Michèle . الاستيلاء على La Mainarde (1500 م) في 26 – 28 دسمبر 1943 .

الاستيلاء على La Costa San Pietro (1450 م) في فاتح يناير 1944 .

حرب كاريكليانو Garigliano ، على بعد 20 كلم جنوبي Monte Cassino

الفوج الرابع من الرماة المغاربة يهاجم ليلا جبال Aurunces (Cerasola-Girofano) غربي جبل كاريكليانو ، بدون إعداد المدفعية (11 – 12 ماي 1944) هجوم ليلي ثان مع مساندة النيران (12 – 13 ماي) ، تصدع خط Gustav ثم ينتهي الكفاح الضاري على بعد 15 كلم من المنطلق ، وبذلك يفتح طريق روما . وفي يوم 16 ماي تتقهقر فرقة المشاة المغاربة ، فيأتيها المدد لتسد ما ضاع منها . ثم تستأنف العمليات يوم 18 ماي .

الفوج الخامس من الرماة المغاربة يهاجم Le Mario . le Feuci يوم 13 ماي .

الفوج الثامن من الرماة المغاربة يستولي على جبل Faito يوم 8 ماي ويستقر به .

الحملة على روما .

تقدمت الفرقة إلى جهة الغرب ، ثم حاذت جبال Ausoni ثم جبال Lépini في أوائل يونيو ، ثم ساهمت في عملية محاصرة العاصمة الايطالية . ودخلها الحلفاء يوم 4 يونيو 1944 .

الحملة على Sienne

تقوم الفرقة بحراسة الجانب الايمن من المحور روما – سيين Sienne – فلورنسا وذلك غربي بحيرة طراسيمين

Trasimène . وشاركت الفرقة الثانية من المشاة المغاربة في عملية المحاصرة - كحركة الكماشة - وبذلك اقتحمت مدينة سيين بدون إطلاق ولو قنبلة واحدة . ثم توقفت العملية في Poggibonsi يوم 22 يوليوز 1944 في منتصف الطريق بين سيين وفلورنسا .

مجموعة الطوابير المغربية

10.000 من رجال الكوم من المجموعات الاولى والثالثة والرابعة :

- المجموعة الاولى تشتمل على الطوابير الثاني والثالث والثاني عشر .
- المجموعة الثالثة تشتمل على الطوابير التاسع والعاشر والسابع عشر .
- المجموعة الرابعة تشتمل على الطوابير الخامس والثامن والحادي عشر .

(تساوي المجموعة الواحدة ثلاثة طوابير ، ويساوي الطابور ثلاثة أفواج) .

دخلت هذه القوات المعمعة يوم 16 يناير 1944 ، وفيما بين 14 و 17 ماي 1944 ، بعد حرب كاريكليانو . استغل الجنود فرصة تصدع خط Gustav واستطاعوا اختراق جبال Fagetta, Petrella ومراقبة الطريق بين Itri و Pico (17 ماي) . وفي ظرف 20 يوما و 20 ليلة استطاع رجال الكوم أن يتغلبوا على قناصة الجبال ودبابات Panzer وعلى المظليين الالمانيين .

الفرقة الجبلية المغربية الرابعة .

13.000 مغربي 7150 فرنسيا : الافواج الاول والثاني والسادس من الرماة المغاربة والتاسع والستون من رجال المدفعية والرابع من الخيالة المغاربة .

كان دخولهم المعمعة يوم 25 مارس 1944 .

حرب كاريكليانو Garigliano

في يوم 12 ماي شارك الفوج السادس من الرماة المغاربة في فتح Feuci وفي اقتحام Ceshito جنوبا . وقد مكن من خرق مواقع الدفاع الالمانية من خلفها . ثم وصل فوج الخيالة الرابع فج Esperia يوم 14 ماي . ثم احتلت الفرقة جبال Aurunces (Fammera et Revole) يوم 15 و 16 ماي ، ثم استولت على Lenola يوم 22 ماي . ثم احتلت يوم 28 ماي جبال Lepini الممتدة قبيل جبال Albains المطلة على نواحي روما . ثم اقتربت مقدمة الجنود من العاصمة الايطالية يوم فاتح يونيو .

الزحف على فلورنسا Florence بعد الاستيلاء على سيين Sienne

دخلت الفرقة الجبلية المغربية الرابعة المعمعة شمالي سيين ، ثم استولت على San Giminiano بمساعدة مجموعة الطوابير الرابعة . وفي 22 يوليوز سُحبت الفرقة كاملة فجأة من الجبهة الايطالية .

وأخذ المغاربة يستعدون لمغادرة التراب الايطالي للنزول في جنوبي فرنسا .

مقارنة بين أعداد القوات المغربية والقوات الحليفة في ايطاليا

كانت قوات الحلفاء تشتمل على :

- 58.000 بريطاني : الجيش الثامن البريطاني .
- 35.000 فرنسي : فرقة المشاة المغاربة الثانية وفرقة الجبليين المغاربة الرابعة وفرقة المشاة الجزائرية الثالثة وفرقة المشاة المحمولة الاولى .
- 34.000 أمريكي : فرقة المشاة الخامسة والثمانين وفرقة المشاة الثامنة والثمانين .
- 34.000 بولوني : الفيلق الثاني ، الجيش البريطاني الثامن .
- 17.000 هندي : الفرقة الثامنة ، الجيش الثامن البريطاني .
- 7.000 جزائري : الفرقة الثالثة من المشاة الجزائريين (الفوج الثالث من الرماة والفوج السابع من الرماة) .
- 3.000 تونسي : الفرقة الثالثة من المشاة الجزائريين (الفوج الرابع من الرماة التونسيين) .
- 6.000 جزائري وسينغالي .

كان عدد الحلفاء 194.000 رجل وعدد المغاربة 75.000 رجل وعدد الالمانيين 137.000 رجل .

من 13 شتمبر إلى 4 أكتوبر 1943 . وقد أزعجت الفرقة الرابعة الجبلية المغربية ومجموعة « الطوابير » المغربية الثانية وكتيبتان من كتائب الصدام (احداهما أمريكية والأخرى فرنسية) 30.000 ألماني و 80.000 إيطالي .

وانزلت القوات قرب أجاكسيو AJACCIO . وجلا الألمانيون عن جزر سانكينير ILES SANGUINAIRES قرب الميناء وانسحبوا إلى الجنوب عن طريق البحر . وانضم الايطاليون إلى القوات الغازية . أما الألمانيون الذين كانوا يحتلون مطارات أجاكسيو وباستيا BASTIA وأليريا ALERIA ، فقد تجمعوا في الجهة الشرقية من الجزيرة . وسار الفوج الأول من الرماة على طريق وادي كرافون GRAVONE حتى وصل قلب الجزيرة ، ففاجأ بذلك الألمانيين مفاجأة كبيرة . واستطاع الرماة أن يعبروا مناطق وعرة بواسطة قافلة تشتمل على عدة آلاف من البغال ، وهي مناطق كان الألمانيون يعتبرون اختراقها متعذرا . ووصل الرماة إلى كورط CORTE وباستيا ورأس كورس CAP CORSE ، حيث سبقهم الكوم والخيالة والفدائيون . أما كتيبة الصدام الفرنسية ، فقد بذلت أكثر جهودها في وسط الجزيرة وفي جنوبها إلى بونيفاسيو BONIFACIO . وساعدها على ذلك المقاومون الفرنسيون العاملون في الجزيرة . ثم صعدت الكتيبة على الطريق الشاطئية الشرقية . وضاق الأمر على الألمانيين في كبريات المدن الشرقية ، في بورتو فيكشيو PORTO VECCHIO وأليريا وباستيا ورأس كورس ، فهربوا بحرا إلى إيطاليا .

حملة إيطاليا

لقد اثبت الجنود المغاربة اثباتا واضحا صمودهم وثباتهم على القتال ، وذلك أثناء حملات تونس وصقلية وكورسيكا . وقد انتزع الرماة تقدير العالم أجمع بقتالهم في إيطاليا . واعترف لهم الجميع بشجاعتهم وبطولتهم وجلدهم . وقد أبلوا البلاء الحسن في إيطاليا الوسطى ، على علو 1000 و 2400 متر في غضون فصل شتاء امتاز بقساوة برده – 30 درجة تحت الصفر أحيانا – وذلك أمام وحدات ألمانية منتخبة أي قناصة خيالة نامساويين أو أمام أفواج عائدة من روسيا ، من جبهة لينينكراد LENINGRAD دُربت خصيصا على الحرب في الجبال .

وفي 4 يونيو 1944 – أي يومين قبل نزول الحلفاء في نورماندیا NORMANDIE غربي فرنسا – دخلت القوات الحليفة مدينة روما . وبذلك انتصرت نصرا ضحت من أجله تضحية قاسية في غضون فصل الشتاء وفصل الربيع في شمالي جبل كاسينو MONTE CASSINO وفي جنوبيه . ولم تختر هيأة أركان الحرب الألمانية هذه المواقع لشهرة الدير الموجود هناك منذ 15 قرنا ، بل لأن الكتل الجبلية الممتدة في وسط إيطاليا كانت بمثابة حصن طبيعي هائل . وكان الألمانيون قد أعتدوا على بعد 80 كلم شمال غربي نابلس NAPLES خطا دفاعيا متينا شمالي كاسينو وجنوبيه على امتداد عرض شبه الجزيرة كاملا . واشتمل خط كوسطاف GUSTAV على سلسلة من الآطام تمتد من البحر التيريني LA MER TYRRHÉNIENNE إلى البحر الأدرياتي LA MER ADRIATIQUE . واتخذ من قمم جبال آبروز ABRUZZES وآبينان APENNINS حصونا حصينة . وأمكن النفوذ من الجنوب إلى الشمال عبر السهول الشاطئية ومجاز كاسينو الموازية للمحور الجبلي . ولغم الألمانيون كل هذه المسالك . واشتدت الأمطار في السهل الممتد شرقي كاسينو حتى ارتفعت المياه إلى علو متر ونصف وتعذر المرور بالطرق . وقد جرف سيل رابيدو LE RAPIDO المياه من القمم إلى كاسينو حيث يلتقي برافد يصب فيه مياهه ، فيستحيل عندئذ إلى خندق طبيعي عميق يسمى كاريكليانو GARIGLIANO يحول دون تقدم الدبابات إلى جهة الغرب .

في هذه المنطقة شمالي كاسينو وجنوبيه دُفع بالجنود المغاربة : في فصل الشتاء شمالا وفي فصل

إنزال الجنود في كورسيكا .
(من وثائق الكاتب)

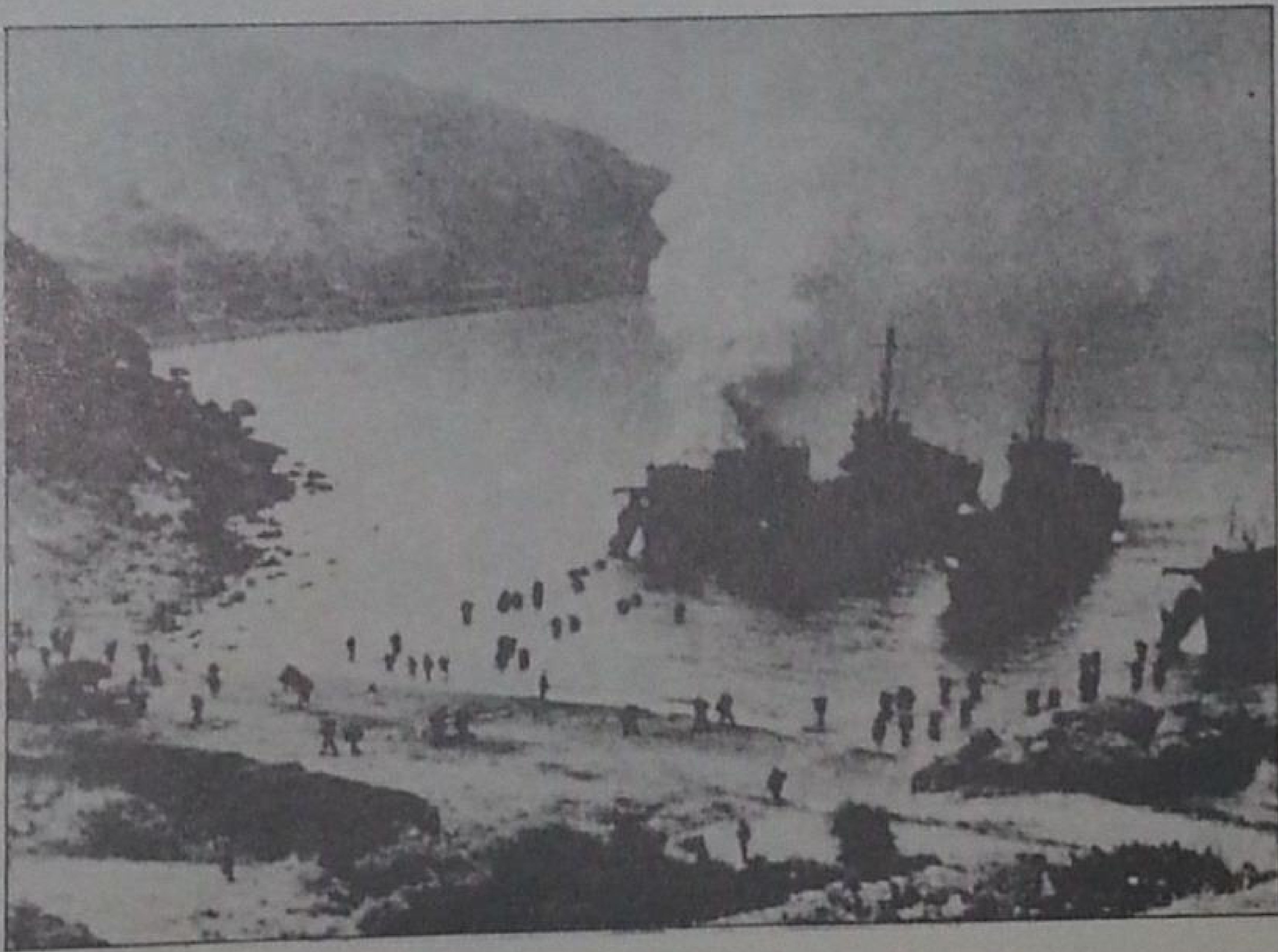

المغاربة ينتزعون قمم جبال La Mainarde

« لقد رافقت هذا الصباح إحدى القوافل التي تزود الجيش . وتبعت قطارا طويلا من البغال تحمل الاسلاك الشائكة والزاد والعدة . ليست الساعة سوى الثامنة فقط ، ومع ذلك ، فقد ارتفعت الشمس عالية في السماء . ذلك أنها تشرق باكرا في جبال آبروز Abruzzes ، كأنها ، في وقاحتها ، تريد ألا يفوتها شيء من مناظر الحرب .

« وسارت القافلة في طريق ضيق حجر ينساب بين صخور مسننة رمادية تهدد السابلة ، ويمر فوق سيل صغير صافي المياه ، فيه أحجار كبيرة مستديرة ملساء كالحصى . ولم نصعد إلا كيلومترا واحدا حتى أخذت أغمس رجلي في حفر مملوءة ماء كانت قشرة من الجليد تغطيها من قبل ، فكسرتها حوافر البغال . ثم أخذت تظهر لنا قطع واسعة من الثلج تتخللها الاوحال . ولم يمض إلا قليل حتى لم نعد نرى إلا الثلج وحده يكسو الارض بياضا ، لا يتلوث لونه إلا في تلك الطريق التي طرقتها الاقدام والحوافر ، فبقيت سوداء . وتغرق أرجل المارة حتى فوق الكعبين في ذلك الوحل الادكن الذي يذكرك بساحة ضيعة وقد أوحلت في يوم غزير الامطار من كثرة سرجينها . وأخذت قطرات العرق تتصبب غليظة من أوجهنا ، وقد مضى علينا في أوروبا ما أنسانا حتى وجود العرق . وانعقد الوحل وظهر الجليد . فأوعرنا وتثاقلنا ووقعنا على الارض مرارا أثناء تصعيدنا . فكنا نمشي جنبا مشي السرطان ونتشبث بكل ما استطعنا مسكه من الارض . ثم وجدنا أنفسنا في طريق أشد وعورة من الموحل الذي صادفنا أول رحلتنا . واشتد الامر حتى على البغال ، ووقع اثنان منها في وسط الطريق ، وجذبهما بعض الجنود من لجاميهما ومن ذنبيهما وهم يصيحون . ووقعت قذيفة على الثلج وسمع لها دوي خافت . وحلقت بعض الطائرات فوق الجبل الذي كنا نصعده ، فزاد ذلك القوم ارتباكا (...) .

« ثم استأنفوا التصعيد . وتضايق الطريق شيئا فشيئا وازداد وعورة . وأخذ القوم ينظرون إلى أسفل ، فأبصروا في وسط المنحدر أحد البغال وقد سقط ليلا على الثلج ، وحوله بقعة من الدم . لقد وقع من أعلى المنعرجات ، من علو يفوق 500 م . ولما سمع حركة القافلة رفع رأسه مدة قصيرة ، ثم اضطجع ، وقد خارت قواه ، ينتظر الموت . واستأنفت القافلة سيرها غير ملتفتة إلى ذلك المنظر . أليس الموت أمرا عاديا ، هنا ، أكثر من أي شيء آخر . وقد رأيت أن أنشودة « نوتية الفولكا » les Bateliers de la Volga توافق هؤلاء الرجال الذين شق عليهم المشي وعقرهم ، واضطربت خطاهم ، وهم يجذبون أعنة بغالهم إلى أعلى . واضطررنا إلى المشي فوق الثلج ، فغارت فيه أرجلنا إلى الركبتين ، وذلك لنتنكب عن الطريق الذي يتعذر فيه المشي أحيانا .

« ثم أدركنا المحطة ، ولم تعد البغال تقوى على المشي . وحططنا الرحال بينما استمر أصحاب المدافع يرسلون قذائفهم فوق رؤوسنا ، وليس غير ذلك من وسيلة لمدافعة العدو . ثم حل الرجال محل البغال في نقل الاسلاك الشائكة والعدة والمؤونة (...) ولم يعد الجنود يتقدمون إلا بتسلق الدرجات التي نحتت نحتا في الثلج ، إذ يبلغ سمكه مترين اثنين أحيانا . وكثيرا ما كنا نزلق . ولم يلبث الثلج أن غشينا ، وكانت ملاجئنا مجرد حفر في الارض تعلوها أكياس من التراب نلتمس فيها شيئا من الدفء . وكانت تُرى كأنها بقع سوداء وسط الثلج (...) .

« ولما عدت من الطريق الذي أتيت منه صباحا أخذت أفكر فيما بذله الرماة المغاربة من تضحية وبأس لاقتحام جبل La Mainarde الذي يبلغ علوه 1500 م » .

أنطوان مازيلا Antoine Mazella مراسل الجريدة Le Petit Marocain الحربي في إيطاليا ، (فبراير 1944)

الجنرال دوكول يهنئ أحد جنود الكوم أثناء حرب إيطاليا .
(من وثائق الكاتب) .

الربيع جنوبا . ولابد ، هنا ، من توضيح بعض الأمور . تقول الروايات غير المحققة إن المعارك من أجل الاستيلاء على طريق روما وقعت في كاسينو . إن ذلك صحيح بالنسبة للأمريكيين والبولونيين وجنود زيلاندا الجديدة والهنود والألمانيين . لكن الجنود المغاربة لم يقاتلوا قط في كاسينو ، بل على بعد 20 كلم شمالا في فصل الشتاء سنة 1943 - 1944 ، وعلى بعد 20 كلم جنوبا في معركة كاريكليانو الحاسمة يوم 11 ماي من سنة 1944 . فهل تستطيع الروايات غير الثابتة أن تخفي التاريخ الحقيقي مرة أخرى ؟

حياة الجنود في الخطوط الأمامية

كان الرماة ، أثناء رحلاتهم ، يسرعون في مشيهم رغم ثقل أحمالهم . فقد كان كل واحد منهم يحمل معطفه وسرواله الجوخي وقميصه الصوفي و « سبحتين » من 180 رصاصة على صدره . ثم يعلق على كتفيه مزاود مملوءة بالقنابل اليدوية وما يسد به الرمق مدة 24 ساعة في وقت المعارك . ثم يعلق على وركيه كنانة الرصاص والقربة والحربة . وكانت كل هذه الأدوات تضغط شديد الضغط على صدر الجندي وعلى خاصرته كأنه في قفص . وكان ، مع ذلك ، يسرع وقد توشح بندقيته وانتعل نعلين من مطاط وحفظ ساقيه بسماتين كغيره ، وهو حريص على تتبع خطى صاحبه . وفي آخر النهار كان الرماة يتسللون مسرعين ، الواحد تلو الآخر إلى قعر إحدى الشعاب - وهي شعبة سيراسولو Cerasulo في كارديتو Cardito - في كل جانب من جانبي الطريق . كانت المدافع ترسل قذائفها ، وكان الموت غير بعيد . وكانت المراصد الألمانية تشرف على الطريق على علو بضع مائة أمتار وتصوب قذائفها لتتعقب المارة . وقد وضعت المعالم على جانبي الطريق لتلافي الألغام فتعذر الوقوف هناك . ثم يلقون الموت فجأة أمامهم عند أحد الجسور . وقد يعثرون على جثث بعض الرماة هامدة وقد جحظت منها العينان . فقد قتلوا قبل ذلك بقليل عند جانب الطريق . ويدرك المارة حينئذ أنهم عرضة سهلة لقذائف الألمانيين . فيختفون في أقل من لمح البصر ، مسرعين إلى كومة من الفج غير بعيد ، وقد تناثت بين الثلج والوحل .

كان الرجال يتعثرون ليلا في الحجر ويتشبثون بالعصي ويتلافون إحداث أي ضجيج . ويتلمس كل منهم ظهر رفيقه أمامه حتى يختفي في الظلام فجأة ، وقد أغذ في السير على مسافة 15 متر من غير أن يعلم بذلك . أما عملية نقل الزاد ، فكانت منوطة برجال أشدّاء أجْلاد حادّي البصر من قبيلة غياثة ، لهم ما للثيران من القوة الخارقة التي تمكنهم من حمل صناديق الزاد والعتاد . وكان الرجال ، قبل انطلاقهم في الطريق ، يطيلون الحديث في الظلام ساعات وساعات ليحدوا بصرهم . وكانوا يمتنعون عن التدخين حتى يتعودوا كشف أي خيال مشبوه .

حملات الشتاء

في منتصف دسمبر 1943 ، أخذ الرجال ، بعد ما تمشوا مسافة 7 كلم ، يصعدون في جبل حَجِر محادّ لجبال آبروز Abruzzes ، وهو سان ميشيل San michèle وذلك في وسط

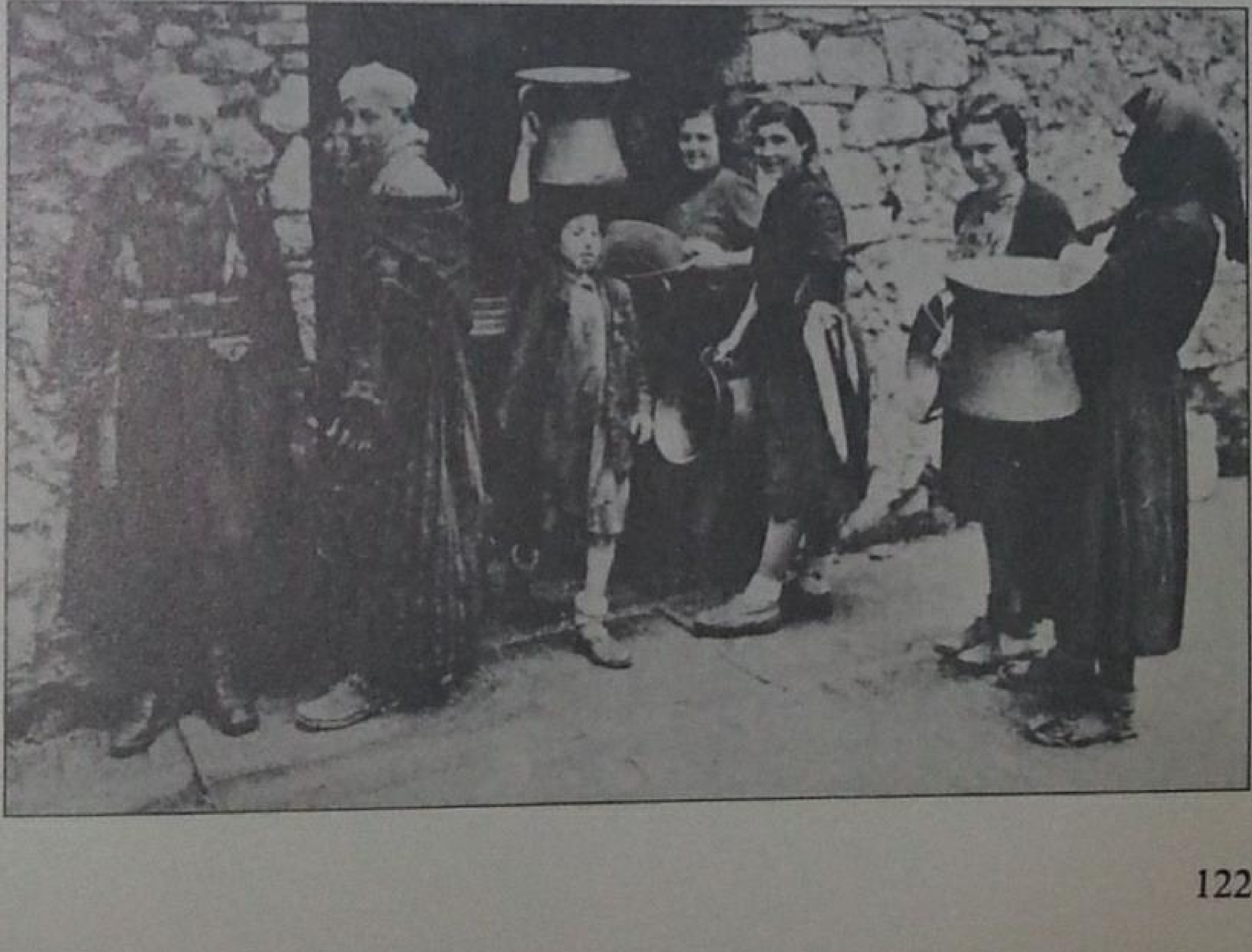

جنود من الكوم المغاربة ونساء إيطاليات بسغون .
(من وثائق الكاتب) .

مساهمة المغرب في الحرب

الليل . وكان عددهم 182 . وقد حمل كل منهم قذيفة هاون ، بالاضافة إلى حمله الشخصي المعتاد . وكان تصعيدهم طويلا شاقا دام خمس ساعات . ثم انطلق إلى السماء صاروخ أحمر ، وذلك إيذانا بنجاح عملية احتلال الجبل . ولم تستطع المعاول أن تنال من الصخر . لكن صداها بلغ إلى سمع الألمانيين حيث لا تدركهم الأبصار . وبقي الرماة هناك مكشوفين ، بلا حماية . وفي الساعة الثامنة برز الألمانيون بقمصانهم القصيرة الأكمام وقبعاتهم وهاجموا بالرشاشات ، وهم يتقافزون من صخرة إلى صخرة كأنهم في مناورة . ثم صُوب هاون خفي ، قَذفته درجة عن اليمين ودرجة عن الشمال . فأرسل قذيفته ، فقتل ثلاثين من الرماة . أما عزوز ، فقد قُلعت ساقاه . فصاح به رفاقه « شهّد ! شهّد ! » . ثم رفع سبابته إلى السماء قبل أن يسجد سجدته الأخيرة ويموت . ثم قتل قائد الرشاشة ، إمام الكتيبة الذي كان يؤمّ بالقوم وينظم أذكارهم أثناء رحلاتهم الطويلة في رمضان . ثم أسر رجال آخرون من الرماة واستطاع أحدهم أن يعود إلى الخطوط صائحا : « أنا صديق ، قريب » . ثم قتل آخر أمام هاونه ، وهو فرنسي من اللورين La Lorraine شمالي فرنسا . وكان قد عبر جبال البرانس les Pyrénées وبلاد اسبانيا ليأتي إلى المغرب ويستأنف قتال الألمانيين . وجُمع الجنود الباقون في المنحدر المقابل من خلف القمة . فاختفوا وراء الصخور ، وهجموا بحرابهم . ثم صوب البريطانيون قذفة عن طريق الراديو وأرسلوها على الألمانيين . فقضت عليهم في مكانهم . ثم زُحزح الرماة عن موقعهم بعد ما استقروا به يوما كاملا . ثم استعادته جماعة أخرى . واستراح القوم بضعة أيام في المؤخرة ثم صدر الأمر بالتقدم إلى الأمام . وفي يوم من الأيام على الساعة الحادية عشرة ليلا ، بينما كان الرماة مزدحمين بجانب مجموعة من المدافع وهي تقصف إذ لحظوا على غير عادتهم سيارة إسعاف وبها ممرضات يحاولن أن يسردن . وأقلعت السيارة فجأة إلى اتجاه مجهول . ودامت المسيرة الليلة كلها ما يقرب من سبع ساعات بسرعة كبيرة وبدون وقوف ، وفي منطقة جبلية تزداد ارتفاعا كلما تقدمت السيارة . ثم وقفت في الساعة السادسة إلا ربعا ليستريح الركب بعض الشيء . ثم طلع النهار ، ولكن الضباب لم ينسحب . وفي الساعة السادسة بدأت المدافع ترسل قذائفها على قمتين متقاربتين من جبل مونا كاسال Monna Casale ، علو الأولى 1220 مترا والثانية 1225 مترا . ثم تقدمت فصيلة من الجنود ، رماة القنابل اليدوية تساندها مدافع الهاون . غير أنهم اعترضتهم قذائف الأسلحة الآلية والقنابل اليدوية . فسقط أحد الفرنسيين من الدار البيضاء قتيلا في مكانه . وجرح أحد الرماة اثره في رجليه حتى فُكّتا ، وأخذ يزحف لعله يجد في المؤخرة مركزا للاسعاف . وجرح آخر في ظهره بشظايا قذيفة . وتصاعد الصياح إلى السماء إيذانا بوصول المهاجمين إلى القمة حيث وجدوا أحد الرشاشين الألمانيين ، وقد تركه أصحابه بعد ما انسحبوا عن موقعهم . فاقترب منه المهاجمون ولحظوا أسلاكا مشبوهة تحت جسده . فلم يمسوه لخوفهم من أن يكون ملغوما . ولحظوا كذلك مفجرات ألغام في مخابئ من خشب وبندقيات من طراز موزير Mauser وحرابا ومفرقعات خشبية ذات أيد طويلة . ثم استأنف القوم رحلتهم عبر الغابات والشعاب ليصلوا إلى مواقع أخرى تشرف على السهل الممتد شمال كاسينو .

الحياة في المواقع

لقد ابتدأت بمهمة في المرصد حيث استلقى جنديان على بطنهما طول النهار أمام إحدى القمم ، وقد اختفيا وراء جدار صغير من الحجر . وكانا يرتعدان ويسمعان صوت طلقات الهاون المتكررة ، ثم صوت وقع القذائف المتكرر تسقط من حولهما بدون صدى . ولم يمنعهما البرد ، ولا عدم الحركة من التملي بمنظر هذه المنطقة التي يقتتل فيها الناس قتالا شديدا . ثم

حملة كورسيكا .
(من وثائق الكاتب) .

رسائل من الجبهة كتبها أحد الجنود الاوروبيين

الفوج الرابع من الرماة المغاربة
فصل الشتاء 1943 - 1944
في إيطاليا الوسطى (جبال آبروز Abruzzes)

يوم 26 دجنبر 1943

« مايزال الطقس باردا . المطر . الوحل . سنعود إلى القمم وسنقيم في الحفر بعد ما أقمنا في الخيام إلى جانب مجموعة من المدافع . »

يوم 4 يناير 1944

« الليلة من 31 دسمبر إلى فاتح يناير 1944 قاسية جدا . الريح تحمل الثلج . عاصفة الثلج . البرد قارس مثل برد سيبيريا Sibérie (30 درجة تحت الصفر) . كان الثلج يغشانا في حفرنا في إحدى قمم جبل La Monna Casale . كنا ثلاثة في الحفرة أول الليل ، ثم صرنا سبعة ، آخر الامر ، لما قدم الرصيد وهو يزحف على مرفقيه وركبتيه ، وقد أقرس البرد يديه ورجليه حتى لم يعد يشعر بحر لهيب القداحة إذ أحرق أصابعه لما أشعل السيجارة . وفي صباح الغد لم يتردد رجال المرصد المقيمون في القمة في إشعال النار للاستدفاء . »

23 يناير 1944

« موقع آخر في جبل San Croce(1944) . لقد حفرت حفرتي في الكلس بواسطة خوذتي . القذائف تنصب بصورة مكثفة . »

29 يناير 1944

« ها نحن قد قضينا 16 يوما في الخط الامامي ، وقد طالت لحانا . الامور بخير . لقد نزلت علينا قذائف كثيرة (120 كل يوم) . واسودت يداي من شدة البرد (...) كان علي ، أكثر الاحيان ، أن أرصد . يشق على الانسان أن يبقى من السادسة صباحا إلى السادسة مساء فوق إحدى القمم مستلقيا على الارض وملتصقا بها وحوله سور صغير . وكنت مرة ، عند الغارة على الجبل La Monna Casale (شمالي كاسينو) يوم 12 يناير 1944 على بعد 80 مترا من الالمانيين (...) وإن ما يشق أكثر هو الحياة في المواقع والحراسة بالتناوب على علو أكثر من 1000 م طيلة ثلاث ساعات ، وفي أكثر الاحيان عشر ساعات من 6 مساء إلى 12 ليلا أو من 12 ليلا إلى 6 صباحا . وعلى الرصيد أن يرهف سمعه ليسمع حتى أتفه الحركات . وعليه أن يتفحص الظلام ببصره . ونسمع ، من حين لاخر ، طلقات المدافع ترسل لمناوشة العدو . ويبقى الانسان بعد الحراسة

منطويا على نفسه من شدة البرد في حفرة حفرت في وسط الثلج وغطيت بقطعة من نسيج الخيام ، لا غير . ثم تأخذه الرعشة ، ثم السهاد والبرد ووجع القَطَن . »

7 فبراير 1944

« البرد مستمر . مانزال مقيمين في نفس القمة (1044 San Croce) ، وفي نفس الغيران (كانت أحيانا بالنسبة إلينا ، مثل القصور ، إذ تتسع لثلاثة أشخاص مضطجعين أو ستة جالسين) . الثلج يسقط . لكننا نستغل النفط لاعداد مشروبات دافئة . الطعام قليل : حصة K (أي حصة المقاتل : بشكيطو والشكلاط والفنيد) وحصة C (علب اللوبياء البيضاء) . »

16 فبراير 1944

« لقد شق علينا العيش أحيانا بسبب البرد والثلج . وشرثت الايدي واسودت من شدة البرد وابتلت الارجل وقرست . إني أكتب من ملجئي (...) وقد ضعفنا (...) ويكفي أن يكون الانسان في الموضع الذي تسقط فيه القنابل ليشعر بالضعف . فقد سقطت قنبلة هذه الليلة على بعد بضعة أمتار وتفرقعت قريبا منا . وسقطت أخرى في مدخل الغار ولم تتفرقع ، وبقيت في مكانها . إن القنابل تسقط عادة على بعد 20 مترا أو 50 مترا حتى لم نعد نهتم لها إذ يستمر القذف طوال النهار وطوال الليل . »

19 فبراير 1944

« الشمس تظهر والثلج يذوب . إننا سود مثل الفحامين . وقد أدفأنا الثلج لنغتسل ونحلق لحانا . وأصبحنا نعيش أطيب من ذي قبل . وأخذنا نعلق على الاخبار ونتحدث عن المفقودين . وطلبنا إلى عريفنا بعث الرسائل إلى بلادنا لنستعين بالسلطات المحلية ونطلب مساعدة العائلة هناك . إننا ننام النهار لنستريح من أتعاب الليل . »

29 يناير 1944

« لقد ذهبت الريح بالثلج ، وجاء المطر والبرد . وصمد الغار الذي أسكنه ، إذ تهدم غيره لانه حفر في الكلس . إننا ننتظر من يخلفنا بعد ما قضينا 84 يوما في الخط الامامي ، ومنها 24 يوما بدون انقطاع (فقد استخلفنا بعد عشرة أيام ، أي بعد ما قضينا 94 يوما في الخط الامامي) . »

رأي الالمانيين الذين شهدوا معركة Monte Cassino

لقد بهت الالمانيون عندما هاجمهم الجنود المغاربة المقاتلون في صفوف الفرقة الثانية من المشاة في شتاء 1943 – 1944 ، وفي معركة كاريكليانو يوم 11 يونيو 1944 : « يجب أن ندرك أن القوات الفرنسية – المغربية تستطيع أن تمر من حيث تمر البغال (...) . وينبغي أن نشير إلى أن العدو كان يسير في منطقة جبلية كان الناس يعتبرون اقتحامها مستحيلا لشدة وعورتها ، وقد استطاع أن يحيط بالمرتكزات إحاطة واسعة (...) وقد قاتل الفرنسيون وخاصة المغاربة قتال الشجعان ، واستغلوا كل فرص فازوا فيها في المناطق التي كانوا بها » .

(عن وثيقة ألمانية)

استعراض الجنود المغاربة في روما 4 يونيو 1944
(من وثائق الكاتب) .

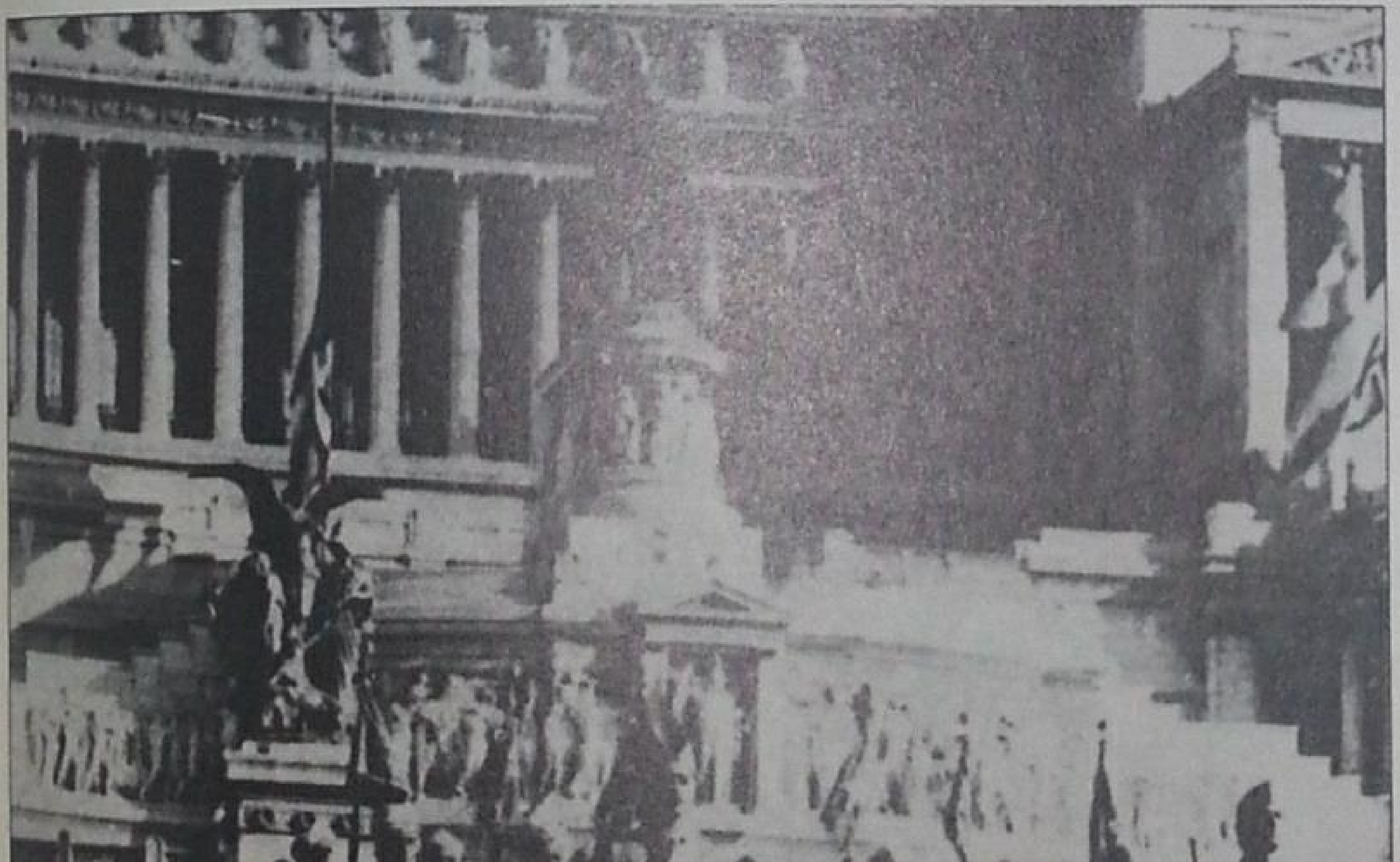

تراجع الجنود مرة أخرى ، ثم تقدموا وانحدروا إلى إحدى الشعاب الصغيرة ، وتسلقوا مرة أخرى الجانب المقابل . ثم أخذ وابل من القذائف يتساقط عليهم ، وأخذ الرجال يحفرون الأرض بخوذاتهم . ونقل أربعة جنود أحد الرجال محمولا على محفة : إنه أحد الضباط جرح رأسه ، وهو يتألم . وأخذ القوم يستقرون في هذا الموقع ، وبقوا هناك شهرين .

حملة كاريكليانو Garigliano

لقد حشا الألمانيون خط كوسطاف Gustav بالألغام والأسلاك الشائكة والآطام ،

كاريكليونو . الصعود إلى الخط الأمامي قبل هجمة يوم 11 ماي 1944 .
(من وثائق الكاتب) .

يدافعون عنها بقاذفات اللهب . وقد أعدت مدافع الهاون والرشاشات والمدافع للقيام بحملة عند الاقتضاء . وكانت الخطوط المغربية والألمانية متقاربة . وفي 11 ماي 1943 على الساعة الحادية عشرة ليلا أسند إلى الفوج الرابع من الرماة المغاربة عملية الهجوم على سيراسولا CERASOLA ، على بعد 20 كلم من كاسينو . وكان ذلك في ليلة غير مقمرة ومن غير استعداد المدفعية . وكان من نتيجة هذا الخطأ الفادح أن مني فوج تارة بخسائر جسيمة في حين أنه كان قد كلف بمهمة فتح الطريق إلى روما ، وهي مهمة خطيرة . ودامت المعركة ست ساعات طويلة . واستطاع الألمانيون أن يصمدوا للهجوم ، وذلك بفضل الألغام ، وخاصة قاذفات اللهب . وفي الغد كانت جثث رفاقنا الذين قتلوا ليلا ما تزال معلقة بالمنحدرات قرب الآطام . واضطر الرماة إلى التراجع إلى منطلقهم . وفي الساعة الرابعة من الليلة التالية أعاد الفوج الرابع من الرماة المغاربة الكرة بعد استعداد كثيف بالمدفعية ، فاحتل سيراسولا وجيروفانو GIROFANO .

وكان الفوج الخامس قد اخفق – مثل الفوج الرابع – في منطقة أخرى أمام لوفوسي LE FEUCI . فلم يُستبدلوا ، وبقوا طوال الليلة يفكرون في مصير إخوانهم القتلى . فأعادوا الكرة يوم 13 ماي على الساعة الرابعة صباحا . وقتل قائدهم وهو في مقدمتهم ، فحملوا جثته على بندقية وساروا به معهم يهاجمون العدو وهم يصيحون . ولم يؤسر أحد رغم تنبيه ضباط الصف . ثم تجاوزوا الخطوط الألمانية ووضعوا الجثة أمام الألمانيين . وكان الليوتنان التونسي بوعكاز من الفوج الرابع من الرماة التونسيين قد قتل بضعة أشهر قبل ذلك يوم 25 يناير 1944 في موقع بيليفيدير BELVÉDÈRE شمالي كاسينو . فحمل رجاله جثته إلى أن انتهوا بها إلى الهدف الذي كانوا يقصدون إليه .

نهاية حملة إيطاليا : في طوسكان TOSCANE

في هذه المنطقة ذات التربة الحمراء ، الخفيفة التموجات ، المغروسة بأشجار السرو التي ترتفع عالية في السماء ، قتل من جنود الفرقة الرابعة المغربية الجبلية في ظرف ثلاثة أسابيع في يوليوز 1944 أكثر مما قتل أثناء معركة كاريكليانو كلها . فقد استعمل الألمانيون قاذفات الصواريخ ذات الست فوهات التي كانت تقتل عددا كبيرا من الجنود . وقد سميت هذه القاذفات ، في هذه الظروف خاصة نيبيلويرفير NEBELWERFER ، وكانت تسحق أهدافها سحق المطرقة .

وثيقة الاستقلال

محمد الادريسي العلمي

في الحادي عشر من شهر يناير 1944 قدم حزب الاستقلال الذي كان حديث التكوين وثيقة الاستقلال إلى جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف . وتتميز هذه الوثيقة عن العريضة أو التعليق أو المذكرة أو التصريح أو المطالبة التقليدية . وقد اشتهرت بالترجمة الفرنسية التي نعتتها ببيان الاستقلال Manifeste وليس من المستبعد أن يكون في استعمال كلمة بيان من طرف الفرنسيين محاولة لاظهار تأثير شيوعي للحركة الوطنية ذلك لأن الحركة الشيوعية ولو كانت ضعيفة آنذاك بالمغرب فإنها كانت تثير من طرف المستعمر يقظة معززة .

بين المحاور المقبول والاجماع الوطني

إن نسبة الوثيقة لحزب الاستقلال تتطلب شيئا من التدقيق . نعم إذا اقتصرنا على الناحية الشكلية نلاحظ أن الوثيقة صدرت عن هذا الحزب . لكن إذا عاينا تكوين هذا الحزب ، وإذا اعتبرنا الدور الأساسي الذي قام به الملك وكذا ائتلاف الأحزاب الأخرى حول الوثيقة والتأكيد الشعبي الجماعي الذي حظيت به بواسطة العرائض والمذكرات ، نجد أن لوثيقة الاستقلال معنى قانونيا وسياسيا يتجاوز ما يمكن أن يقوم به حزب سياسي . ولن نكون مبالغين إذا قلنا أن تقديم الوثيقة وسع من نفوذ حزب الاستقلال نفسه وأعطاه صيتا أصبحت معه شعبيته لا تقبل أي شك . وفي هذا الصدد يمكن الاستشهاد بعبارة للكاتب Silvera التي تظهر المكانة التي تبوأها هذا الحزب إثر هذه العملية :

« إن الحكومات المتعاقبة في الجمهورية أظهرت لزمن طويل رفضا حاسما لكل تفاوض مع المحاور المقبول المكون من ممثلي الحركات الوطنية المحلية . » (Silvera, Reflexions sur la Décolonisation en Afrique du Nord, R.J.P.O.M., 1961 p. 93 et suiv.)

وعليه فإن وثيقة الاستقلال ، كانت بحق تعبيرا صريحا عن إرادة جميع المغاربة في تلك الحقبة . فهي بصياغتها البسيطة والواضحة والمباشرة ، وبارتكازها على استعادة المغرب لاستقلاله ودخوله في الحظيرة الدولية ، تظهر عمق التغيير الذي أحدثته على مستويات التطور الداخلي والخارجي للنظام القانوني للدولة المغربية . وهكذا فإن المواضيع الأساسية التي ارتكزت عليها الوثيقة هي استقلال المغرب في ظل الوحدة الترابية وإعادة بناء البلاد في إطار ملكية دستورية وديمقراطية تضمن الحريات الديمقراطية الشخصية والعامة كما تضمن المساهمة في الحياة الدولية داخل إطار تعاوني يحترم سيادة المغرب .

وكانت الوثيقة التي تم إمضاؤها من طرف ثمان وخمسين شخصية (58) قد أعدت باتصال مباشر مع جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف . وإن فيما يكتبه المؤرخون وما تنشره الصحافة كل سنة عند الاحتفال بذكرى 11 يناير 1944 سردا لوقائع هذه المشاركة في إعداد الوثيقة . إلا أنه بالنسبة لرجل القانون ، فمشاركة السلطان بذاتها تكتسي أهمية بالغة .

وقد مرت فيما بعد الوثيقة بثلاث مراحل أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها . فمن جهة أولى ، ترأس السلطان يوم 13 يناير مجلسا موسعا حضره العلماء وشخصيات غير منتمية لحزب الاستقلال وكبار الباشوات والقواد . وانتهت المناقشات إلى اتفاق شامل حول الوثيقة . ومن جهة ثانية ، وردت على القصر الملكي رسائل تأييد ومساندة من الأحزاب السياسية الأخرى ، كالحركة القومية التي كان يرأسها السيد محمد الحسن الوزاني ، وحزب الاصلاح الوطني بالشمال . أما من جهة ثالثة ، فإن السلطان توصل بعرائض شعبية تؤيد هذه الحركة . وفي هذا كله تأكيد للفكرة القائلة بأن وثيقة الاستقلال تكون بحق تعبيرا عن الارادة العامة للبلاد .

كما أن إجراءات تقديم الوثيقة غنية بالدلالات القانونية والسياسية . فقد كونت رسميا ثلاثة وفود . قدم الوفد الأول نص الوثيقة للسلطان بينما كلف الوفد الثاني بتقديم الوثيقة إلى المقيم العام لفرنسا بالمغرب . أما الوفد الثالث فقد سلمها إلى الممثلين الدبلوماسيين للمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية .

وكان تقديم الوثيقة للسلطان وهو أعلى سلطة بالبلاد قد تم قبيل استقبال جلالته للمقيم العام بلحظات ، وذلك ليكون جلالته أول من يتحدث رسميا ومباشرة بشأن الوثيقة مع ممثل فرنسا . وعند عودة هذا الأخير إلى مكتبه ، يتلقى

وثيقة الاستقلال ، مخطوطة وممضاة .
(من وثائق حزب الاستقلال) .

استمرارية قانونية رائعة

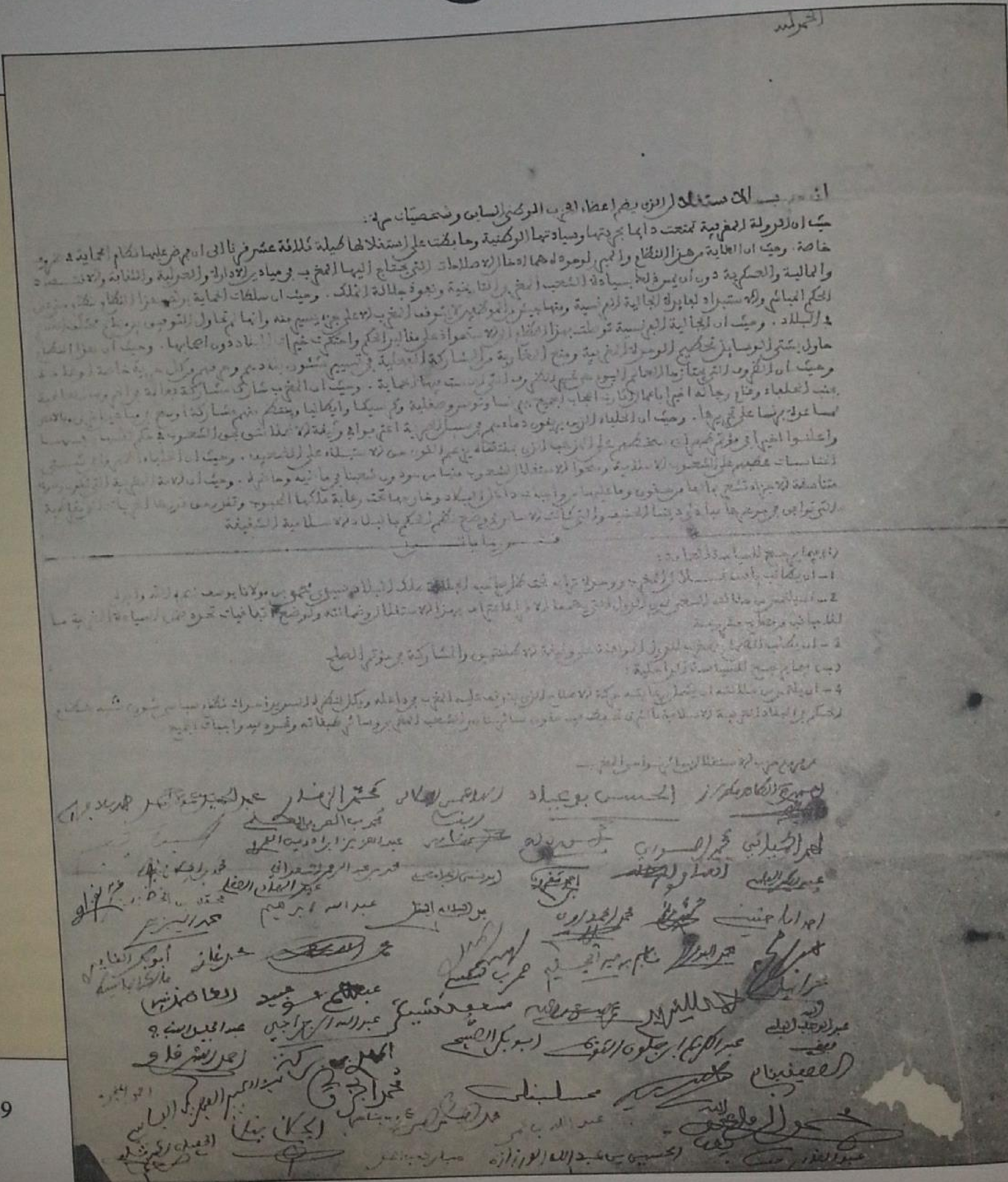

الحمد لله

إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة:

حيث ان الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية وحافظت على استقلالها طيلة ثلاثة عشر قرنا الى ان فرض عليها نظام الحماية في ظروف

خاصة. وحيث ان الغاية من هذا النظام والمبرر لوجوده هما ادخال الاصلاحات التي يحتاج اليها المغرب في ميادين الادارة والعدلية والثقافة والاقتصاد

والمالية والعسكرية دون ان يمس ذلك بسيادة الشعب المغربي التاريخية ونفوذ جلالة الملك. وحيث ان سلطات الحماية [illegible]

الحكم المباشر والاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية [illegible]

[illegible]

يقرر ما يلي:

فيما يرجع للسياسة العامة:

1 – ان يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن مولانا يوسف نصره الله وأيده.

2 – ان يلتمس من جلالته السعي لدى الدول [illegible] الاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه ولوضع اتفاقيات تحدد ضمن السيادة المغربية ما للاجانب من مصالح مشروعة.

3 – ان يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على وثيقة الاطلنطيق والمشاركة في مؤتمر الصلح.

(ب) فيما يرجع للسياسة الداخلية:

4 – ان يلتمس من جلالته ان يشمل برعايته حركة الاصلاح الذي يتوقف عليه المغرب في داخله ويكل لنظره السديد احداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الاسلامية بالشرق تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته وتحدد فيه واجبات الجميع.

[illegible]

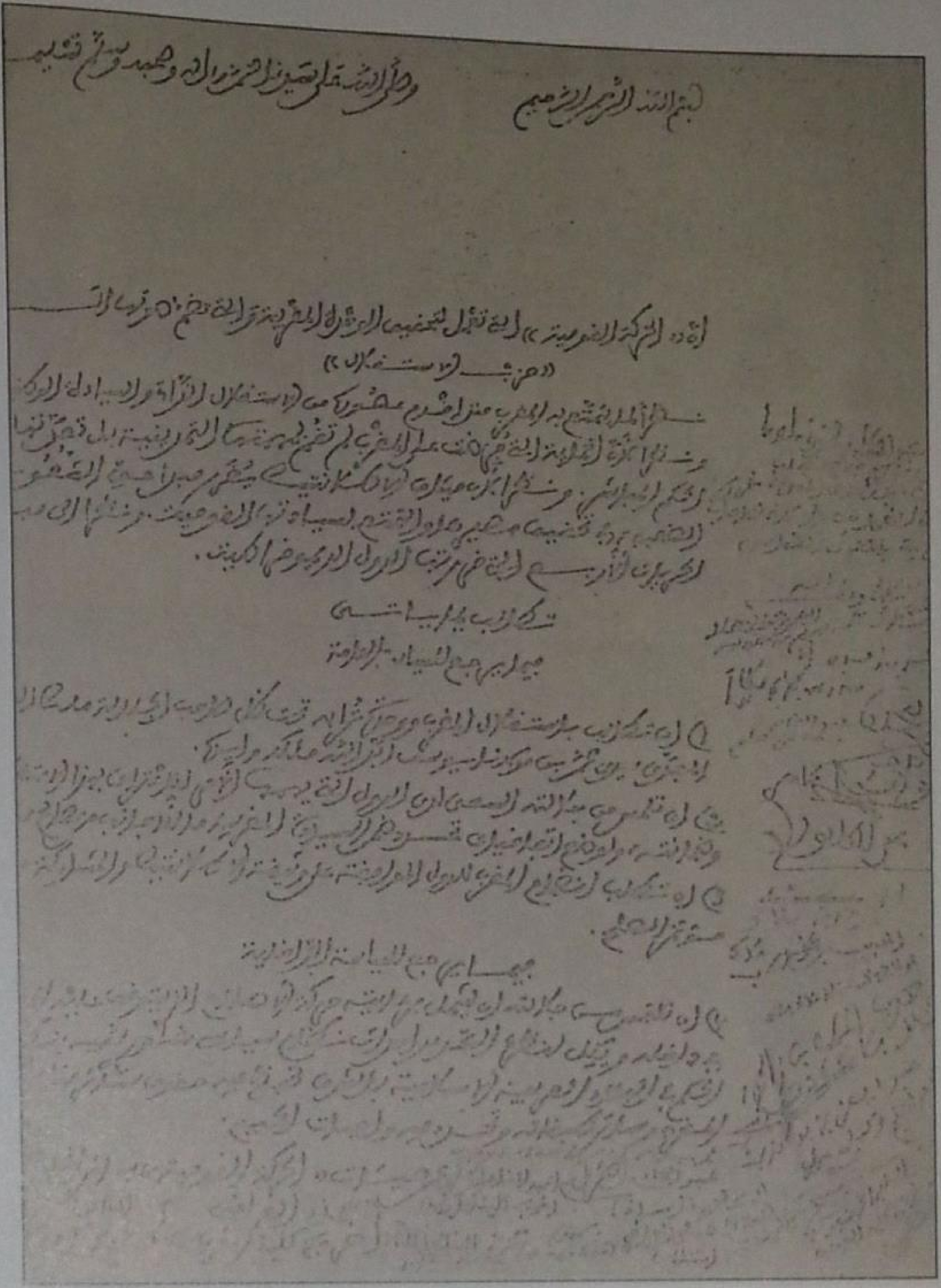
بسم الله الرحمن الرحيم

مطالبة الحركة القومية بالاستقلال .
(مؤسسة محمد حسن الوزاني) .

نظيرا رسميا من الوثيقة . وبهذا تبرز مرتين اثنتين صفة المقيم العام كممثل للدولة التي تعنيها إعادة النظر في معاهدة الحماية . أما تسليم نظيرين آخرين إلى ممثلي بريطانيا العظمى وأمريكا ، فمرده إلى عوامل تاريخية وإلى أحداث الساعة . أما من الناحية التاريخية ، فإن التذكير بالتزامات الدول الممضية على معاهدة الجزيرة الخضراء تجاه سيادة المغرب لا يخفى على أحد . أما الاستناد على أحداث الساعة ، فإن الوثيقة تذكر بالمثل العليا التي دافعت عنها هاتان الدولتان خلال الحرب العالمية الثانية والتي تبناها المغرب بشكل مجسد . كما أنها تضعهما أمام مسؤولياتهما لاثبات صحة أطروحاتهما تجاه قضية معينة من قضايا الاستعمار ألا وهي قضية المغرب . فهل ستؤيد هاتان الدولتان مطالب المغرب بالاستقلال طبقا لما تقتضيه منهما المثل العليا المشار إليها ؟

قانون الصمت

أثارت وثيقة الاستقلال ، التي جاءت بضع سنوات بعد وقف المقاومة المسلحة ضد الحماية وفشل مشاريع الاصلاح التي قدمها الوطنيون ، ردود فعل مختلفة . على الصعيد الشعبي وقع اندفاع حماسي شديد لم يلبث أن تحول بعد مدة قصيرة إلى مأساة . أما صاحب الجلالة فلم يتردد في إعلان تبنيه للوثيقة وفي مناقشتها بانتظام مع سلطات الحماية . لكن هذه السلطات ردت الفعل أساسا بتجاهل صوري وجمود تجاه فكرة الاستقلال وحاولت إقناع السلطات بضرورة تخويف الوطنيين بالعنف والقوة ليغيروا قناعاتهم .

ولم ينفك الصحافيون والزعماء السياسيون منذ ذلك الوقت يشيدون بهذه الوثيقة في تعاليقهم وكتاباتهم . أما رجال القانون ، مغاربة كانوا أم فرنسيين ، فبالرغم من كون الوثيقة تستند على جدل قانوني دقيق وتطرح قضايا أساسية تتعلق بالقانون الدولي فإنهم لم يعيروا هذه الوثيقة اهتماما يذكر . وليس لهذا الموقف في نظرنا ما يفسره تفسيرا منطقيا . لذلك نكتفي بذكره لنبرر هذه المساهمة المتواضعة .

نعم ، إن محرري الوثيقة قد تلافوا الأسلوب المقتضب والمستعمل تقليديا في الشعارات السياسية . وتبرز أهمية هذا الموقف عندما ندرك على الخصوص أنه كان بإمكان محرري الوثيقة الاستفادة من البروز المتجدد لمبدأ حق **الشعوب في الحرية والاستقلال** (الميثاق الأطلسي) للطعن في معاهدة الحماية . لكن ما دام الأمر يتعلق بمعاهدة دولية فإن مواجهتها تقتضي الاعتماد على حجج قانونية أكثر دقة . وفي هذا الاطار فإنه من اللازم أن يطرح التساؤل حول الطبيعة أو التكييف القانوني للوثيقة على ضوء طبيعة وتكييف معاهدة الحماية . إن النص لا يصرح بهذه النقطة ورجال القانون لا يحددونها . والموضوع ليس مجرد موضوع مصطلحات . فالمفهوم الأساسي لعبارة « **إلغاء المعاهدات** » المستعملة في القانون الدولي يكتسب ثراء خاصا في هذا الباب . أما تقديم الوثيقة في آن واحد إلى المقيم العام لفرنسا وإلى الممثلين الدبلوماسيين لبريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية يعني عودة التاريخ : الاصرار على دوام الروح المغربية التي سادت خلال مؤتمر الجزيرة الخضراء والتي اجتهدت في الحفاظ على استقلال المغرب عبر نظام دولي معين .

قد تبدو هذه الأفكار مجرد « أحلام قانوني مغترب » ولد بضع سنوات بعد تاريخ الوثيقة . لكن يكفي تلك الخواطر ، أن تؤدي في يوم ما ، إلى تسليط نور « نجوم العدالة » على وثيقة تمخضت عن ظلمات يناير 1944 لتكون قد أدت مهمتها .

وسنقتصر في بحثنا على إعادة تنظيم دراسة تقنية مبسطة للأفكار الكثيرة والمزدحمة التي تحفل بها ديباجة كثيفة ومنطوق متلألئ .

لكن النص أولا ...

دون أن نلجأ إلى الصيغ التي يتميز بها علماء القانون يمكن أن نلاحظ أن النص يتكون من جزئين اثنين : ديباجة ومنطوق .

الديباجة : مناقشة مسبقة لصلب الموضوع

تتضمن الديباجة حيثيات قانونية وسياسية متراكمة ومتزاحمة تعمد إلى مناقشة معاهدة الحماية وكذا صحتها بالنظر إلى الأحداث وإلى القانون الدولي . ومن خلال استدلال دقيق ومضبوط وواضح ، تؤكد الديباجة على استمرارية استقلال المغرب الناتجة عن نظامه الدولي ، كما تبرز بشكل صارخ العيوب التي وصفت المعاهدة على صعيدي إبرامها وتنفيذها .

استقلال مستمر

تظهر أهمية الديباجة من خلال استنادها إلى القانون الدولي والوقائع السياسية والاقتصادية التي سبقت والتي تلت إقامة نظام الحماية .

وقد سجل النص ، فيما يرجع للقانون الدولي ، استمرار استقلال المغرب عبر تاريخ الدولة المغربية كما يذكر بوجود المغرب ككيان حقيقي وكدولة لعبت دورا أساسيا على الصعيد الدولي خاصة منذ ثلاثة عشر قرنا أي منذ اعتناق سكانها للاسلام . وتستند الاشارة إلى هذا الأصل إلى سببين دقيقين : وجود المغرب بصفته دولة قائمة قبل دخول الاسلام . غير أن تاريخه في تلك الحقبة بقي مطبوعا بطابع الاستعمار الروماني والوندالي الذي ترك آثارا سيئة إذا ما قيس بالعلاقة الثقافية والاقتصادية التي ربطت المغرب قبل ذلك بالفينيقيين . أما دخول الاسلام ، فقد مكن المغرب من تبهيج وضعيته كدولة ، بتحوله إلى عنصر نشيط ومسؤول على الصعيد الدولي .

ولم تلبث هذه الوضعية أن تبلورت على الأصعدة الثقافية والاقتصادية والسياسية مع أوروبا وافريقيا والمشرق . ونجد الدليل على ذلك في تعايش الدول الشريفة والدول العثمانية وتعاملهما على قدم المساواة في إطار علاقتهما مع الدول الغربية وخاصة بمناسبة المفاوضات وإبرام الاتفاقيات المنعوتة بالاتفاقيات الاستسلامية .

وتظهر هذه الحقيقة بجلاء في معاهدة الحماية الموقعة في يوم 30 مارس 1912 والتي لا تمس إلا جزئيا بسيادة الدولة المغربية . أضف إلى ذلك أن نص الديباجة يوضح أن نظام الحماية لا يمس بسيادة المغرب ولا ينال من سلطة الملك وفي ذلك إشارة للفصل الأول من معاهدة فاس الممضاة سنة 1912 .

معاهدة الحماية : وثيقة دولية فاسدة

أما على صعيد الوقائع أو الظروف المحيطة بمعاهدة فاس وتابعاتها ، فإن حيثيات الديباجة تؤكد على أن الحماية فرضت على المغرب فرضا وأنه وقع تجاوز نظامها الذي استبدل بنظام الادارة المباشرة لصالح الجالية الفرنسية المقيمة بالمغرب وأن هذه الجالية استغلت عن غير حق هذا الوضع ، فقامت بتوظيف أعداد تفوق الحاجيات من الموظفين . كما احتكرت خيرات البلاد واستحوذت على مقاليد الحكم في البلاد لفائدتها . وأبرزت حيثيات أخرى التناقض الموجود بين تحقيق وحدة المغرب ونتيجة نظام الحماية التي هدفت إلى تقويض تلك الوحدة . وبينت الديباجة من جهة ثالثة أن المواطنين المغاربة أبعدوا عن إدارة شؤون بلادهم وحرموا من حرياتهم الخاصة والعامة .

ثم ذكرت الديباجة بالفرق الطارئ في الظروف الدولية بين سنة 1912 وسنة 1944 مبرزة مساهمة المغاربة في محاربة النازية وتبنيهم للمثل التي ناضل من أجلها الحلفاء والمبنية على تحرير الشعوب كما نبهت إلى وعي المغاربة بحقوق المواطنة والتزاماتها وبالحريات الديمقراطية .

نلاحظ إذن أن هذه الحيثيات تستند إلى فكرتين أساسيتين : تحريف معاهدة الحماية من جهة وتغيير الظروف من جهة أخرى .

فنظام الحماية كان يعني سنة 1912 في نظر الطرفين المغربي والفرنسي مجرد نظام يضطلع بالرقابة على ممارسة الاختصاصات الدولية للسيادة المغربية . وقد أكد هذا التأويل الماريشال ليوطي في خطاب ألقاه يوم 24 نوفمبر 1912 إذ قال : « ليس نظام الحماية مسألة شخصية أو محلية أو مسألة تهم الحكومة الفرنسية وحدها . وإنما هو وضع ضبط بمقتضى المعاهدات وتنظمه اتفاقات دولية لا تملك الحكومة الفرنسية تغييرها » . ودقق ليوطي هذه الفكرة في تقرير له بتاريخ 3 دسمبر 1920 : « إن مفهوم الحماية هو ذلك المفهوم الذي يحتفظ بمقتضاه البلد المحمي بمؤسساته ، يُحكم وتُدار شؤونه بواسطة أجهزته الخاصة تحت رقابة دولة أوروبية تحل محله في التمثيل الخارجي وتقوم بإدارة جيشه وماليته وتوجيه نموه الاقتصادي . إن ما يميز هذا المفهوم هو عبارة المراقبة التي تتعارض مع عبارة الادارة المباشرة » . وإن

ما يبرر تطبيق نظام الحماية بمقتضى معاهدة 1912 هو إدخال بعض الاصلاحات إلى المغرب . إنما الواقع هو أن هذه المؤسسة قد فرضت على المغرب كما تدل على ذلك شهادة المؤرخ الشهير شارل أندريه جوليان . وإن في الأحداث الدقيقة التي سردها لتبيانا للمدى الذي بلغه عنف وضغط الطرف الفرنسي على الطرف المغربي وقت إبرام المعاهدة (أنظر : Charles André Julien, l'Afrique du Nord en marche et le Maroc face aux imperialismes) . وتظهر الضغوط الاقتصادية والسياسية التي فرضت على المغرب منذ توقيع معاهدة مدريد سنة 1880 إلى معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1906 ، مطامع الدول العظمى في المغرب وتهافتها عليه .

تطور النفاق إلى حقيقة

ودخل نظام الحماية في التطبيق رغم عيوبه . لكن سرعان ما تم تجاوز المفهوم الذي قبل به المغرب والذي أكده ليوطي وانقلبت الحماية إلى نظام إدارة مباشرة . فتغير مضمون نظام الحماية في الواقع . وهذا ما مهر في تبيانه الأستاذان « م . فلوري » و « ر . مانتران » عندما كتبا : (M. Flory et R. Mantran, les régimes politiques des pays arabes, Themis, T.U.F., 1968, p. 84 et suiv.) « يمكن تركيز التحولات والتغيرات في ميدانين أساسيين : حلول الادارة المباشرة محل المراقبة ، واقتحام الفرنسيين للحياة السياسية والادارية . وإن كنه المراقبة نفسه يستند في نظر ليوطي على الاقناع . إلا أنه ليس هناك أصعب من اللجوء إلى هذه الوسيلة البطيئة والمخيبة للآمال خاصة عندما يملك المراقب القوة ... فلم يبق من المراقبة سوى المظاهر والأطر ، وقد أنشئت من وراء هذا الستار إدارة مباشرة على الصعيدين الحكومي والمحلي وفقدت السلطات الفرنسية تدريجيا رغبتها في التعاون الوثيق مع

وثيقة الاستقلال

الحمد لله وحده

« إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق وشخصيات حرة :

« حيث إن الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية ، وحافظت على استقلالها ثلاثة عشر قرنا إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة .

« وحيث إن الغاية من هذا النظام والمبرر لوجوده هما إدخال الاصلاحات التي يحتاج إليها المغرب في ميدان الادارة والعدلية والثقافة والاقتصاد والمالية والعسكرية دون أن يمس ذلك بسيادة الشعب المغربي التاريخية ونفوذ جلالة الملك .

« وحيث إن سلطة الحماية بدلت هذا النظام بنظام مبني على الحكم المباشر والاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية ، ومنها جيش الموظفين الذي لا يتوقف المغرب إلا على جزء يسير منه ، وإنها لم تحاول التوفيق بين مصالح مختلف العناصر في البلاد .

« وحيث إن الجالية الفرنسية توصلت بهذا النظام إلى الاستحواذ على مقاليد الحكم واحتكرت خيرات البلاد دون أصحابها .

« حيث إن هذا النظام حاول بشتى الوسائل تحطيم الوحدة المغربية ومنع المغاربة من المشاركة الفعلية في تسيير شؤون بلادهم ومنعهم من كل حرية خاصة أو عامة .

« وحيث إن الظروف التي يجتازها العالم هي غير الظروف التي أسست فيها الحماية .

« وحيث إن المغرب شارك مشاركة فعالة في الحروب العالمية بجنب الحلفاء ، وقام رجاله أخيرا بأعمال أثارت إعجاب الجميع في فرنسا وتونس وصقلية وكورسيكا وإيطاليا ، وينتظر منهم مشاركة أوسع في ميادين أخرى ، وبالاخص لمساعدة فرنسا على تحريرها .

« وحيث إن الحلفاء الذين يهرقون دماءهم في سبيل الحرية اعترفوا في وثيقة الاطلسي بحق الشعوب بحكم نفسها بنفسها ، وأعلنوا أخيرا في مؤتمر طهران سخطهم على المذهب الذي بمقتضاه يزعم القوى حق الاستيلاء على الضعيف .

« وحيث إن الحلفاء أظهروا في شتى المناسبات عطفهم على الشعوب الاسلامية ومنحوا الاستقلال لشعوب غيرها ، منها من هو دون شعبنا في ماضيه وحاضره .

وحيث إن الامة المغربية التي تكون وحدة متناسقة الاجزاء تشعر بما لها من الحقوق وما عليها من واجبات داخل البلاد وخارجها تحت رعاية ملكها

المحبوب ، وتقدر حق قدرها الحريات الديموقراطية التي توافق في جوهرها مبادئ ديننا الحنيف والتي كانت الاساس في وضع نظام الحكم بالبلاد الاسلامية الشقيقة .

« يقرر ما ياتي :

1- فيما يرجع للسياسة العامة :

أولا : أن يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن مولانا يوسف نصره الله وأيده .

ثانيا : أن يلتمس من جلالته السعي لدى الدول التي يهمها الامر للاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه .

ثالثا : أن يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على الميثاق الاطلسي والمشاركة في مؤتمر الصلح .

2 - في ما يرجع للسياسة الداخلية :

رابعا : أن يلتمس من جلالته أن يشمل برعايته حركة الاصلاح الذي يتوقف عليه المغرب في داخله ، ويكل لنظره السديد إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الاسلامية في الشرق تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته وتحدد فيه واجبات الجميع والسلام . »

الموقعون على الوثيقة

أحمد بن الطاهر مكوار ، محمد بن العربي العلمي ، الحسن بن جلون ، محمد بن عبد الرحمان السعداني ، عبد السلام المستاري ، محمد الباعمارني ، مالكة الفاسي ، الطاهر زنيبر ، أحمد الشرقاوي ، أحمد المنجرة ، الجيلالي بناني ، ج. الحسن بوعياد ، أحمد الحمياني ، محمد غازي ، محمد بن الجيلالي بناي ، عبد الله إبراهيم ، قاسم بن عبد الجليل ، أحمد اليزيدي ، عبد الكريم بن جلون التويمي ، الصديق بن العربي ، محمد الرفاعي ، الحفيان الشرقاوي ، الهاشمي الفيلالي ، محمد السودي ، عبد الكبير الفاسي ، عبد الهادي الصقلي ، محمد بن الخضير ، ادريس المحمدي ، عمر بن عبد الجليل ، عبد الجليل القباج ، قاسم الزهيري ، عبد الله بن عمر ، عبد القادر حسن ، محمد الزغاري ، أحمد بن دلة ، العيساوي المسطاسي ، أحمد أبا حنيني ، محمد الغزاوي ، عمر بن شمسي ، مسعود الشيكر ، عبد الوهاب الفاسي ، محمد البقالي ، محمد الفاطمي الفاسي ، الحسين بنعبد الله الورزازي ، عبد الحميد بن مولاي أحمد ، أحمد بن بوشتى ، أحمد بن شقرون ، ناصر بن الحاج العربي ، محمد اليزيدي ، محمد الديوري ، عبد الله الرجراجي ، أبو بكر الصبيحي ، محمد الجزولي ، عمرو بناصر ، محمد بن عزو ، أحمد بلافريج ، عبد العزيز بن ادريس العمراوي ، بوشتى الجامعي ، محمد الحمداوي ، ج. عثمان جوريو ، أبو بكر القادري ، عبد الرحيم بوعبيد ، المهدي بنبركة ، عبد الكبير الفهري الفاسي ، مبارك بن أحمد ومحمد الفاسي .

السلطان ... وأضيف إلى الوزراء المغاربة مديرون فرنسيون يديرون أهم الوزارات ومن حولهم موظفون فرنسيون أسندت إليهم الوظائف العمومية والمحلية. نعم، إذا نظرنا إليهم بالمنطق القانوني فإنه يصعب اتهامهم بممارسة الادارة المباشرة لأنهم قانونيا موظفون للحكومة الشريفة. لكن المظهر لا يمكنه تغير الواقع».

لا شك أن محرري الوثيقة ليسوا قانونيين ولا اختصاصيين في القانون الدولي العام. لكنهم أثاروا هنا إحدى أكثر القضايا تعقيدا في قانون المعاهدات الدولية. وسنعود إليها فيما بعد عندما نعرض للتكييف القانوني للوثيقة. ولنلاحظ منذ الآن أن التحريف المشار إليه لا ينحصر عند المفهوم القانوني للحماية، بل ينعكس حتما على محتواه وغاياته. وتجدر الاشارة. دون الاطالة في موضوع التقارب النظري والعملي بين الادارة المباشرة والاستعمار - إلى أن غايات الحماية كما نصت عليها معاهدة 1912 تتمحور من جهة حول توحيد المملكة الشريفة تحت سلطة السلطان، ومن جهة أخرى حول إدخال إصلاحات مختلفة.

وإذا جاز لنا أن نعتبر أن عملية «توطيد الأمن» Pacification تتفق إلى حد ما مع الغاية الأولى، فلا يمكن أن نتخذ نفس الموقف تجاه الغاية الثانية. حقيقة، ان عملية «توطيد الأمن» انتهت إلى توحيد مختلف الجهات عسكريا. لكن التوحيد العسكري أدى إلى عزلة اجتماعية وسياسية. فأصبحت حركة انتقال الأشخاص والأموال عرضة للعرقلة التي تضعها عادة كل إدارة أجنبية. أما حركة انتقال الأفكار والمثل العليا فقد عمدت إدارة الحماية إلى منعها وخنقها. وقد تجلى ذلك يوميا في إلجام الصحافة وفرض حالة الأحكام العرفية.

وقد ترتب عن ذلك نوع من التفرقة أو التمييز الاجتماعي والسياسي والاقتصادي تحت ستار ما سمي بالتوحيد والذي لم يكن في واقع الأمر إلا سيطرة وإخضاع لنظام واحد: نظام القوة.

فالحقيقة كانت تخالف المظاهر. فكان هدف سلطات الحماية إحلال تقسيمات مقننة مرتكزة على اعتبارات عرفية لا أساس لها، محل التقسيم السائد آنذاك والذي نتج عن ضعف السلطة المركزية وقوة التنظيمات القبلية والجهوية. وتم تتويج هذه السياسة بما سمي بالظهير البربري الصادر في 16 ماي 1930. ومرة أخرى لم يستطع الاحتيال القانوني الصمود أمام الحقيقة الاجتماعية الأصيلة. وتطور الوضع على عكس ما كان يتوقعه المستعمر بحيث اعتمد الوطنيون على حدث غير منتظر لاعطاء سند قوي ووزن متميز لرد فعلهم بوثيقة الاستقلال لسنة 1944.

أما الغاية الثانية، أي إدخال الاصلاحات، فإنها فهمت بصفة ملموسة لأنها تعطي مجالا خصبا للنقاش وللتنديد بنظام الحماية في مجمله. واعتمد في هذا الشأن على محورين هامين: الاصلاحات بذاتها والنظام السياسي.

وهكذا فقد تركز النقاش الجاد والعمل السياسي منذ 1925 حول إصلاح الادارة والتعليم والعدل والاقتصاد وتنظيم الجيش. وتفرض الموضوعية المجردة القول بأن نظام الحماية كان يولي بعض العناية لهذه الاصلاحات على مستوى الانجازات - مهما بلغت تلك العناية من تفاهة - وكذلك على مستوى الحوار والاتصال مع الأحزاب السياسية الوطنية. وقد فصل ذلك ف. طايار F. Taillard في كتابه Le Nationalisme Marocain, éd. du Cerf, 1947. فإن هذا المؤلف قد يتسم ببعض الموضوعية ولو كانت تتخلل أفكاره بعض الأبوية الاستعمارية.

جدلية المتناقضات

كان إصلاح النظام السياسي، أي تحديث المخزن وسن الحريات العامة وإقامة نظام ديمقراطي في إطار ملكية دستورية تعززها مؤسسات منتخبة، من المشاكل التي وقفت في وجه سلطات الحماية. لكن لم تكن هذه السلطات لتغفل عن أن إنجاز هذا الاصلاح سيفقد معاهدة فاس لموضوعها وبالتالي سينعكس على نظام الحماية الذي سيصبح بدون مبرر. وأما التحول المشار إليه فإنه يتعارض وروح نكران الذات التي كانت الباعث النظري للدول العظمى لاقامتها لنظام الحماية وفي نفس الوقت يبعد هذه الدول عن كل فكرة للاصلاح (انظر بهذا الصدد R. Flory et Mantran المرجع المشار إليه، صفحة 101). وعليه وبالنظر إلى المشكل من هذه الزاوية فإننا نلاحظ وجود جدلية تتعارض بموجبها المصالح العميقة لسلطات الحماية مع دمقرطة الحكومة المغربية. وعلى عكس ذلك فإن رفض إدخال هذه الاصلاحات ليس أقل تعارضا مع مصالح الحماية. ذلك أنه خلافا لما قد يظن، فمحاولة الاصلاح الديمقراطي في المغرب ترجع إلى نهاية القرن التاسع عشر. وقد تمكنت إقامة نظام الحماية من عرقلة إقامة هذه المحاولة. غير أن من مبررات هذا النظام نفسه ترك الأمل حيا في تطبيق الاصلاح على أسس متينة، على غرار ما يجري في الدول الغربية. إلا أن الجهل الذي ميز تصرف سلطات الحماية مباشرة بعد 1912 سمح للوطنيين بملاحظة مدى إخلال هذه السلطات بتنفيذ المعاهدة. ولم يكن هناك بد من أن ينتج عن تزايد التعارض بين الوطنيين وسلطات الحماية نزاع صريح يفضي إلى التنديد أو المطالبة بإلغاء معاهدة فاس لأنها أصبحت بلا محل ولأنها فقدت غايتها.

وتحت تأثير الأوضاع الدولية أصبح لتحريف معاهدة الحماية عواقب خاصة على الصعيد الداخلي. ولم تخف على محرري الوثيقة العلاقة الموجودة بين هاتين المسألتين. فإذا كانت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد تميزت بتسابق الدول الأوروبية إلى التوسع والهيمنة وأسفرت على إخضاع المغرب للحماية، فإن الحربين العالميتين قد ساهمتا في خلق وضعية

وثيقة الاستقلال

وحركية جديدتين ومواتيتين لمطامع المغرب . فقد شارك المغرب بجانب الحلفاء في كلتا الحربين . وبهذا أصبح من حقه المطالبة بالاستفادة كغيره من النصر سيما وأن مشاركته كانت حرة وإرادية ومقررة بناء على غاية قانونية دقيقة . وإن الميثاق الأطلسي الذي صادق عليه الحلفاء سنة 1941 يصرح بأن الحرب ضد النظام النازي تهدف إلى تحرير الشعوب . والمقصود من هذه العبارة ليس فقط تحرير الشعوب المغلوبة كفرنسا وإنما تهم هذه العبارة كل الشعوب المهددة أو الشعوب التي كانت محل أطماع استعمارية . ولا يخفى على أحد أن المغرب كان يتصدر قائمة هذه الدول . فقد كان مئات الجواسيس النازيين يجوبون المغرب في هذه الحقبة محاولين تأليب المغاربة . وقد اغتنمت سلطات الحماية هذه الفرصة لقذف الوطنيين أو التشهير بهم وتحريض الحلفاء على رفض مساندة مطامع المغاربة . لكن حدثين هامين وقعا فكذبا مزاعم تلك السلطات : خطاب جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف من جهة وتواجد عدد كبير من المغاربة على جبهات القتال من جهة أخرى .

وهكذا وقبل تقديم وثيقة الاستقلال أي قبل أن تظهر الفائدة من موالاة الحلفاء ، وجه السلطان خطابا للأمة في 3 شتنبر 1939 تلي رسميا في المساجد . وقد أهاب فيه الملك بالشعب إلى « **مساندة فرنسا في حربها مساندة مطلقة وإلى إعطائها كل موارده بدون تردد و إلى التضحية بكل ما لديه في سبيلها** » . فانخرط من جهة على إثر هذا الخطاب 300.000 جندي مغربي في الجيش الفرنسي . ومن جهة أخرى خص المغاربة يوم 8 نفمبر 1942 – قبل تقديم الوثيقة إذن – قوات التحرير باستقبال رائع . ويجب التذكير بأن المغاربة نظموا هذا الاستقبال بالرغم من الموقف المعارض للجنرال Nogues نوكيس الذي كان يشغل آنذاك منصب المقيم العام والذي كان مواليا لحكومة فيشي Vichy (انظر بهذا الصدد R. Rezette, les Partis politiques marocains, Presses de la Fondation nationale des Sciences politiques, Paris 1955, p. 146 et suiv, F. Taillard, ouvrage precité, Ladislan Creych, Europeens et marocains, 1930-1956, sociologie d'une décolonisation, collège d'Europe, Bruges 1946. p. 30.) .

إذن ساهم المغرب في رسم الخريطة الدولية الجديدة . وقد فعل ذلك بأمر من ملكه أي بأمر من رئيس الدولة الذي اتصلت به السلطات الفرنسية لهذا الغرض . أما الادعاء الذي مفاده أن مساهمة المغرب في المجهود الحربي لا يجعل منه دولة من الدول المحاربة ضد النازية وأنه لا يمكن الاستجابة لطلبه بالانضمام إلى الحلف الأطلسي فإنه ادعاء تعسفي . فقد ساهم المغرب عن علم وإقتناع في الحرب إلى جانب الحلفاء وبمقتضى المبادئ التي أعلنوا عنها . وهكذا برهن المغرب عن استمراريته في المنطق القانوني بمطالبته في نفس الوقت بالانخراط في الحلف الأطلسي والمشاركة في مؤتمر السلام الذي نظم في أعقاب الحرب ومن تم المساهمة في المؤتمر التأسيسي للأمم المتحدة . وسنشير في الفقرات الموالية إلى كون الطريقة التي صيغت بها حيثيات وثيقة الاستقلال تطابق تماما النظام القانوني الدولي الذي اعترف به للمغرب . لذلك ، ينبغي أن لا نغفل عن كون معاهدة فاس ليست سوى إحدى التطبيقات الخاصة للأوضاع الناجمة عن مؤتمر مدريد المنعقد سنة 1880 وكذا معاهدة الجزيرة الخضراء لسنة 1906 .

ولم يقتصر تغير الوضعية العالمية الذي تشير إليه وثيقة 1944 على الجانب الدولي بل أثر كذلك بعمق على التطور الداخلي للبلاد ذلك أنه من بين أسس معاهدة فاس توجيه البلاد نحو النمو بغية إنشاء نظام ديمقراطي يرتكز على ممارسة الحريات العامة والمشاركة الشعبية في الأجهزة الحكومية والتشريعية والقضائية .

وبعد 1912 ، يجب أن نلاحظ أن قوة القطيعة مع حركة الأفكار السياسية الشائعة في أواخر القرن التاسع قد أعقبتها صدمة تجلت في المقاومة المسلحة التي ظهرت في كل أنحاء البلاد . وبصفة موازية ، مارست سلطات الحماية ، ضغطا شاملا على الحريات العامة بتحديدها وتضييق مجالها وفرض الرقابة على ممارستها . وكانت حالة الطوارئ شبه مستمرة رغم انتهاء عملية توطيد الأمن وانتهاء الحرب العالمية الأولى . ومنذ عام 1912 قام بعض أعضاء حاشية السلطان ومعهم زمرة من النخبة بتوجيه الحركة الشعبية لمقاومة الحماية . على أن هذه المقاومة لم تأخذ منعرجا واضحا انطلاقا من سنة 1925 . فالعروبة التقليدية التي دعت إليها السلفية وذيوع الصحافة الدولية ولو بصفة سرية والاتصال المباشر مع الثقافة الغربية بمناسبة مواصلة الزعماء المغاربة الشباب لتكوينهم بالجامعات الفرنسية ... كل هذا جعل من الأحزاب السياسية بعد تأسيسها مجرد جهاز ممثل ومعبر عن القوات السياسية في البلاد . وتؤكد على قوة هذه الحركة الوطنية وضعية الصحافة المحلية ومشاريع الاصلاح التي أجهضت وكذا الظهير البربري وسن الاحتفال بعيد العرش .

وقد توج لقاء أنفا في يناير 1943 اقتناع صاحب الجلالة السلطان بأن الوقت قد حان لترجمة الغليان الوطني إلى قرار سياسي : إلغاء معاهدة الحماية . ولسنا بحاجة إلى التذكير بأن هذا الاجتماع قد أكد وعي السلطان بالحركة الداعية إلى تجديد الاسلام والعروبة وبضعف الدول الغربية وخاصة أوروبا ، وبداية نهاية الامبراطوريات الاستعمارية .

وفي نظرنا المتواضع فإن هذه مجموعة من العوامل امتزجت بجيشان الحركة الوطنية لتوضح المخاض الهائل الذي أدى بتعاون السلطان والوطنيين إلى وضع وثيقة 11 يناير 1944 .

وإن في إشارة الديباجة إلى تغيرات الوضعية الدولية والوطنية حجة أخرى على ضرورة إعادة النظر قانونيا في معاهدة الحماية . ويبقى لنا أن نعرف إلى أي حد تتطابق النتائج المستخلصة

مع الديباجة وأن نتساءل هل يقوم منطوق الوثيقة بتتويج هذه النتائج .

المنطوق :
صلابة القانون وحكمة السياسة

يشتمل نص منطوق الوثيقة على جزئين مخصصين تباعا للسياسة العامة والسياسة الداخلية . ولم يكن هذا التقسيم موفقا . وتطبق نفس الملاحظة على اختيار المصطلحات والتعامل معها وصياغتها . وقد يكون مرد هذا الاخفاق إلى عدم توفر المحررين للوثيقة على تكوين قانوني على الطريقة الغربية . وبصرف النظر عن هذه الملاحظة فإن المقتضيات الأربعة التي تتضمنها الوثيقة يمكن حصرها في قضيتين اثنتين : استرجاع الاستقلال وتنظيم المغرب المستقل .

الاستقلال

تمت المطالبة بالاستقلال في صيغة مزدوجة . فمن جهة ينبغي أن يتحقق الاستقلال تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة ويجب من جهة أخرى أن يشمل الاستقلال مجموع التراب الوطني .

لقد برهن محررو الوثيقة على استمرارية فكرية راسخة بإشارتهم المباشرة إلى النظام القانوني الدولي للمغرب منذ معاهدة الجزيرة الخضراء وبذلك إلى المساس الذي لحق بسيادة الدولة من جراء نظام الحماية وباستنتاجهم المباشر للمطالبة بالاستقلال في اتجاه الماضي والمستقبل . فما من شك أن استدلالهم بمعاهدة الجزيرة الخضراء ينخرط في الاتجاه الأول . والغاية هي مطالبة الدول المعنية بالاعتراف باستقلال المغرب والتوقيت على اتفاقيات تحدد الحقوق المشروعة للأجانب في إطار السيادة المغربية .

ولا بد قبل معالجة فكرة الاستقلال من الحديث بإيجاز عن هذه الظروف فلا يمكن اعتبار التشبث بالرعاية الملكية أو المطالبة بالحفاظ على الوحدة الترابية من قبيل الصيغ الشكلية فقط . فالوفاء للسلطان مقتبس من معاهدتي الجزيرة الخضراء وفاس اللتين تضمنان صراحة سلامته وسيادته . وبوضوح فإن الأمر يتعلق بحمايته من أن تمتد إليه يد الأجانب بسوء . أما على الصعيد الوطني فإن مشروعية النظام الملكي وقداسته لا يمكن أن تناقش حتى فيما اتفق على تسميته ببلاد السيبة . فالصيغة التي استعملتها الوثيقة تهدف على الأصح إلى تحذير سلطات الحماية من أي عمل قد يمس بشخص الملك . وقد امتازت بيثها في قضية تحديد المحاور المقبول من جهة وتقديمها للملك بصفته الوطني الأول من جهة أخرى . وهنا يظهر فرق جلي مع ماحدث في تونس في الحقبة نفسها . وما كان للأحداث التي جاءت فيما بعد إلا أن تؤكد هذه النظرية تأكيدا ثابتا وواضحا . فقد قدم الملك في حوادث 1953 تضحية الزعيم الوطني الأول واشترط الشعب مبدئيا عودة الملك إلى أرض الوطن قبل الخوض في أية مفاوضة بشأن الاستقلال .

أما الاشارة إلى الوحدة الترابية فإنها لاتبدو أقل أهمية . فلقد كان المغرب يعاني من تقسيمه إلى عدة مناطق نفوذ . ولقد أدى استقلال بعض المستعمرات إلى ظهور قانون دولي جديد لم ينج من آثار عهد استعباد الشعوب . وهكذا حث مؤتمر فيينا Vienne على ضرورة احترام الحدود المصطنعة الموروثة عن الاستعمار . وعلى غرار هيئات دولية أخرى كرس هذا المؤتمر مبدأ Uti Possedis الذي يقضي بالمحافظة على الحدود الادارية التي خطها المستعمر كحدود دولية (انظر عرضا دقيقا حول هذا الموضوع في الدراسة القيمة التي أعدها الدكتور عبد القادر القادري : La Position des Etats du Tiers Monde à la Conférence de Vienne, Collection de la Faculté de droit de Rabat, n 31, 1980, p. 233 à 259) وقد ذهبت فيما بعد منظمة الوحدة الافريقية في نفس الخط حيث صرحت رسميا بأن جميع الدول الأعضاء تلتزم باحترام الحدود الموجودة في الوقت الذي حصلت فيه هذه الدول على استقلالها (مؤتمر القمة المنعقد بالقاهرة في شهر يوليوز 1964 ، القرار الذي يحدد مدى قاعدة احترام الوحدة الترابية الفقرة الثالثة من البند الثالث – ميثاق منظمة الوحدة الافريقية) .

وأخيرا فإن الأحداث التاريخية الحالية تؤيد ما جاء به الفصل الأول من وثيقة 11 يناير 1944 . فإن قضية الصحراء المغربية ليست إلا محاولة لتجاهل المبدأ الذي طالب المغرب باحترامه منذ أربعين سنة وهذا إذا لم ننطلق إلا من سنة 1944 .

وإذا قبلنا بهذه الظروف ، فإن مفهوم الاستقلال يصبح ذا مغزى دقيق على ضوء قانون المعاهدات الدولية . فسيهمن في أول الأمر على تكييف الوثيقة . وعلى هذا المستوى يمكن أن نتأسف لسكوت القانونيين وعدم دراستهم لوثيقة الاستقلال . نعم إن بعض الصحافيين والسياسيين والمؤرخين يعلقون ويحللون هذا النص بانتظام . لكن لا نستطيع أن نطلب منهم تحديد موقعه من هرم التسلسل القانوني . إلا أن مؤلفين خرجا بصفة نسبية عن هذا السكوت . وهكذا فإن السيدين فلوري ومانتران (المرجع المشار إليه سابقا) يقولان بصفة سريعة : « في يوم 11 يناير 1944 نشر المسؤولون عن حزب الاستقلال إعلانا للاستقلال في شكل بيان ... » ونظرا لبساطة الملاحظات القانونية المخصصة من طرف هذين المؤلفين للوثيقة ، فإنه يمكن القول بأنهما اقتصرا على الجانب السياسي من الموضوع وأن ملاحظاتهما لا تمكن من استخلاص نتائج من ناحية التقنية القانونية . ويبدو أن رأي قانوني آخر

هو ميشيل بورلي MICHEL BOURELY كان أدق حيث قال في كتابه (DROIT PUBLIC MAROCAIN, TOME 1ER, ÉD. LA PORTE, 1950, P. 80)

« لقد كان موقف السلطان (بعد آنفا) سببا في فتح الأزمة المغربية الثانية على مرحلتين : المرحلة التي كان المغاربة يطالبون فيها بالاستقلال بطريقة تزداد كل يوم إلحاحا وداخل إطار شرعي ومرحلة ما بعد خلع السلطان عن عرشه في 1953 ، والتي عمد فيها المغاربة إلى المقاومة العلنية . » ومجمل القول إذن أن وثيقة 11 يناير 1944 تشكل فعلا إعلانا للاستقلال . ولكنها من الناحية السياسية لم يكن لها أي أثر إيجابي لأن فرنسا والدول الحليفة لم تستجب لها ولم يرد أو لم يستطع المغرب أن يعمل على تنفيذ هذا الاعلان بصفة انفرادية . وإذا ما نظرنا إلى القانون أو في إطار الشرعية التي كان يحرص عليها المغاربة والفرنسيون معا ، نجد أن الوثيقة تمس بمعاهدة دولية أي معاهدة الحماية الممضاة بفاس في 30 مارس 1912 .

إعادة نظر أم إلغاء ؟

إن مفهوم الحماية يعطي الجواب لهذا السؤال . وسيحصل للماريشال ليوطي مرة أخرى شرف التعبير عنه بقوله : **« لم يكن لعبارات حق الشعوب في تقرير مصيرها ولأفكار التحرر والتطور بالمعنى الثوري أن تشيع في العالم دون أن يكون لها تأثير . فلا يمكن أن نتصور أن المغاربة قد يظلون لمدة طويلة بعيدين عن هذه الحركة العامة . »** (منشور صدر سنة 1920) وكان ليوطي أكثر إدراكا للأمور عندما قال في خطاب له ألقاه يوم 14 غشت 1920 : **« ينبغي أن نتوقع أن بلدان شمال افريقيا ستتطور في أجل قد يطول وقد يقصر وأنها ستحرر وستنفصل عن فرنسا »** .

وإن من شأن التذكير بهذه الاستشهادات ، الدلالة على أن هذا النظام القانوني لم يكن حتى في نظر المسؤولين عن الحماية إلا مؤقتا وقابلا للتراجع وأنه ليس بإمكان الدولة الحامية أن تضم إليها الدولة المحمية . فهذه الأخيرة تحتفظ بكيانها وترابها وجنسيتها ومؤسساتها . وإن التطور اللاحق للأفكار السياسية لدى المجموعة الدولية سيؤكد على الصيغة المؤقتة لنظم الحماية والوصاية (ميثاق الأمم المتحدة وخصوصا تأكيده على احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وكذا الحدود التي وضعت للدول المستعمرة . المادة 73 من الفصل IX) .

ولسنا بحاجة لاطالة سرد الأفكار الفقهية والمذهبية حول هذه النقطة لذلك نكتفي بالقول إن المطالبة بإعادة النظر قد تدل على الرغبة في إنهاء وضعية قانونية معينة وفاسدة ، لكنها عموما ما توحي بمراجعة أو بتغيير أو بمطابقة هذه الوضعية للتطور . وليس الأمر كذلك في الحالة التي نحن بصددها . ذلك أن محرري الوثيقة يريدون وضع حد قانوني للوضعية الناتجة عن معاهدة الحماية ، وبعبارة تقنية مناسبة ، يريدون إلغاء هذه المعاهدة . ورغم وعي محرري الوثيقة بالعيوب التي علقت بمعاهدة فاس (عنف ، تعسف ، عدم المساواة بين الأطراف المتعاقدة : انظر عبد القادر القادري المرجع المشار إليه ، الصفحات 46 – 51 – 57 – 72 – 76 – 85 – 86 CHARLES ROUSSEAU, DROIT INTERNATIONAL PUBLIC, SIREY 1970, T.1. N 125 ET SUIV.) فإنهم فضلوا تركيز مطالبتهم بالالغاء على اعتبارات أخرى وعلى مختلف أوجه عدم تنفيذ معاهدة الحماية أي على الحيثيات الأساسية التي تضمنتها الديباجة : تحول نظام الحماية إلى إدارة مباشرة ، إنشاء التفرقة محل توحيد حقيقي للبلاد ، إهمال الاصلاحات ولا سيما تلك التي تتعلق بدمقرطة النظام السياسي والاجتماعي للبلاد .

وإذا كان من باب غير الممكن منطقيا عدم الاتفاق مع أسباب المطالبة بالالغاء المضمنة في الوثيقة ، فإن الموضوعية تحتم أن نعترف ، إذا نحن نظرنا من زاوية المتمسك بالنصوص لا من زاوية المبادئ العامة للقانون ، بأن الخلوص إلى منطق الالغاء لا يمكن أن يعتبر من البديهيات .

من روح القوانين ...

إن إنهاء العمل بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية من قبل طرف واحد أو دولة واحدة يأخذ غالبا شكل إعلان بالالغاء . بمعنى أن دولة ما تعبر عن إرادتها وعن نيتها في التحلل من التزاماتها الناشئة عن المعاهدة الدولية التي هي طرف فيها . فحسب بادفان BASDEVANT, DICTIONNAIRE DE LA TECHNOLOGIE DU DROIT INTERNATIONAL, 1960, P. 240 ، إن التصريح بالتغاء معاهدة CADUCITÉ الذي تعبر عنه الدولة الصادر عنها يؤكد أو على الأقل يفترض وجود سبب من أسباب الالتغاء والتخلي عن المعاهدة التي تستند إلى حيثيات سياسية عديمة المفعول قانونيا غير أنها تخلق وضعية واقعية وقد تؤدي إلى مفاوضات .

وبالنظر إلى ظروف وأسس الالغاء فإن المختصين في القانون الدولي ومنهم CHARLES ROUSSEAU (في المرجع المشار إليه فقرة رقم 187 وما يتبعها) قد ميزوا بين الالغاء المقنن والالغاء غير المقنن . وهذا الأخير يشبه إلى حد ما العمل غير المشروع لأنه لا يستند على أي بند من بنود المعاهدة الملغاة . ويمكن أن يتحمل الطرف الذي عمد إليه كامل المسؤولية الناتجة عنه . ويحدث في غالب الأحيان هذا التصرف كنتيجة لتغيير غير متوقع في الظروف السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية ... التي كانت قائمة عند إبرام المعاهدة . وفي هذا تطبيق للقاعدة المتداولة في القانون المدني REBUS SIC STANTIBUS (ما دامت الأحوال هي الأحوال) .

ومن البديهي أن التذرع بهذه القاعدة لا يتم إلا للخروج من المأزق المتولد عن انعدام الاشارة صراحة للفرضيات التي يحق استنادا عليها إلغاء المعاهدة بصفة أقل أو أكثر تلقائية. وبالاضافة إلى ذلك، فإن المنطق الذي تعتمده مثل هذه المعاهدات يتعارض مع الطبيعة السياسية لقاعدة REBUS SIC STANTIBUS الذي يشبه تماما لمضمون المطالب الوطنية. وقد أشرنا إلى أن محرري الوثيقة لم يفكروا في إلغاء عقد الحماية لأسباب سياسية صرفة مبنية على حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، وذلك رغم فتح هذا الباب من طرف أكبر مفكري الحماية بالمغرب.

ومن جهة أخرى، فإن الحيثيات التي اعتمدها محررو الوثيقة لم تشر إلى تغيير الظروف إلا في حيثية واحدة. وعليه، فإنه يبدو من اللائق القول بأن وثيقة الاستقلال تعتمد سببا آخر من أسباب الالغاء وهو عدم تنفيذ المعاهدة من لدن الطرف الآخر. وفي هذا تطبيق لقاعدة L'EXCEPTIO NON ADIMPLETI CONTRACTUS (في حالة عدم تنفيذ أحكام العقد). وهذه كذلك قاعدة أخذت عن القانون الخاص ولا تزال غامضة في دراسات وممارسات القانون الدولي. ورغم أن هذه القاعدة تكون غالبا ضمنية، فإنه لايتم اللجوء إليها إلا كمنفذ. إلا أن مردها إلى القانون الخاص يوقف تطبيقها على تدخل القاضي على أن هذا التدخل لا يمكن توقعه في العلاقات الدولية في الحالات التي تصل إلى استعباد الشعوب. ويعزز وجهة النظر هذه الأستاذ ANZINOTTI الذي اعتبر، في تعليق له حول قرار محكمة العدل الدولية في قضية مياه لاموز LA MEUSE، أن هذه القاعدة تكون مبدأ عاما من مبادئ القانون. وإذا راعينا خصوصيات العلاقات الدولية ولم نغض الطرف عن أن نظرية المبادئ العامة للقانون هي نتاج التاريخ القانوني الغربي، فإننا لا يمكن أن نتفق مع هذا الأستاذ الجليل عندما يقول أن هذه القاعدة تكون حقيقة مبدأ عاما ومطلقا. فوجود وحرية بلد ما قد يبرران هذه القاعدة. لكن نهب جزء من ثرواته قد يبرر مؤقتا إغفالها. ولعل في هذا ما يفسر سكوت القضاء الدولي. ويظهر بخلاف ذلك، من الممارسة السياسية والدبلوماسية — رغم أنها ليست حاسمة — أنه كثيرا ما يتم الدفع بقاعدة L'EXCEPTIO NON ADIMPLETI. وإن رفض قبولها من لدن الطرف الآخر يمنع فعلا تطبيقها بما يمليه القانون المدني، لكن هنا كذلك تتدخل خصوصية العلاقات الدولية لتؤدي بالواقع الناشئ عن العمل بالقاعدة المذكورة إلى مفاوضات قصد إعادة التوازن والنظامية للأوضاع.

أليس ذلك هو الهدف المتوخى من الوثيقة؟ حمل الطرف الآخر على الاعتراف باستقلال المغرب والدخول في مفاوضات في إطار احترام السيادة المغربية وحقوق وواجبات جميع الأطراف؟ حقيقة، إن في الصبغة الموجزة لمعاهدة فاس وعدم توفرها على بند صريح يتعلق بالالغاء مانع قانوني من استرجاع الاستقلال، لكن وجود هذه الموانع الضمنية لا يمكن أن يحول دون اللجوء إلى روح القوانين. وهذه الروح تكفي لاعطاء وثيقة 1944 أسسا وغايات محددة. ذلك أن مضمونها يتلخص في إثبات عدم تنفيذ فرنسا لمعاهدة فاس بل وخرقها وتحريفها من لدن إدارة الحماية.

... إلى سلامة الشكل

إلا أن احترام القانون وروحه لا يكفي وللأسف دائما لربح قضية ما. فالحقوقيون يتشبثون بالاجراءات وبالشكليات ومن هذا الجانب لا بد من تحديد الجهاز الذي له صلاحية إلغاء المعاهدة وكذا تبليغ هذا الالغاء ونشره عند الاقتضاء فهل نستطيع القول بأن ظروف وثيقة 11 يناير 1944 راعت هذه الجوانب الشكلية؟ فيما يتعلق بتحديد الجهاز الذي خولت له سلطة إلغاء معاهدة دولية فلا يمكن لأحد أن يفكر في سلطة أخرى غير صاحب الجلالة السلطان. بوصفه أمير المؤمنين ورئيس الدولة فإن له سلطة الالتزام باسم بلاده على الساحة الدولية. ونظرا لقاعدة موازاة الأشكال، فإن للسلطان صلاحية إلغاء المعاهدة كما كانت له صلاحية إبرامها. وليس لأحد أن يجادل في أن أول ردود الفعل التي صدرت عن المعارضة بعد مارس 1912 كانت تنادي بهذا. وبما أن حزب الاستقلال هو الذي قام بإعداد الوثيقة، فإنه من الممكن الظن بأن الاجراءات الشكلية للالغاء غير متوفرة. فلا يوجد هناك حزب يتمتع بسلطة وصلاحيات رئيس الدولة. وبدون الرجوع إلى تفاصيل تقديم الوثيقة، يمكن التذكير بأن صاحب الجلالة السلطان كان أول من بلغ الوثيقة للمقيم العام لفرنسا بالمغرب. ووفاء من جلالته لتقاليد عريقة، عقد مع مختلف القوات الممثلة للبلاد اجتماعا تم فيه تأييد الوثيقة بالاجماع. وقد بدا من رفض السلطان سيدي محمد بن يوسف التبرؤ من الحركة الوطنية ومن حزب الاستقلال ومن مواقفه فيما بعد بطنجة وباريس تبين أنه لا يكتفي بتأييد هذه الوثيقة بل ويتحمل نتائج هذه المسؤولية بكاملها. وقد كان من شأن معارضة سلطات الحماية لكل مطالبة قانونية بإلغاء المعاهدة ولكل مطالبة بالاستقلال في إطار المشروعية أن تؤدي إلى مواجهة عنيفة بلغت ذروتها في 20 غشت 1953.

وإلى جانب هذا كله، ينبغي التذكير بالتفاف الأحزاب الأخرى وكل فئات الشعب حول الوثيقة. وعلى هذا الأساس، يكتسي موقف السلطان صبغة ديمقراطية دقيقة. إذ قام جلالته بإبلاغ إرادة شعبه ورغبته في الاستقلال. فامتزج القانون بالسياسة. الجهاز المختص عبر عن المطالبة بالالغاء وقام الشعب بحماس بالتعبير عن نفس المطلب وتبنى السلطان هذا المطلب عن دراية واقتناع.

وثيقة الاستقلال

وفي نفس الظروف ، استلم الطرف الآخر هذا الخطاب . فالملك يقوم بإبلاغه إياه مباشرة وعلى الفور . كما تقوم بعثة من حزب الاستقلال بتسليم نسخة من الوثيقة إلى المقيم العام عند رجوعه إلى مكتبه . وكان حزب الاستقلال ، المنظمة السياسية الوطنية ، يكون قوة تمثيلية تتمتع بمساندتين : رضا السلطان وانضمام مواطنين عاديين إلى الوثيقة . وتنطبق عليه كلمة Michel Bourely الذي قال في كتابه المشار إليه سابقا ، صفحة 73 : **« إنه يكون المعبر الأكثر تمثيلا للقوات السياسية في البلاد »** ، وكذا قولة Silvera الذي جاء في مقاله المشار إليه آنفا : **« إن حزب الاستقلال هو المحاور المقبول المؤلف من ممثلي الحركات الوطنية المحلية »** .

ودل رد فعل سلطات الحماية على أنها أدركت هذا المغزى إدراكا تاما . وكان عليها أن تتجاوز ظروفا غير مواتية بالنسبة إليها . غير أن ذلك وللأسف ، عرقل الموقف الفرنسي وجعله موقفا متناقضا . فكان العنف والقمع داخل البلاد والقلق الواضح بشأن امبراطوريتهم . إذ أن الفرنسيين كانوا يعتبرونها بحق منطلقا حاسما في التحرير . ومن جهة أخرى جاء التصريح المعقول للجنرال دوكول de Gaulle الذي أعلن في مؤتمر برازافيل المنعقد في 30 يناير 1944 عن حق سكان ما وراء البحار في تسيير شؤونهم بأنفسهم بصفة مباشرة . ويمكن من هذه الزاوية اعتبار التماطل الذي حصل في الحوار الذي أجري مع علال الفاسي في منفاه بمثابة المنعرجات التي لا تؤخر إلا مؤقتا نفوذ المياه إلى مصيرها المحتوم . وهكذا أقرت الدولة الفرنسية تلك الحقيقة في دستور 27 أكتوبر 1946 فنصت على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وبالتالي على قابلية الالغاء للقواعد القانونية للاستعمار والحمايات . ويمكن القول أن مواقف الادارات الفرنسية فيما بعد في المستعمرات والبلدان المحمية كانت مجرد رد فعل مخالف يدينه مسار التاريخ كما يدينه انتصار الحق . لذلك لا بد من التمييز بين رد فعل الدولة الفرنسية الموقعة على معاهدة الحماية والتي وجهت إليها وثيقة 1944 – ولو كان ردها ضعيفا – من جهة ، وبين عنف سلطات الحماية المنسوبة إليها التصرفات اللاشرعية المشار إليها والتي كانت هي الضحية الحقيقية لالغاء معاهدة فاس من جهة أخرى .

فهل نستطيع القول أن التبليغ وهو القاعدة الثانية في الشكل والمسطرة ثابت بتسليم الوثيقة للمقيم العام لفرنسا بالمغرب ؟ ليس في نظرنا شك في ذلك . بل نعتقد أنه لا يمكن اعتبار التصريح الذي أدلى به دوكول في برازافيل من قبيل المراوغة السياسية التي فرضتها ظروف الحرب . بل ان الدستور الفرنسي الصادر سنة 1946 لا يجيز لنا الشك في ذلك سيما وأنه صادر عن الشعب الفرنسي الذي كان قد رفض فيما قبل مشروع دستور قدمه له دوكول نفسه . فلا بد من أن نعترف بأن الحق سما رغم التقلبات السياسية .

إنما هل تبليغ الالغاء إلى الطرف الآخر في المعاهدة يكفي ؟ فمن حيث المبدأ ، لا يحتاج هذا الاجراء إلى شكليات أخرى ، نعم في بعض الحالات لا بد من تبليغ الالغاء إلى مسؤول دولي معين كالأمين العام لمنظمة دولية مثلا . وقد يتساءل لماذا لم يقع تبليغ الوثيقة إلى عصبة الأمم . إلا أن هناك سببين لاستبعاد هذا الرأي . فمن جانب القانون أولا ، معاهدة فاس لم تبرم برعاية عصبة الأمم . فقد أعدت هذه المعاهدة سنة 1912 بينما عصبة الأمم لم تنشأ إلا سنة 1919 وليس لأنظمتها علاقة بالمعاهدة المغربية الفرنسية . أما من جانب الأحداث ، فمن جهة كانت عصبة الأمم محتضرة في سنة 1944 ولم يعد لها دور يذكر على الصعيد الدولي ومن جهة أخرى فإن منظمة الأمم المتحدة لم تنشأ إلا بعد هذا التاريخ .

ولم يكن إهمال عصبة الأمم يعني عدم القيام بإجراءات الاشهار ، ذلك أن محرري الوثيقة قاموا بتسليمها إلى ممثلي كل من انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية بالمغرب من جهة ، كما أن بنود الوثيقة نصت على إمكانية تدخل المنظمات المزمع إنشاؤها من جهة أخرى . وبهذا لم تفقد القضية المغربية صبغتها الدولية .

وقد قام حزب الاستقلال معتمدا على مساندة وتأييد السلطان بدور الناطق الرسمي . فبلغ الوثيقة إلى ممثلي انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية بالمغرب بصفتهما دولتين وقعتا على معاهدة الجزيرة الخضراء وبصفتهما كذلك مشاركتين في الحرب العالمية . وتلافيا لكل خلط قد ينشأ من إلغاء معاهدة الحماية قانونيا والتأويل السياسي والعسكري الذي عبرت عنه سلطات الحماية بشأن الوثيقة نفسها وفي موضوع تقديمها إلى الحلفاء ، بعث حزب الاستقلال برسالة تفسيرية إلى السلطان بتاريخ 18 يناير 1944 يقول فيها **« إن التعاون مع الفرنسيين والحفاظ على مصالحهم ممكنان في إطار الاستقلال وأن ذلك لا يتنافى معه »** . وفي 19 من الشهر نفسه قام حزب الاستقلال بنشر بيان حقيقة وضح فيه أنه ليس في نيته تحقيق مطامحه بالعنف لأن ذلك قد يعرقل مجهودات الحرب .

ولم يكن الحزب أقل نشاطا ولا أقل تمسكا بالمنطق في علاقاته مع المجموعة الدولية . وهكذا فقد بعث في يوم 8 مارس 1945 إلى رئيس مؤتمر سان فرانسيسكو San Francisco وإلى رؤساء الحكومات الفرنسية والأمريكية والانجليزية والصينية بطلب قبول عضوية المغرب في منظمة الأمم المتحدة . فكان ذلك الطلب دليلا ماديا ثابتا على الصبغة الدولية التي اصطبغ بها النظام القانوني للمغرب . كما حقق الاستمرارية بين معاهدة الجزيرة الخضراء وتسليم الوثيقة لممثلي حكومات الحلفاء وعدم فعالية الحوار مع إدارة الحماية في إطار ضيق .

وسيتأكد مرتين فيما بعد هذا التوجه أو التغيير الذي طرأ على ظروف إلغاء معاهدة

الحماية . ذلك أنه عند اجتماع باريس بين ممثلي الدول الفرنسية الموقعة على معاهدة الجزيرة الخضراء في شأن إعادة تحديد النظام الدولي لطنجة ، قام حزب الاستقلال بنشر مذكرة يطالب فيها بمشاركة المغرب في هذا الاجتماع . وذلك اعتبارا للتجاوز الذي لحق بالمعاهدة الدولية الممضاة في 18 دسمبر سنة 1923 للتنازلات التي رضي بها المغرب فيما قبل والتي لم تكن تبررها إلا حالة انعدام الأمن الذي تسببت الدول الأجنبية في اصطناعه واستمراره ، ونظرا لكون هذه الوضعية قد تغيرت . أما التأكيد الثاني فقد جاء على لسان صاحب الجلالة السلطان بمناسبة خطاب طنجة يوم 10 أبريل الذي تعمد فيه جلالته السكوت عن التنويه المعتاد بفرنسا والذي تضمن الالحاح على بروز المغرب في الساحة الدولية من خلال إشادة جلالته بجامعة الدول العربية . وظل السلطان متمسكا بنفس الروح فطالب رسميا عند سفره إلى فرنسا بعد مرور بضع سنوات بمراجعة معاهدة 1912 « في إطار يستجيب لمطامح الشعب المغربي » . وهكذا يتم غلق الدائرة القانونية غلقا محكما . وأدى تحفظ إدارة الحماية إلى المجابهة العنيفة دون أن يضع ذلك حدا لمواصلة الاجراءات القانونية بصفة موازية .

واستمر فعلا هذا التسلسل في الاطار الدولي . وهكذا وقع حدث قانوني ذو بال استفادت منه القضية المغربية . ففي يوم 27 غشت 1952 أصدرت محكمة العدل الدولية قرارا لصالح الولايات المتحدة الأمريكية ضد الادعاءات الفرنسية . وسنقتصر على سرد جانب واحد من الحيثيات المضمنة في هذا القرار نظرا لأهميته ، وهو الذي ورد فيه : « **لقد اتفق الطرفان على اعتبار وضعية المغرب كما نص عليها في معاهدة الجزيرة الخضراء الممضاة في 7 أبريل 1906 ، تلك المعاهدة التي أقرت في ديباجتها المبادئ الثلاثة وهي سيادة السلطان واستقلاله ووحدة مملكته والحرية الاقتصادية بدون تقييد** » . وقد ظهرت هذه الحيثية منذ سنة 1952 في إحدى مشاريع القرارات المعروضة على الجمعية العامة للأمم المتحدة (19 دسمبر 1952 ، القرار رقم VII – 612) . فما أغرب تجدد الأحداث ، إذ تم الاعتراف بأن المغرب احتفظ دائما بكيانه كدولة متمتعا بشخصيته الدولية . بل تم التأكيد بصفة رسمية على الطبيعة الدولية للقضية المغربية . وأخيرا تم تدارك الشكل من جديد !

تنظيم المغرب مستقلا

من باب المنطق القانوني الصرف ، كان من الممكن أن لا تتعدى وثيقة الاستقلال موضوع إلغاء معاهدة الحماية . ذلك أن موضوع تنظيم المغرب بعد استرجاعه الاستقلال تبقى قضية داخلية . لكن محرري الوثيقة تعرضوا لهذا الموضوع . فما السبب في ذلك ؟ إننا نعتقد أن الجواب على هذا السؤال يكمن في تاريخ المغرب من نهاية القرن الثامن عشر إلى يومنا هذا . ذلك أن هذا التاريخ يدل على استمرارية قانونية مثالية تتعلق بالبحث عن نظام في الحكم يساير المعطيات الدولية الجديدة ويلبي حاجة المغرب إلى تطور اجتماعي واقتصادي شامل . وقد دلت على هذا الدراسة القيمة التي أعدها الأستاذ عبد الله العروي حول أصول الوطنية بالمغرب . وعلى هذا الأساس لا بد من الاعتراف بأن التنظيم الداخلي للبلاد كان القضية الأساسية التي تحفز السلطان والشعب منذ القرن التاسع عشر . فالسيادة الدولية للمغرب لم تصبح مشكلا بالنسبة للمغاربة إلا منذ سنة 1912 . إلا أنها تبقى عقبة يجب تجاوزها قبل الانكباب على القضايا الجوهرية . وبذلك فإن الوثيقة لن تعد عملا فريدا ، بل تتويجا لتطور ، وخلاصة لأوضاع متعددة تجسدت معالمها في مشروع دستور 1908 ومعاهدة فاس لسنة 1912 وكذا مشاريع الاصلاحات الوطنية المقدمة بين سنة 1912 وسنة 1944 .

لقد نضج التفكير في تحديث البلاد خلال القرن التاسع عشر . ووصل هذا التفكير إلى أوجه في فجر القرن العشرين . وهكذا ظهر في هذه الحقبة فكر دستوراني ظهورا واضحا لا ريب أنه مستوحى من أفكار المثقفين المشارقة وخاصة أولئك الذين كانوا يطعنون في طرق الحكم العقيمة للعثمانيين . وقد عرضت جماعة أحمد بن المواز والمهدي بن الطاهر الفاسي وأحمد الزبدي والسعيدي الفاسي هذه الأفكار الجديدة حول الملكية الدستورية والمؤسسات الديمقراطية والحريات العامة في جريدتهم « لسان المغرب » . وهكذا ومنذ سنة 1908 قاموا بنشر مشروع دستور . والحقيقة أنه لم يكن دستورا بالمعنى الدقيق التقني والشكلي المعروف في القانون العام . فلم يتم إعداده من طرف جهاز مؤسس ولم يعرض على الاستفتاء الشعبي . فلم يكن الأمر يتعلق إلا بمقترح فكري تكمن قيمته في تعبيره عن حالة الفكر السياسي آنذاك .

وقد بني هذا المشروع على خمس مبادئ أساسية :

– وحدة المغرب في إطار دولة مركزة تركيزا ثابتا .

– الصبغة الدينية للدولة التي يكون دينها الاسلام . وبذلك يكون السلطان إمام المؤمنين وحامي حمى الدين .

– إعطاء الجنسية المغربية لكل سكان البلاد دون أي تمييز .

– الاعتراف بالحريات العامة لجميع المواطنين المغاربة مقابل طاعتهم للسلطان ومساهمتهم في تحمل الأعباء الجبائية .

– تعدد أجهزة الدولة بحيث تضم السلطان ومجلسا للوزراء ومجلسا للأمة منتخبا ومجلسا للأعيان ينتخب بعض أعضائه .

وكان في التصريح بوحدة المغرب في إطار دولة مركزة ما يعكس المساومات التي عقبت

وثيقة الاستقلال

معاهدة الجزيرة الخضراء . ولا شك في وجود شعور بالقلق حول الوحدة الترابية . أما السيادة الدولية فلا يبدو أنها كانت حينئذ مهددة . وعلى خلاف ذلك ، فإن الصبغة الدينية للدولة والعلاقات بين السلطات العمومية والمواطنين والتوزيع الثلاثي للسلطات — السلطان وشخصه المقدس ، الحكومة وممثلي المواطنين — قد أثارت الانتباه إلى دقتها أو على الأقل وضوحها . وهناك أمر آخر له دلالة خاصة : منح جميع سكان البلاد حق المواطنة . وهذا يعني أن فكرة الذمي المألوفة والتي كانت تطبق على اليهود والنصارى في دار الاسلام قد تم الاستغناء عنها لتحل محلها مفاهيم غربية : المواطنة وما يتعلق بها من حقوق .

وخلاصة القول أن هذا النص يشتمل على ثلاثة مواضيع أساسية : وحدة المغرب ، الاعتراف بالحريات العامة وهيكلة أجهزة الحكم . وقد أبرزت معاهدة الحماية التي أقيمت بعد أربع سنوات ، نفس الاهتمامات على ما يبدو ، ما عدا فيما يرجع لقضيتين أساسيتين : البعد التشريعي والدولي للسيادة من جهة والوحدة الترابية من جهة أخرى . وما أغرب طريقة التفكير هاته ، إنها توهم بأن القيام بالاصلاحات اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية يؤدي بمقابلها ثمن باهظ وهو الانسحاب من الساحة الدولية وقبول التدخل الأجنبي في تسيير شؤون البلاد الداخلية . وإذا قبلنا بهذه النظرة يمكننا أن نخلص إلى أن معاهدة فاس تتصف بنفس التقدمية التي يتصف بها مشروع دستور 1908 . ذلك أن المعاهدة تنص على الاعتراف بضرورة القيام بإصلاح العدل والادارة والتعليم والاقتصاد والمالية والجيش والمخزن كما تنص على احترام الدين والمؤسسات الاسلامية والصفة المقدسة للسلطان .

كل ما في الأمر إذن أن تحديث المخزن والادارة والاقتصاد والمالية والجيش يحقق تطورا في التصور الجديد للجهاز التنفيذي . فالسلطة التشريعية سيتم توزيعها بين المقيم العام ممثل فرنسا والمؤسسات الممثلة لها من جهة وبين السلطان وهو السلطة العليا في البلاد من جهة أخرى . أما السلطة القضائية فلم تحظ إلا بالتفاتة صغيرة . وأما الاشارة إلى التعليم فإنها كافية لتبرير تأجيل البث في قضية الحريات العامة إلى أجل غير معلوم .

إننا لا نؤاخذ هذا النص لأنه يحترم الظروف التي تمخض عنها ولأنه أحسن استعمال العبارات التي اختارها . وتكفي هذه العلل لتبرير ما لاحظناه من نفاق في تطابق محتوى المعاهدة ومحتوى مشروع دستور 1908 وكذا في التماطل في تطبيق مشاريع الاصلاح قبل سنة 1944 .

ويكفي التذكير في هذا الصدد بحركة المطالب الرامية إلى إيجاد حلول قطاعية وجزئية والتي ظهرت في عهد ليوطي نفسه بعيد دخول المعاهدة في حيز التطبيق . فقد أخذت قضايا التعليم واللغة العربية والدين الاسلامي والعدل والاقتصاد وحرية الصحافة ... تشغل بال النخبة وتنص عليها في إطار العرائض والمطالبات سيما في سنة 1925 وسنة 1930 . أما البرنامج الشامل فلم يقدم إلا سنة 1934 ثم عقبه برنامج الاصلاحات المستعجلة سنة 1936 .

وكانت الأمور تسير على نفس المنوال في المنطقة التابعة للنفوذ الاسباني .

وقد اتسمت كل هذه الوثائق بسمة أساسية وهي أن أيا منها لم تعترض على معاهدة الحماية وأنه لم يرد فيها أي تلميح إلى إلغاء هذه المعاهدة . أما النظام السياسي الداخلي فكان دائما موضوع إشارة مجملة أو جزئية . ونلاحظ في هذا الصدد أن الوطنيين يبررون موقفهم هذا بعدم مواتاة الظروف نظرا لحرب الريف والأطلس والصحراء وللقمع المسلط بدون تمييز على سكان المدن وكذلك لنقصان التعبئة من طرف الجماهير . إلا أن الوطنيين نفسهم كانوا يعتقدون أن الهدف الثابت والحقيقي الذي يدافعون عنه هو الاستقلال وإلغاء معاهدة الحماية .

ونقول بعبارة أخرى أن الظروف لم تكن مواتية لاعلان الاستقلال . وكان الوطنيون يرون أن آراء ليوطي لم يكن لها من تعليل سوى خلق الجو المناسب للتفرغ لعملية توطيد الأمن في البوادي تأمينا تاما وشاملا . فلم يكن بالامكان اعتمادها للطعن في معاهدة فاس . نعم ، لهذا التعليل ما له من أوجه الصواب . فالظروف الدولية للاستعمار وحيرة الجماهير المغربية تجاه عمليات توطيد الأمن وتصريحات بعض منظري الحماية تفسر خجل وتواضع الاصلاحات المطلوبة وتراجعها بالنسبة لمشروع دستور 1908 ووثيقة 1944 .

كما أن الجزء من الوثيقة المخصص للقضايا الداخلية يبقى دون مقتضيات دستور 1908 وذلك خلافا لما ورد فيها بشأن الاستقلال ووحدة المغرب الترابية . ولا حاجة للتعليق على أسباب ذلك . ونستطيع القول ، بصرف النظر عن هذه الملاحظة ، أن وثيقة 11 يناير 1944 تبقى تركيبا كاملا لأحداث فترة من تاريخ المغرب على الصعيدين الوطني والدولي . وبهذا الصدد لا يسعنا إلا أن نلاحظ بأن الوثيقة نتجت عن مخاض بدأ منذ مدة طويلة من أواخر القرن الثامن عشر . فقد برزت قضايا السيادة والوحدة الترابية من خلال الاتفاقيات الاستسلامية ومحاولة مقاومة التوسع الاسباني والفرنسي والألماني والانجليزي .

وهل يجوز لنا بخلاف ذلك أن نعتبر أن هذه الوثيقة أصبحت بالنسبة إلينا نحن المغاربة الذين نعيش في عهد الاستقلال مجرد ذكرى من الذكريات التاريخية ؟ نحن لا نعتقد ذلك ، إذ أن قضية الوحدة الترابية ما تزال مطروحة بصفة ملحة كما يبقى تحقيق تطوير المؤسسات الديمقراطية في إطار تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة . ومن أجل ذلك فإن اهتمامات أجدادنا النبيلة واستمرار سيادتنا الوطنية وازدهار الأمة في إطار ملكية دستورية جعلت من الوثيقة رمزا من رموزها وضمنت بقاءها كموضوع من موضوعات الساعة .

شهادة عن الحياة الثق

سعيد الصديقي

لقد أتيح لي قضاء العقد 1944 – 1955 بالصويرة ومراكش أو أخيرا بالدار البيضاء ، وتشرفت بذلك أيضا . وكانت تلك السنوات أحسم سنوات تاريخ المغرب .

إن الكلام عن مقاومة الشعب والشباب في المغرب في الحقبة من سنة 1944 إلى سنة 1955 ، لا عن المقاومة المسلحة التي عرفت كيف تتحدى الاستعمار ، لكن عن تلك المقاومة الأكثر انبثاثا في الأوساط والتي تبناها الناس دون أن تكون مقاومة سلبية – وما أبعدها عن ذلك ! – يقتضي حتما أن أتكلم قليلا عن نفسي .

وإني موقن – رغم اصطباغ هذه الشهادة بصبغة شخصية – بأن آلاف المغاربة قد مارسوا نفس التجربة قليلا أو كثيرا في جميع مناطق البلاد . وإني أتمنى أن يجدوا في هذه السطور ما يذكرهم بكفاحهم القديم .

الوعي

في سنة 1944 ، كنا صغار السن ، في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، ولم يمض عن انسلاخنا عن طور الطفولة إلا قليل . وكنا ، في مدينة الصويرة ، مسقط رؤوسنا ، لا نسمع أثناء الاستراحة وأثناء ألعابنا إلا أخبار الحرب العالمية الثانية تصم آذاننا . وقد شاركت دولة فرنسا ، وهي الدولة الحامية للمغرب ، في هذه الحرب بحظ وافر . فما أسرع ما اكتشفنا موضوعا زاخرا نتحدث فيه . فعلمنا في نهاية الأمر أن دولة أجنبية كانت تحتل بلادنا أيضا . وأتيح لنا ، في تلك الأثناء ، أن نعلم – ولا أدري إلى الآن

مدرسة في تيسركات في وادي درعة . « أخبار الحرب العالمية تصم آذاننا » .
(تصوير بولان) .

افية

مصدر ذلك – أن بعض المغاربة يطالبون ، منذ سنين ، باستقلال المغرب ! وكانت أسماؤهم تذكر سرا . منهم في الصويرة ناس مسنون يمتازون بالرصانة والسلوك القويم ، منهم العدول والفقهاء والتجار وأربعة أو خمسة موظفين بالادارة . كانوا يسمون **الوطنيين** . وكانت تلك المرة الأولى التي علمت فيها أن لي **وطنا** .

في نفس السنة ، **1944** ، أصبحنا تلاميذ داخليين بثانوية سيدي محمد بن يوسف بمراكش ، أصدقاء لجميع الثانويات بفاس والرباط وآزرو ، إذ كنا **وطنيين** وفخورين بذلك . وما كان أكثر ثقتنا وحماسنا لما كنا نتلجلج بأولى أناشيدنا الوطنية .

ثم فوجئنا بوثيقة يناير **1944** الصادرة عن حزب الاستقلال كما يفاجأ المرء بقصفة الرعد . فلم تكن مراكش بمنزلة الصويرة . وعلمت بعض الأسماء ، وأخذت أرددها كما تردد بعض العبارات السحرية : علال الفاسي والمهدي بن بركة وأحمد بلافريج . وما أكثر الذين كانوا ينامون في القسم الداخلي وتحت وسادتهم صورة « سي » علال المنفي في الكابون ، كأنها طلسم بالنسبة إليهم .

وكنا نفكر في ليالينا في ذلك البلد البعيد – ومصباح الحجرة ضعيف إذ لما تنته الحرب – ذلك البلد الذي لم نكن نعرف موقعه في

الساحة الداخلية بثانوية مولاي يوسف بالرباط .
(تصوير بولان)

الخريطة . كنا نفكر في أعمال أجلّ مما قام به علال الفاسي أو عبد الكريم . ولم نكن نخاف لا السجن ولا العذاب . ثم أضفنا إلى أناشيدنا اسما أصبح حافزا لهمم الشباب ، وهو اسم محمد الخامس ملك المغرب .

وهكذا ، أخذنا ، ومن حيث لا نستبين ، ندرك مغزى الوطنية ونتعلم كيف يقاوم الاستعمار . وساعدنا على ذلك كبارنا وأرشدنا من طرف خفي أساتذة نوابغ ، لم يكونوا ، بطبيعة الحال ، يستطيعون التعبير صراحة عن قرارة أنفسهم . فكانوا يحاولون تنبيهنا إلى سوء الحال التي كان عليها المغرب ، وذلك بواسطة تلميحات واضحة إلى الأحوال الاجتماعية والتاريخية والجغرافية . إياكم أعني يا أساتذة ، شارل سالفرانك Charles Sallefranque والعربي المسعودي وأبا بكر رحال والحسن السايح ، وغيرهم كثير . وإلى من قضى منكم وإلى من ما يزال على قيد الحياة أقدم عميق الشكر !

غير أن أساتذتنا ورفاقنا لم يكونوا جميعا من مثل هذه الطينة . ما أبعدهم عن ذلك ! فقد كان من بيننا في ذلك الوقت عيون الادارة وجواسيس ووشاة . وبمقاطعتهم تعلمنا « المقاومة السلبية » . وقد علم ذلك آنذاك كل تلاميذ الثانويات المغربية .

ومضت السنون ، تتخللها اصطدامات بين الشعب وقوات الاستعمار ازدادت شدتها شيئا فشيئا .

وكانت الحقبة من 1945 إلى 1950 بالنسبة لجيلي حقبة مناوشات مع أعوان الحماية . فكنا نستغل كل ما يمكن استغلاله لستر نشاطنا الحقيقي والوحيد ، وهو إذكاء الوعي الوطني في أنفسنا وفيمن حولنا . فعمدنا بذلك إلى الاضراب عن الدروس وعن الطعام وإلى المظاهرات الصامتة وإلى إنشاء جمعيات ثقافية وطلابية ونواد ومكتبات وفرق رياضية . ولم تكن

« حافز خيال الشباب » .
(عن مجموعة صور خاصة) .

السلطات الادارية غبية حتى تغض الطرف مدة طويلة عن هذه « الأنشطة البريئة » . على أنها كثيرا ما كانت تحل الجمعيات وتغلق المنشآت . تقضي على مبادرات الشباب المغربي في مهدها ، حتى ولو كان خطرها ضئيلا .

بداية الالتزام

ثم شرعت أفواج الشبان في تعميق الوعي الوطني ، بالاضافة إلى المساهمة في هذه النشاطات – البريئة في نظر الاستعمار وهو في طور القوة – . ورغب الشباب في التقدم في ذلك وفي إفراغ جهده بجد في سبيل القضية الوطنية ، فانخرطوا في الأحزاب السياسية الوطنية .

ولم يعدل حماسنا ونحن شبان ملتزمون إلا إيماننا بتعاظم مسؤوليتنا في الكفاح السياسي . ثم كانت يمين الانخراط ، وكانت اجتماعات الخلايا

وتوزيع المناشير التي تفضح الاستعمار – والمشاركة في تحريرها فيما بعد – والاتصالات بكبارنا وهم أكثر تجربة وتمرسا بالأمور . وخضنا

فرق كرة القدم وكرة السلة الأولى في الرباط وسلا .
(عن مجموعة صور خاصة) .

مذكرات من التراث المغربي

« تفجرت عواطف الفرح في كل مكان تفجرا تلقائيا ، وجاشت المدن والقرى بالحماس الوطني كأن الناس في عيد جماعي بين إخوة » . وقدم عدد عديد من المسرحيات على مسارح مؤقتة .
(عن مجموعة صور خاصة) .

في كل ذلك وسعدنا به ، وما نزال – إلى الآن – نشعر بتلك السعادة .

لكنها سعادة يسودها جو وخيم قاتم ، إذ كنا نشعر ، إلى جانب ذلك بالضغط الاستعماري ونلمسه ونزداد تضايقا بوجود الأجنبي في بلادنا . لكن كنا نسير قدما لاسترجاع سيادتنا .

ومهما كان الأمر ، فقد استمر تعاقب المقيمين العامين الفرنسيين . فلما عزل نوكيس Noguès وتغرب خلفه كابريال بيو Gabriel Puaux الرجل المتغطرس الأخرق . ورأت السلطات الاستعمارية أن تحسن العلاقات مع بلدنا ، فعينت إيريك لابون Eirik Labonne الرجل الطويل القامة اللبق الأنيق . فتعاقبت في عهده على المغرب حقب تفجر فيها حماس السكان ، وكأنهم شعروا بالحرية . وكان لأقطاب الحماية أن يدركوا ، عندما رأوا هذه الظاهرة ، أن أمورا تغيرت في المغرب تغيرا لا رجعة فيه وأن شعبا برجاله ونسائه وأطفاله ينفجر – وهم ينظرون إليه ولا يرون شيئا ويالأسف – ليعبر عما طفا من آماله . فلو أدركوا ذلك لكان أفيد .

وتفجرت عواطف الفرح في كل مكان تفجرا تلقائيا كأنه فرح اللقيا بعد الفرقة . وجاشت المدن والقرى بالحماس الوطني كأن الناس في عيد جماعي بين إخوة . وكثر عدد المسرحيات والجمعيات والنوادي . ووزعت المناشير وألقيت الخطب في الاجتماعات المرتجلة في الشوارع أو تحت الخيام أو تحت السقائف . وانتشرت الصحف الوطنية من جديد . فحسبنا – وخاصة نظرا لصغر سننا – أن الأمور انتهت في هذه البلاد بالنسبة لفرنسا ، وأنه لم يبق إلا القيام ببعض الاجراءات لانسحابها . ما أكثر غرارة الشباب !

كانت الكشفية أول مدرسة لمن سيصبحون أبطال المقاومة المسلحة . أحد مخيمات الكشفية الحسنية في آسفي .
(عن وثائق خاصة) .

الكفاح السري

أتذكرين ، يا مدينة الدار البيضاء !
أتذكرين ، يا أحياء درب كرلوطي والمدينة والأحباس وجامع الشلوح وآيت يافلمان ، تدفق الشباب في الشوارع ، كأنهم أمواج من الآمال . فكم من فنانين وممثلين هزليين مرموقين اليوم ومعظمين شرعوا في تعلم فنهم على خشبات المؤقتة ! وكم من صحافي تدرب على الكتابة وهو يحرر المناشير ضد الاستعمار في بيوتكم الصغيرة ! وكم من بطل من أبطال المقاومة الحقيقيين الأحرار ساروا أول سيرتهم المنتظمة في بذلة الكشفية الحسنية أو العبدلاوية !

ثم تسارعت حركة التاريخ ! وحل شهر أبريل 1947 . وسافر صاحب الجلالة محمد الخامس إلى طنجة ومعه إيريك لابون . وكانت

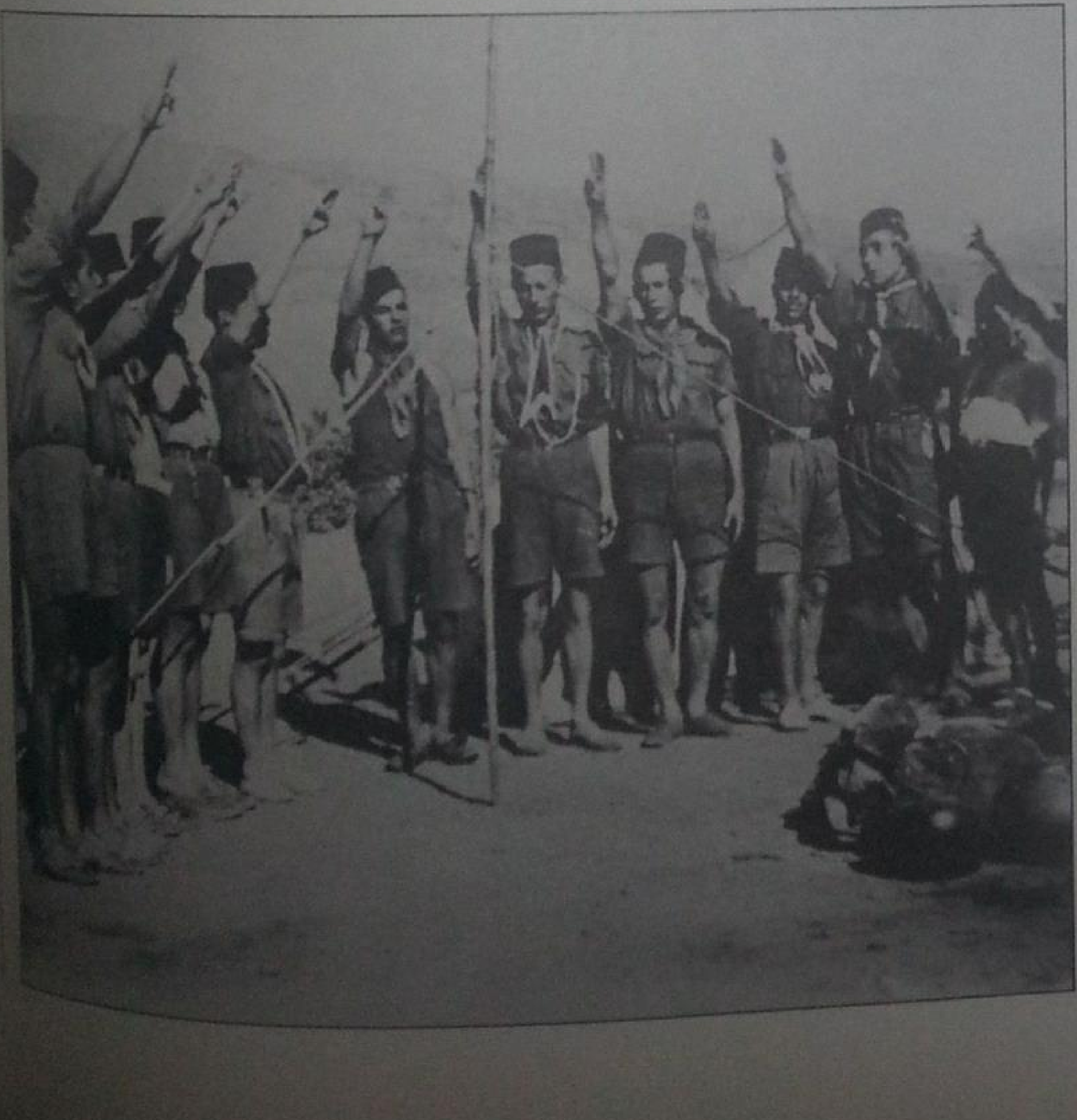

صورة من الرسالة المبعوثة بأمر من صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف إلى رئيس جمعية الاتحاد الرياضي يؤذن له فيها بتسمية الفرقة الكشفية باسم الكشفية الحسنية . وقد أمضى الرسالة محمد المقري .
(عن وثائق خاصة)

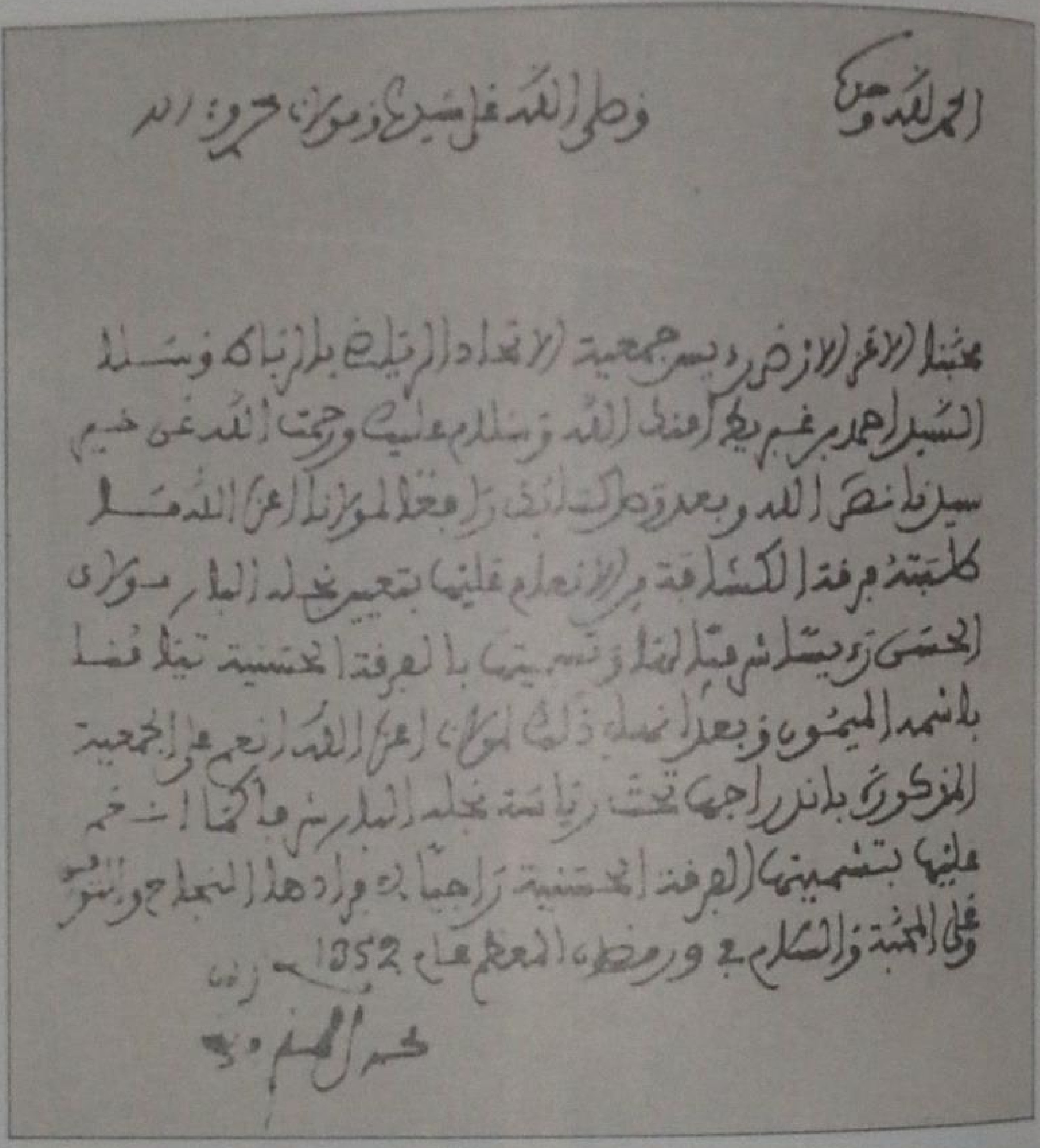
الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى رئيس جمعية الاتحاد الرياضي بالرباط وسلفنا
السيد أحمد بن غبريط أعزك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير
سيدنا نصره الله وبعد فقد طلبت أن يرفع لمولانا أعزه الله مطلب
كلفتكم بفرقة الكشافة من الإنعام عليها بتعيين نجله البار مولاي
الحسن زيد تشريفه رئيسا شرفيا لها وتسميتها بالفرقة الحسنية تيمنا
باسمه الميمون وبعد أن رفع ذلك لمولانا أعزه الله أنعم على الجمعية
المذكورة بانضمامها تحت رئاسة نجله البار شرفيا كما أنعم
عليها بتسميتها الفرقة الحسنية راجيا به مزاد هذا النجاح والسير
على المحبة والسلام في 9 رمضان المعظم عام 1352
محمد المقري

مجزرة الدار البيضاء . وكان الخطاب التاريخي وعزلُ المقيم العام وتعيينُ الجنرال جوان . وبذلك كان الاستعمار أكثر صراحة أو أكثر صلفا . فعين ممثله في شخص ضابط في الجيش . وما كان يعلم أن ذلك التحدي لن يتكرر بعد إلا مرة واحدة .

وكان لا بد من خوض هذه المعركة أيضا . واشتد قمع الجنرال جوان للشعب واشتد ضغطه على الملك . ومع ذلك فقد صدع المغاربة بإرادتهم الاستقلال وعرفوا كيف يستمدون القوة والايمان من أعماق نفوسهم . وكان عيد العرش فرصة للتعبير بقوة وصراحة عن ذلك الكفاح الذي كان يخوضه الشعب كل يوم في الخفاء . فما كان أكبر اشتياقنا إلى حلول يوم 18 نفمبر . وما كان أشد حماس الشعب وحمى الانتظار . وما كان أحرصنا على تتبع الخطاب الملكي . وما كان أكثر الاشارات والتلميحات المضمنة في الخطب . وما أكثر ما تفاهم الملك والشعب وتآمروا من خلال هذه الخطب على مرأى ومسمع من المقيمين العامين مشدوهين .

فما أسمى هذا التواصل وما أزكى هذه الوطنية !

وتقوى الحماس الوطني . واستلهمنا تلك القوة من ملحمة أحمد الحنصالي (1951) الذي كافح وحده ، لكننا كنا متضامنين معه . وما أسرع ما اكتشفنا مغزى ذلك . واكتشف المغاربة حينئذ وللمرة الأولى منذ 1934 تقاليدهم في **الكفاح المسلح** . وبذلك فتحت أمامهم سبل أخرى للمقاومة .

أول اتصال بين صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن وبين الكشفية الحسنية بالرباط .
(عن وثائق خاصة)

الحنصالي بطل تادلة .
(الخزانة العامة والوثائق ، الرباط) .

الاحتفال بعيد العرش يوم 18 نونبر : « ما أحلى هذا التواصل وما أخلص هذه الوطنية » .
(من وثائق مسرح محمد الخامس) .

في جميع الجبهات

لكن الشعب أصر ، أول الأمر ، على الاستمرار في كفاحه السلمي ضد المستعمر. فكافح في جميع الميادين ، وفي ميدان التعليم الحر قبل غيره . وكان هذا التعليم موجودا قبلنا بكثير ، وقد وجد عمليا منذ إنشاء الحماية . وازدهر بفضل النشاط الدؤوب الذي قام به وطنيون مشهورون . ونجد في جامعة القرويين أكبر دليل على ذلك ، إذ كان تعليمها حرا كامل الحرية ، وبالمعنى السياسي الكامل للحرية . وحذت الدار البيضاء حذو فاس وتطوان والرباط وسلا – وهي مدن رائدة في هذا الميدان – فعرفت كيف تنشئ في السنين الأولى عدة مدارس لم تكن السلطات الاستعمارية لترضى عنها بطبيعة الحال ، وذلك لجودة تعليمها وللأفكار والرسالة الوطنية التي

صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف تحيط به بنات من تطوان أثناء رحلته الخالدة إلى الشمال .
(الخزانة العامة والوثائق ، تطوان) .

مدرسة المعلم الزموري .
(تصوير جيلو صبيري) .

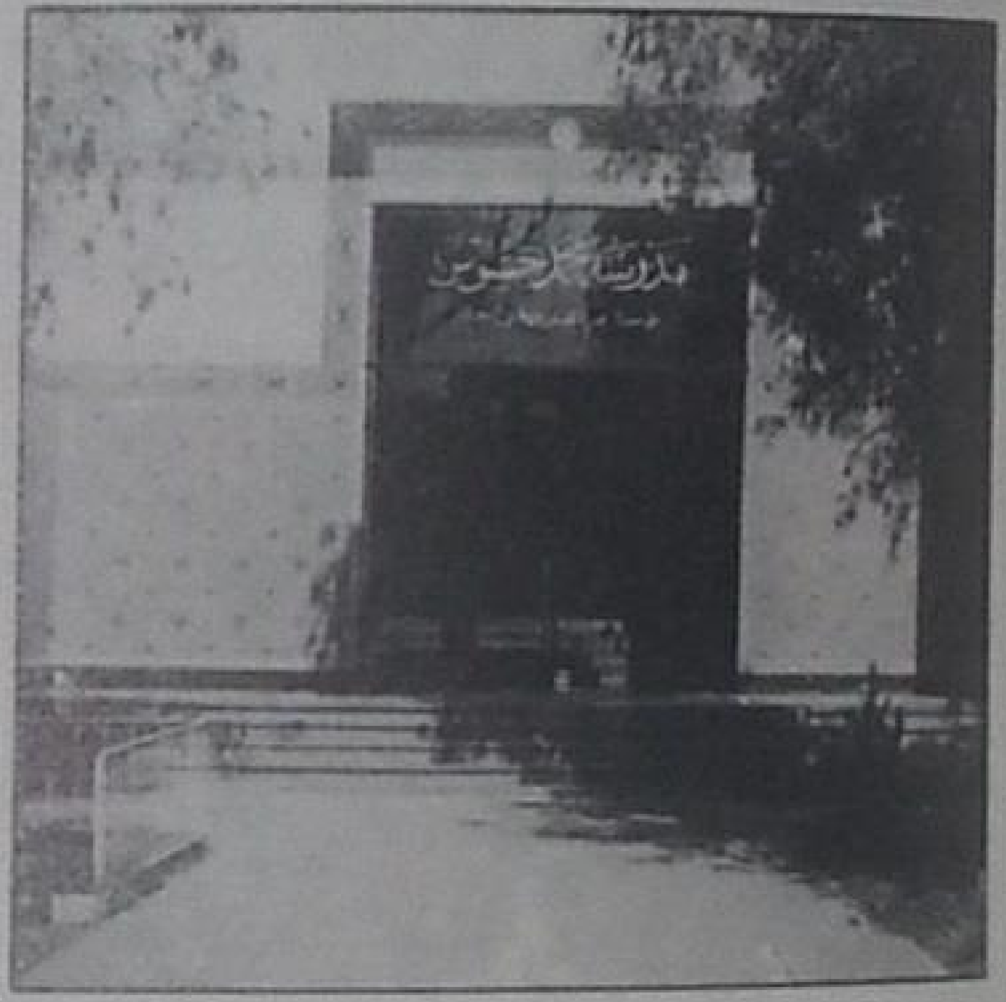

مدرسة جسوس بالرباط .
(تصوير أودول) .

مدرسة مولاي الحسن بالدار البيضاء .
(تصوير جيلو صبيري) .

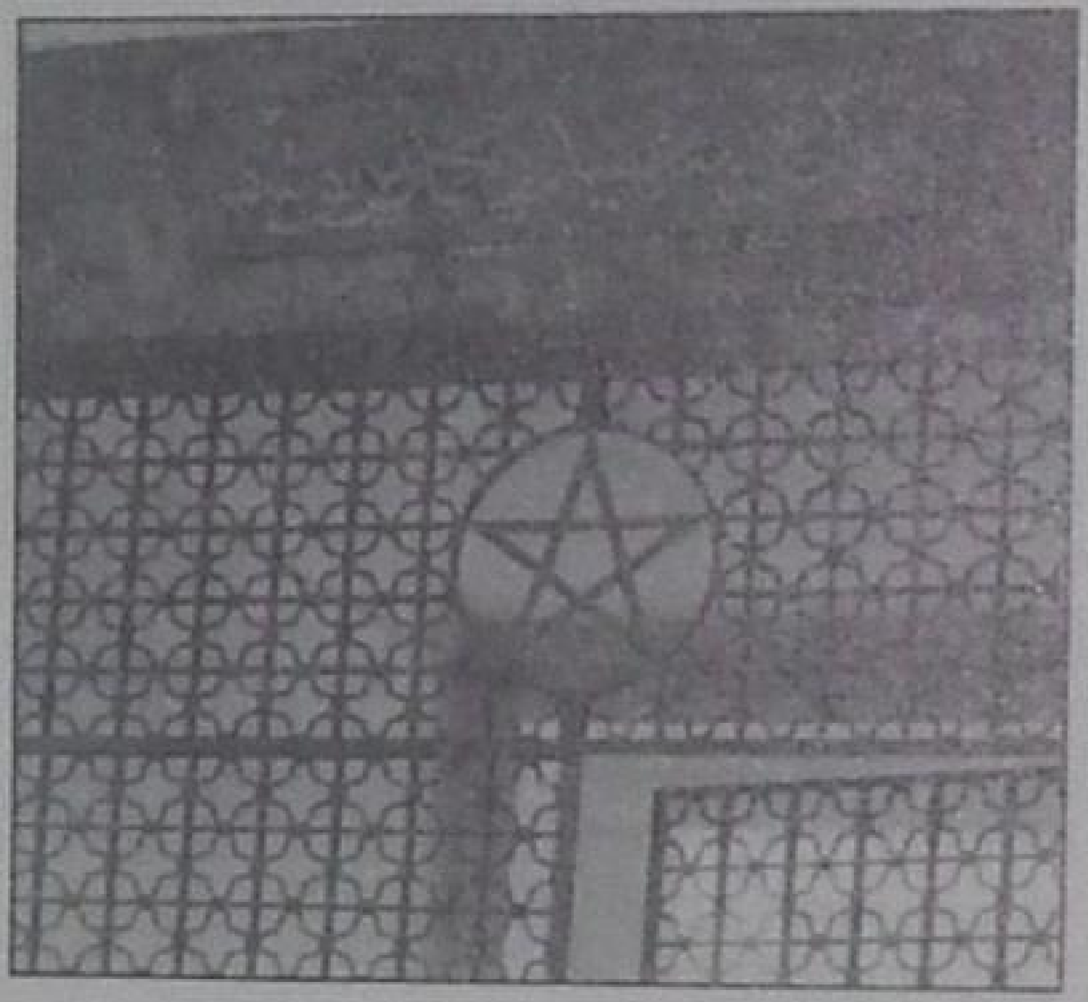

المدرسة المحمدية الحرة .
(تصوير جيلو صبيري) .

كانت تبثها في نفوس الأطفال ، إذ كانوا يردون عليها كثيرين .

أيها التلاميذ الأعزاء ، أنتم الذين كنتم ، بعد يوم من الدراسة الجدية ، تجدون ، وأنتم في تلك السن ، الوقت الكافي للمساهمة في العمل الجماعي الذي يضطلع به الشعب ، أنتم الذين كان كثير منكم يجدون الفرصة للمساهمة بالسلاح في الواجب الوطني . أحييكم من خلال هذه السطور ، أنتم الذين كنتم من خيرة أعضاء المقاومة المسلحة .

وامتد الكفاح أيضا إلى ميدان الصحافة في ذلك الوقت الرهيب القاتم ، إذ كان المكتوب يستحيل سلاحا قوي الفعالية لمجرد صدوره عن أقلام مغربية صادقة . فاستعادت الكلمات قوتها الأصلية ، وتضافرت الحرية والتضحية من أجل ذلك .

في ذلك الوقت صدرت الجريدة Les Nouvelles marocaines سنة 1948 لتعبر عن آراء النقابة Union Générale des Syndicats Confédérés du Maroc . وما أكثرنا نحن الذين خطونا أولى خطواتنا في الصحافة المناضلة إلى جانب رفاق فرنسيين كانوا يكافحون الكفاح الصائب ضد الصحافة المجهّلة التي كانت في يد ماس Mas وبيروتون Peyrouton ومَن إليها . لا جرم أنه كفاح الأفكار لكنه أيضا معرفة بالرجال وبشجاعتهم اليومية وبروز العدد الكبير من رواد الحركة النقابية المغربية الذين أعدوا المجال لانشاء اتحاد عمالي قوي وطني صرف ، إذ كان ذلك أمرا محتوما .

وبعد بضع سنين وفّق كيوم حيث فشل جوان . فعمد الشعب إلى الكفاح المسلح وإلى مجابهة المستعمر مجابهة مباشرة . فتشرفت الدار البيضاء شرفا عظيما – وما أكثر ما أحرزت من شرف ! – بصدور أول صحيفة سرية تعبر عن أحد اتجاهات المقاومة عنوانها « **الفكرة الوطنية** » . وساهم في تحرير صفحاتها عدد من المناضلين من جميع الاتجاهات السياسية . وصدرت أسبوعية في بضع ورقات مطبوعة بالآلة الكاتبة ومستنسخة ، وذلك بوسائل لا يعتمد عليها إلا قليلا ، وفي جو يغمره كثير من الحماس . وكان لهذه المجلة – ما أفخم الكلمة ! – صدى وأثر بليغان في جميع الآفاق . وقد فشلت السلطة الفرنسية طوال أكثر من سنة في اكتشاف مركز « **الفكرة** » وأسماء الجماعة المشرفة عليها ، وذلك رغم أنه كان لها مراسلون وموزعون في كل كبريات المدن . ودقت ساعة التحرير . وكان دويها عظيما . واهتزت القلوب اهتزازا رائعا . ولم تنفك مدينة الدار البيضاء تدفع الحركة دفعا متواصلا سريعا وتحفز على إنجاز العمل الجليل . وكان الاستقلال قاب قوسين أو أدنى .

ويستمر التاريخ في مسيرته ، ويستعد المؤرخون للقيام بعملهم . وإني أستميح العذر لكوني شاهدا غير كامل الشهادة ، لكن شاهدا بهرته – إلى الآن – حقبة هامة من الحياة الوطنية ، شاهدا حظي بمعاصرة بعض الأحداث البارزة !

دور الصحافة

إهراي – عوشر أمينة

كانت الجرائد المغربية الأولى التي نشرت من طرف المغاربة والتي ظهرت في القرن التاسع عشر عبارة عن دوريات هدفها الأساسي إحباط دسائس الاستعمار .

وقد انتشرت ، أوائل القرن العشرين في طنجة ، التي كانت مقر السلك الدبلوماسي آنذاك ، وفاس ، منشورات كانت تناهض الأطماع الاستعمارية وتتصدى للصحافة الاستعمارية الفرنسية والانجليزية والاسبانية التي تصدر في مدينة البوغاز .

ومن أقدم الدوريات ، **لسان المغرب** التي أنشئت من طرف فلسطينيين والتي كان الوطنيون يعتبرونها بمثابة النموذج الأصلي في هذا المجال . وكانت هذه الدورية ، التي قامت بنشر أول مشروع دستوري في المغرب ، تحظى بعطف الوطنيين المغاربة الذين ساهموا في إصدارها .

وقد اختفت الصحافة الوطنية بعد دخول الاستعمار ولن تظهر من جديد إلا سنة 1933 ومن الأسباب التي ساعدت على ظهور الصحافة الوطنية في الثلاثينات : تحسين المواصلات ، ظهور تقنيات جديدة فيما يخص الطباعة ... إذ خلقت كل هذه العوامل الاطار المناسب لتطورها .

ولكن المضايقات المتعددة التي فرضها المستعمر فيما يخص ممارسة الحريات العامة (ويجب أن لا ننسى أن حالة الطوارئ التي تقرر فرضها على البلاد منذ سنة 1914 لم ترفع نهائيا خلال فترة الحماية) كانت تعرقل تطور وانتشار الدورية الوطنية . ولم تسمح السلطات

لائحة بعض الدوريات المعارضة للاستعمار قبل 1912*

الدورية	تاريخ الصدور	تاريخ الاختفاء	مدينة الصدور
إظهار الحق	1904	1932 (؟)	طنجة
جريدة الصباح	1906/8/16	1907/5/6	طنجة
لسان المغرب	1907/2/28	1908	طنجة
مجلة الصباح	1908/8/15	(؟)	طنجة
الفجر	1908	1908/12/20	طنجة ثم فاس
الطاعون	1908/1/30	(؟)	فاس
سنان القلم	1908/1/26	(؟)	فاس
المفاكهة	1908	(؟)	فاس
تنبيه المستبد	1908	(؟)	فاس

* القائمة غير كاملة لانه لا وجود ، حسب علمنا ، لاية عملية جمع لهذه الجرائد .

في النضال الوطني

L'Action du Peuple

عمل الشعب

JEUDI
1er
JUILLET

Le Peuple Marocain revendique :

1.- le retour à une stricte et utile politique de protectorat

2.- le droit de participer à la gestion des affaires publiques

Etre l'ennemi d'une politique ou d'une méthode ne veut pas dire qu'on est l'ennemi d'une nation.

Le Protectorat et nous

Propos d'un Jeune

Au secours du fellah

La France doit être l'alliée de l'Islam

الاستعمارية للصحافة الوطنية بالصدور إلا لمدة قصيرة :

1) **فيما يخص منطقة الاستعمار الفرنسي** : في مدة 44 سنة التي دامها الاستعمار بالمغرب ظهرت الصحافة الوطنية من سنة 1933 إلى سنة 1934 ، ثم من سنة 1937 إلى سنة 1944 ، ثم من سنة 1946 إلى سنة 1952 ، أي لمدة 14 سنة . وإذا استثنينا صحيفتي **المغرب والتقدم** ، التي كانت تعد جرائد معتدلة ، فإن صدور الصحافة الوطنية لن يتجاوز مدة 8 سنوات .

2) **فيما يخص منطقة الاستعمار الاسباني** : صدرت الصحافة الوطنية لمدة 14 سنة كذلك ، في سنة 1934 ثم من 1935 إلى سنة 1946 ثم من سنة 1949 إلى سنة 1952 .

3) وكانت هذه المدة قصيرة جدا فيما يخص **منطقة طنجة الدولية** حيث لا تتعدى أربع سنوات ، في سنة 1945 ، ثم من 1949 إلى 1952 .

ورغم هذه المضايقات والمشاكل التقنية المتعددة ، برهنت الصحافة الوطنية على حيوية كبيرة : فقد صدر فعلا ما بين سنة 1912 و1942 ما يزيد على أربعين دورية ثقافية منها وأدبية ... أما الدورية السياسية التي تهمنا هنا ، فقد لعبت دورا مهما في تنظيم المقاومة السياسية للحماية وصياغة المطالب الوطنية .

وهكذا فإن صحيفة L'ACTION DU PEUPLE التي صدرت لأول مرة في غشت من سنة 1933

بفاس ، ساعدت الوطنيين على معرفة الوضع الاستعماري وتحديد مطالبهم وتوحيد أفكارهم : ويمكن القول بأنها قد ساهمت ، أي الصحيفة ، في إنضاج الأفكار ، مما سيؤدي إلى صياغة **مشروع الاصلاح** (Plan de réforme) وظهور أول حزب سياسي مغربي « **كتلة العمل الوطني** » (Comité d'Action Marocaine) . وبعد سنة 1934 ، أصبحت الصحافة الوطنية برمتها ، معبرا عن آراء الأحزاب السياسية المنبثقة عن « كتلة العمل الوطني » .

ومنذ ذلك الحين أصبح تاريخ الصحافة الوطنية المغربية هو تاريخ الأحزاب السياسية التي كافحت من أجل الاستقلال .

فإذا تفحصنا الصحافة الوطنية المناهضة للاستعمار ، فإننا سنتبين وجود فترتين متمايزتين :

1) الفترة الأولى من سنة 1933 إلى 1942 : وتعتبر فيها هذه الصحافة نفسها بمثابة المدافع الشرعي عن المصالح المغربية .

2) الفترة الثانية : تمتاز خلالها هذه الصحافة بالمطالبة الصريحة باستقلال البلاد .

الصحافة المغربية في فترة ما بين الحربين العالميتين

لقد سمحت السلطات الاستعمارية الفرنسية منها والاسبانية ، للصحف الوطنية الأولى بالصدور ، وذلك خلال السنتين 1933 و 1934 . وكان الهدف من هذا هو تهدئة الأمور وعدم تيسير الظروف الملائمة لتطور التيارات السرية المتطرفة ، بعد موجة السخط والاضطرابات التي أدى إليها صدور « الظهير البربري » في أبريل 1930 .

وهكذا منح السيد محمد حسن الوزاني رخصة صدور دورية باللغة الفرنسية L'Action du Peuple بعد رفض سلطات الحماية ترخيص صدور دورية باللغة العربية . وصدر العدد الأول من الدورية السالفة الذكر يوم الجمعة 6 غشت 1933 . كما صدر العدد الأول من الأسبوعية **الحياة** في تطوان يوم 8 مارس 1934 وكان عبد الخالق الطريس مديرا لهذه الجريدة . ولكن ابتداء من مايو 1934 ، تطورت العلاقات بين السلطات الاستعمارية والوطنيين من سيء إلى أسوأ . ومنعت الصحافة الوطنية من الصدور ، باتهام المسؤولين عنها بالمشاركة في الاضطرابات التي وقعت بمدينة فاس ، إثر زيارة السلطان محمد الخامس لمدينة مولاي ادريس ، حيث حيى الشعب المغربي هذه الزيارة وردد بمناسبة مرور الموكب الملكي شعار « **يحيى الملك** » ... وابتداء من سنة 1936 ، ظهرت ظروف جديدة ساعدت على مضاعفة عدد الصحف الوطنية :

الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

من ضمير الى ضمير

تحية !

الصحف التي صدرت بين الحربين*

L'Action Populaire

Organe Hebdomadaire du Mouvement Marocain pour le « Plan de Réformes »

Le Mouvement pour le «Plan de Réformes» présente aux gouvernements de Rabat et de Paris un important mémoire sur la politique suivie par la Résidence Générale au Maroc durant les douze derniers mois.

Le Sous-Secrétaire d'Etat au Ministère des Affaires Etrangères promet aux délégués de notre Parti, à Paris, d'examiner les points de ce document avec M. le Résident Général.

Notre Mouvement n'acceptera pas de collaborer avec une Administration qui ne cesse de pratiquer la "politique des deux poids et deux mesures"

Nos « revendications immédiates » doivent être la base de toute collaboration entre les Marocains et le Protectorat

Propos de Femme

L'esprit colonial

الوحدة المغربية

غايتنا من الوحدة المغربية

الدورية	تاريخ الصدور	تاريخ الاختفاء	مدينة الصدور	الحزب
L'Action du peuple (أ)	1933/8/6	1934/5/11	فاس	
La Volonté du peuple (أ)	1933/12/8	1934/3/9	فاس	
الحياة (أ)	1934/3/8	1934	تطوان	
الريف (أ)	1936	(؟)	تطوان	حزب الاصلاح الوطني
الوحدة المغربية	1937/2/3	يناير 1946	تطوان	حزب الوحدة المغربية
الاطلس (أ)	1937/2/12	1937/10/14	الرباط	الحزب الوطني لتحقيق المطالب
L'Action populaire (أ)	1937/2/27	1937/9/4	الرباط	الحزب الوطني لتحقيق المطالب
الحرية (أ)	مارس 1937	1947	تطوان	حزب الاصلاح الوطني
L'Action du Peuple (أ)	1937/4/8	1937/8/12	فاس	الحركة القومية
الدفاع	1937	1937	فاس	الحركة القومية
المغرب (ب)	1937/4/16	1944/1/29	سلا	
التقدم (أ)	1938/7/29	1939/7/31	سلا	

• لائحة غير كاملة : إذ لم ندرج فيها الجرائد التي لم نعثر لها على مجموعة كاملة ، كما هو الشأن بالنسبة لـ La Voix du Maroc , United Marroqui ...

(أ) : أسبوعية

(ب) : يومية

ففي منطقة الاستعمار الاسباني ، كان الجنرال فرانكو الذي انطلق من الشمال المغربي للاستيلاء على الحكم باسبانيا ، محتاجا إلى أن يعم الهدوء المنطقة الشمالية من المغرب ، مما أدى إلى منح بعض الحريات للوطنيين المغاربة في الشمال .

وفي منطقة الاستعمار الفرنسي ، كان المقيم العام « نوكيس » الذي عين من طرف الجبهة الشعبية (FRONT POPULAIRE) ، ينهج نفس المنهج . وأدى تقسيم « كتلة العمل الوطني » إلى « كتلة العمل الوطني » في الشمال ، وأخرى في الجنوب ، بسبب الصعوبات التي كانت تعرقل المرور من منطقة إلى أخرى ، وكذلك الانشقاقات التي سيعرفها هذان الحزبان ، إلى ظهور عدة تشكيلات حزبية ، لكل منها جريدة تعبر عن آرائها . وكان الشغل الشاغل لهذه الصحف كما وضحت ذلك L'ACTION DU PEUPLE والحياة ، « الدفاع عن المصالح المغربية » ، وذلك من خلال المطالبة باحترام الحريات العامة من طرف السلطات الاستعمارية . وقد كتب السيد عمر بن عبد الجليل في صحيفة L' ACTION DU PEUPLE الصادرة يوم 10 أبريل 1934 يقول : « بعد 25 سنة من حالة الطوارئ جاء وقت منح المغاربة الحريات الأولية » .

وكان كذلك من أهداف الصحافة الوطنية ، الدفاع عن الاسلام أمام موقف بعض رجال الدين المسيحيين إثر « الظهير البربري » . فقد نشرت جريدة L'ACTION DU PEUPLE في عدد 20 غشت 1933 بقلم الأستاذ محمد حسن الوزاني مقالا يقول فيه :

« إن الاسلام يعطينا قوة لمواجهة تحديات الاستعمار وهو أملنا الوحيد في الاحتفاظ بشخصيتنا وماضينا » .

كما دافعت الصحافة الوطنية عن مصالح الفلاح المغربي . وكان المعمر الفرنسي إلى جانب الموظف الأجنبي ، موضوع إنتقادات متكررة من طرف الصحافة الوطنية التي ما فتئت تطالب بالتطبيق الحرفي لمعاهدة الحماية التي أصبحت بحكم تكاثر عدد الموظفين الفرنسيين « إدارة مباشرة » أكثر منها « إدارة حماية » مصدرها معاهدة دولية .

فقد كان الوطنيون المغاربة في بداية الثلاثينات ، يخشون أن تنزع السلطات الاستعمارية الصلاحيات القليلة التي بقيت في أيدي السلطان بمقتضى معاهدة فاس التي كانوا يعتبرونها « أهون الشرور » . فكتب محمد حسن الوزاني في عدد 11 غشت 1933 من جريدة L'ACTION DU PEUPLE قائلا :

« لسنا مستعدين أن نترك المغرب يعامل مثل ما تعامل به أي مستعمرة » .

وعبرت الحركة الوطنية المغربية في الشمال ، حيث كانت تحظى بعناية أكبر وتمتع

La Volonté du Peuple

LYAUTEY RESPONSABLE DE LA POLITIQUE BERBERE

L'Espagne et le Problème Marocain

شعارنا : نموت ليحيى الوطن !

الدفاع

فاجعة مكناس العظمى

الشعب المكناسي يناضل عن حقه في الحياة

مطالبنا ومطامعهم

ميثاق الحقوق القومية

الصناعات المغربية

1) قواعد عامة

2) الحريات الفردية والاجتماعية

نسبيا بحرية أكثر ، عن مطامحها الحقيقية ، حيث كتبت جريدة **الريف** التي صدرت يوم 11 فبراير 1937 هذه السطور : « **الذي نريده هو الاستقلال ... استقلالا كاملا وتاما** » .

وكان الوطنيون المغاربة خلال هذه الفترة يعملون على بلوغ هذا الهدف بالوسائل السلمية دون اللجوء إلى العنف ضد السلطات الاستعمارية .

وقد كتب يوم 15 ماي 1937 محرر جريدة Unitad Marroqui والتي تعبر باللغة الاسبانية عن أفكار جريدة **الوحدة المغربية** : « **إننا وفي أجل قريب سوف نصل إلى هدف الاستقلال من خلال سياسة التعاون المتبادل** » .

وأحس المغاربة بألم كبير إثر تقسيم البلاد إلى منطقتين استعماريتين . وقد عبرت جريدة **الوحدة المغربية** ، ولاسم الجريدة مدلول واضح وهو برنامج بأكمله ، عن هذه الآلام قائلة : « **إن المغرب بلاد لايقبل التقسيم** » .

وقد احتجت بشدة جل الجرائد المغربية على سياسة التفرقة التي حاول المستعمر أن يخضع لها المغرب ، أولا إثر ما سمي بالظهير البربري الذي كما هو معلوم يفرق بين « العرب » و « البربر » فيما يخص المحاكم والقوانين المعمول بها فيها ، ثانيا الفرق الذي أدخل بين المغاربة المسلمين واليهود . ولقد طالبت بإلحاح جريدة المغرب في شهر ماي 1937 إلغاء « الظهير البربري » باسم وحدة المملكة . وكتبت جريدة L'Action du Peuple الصادرة يوم 10 أبريل 1937 تقول ، فيما يخص الجالية اليهودية : « **إننا نرفض رفضا باتا سياسة التفرقة بين المغاربة** » .

وقد ظهر منذ البداية ، المغفور له محمد الخامس ، كرمز وحدة البلاد . ونشرت جريدة الحياة في يوم 17 أبريل 1934 مقالا مطلعه : « **لا أحد يشك في وفاء المغاربة إزاء العائلة الملكية** » .

ونشرت L'Action du Peuple يوم 20 أكتوبر 1933 صورة للملك محمد الخامس ، واقترحت تخليد ذكرى جلوسه على عرش أسلافه المنعمين كل سنة .

ومن المعلوم أن يوم 18 نونبر الذي هو عيد العرش المجيد سوف يكون طيلة فترة الحماية مناسبة يعبر خلالها المغاربة عن تشبثهم بالعرش العلوي المجيد ومطالبتهم باستقلال البلاد وكانت جريدة L'Action du Peuple هي الجريدة الأولى التي استعملت فيما يخص الأمير مولاي الحسن لقب « ولي العهد » .

في منطقة الحماية الفرنسية ، وذلك إلى حدود سنة 1937 ، كان الوطنيون ينتظرون من الاقامة العامة إدخال إصلاحات تمكنهم من المشاركة الفعلية في تسيير شؤون البلاد .

وأما فيما يخص المنطقة الاسبانية وإلى حدود 1939 ، فإنهم كانوا متيقنين أشد اليقين بأن انتصار الجنرال « فرانكو » سوف يساعد على توسيع مجال الحريات العامة ومنح المنطقة الشمالية الاستقلال الذاتي . وأدى تأزم العلاقات بين الوطنيين المغاربة والسلطات الاستعمارية في سنة 1937 فيما يخص منطقة الحماية الفرنسية ، وفي سنة 1939 فيما يخص منطقة الحماية الاسبانية ، إلى فقدان الثقة في السياسة التي تنهجها كل من فرنسا واسبانيا في المغرب .

وابتداء من سنة 1937 طالب الوطنيون المغاربة وبإلحاح قادة الجبهة الشعبية الفرنسية أن يفوا بعهودهم . وأدت سنوات الجفاف التي عرفها المغرب في هذه الفترة وعدم اتخاذ المبادرات اللازمة لمواجهة هذه الوضعية من طرف سلطات الحماية ، ثم محاولة تغيير اتجاه مياه وادي بوفكران ، إلى المواجهة بين السلطات الاستعمارية والوطنيين .

وصدرت جريدة L'Action du Peuple بعنوان بارز بالأحمر يوم 4 شتنبر 1937 تقول : « **هناك أحداث دامية في مكناس . الجيش قد أطلق النار على المتظاهرين . من هم المسؤولون ؟** »

وإثر حملة احتجاج واستنكار قامت بها الصحافة الوطنية شملت جل المناطق المغربية ، منعت جميع الجرائد من الصدور وتم اعتقال المسؤولين عن هذه الصحف ، باستثناء جريدة المغرب التي لم تكن لها علاقة آنذاك بأي حزب أو تيار سياسي .

وفقد الوطنيون في المنطقة الشمالية للمملكة آخر أوهامهم فيما يخص السير نحو استقلال ذاتي للمنطقة . مما أدى إلى تقارب بين « حزب الوحدة المغربية » و « حزب الاصلاح الوطني » . وتظاهر مناضلو هذه الأحزاب ورفعوا شعارات تقول : « **المغرب للمغاربة ، مغرب موحد ، حر ومستقل . يسقط الاستعمار في جميع أشكاله .** » ونشرت جريدة **الوحدة المغربية** جل هذه الشعارات يوم 11 نونبر 1940 كما فعلت صحف أخرى في المنطقة .

المطالبة بالاستقلال من خلال الصحافة الوطنية

أصبحت الصحافة الوطنية في المنطقة الشمالية أكثر انتقادا لسياسة السلطات الاسبانية . فترتبت عن ذلك عدة مضايقات في فترة ما بين سنة 1942 و 1946 ، كأداء الغرامات المتعددة والمرتفعة والحجز ... قبل أن تمنع الصحافة الوطنية منعا كليا من الصدور ، وذلك في الفترة مابين 1947 و 1952 . ومع

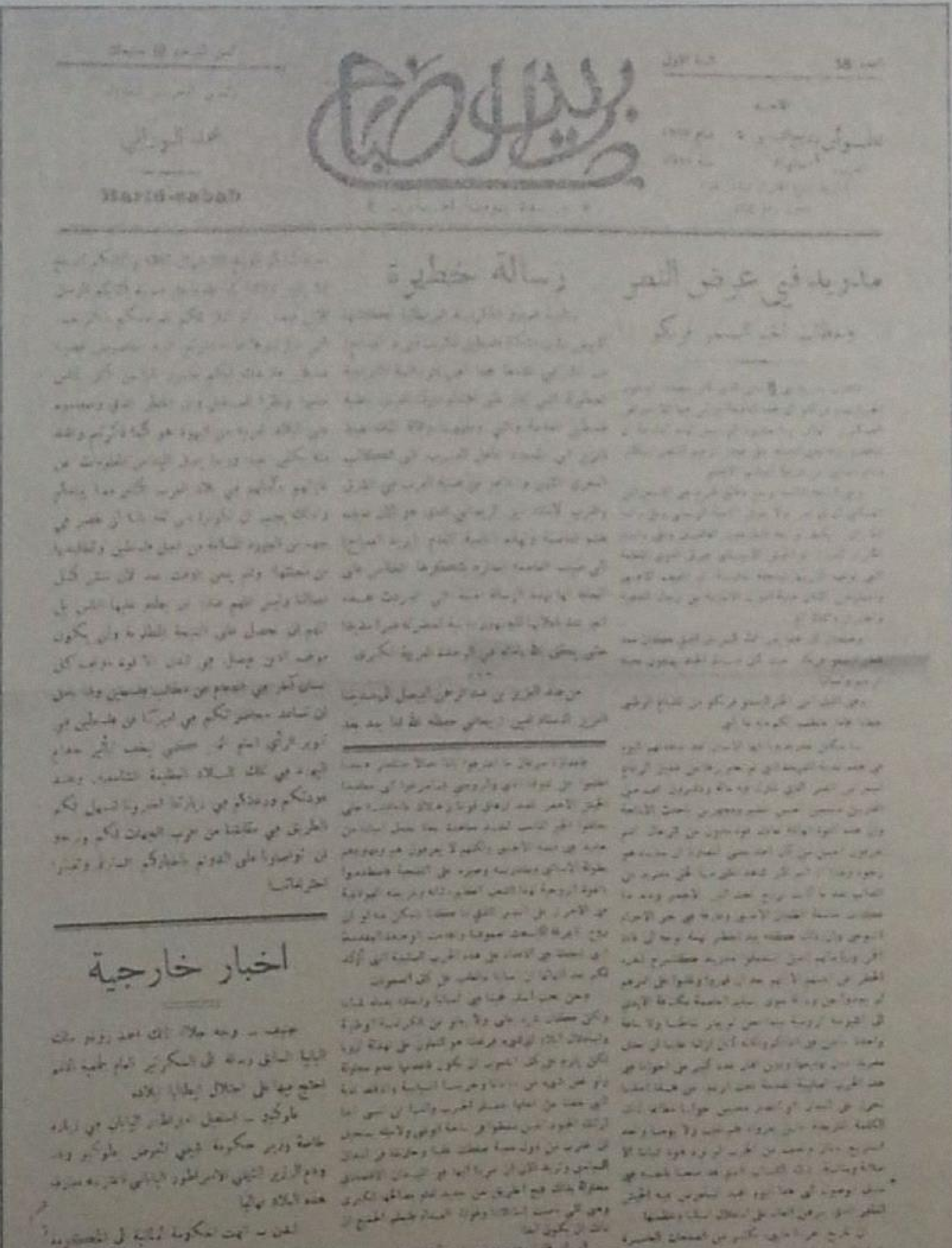

بريد الصباح

مدريد في عرض النصر

رسالة خطيرة

اخبار خارجية

الصحافة الوطنية بين 1942 و 1956

L'action syndicale
LE MINIMUM VITAL
aidera à la renaissance économique du Maroc
Pierre
du syndicalisme
L'UNITE TERRITORIALE désormais ACQUISE
al-Istiqlal
HEBDOMADAIRE DU PARTI DE L'ISTIQLAL
L'UNITE DU MAROC

الدورية	تاريخ الصدور	تاريخ الاختفاء	مدينة الصدور	الحزب
Jeune Maghrébin (أ)	1946/8/30	1951	الرباط	
العلم (ب)	1946/9/11	1952/12/8	الرباط	الاستقلال
L'Espoir(أ)	1945/2/25	1952/11/8	الدار البيضاء	الحزب الشيوعي
L'Opinion du Peuple (أ)	1947/3/8	1948/6/12	الرباط	الاستقلال
L'Action syndicale (أ)	1945	يونيو 1950	الدار البيضاء	
الرأي العام (أ)	أبريل 1947	1952/12/4	الدار البيضاء	حزب الشورى والاستقلال
منبر الشعب (ب)	1949/7/5	1952/5/21	طنجة	حزب الوحدة المغربية
Al Istiqlal (أ)	1951/10/12	1952/12/6	الرباط	الاستقلال
الأمة (ب)	1952/5/1	1956	تطوان	حزب الاصلاح الوطني
المغرب (ب)	1952/4/7	1952/12/7	الرباط	الاستقلال
الشعب (ب)	1952/7/5	غشت 1953	طنجة	حزب الوحدة والاستقلال

(أ) : أسبوعية
(ب) : يومية

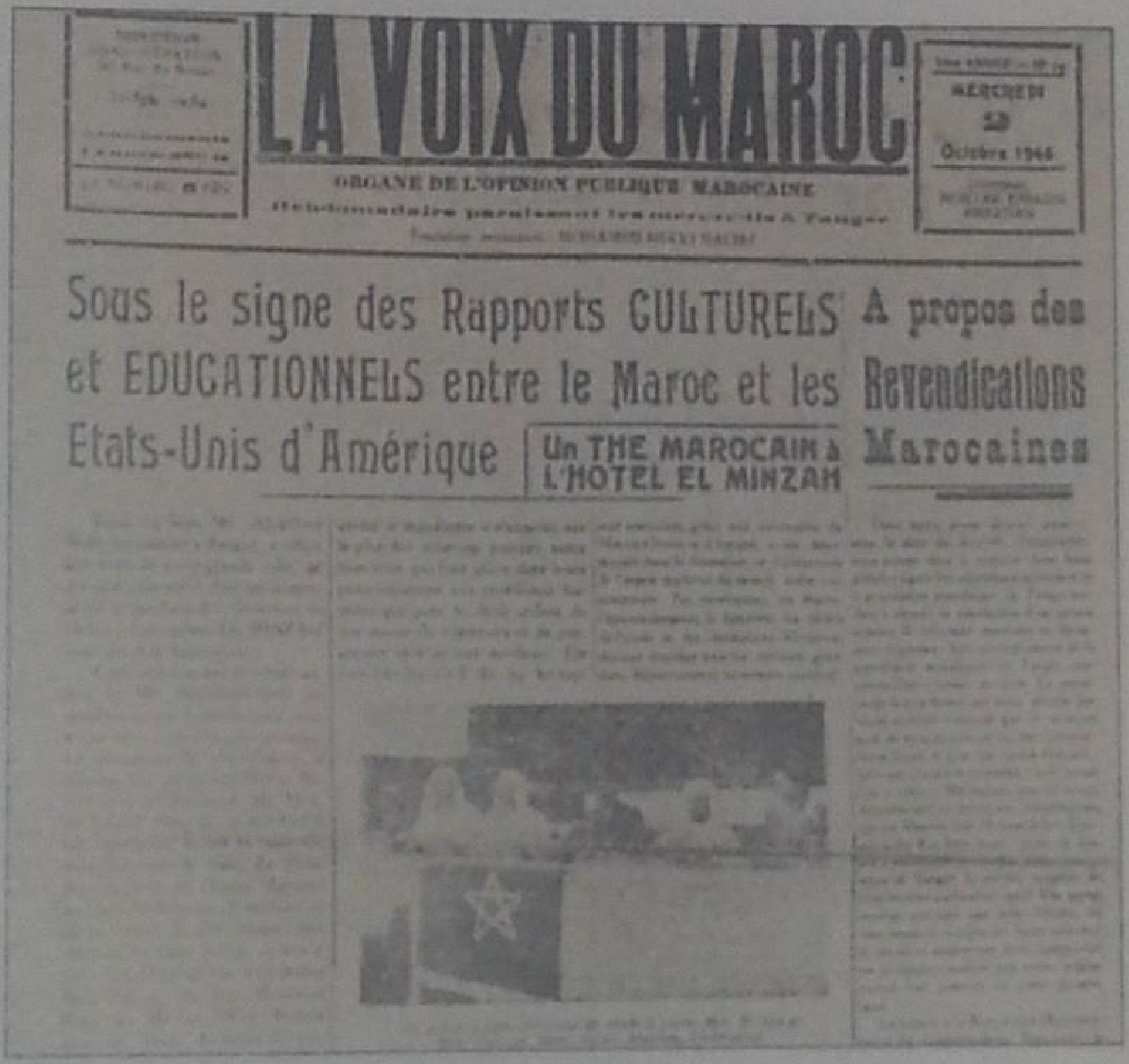
LA VOIX DU MAROC

ORGANE DE L'OPINION PUBLIQUE MAROCAINE

Octobre 1946

Sous le signe des Rapports CULTURELS et EDUCATIONNELS entre le Maroc et les Etats-Unis d'Amérique

Un THE MAROCAIN à L'HOTEL EL MINZAH

A propos des Revendications Marocaines

ذلك استطاعت جريدة **الشعب** وهي لسان الجبهة التي كانت تتكون من « حزب الاستقلال » و « حزب الشورى والاستقلال » و « حزب الوحدة المغربية » و « حزب الاصلاح الوطني » ، أن تصدر في مدينة طنجة ابتداء من أبريل 1951 . ولكن ابتداء من سنة 1953 غيرت اسبانيا سياستها إزاء الحركة الوطنية . فظهرت بتطوان جريدة **الأمة** لسان حزب « الاصلاح الوطني » التي استطاعت أن تعطي للحركة الوطنية صدى كبيرا في المغرب وخارجه .

أما في منطقة الحماية الفرنسية فلم تصدر إلا جريدة **المغرب** التي تمكنت بحكم مراقبة ذاتية صارمة من الصدور أثناء الحرب العالمية الثانية حتى يناير 1944، حيث منعت من الصدور بسبب مشاركة المسؤولين عن هذه الجريدة في صياغة عريضة الاستقلال ليوم 11 يناير 1944 . وظهرت الصحافة الوطنية من جديد سنة 1946 و 1947 بسبب سياسة الانفتاح النسبي التي كان يمارسها المقيم العام الجديد إيريك لابون (Eiric Labonne) . وبعد أحداث الدار البيضاء لدجنبر 1952 ، التي برهن من خلالها الشعب المغربي عن تضامنه الفعال مع النقابيين التونسيين إثر اغتيال « فرحات حشاد » النقابي المعروف ، منعت السلطات الفرنسية مرة أخرى الصحافة الوطنية من الصدور واعتقلت جل مسيري هذه الجرائد .

وكان الانشغال الأساسي للصحافة الوطنية في هذه الفترة هو الاستقلال . وكانت الاشارة إلى موضوعات أخرى اجتماعية منها ودولية ، تستهدف تبرير وتدعيم المطالبة بالاستقلال .

وكانت صحف « حزب الاستقلال » و « حزب الاصلاح الوطني » (سوف يضم « حزب الاستقلال » « حزب الاصلاح الوطني » غداة الاستقلال) تطالب دائما وبإلحاح ، بتحرير البلاد . ففي عددها الأول كتبت جريدة **الأمة** :

« **إن جريدة الأمة هي عضو حركة تستهدف الاستقلال لأن الاستقلال حق طبيعي لجميع الشعوب** » .

أما جريدة **الرأي العام** ، لسان حزب الشورى والاستقلال ، فهي ترفق المطالبة بالاستقلال ، بالمطالبة بإرساء الديموقراطية ، حيث كان هذا الحزب يخشى « هيمنة » « حزب الاستقلال » ويعرض محرر هذه الصحيفة في عدد 30 أبريل 1947 تصوره لتطور الوضع في المغرب ، فيقترح الاستقلال الذاتي ، ثم الاستقلال ثم تأسيس ملكية دستورية في المغرب .

كما طالبت جريدة L'Espoir بالاستقلال وتأسيس نظام اقتصادي واجتماعي جديد ، حيث كتب محررها في العدد الصادر يوم 11 غشت 1946 : « **هناك أمة مغربية تريد استقلالها** » .

وكانت هذه المطالب تدمج في مساندة إجماعية لما يقوم به المغفور له الملك محمد الخامس الذي أصبح بعد سنة 1942 بالنسبة للوطنيين ، المناضل الأول إضافة إلى كونه رمز الوحدة الوطنية .

وكتبت جريدة Al Istiqlal في هذا الصدد يوم 18 نونبر 1951 :

« **إن الملك يسهر ويحرس . إنه يجسم استمرارية الأمة** . »

وتعرضت الصحافة الوطنية للقمع من طرف السلطات الاستعمارية إثر التعليق الحماسي على الرحلة الملكية إلى مدينة طنجة في أبريل 1947 ، ونشرها للخطب التي ألقيت بهذه المناسبة من طرف ملك البلاد وابنه مولاي الحسن وابنته الأميرة عائشة .

فازداد تعلق الصحافة الوطنية بشخص جلالة الملك المغفور له محمد الخامس وعائلته بعد المنفى الذي تعرض له من طرف السلطات

الاستعمارية . وكتبت جريدة **الأمة** في عدد 5 مايو 1934 ما يلي :

« إننا نريد الاستقلال . الاستقلال هو ما نسعى إليه ومحمد ابن يوسف هو ملكنا والأجانب ضيوفنا لا أسيادنا . »

لقد ساهمت الصحافة الوطنية في النضال من أجل الاستقلال حيث ساعدت أولا على توحيد الأحزاب ، ثم التعريف بتوصيات المنظمات الدولية حول المغرب ، كما كانت تخبر الرأي العام الوطني بأعمال جيش التحرير المغربي والمقاومة المسلحة ضد الاستعمار . وكتبت جريدة **المغرب** التي صدرت يوم 10 أبريل 1952 قائلة :

« بعد أحداث طنجة ، حدث آخر بمدينة مربرت يخلف خمسة قتلى . وحسب الصحافة الفرنسية ، فإن السكان يعارضون مثول الوطنيين الذين ألقي عليهم القبض بمناسبة مظاهرة 30 مارس أمام المحاكم » .

أما جريدة **الشعب** فنشرت في صيف 1952 صورة وتعاليق حول محاكمة « الحنصالي » .

ولما اندلعت حرب التحرير أصبحت جريدة **الأمة** لسانا للمقاومة المسلحة المغربية ، تتحدث عن أعمال رجال المقاومة ضد السلطات الاستعمارية والمتعاونين المغاربة . ونشرت **الأمة** في مارس 1954 ، « لوحة شرفية » للوطنيين المغاربة الذين تم الحكم عليهم بالاعدام أو الحبس . كما نشرت يوم 2 فبراير 1954 ، أول « بلاغ للمقاومة المسلحة » . وفي 1 مارس من نفس السنة جاء في الجريدة مايلي :

« أصبحت الأمة والحمد لله أول صحيفة ترسم الأهداف الوطنية وتسجل أمجاد المقاومة المغربية سواء في الداخل أو الخارج » .

وبعناوين بارزة ، كتبت نفس الصحيفة يوم 13 أكتوبر 1955 : **« إن جبهة تحرير المغرب العربي تعلن اندلاع الثورة ضد المستعمر في جميع أنحاء المغرب من المحيط إلى تونس » .**

ونشرت في نفس الجريدة يوم 5 أكتوبر 1955 خريطة مناطق الحرب بين المقاومة والجيوش الاستعمارية .

هكذا إذا ساعدت الصحافة الوطنية على صياغة المطالب الوطنية ، كما ساهمت في التعريف ، في الداخل وفي الخارج ، بالقضية المغربية وبنضال المغاربة من أجل استقلال بلادهم .

رجال المقاومة المغربية يحدثون انفجارا في طائرة حربية فرنسية بالقاعدة الجوية بمراكش

تفجير عدة قنابل في مختلف الجهات ومواصلة اصطياد الخونة والمتعاونين ورجال البوليس

الأمة

لسان حال حزب الاصلاح الوطني

الاستاذ لوغران

يفضح وحشية البوليس

جهد اللصوصية الدولية !!

الدراجة

اشتريتها لاحمل على متنها حزم الجريدة من المطبعة إلى شركة النقل « ستيام » . كانت الجريدة الاسبوعية تصفف بطريقة متأنية – حرفا بحرف – في زقاق صغير من المدينة القديمة بالدار البيضاء ، زقاق « المقطع » . وكنت أرتب الاحزمة وأعقدها بالقنب وأمتطي الدراجة قاصدا مقر الحافلة ، ثم أعود لاهيئ تحزيما ثانيا ، فثالثا ، ورابعا ، وأحيانا كانت رحلاتي تتعدى ذلك العدد . كنت أتولى بنفسي تحرير جزء من الجريدة تحت إشراف شاب كان يجيد العربية ويفهم السياسة بدرجة تعلو على إتقاني سياقة دراجتي وهي محملة ببضائعها وأنا أخترق كالبرق أفواج الجمهور المكتظ على امتداد درب جناوة إلى ساحة فرنسا ، حيث كنت أجمع محزوماتي في إحدى خلايا الحزب على غرار النحلة في سهرها على عسلها . ثم أعرض ذلك كله على شركة النقل وتقوم هاته بإيصال البضائع إلى الذين بعث بها إليهم .

كنت مزهوا بدراجتي ، معتزا بتشجيع مساعدي وتلامذتي ، فقد كنت ، بالاضافة إلى اشتغالي بالصحافة ، معلما ألقن الناشئة النحو العربي العسير . وكانت زوجتي تربي أولادنا وتحتضنهم ، وتتوجه إلى السوق لاقتناء قوتنا اليومي ثم تعود إلى المنزل منحنية الكتف تحت عبء سلة القوت . أما أنا فكنت أؤمن لاولادي التعليم بالمجان في المدرسة الحرة التي كنت أعلم فيها العربية والفرنسية على طرائق بيداغوجية من بنات أفكاري ، كنت أبتدعها ثم أطبقها تطبيقا في محيط تلامذتي .

وأحيانا كنت أتلهى ، وكان ذلك لهوي الوحيد أو كاد ، بنقل أحد أولادي على متن الدراجة من البيت إلى المدرسة ، وأنا مثقل بالدفاتر اللازم تصحيحها ، وأحمل عليها ابنا آخر من المدرسة إلى البيت ! وكنت أعهد كل مرة إلى أحد الكبار من تلامذتي بمهمة كان يعينهم فيها قرب مسكنهم من مسكننا فكانوا يتناوبون على مرافقة الابن الذي لم يكن من نصيبه وقتها أن يصحبني على العربة ذات العجلتين ... والمقعدين .

لم أكن بتاتا أحس تعبا ولا نصبا ، بل كنت دوما أجد من الوقت متسعا لافلت من قبضة البيت وتبعاته وأمتطي الدراجة بعد غروب الشمس ثم ألتحق ، ببالغ السرور ، بأصحابي وكانوا يقطنون الطرف الاخر من المدينة . كنا نقضي الليلة وكأننا نتعقب دقات قلبها في حوار ونقاش إلى أن يصبح الصباح وتختفي ملامح الليل تحت هجمة الشمس الوهاجة . ثم أعود لامتطاء الدراجة قاصدا البيت فأبادر بمشط شعري وحلق اللحية واستقبل يوما جديدا لا يختلف عن سابقه ثراء وخصوبة .

وكنت ، مرتين في الاسبوع ، ألتحق بخلية الحزب التي كنت مسجلا بقائمة روادها . وإذا لم يتيسر حضوري لسبب ما كنت أحمل أهلي على الاعتقاد بأنني في اجتماع الخلية بينما في الحقيقة أنا مع الاصدقاء ومنهم من كانوا ينتمون لحزب آخر . وعلى الرغم من الكراهية التي كانت سائدة آنذاك بين الحزبين كنا في هذه الحلقة المقدسة أصدقاء نتحاشى الاحقاد ونتحدى التعصب حتى لا يذهب بأغلى وأسمى ما في وجدان كل منا .

إلا أن الظروف قست بسبب ضرورة تشديد أسلوب الكفاح في صفوف حركة التحرير . فالشرطة الاستعمارية زادت من شراستها ، وأما نحن فقد زدنا تصلبا في مطالبتنا بالاستقلال الناجز .

وفي دجنبر من 1952 قام الصحفي الفرنسي المسمى كامي إيمار ، من حيث لايشعر ، بدفع عجلة المسلسل حيث كتب في وريقته « باريس » بأحرف عريضة أنه يتعين التخلص من الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد لانه من أعداء فرنسا . قرأت هذا العنوان في الجريدة المعروضة بالكشك وامتطيت توا دراجتي قاصدا مقر صحيفتي وكتبت مقالا عنوانه : « إذا كان لابد من إعدام إنسان فليكن هو كامي إيمار » .

ومرت بضعة أيام واغتيل فرحات حشاد في أحد المحجات بتونس العاصمة . وغداة الاعتداء الاجرامي ثارت الجماهير في المغرب ، فمنعت الصحف الوطنية وأقفلت مطابعها . وعندما أرخى الليل سدوله كانت المواجهة بين جماهير الكاريير سنترال البيضاوية والدبابات الفرنسية ، واستشهد منهم الالاف . كانت ليلة حمراء ! وفي اليوم الموالي استغفلت زوجي وركبت الدراجة قاصدا زنقة لاسال حيث نظم هناك مهرجان نقابي ، ولم أستحضر الموت لحظة واحدة . وطوقت الدبابات الفرنسية مكان التجمع العمالي متظاهرة بحماية عمالنا من أي خطر قد يتهددهم من خارج القاعة التي كانوا مجتمعين فيها .

نزلت من على دراجتي ، وأودعتها مكانا إلى جانب مئات الدراجات المتضامنة ، واخترقت الصفوف إلى أن وصلت مكتب القيادة وكان على رأسه إنسان لاسلاح له إلا عيناه وحنجرته ، وكان ذلك أداته لنقل إرادته الفولاذية الناصعة وسط الزوبعة . وأصدر رئيس الناحية بونيفاس الامر لحاميته بالهجوم على التجمع ، إذ ذاك أدركنا أن الفخ قد نصب لنا ، وفعلا لم يسلم أحد منا من ضربات البوليس الفادحة . حشدونا في حافلات

وقادونا إلى الكوميسارية المركزية وكانت دراجاتنا سبقتنا إليها . وحاولت أن أتبين دراجتي لكن الدم كان يسيل ويغطي عيني . دامت المحنة ثلاثة أيام أصبحت بعدها على غير صورتي لشدة الضرب ، لكنني لم أفقد الوعي . ولما جاءوا ينبئونني بسراحي ، انصرفت في صمت قاصدا كومة من الدراجات وبعد جهد عثرت بينها على دراجتي وكان يغشاها غبار إلا أنها ظلت جيدة . واستعدت ذاتي بامتطائها . كان البرد قارسا . وأسرعت الخطى لأحس الهواء البارد تمام الاحساس وأصل بسرعة لبيتي حيث كان أهلي في الانتظار ولم يكن لديهم علم عن مصيري . وأغمي على أمي حين أبصرتني ونظرت إلي زوجتي بوجه شاحب ولم تنطق بكلمة ، لقد واجهت الموقف بروح من العزة مازلت أذكرها لها بعرفان .

من ذلك الوقت والمسلسل يسير حثيثا حتى بلغ قاصية الاطوار بإبعاد الملك الشرعي محمد الخامس وتنصيب صنيعة الفرنسيين الذي بلغ من الكبر عتيا . فانطلقت المقاومة المسلحة في كبريات المدن ، وخصوصا الدار البيضاء وفاس والرباط ومراكش . وسقط خونة واستشهد وطنيون . وكان شعورنا أنه يجب الانتقام لموتانا إذا أردنا أن يعيش الوطن والناس .

لم اكن أعرف المسدس ، ولم يكن سلاحي الصغير سوى قلمي . لقد أنشأنا خلية لصوغ وتوزيع المناشير ثم نشرات ثم مجلة للمقاومة .

ونظرا لكوني كنت متعودا على نقل الصحف ، فإنني لم أجد حرجا في أن أحمل على متن دراجتي حقيبة المنشورات التي كان علي أن أودعها البريد . ومرة سقطت الحقيبة قرب قدمي شرطي فرنسي للمرور وهبطت منها الاوراق الخطرة . وبدأت أجمع هذه الاوراق وسرعان ما مد لي ذلك الشرطي يد المساعدة دون أن ينبس ببنت شفة (الواقع أن الناس كانوا كثيرا ما يقولون إنني شبيه بإيطالي السحنة) .

ثم قال الشرطي بعد ذلك :

- أنت إيطالي ؟
- أنا فرنسي .
- أسرع . اجمع أوراقك .
- نعم ، شكرا سيدي العون .

وقلت في نفسي : هكذا يفاجأ الانسان ويتعرض للموت .

- شكرا سيدي العون !

وأعدت الحقيبة العامرة إلى المقعد الخلفي للدراجة وانطلقت بهما مسرع الخطى قاصدا صناديق البريد الكبيرة وأفرغت فيها المنشورات على مرأى ومسمع من الشرطي وكان عاد إلى عمله في تنظيم المرور . وبعد إتمام المهمة امتطيت متن الدراجة وأنا منشرح فرحان وعدت للبيت لأزيل الخوف من نفسي وأحشائي .

في سنتي 1954 و 1955 حتى يواجه الانسان الموقف ، كان ينبغي إما أن يكون شجاعا وإما أن يكون به مس من الجنون . وإلا كان سلبيا منهارا .

تقول أغنية وطنية فرنسية : « تقدم أو مت » .

ليس ثم اختيار آخر . ثم إن عقيدة القضاء والقدر تعين على تصريف الامور بشيء من الاطمئنان . لاسيما وقد أدركنا ، بعد هزيمة الاستعمار في ديان بيان فو ، أن نهاية الوجود الفرنسي أمر في متناول أيدينا .

تابعنا عملنا ونحن نسبح في جمهور الشعب كالسمك في الماء . وكنا أحيانا نسمع أن الفرنسيين اعتقلوا مواطنين واستنطقوهم بغلظة ، وبلا طائل فيما يرجع للتعرف على مصدر المناشير والمجلات الوطنية .

إن دراجتي لاتخلو من يمن وبركة . ذات يوم أعرتها لصديقي العربي ليحمل على متنها وثائق خطيرة . فوضع العربي تلك الوثائق في الجيوب الخلفية وأجلس معه ابنه البالغ من العمر أربع سنوات وامتطى العربة ذات العجلتين بكل هدوء . وما هي إلا لحظات ، في شارع « الساعة البلدية » حتى كان الصديق مطوقا مع الجمهور وسط جماعة من رجال الشرطة وكانت مهمتهم فحص « الاهالي » . ذهل واضطرب ثم نزل من على ظهر الدراجة وأخذ معه ولده وقبله أمام البوليس الذين تركوه ينصرف وهم ينظرون إلى الصبي بشيء من الحنان .

ولما عاد العربي ممتطيا دراجتي وحضر إلى موعدي للادلاء بتقريره ، قص علينا النادرة وقال إن ولده والدراجة أنقذاه من اعتقال محقق .

وفي ليلة عودة محمد الخامس من المنفى أفرج عن الصحف الوطنية .

ركبت دراجتي الصديقة وتوجهت إلى مبنى صحيفتي ، وهناك وجدت على طاولة الحروف المصففة ، مع نسيج العنكبوت ، مقالي القديم عن كامي إيمار . وفي مساء اليوم الذي ظللت فيه طوال العشي استنشق رائحة الرصاص والورق والمداد ، اكتشفت اختفاء دراجتي . ولم انتبه كثيرا إلى فقدها خصوصا وأن الزمان عفى على جودتها .

واليوم بعد ثمان وعشرين سنة ، اليوم فقط ، أحس الاسى يغمرني وأنا استعيد ذكريات شبابي ، أيام كنت والهواء يداعب شعري أصول وأجول على متن دراجتي ، رفيقة كفاحي كما كان العربي رفيق ذلك الكفاح ...

مصطفى القصري .

(ترجمها من الفرنسية عبد السلام حجي)

COMPTOIR LORRAIN DU
BANQUE

الأزمة علنية

إن سلطات الحماية لم تقم وزنا للمطالب الوطنية . ثم خلف النظامُ العسكري التعسفي النظامَ التحرري . لكن العاهل عزم على ألا يتنازل عن أي من خصائص السيادة الوطنية .

فكانت الأزمة ... وكان النفي .

خطاب طنجة

أحمد رشيد

إن كل المآثر الحربية وكل أعمال المقاومة التي أنجزت في حقبة « توطيد الأمن » في السهول والأرياف والجبال إلى سنة 1934 – وهي تاريخ انتهاء هذه الحقبة – ، وإن كل حدث من أحداث المقاومة الحضرية التي تبلورت منذ سنة 1953 كانت سببا في تقدم المسيرة نحو الاستقلال تقدما لا رجعة فيه . أما خطاب طنجة ، فكان إيذانا بقطع الحبل مع الماضي قطعا نهائيا . فقد قال حينئذ إيريك لابون Eirik Labonne : « **لقد قضي الأمر في طنجة وتحتم الاختيار بين التطور والتوتر** » . وقد سبق له أن كان ، قبل تعيينه في المغرب سنة 1946 ، دبلوماسيا في موسكو ، وفي برشلونة لدى الثوريين في غضون حرب اسبانيا ، ثم أمينا عاما للحماية ومقيما عاما في تونس .

وكان لابون يعد من أنصار التحرر . وقد رأى في قضية طنجة كارثة وتحولا عميقا وتاريخيا وحاسما بالنسبة للسياسة الفرنسية ، لا في المغرب فحسب ، بل ورأى أن سيكون لها عواقب حتى في شمالي افريقيا . فقد قضي الأمر فعلا . وأسر لابون نفسه قوله للمؤرخ شارل أندري جوليان Charles-André Julien . « **لقد ضُغطت التنجرة وأُحمت بالقوة ، فكان حتما عليها أن تنفجر** » . وبعد مرور شهر واحد ، أي في ماي 1947 كانت بداية الأزمة المغربية الفرنسية ، إذ أظهر المقيم العام الجديد الوجه الحقيقي الذي كانت تخفيه الدولة الحامية . فقد ورد ، في مذكرات المؤرخ والملاحظ المذكور سلفا ، ما يلي : « **لقد حلت القوة محل المجاملة في الحماية ، وبذلك تأسس نظام استعماري يستمد مبادئه من النظم التي تستبد فيها الدولة بكل السلط وكل النشاطات** » .

وكان خطاب طنجة بمثابة الحد الفاصل بين الحقبة التي كانت تتميز بتأكيد سيادة البلاد ووحدتها وبين الحقبة التي تسارعت فيها أحداث التاريخ المعاصر في المغرب .

وبذلك يُطعن لأول مرة وبصراحة في معاهدة الحماية .

اختيار مدينة طنجة اختيار رمزي

ولم يكن اختيار مدينة طنجة وليد الصدفة . ذلك أن للمدينة أثرا بليغا في التاريخ وفي البعث الاسلامي طوال مدة تطورها . فقد دخلت القوات الاسلامية طنجة سنة 682 بقيادة عقبة بن نافع . وبقيت المدينة طوال قرون منطلق المجاهدين الذين يتخطون البحر ومصدر مؤونتهم . وتعاقبت على المدينة حقب المجد وغير الدهر التي صحبت حضارات الأدارسة والأمويين والفاطميين والمرابطين والموحدين وأسر الملوك الاسبانيين . وقاست المدينة كذلك من الألم والتمزيق وانتهاك الحرية على يد الانجليزيين سنة 1648 ، إذ خربوا الحصون والأسوار . ثم قنبل الاسبانيون الميناء سنة 1790 . وقنبله الفرنسيون أيضا سنة 1884 انتقاما من المغاربة لتضامن مولاي عبد الرحمان بن هشام مع المقاوم الجزائري عبد القادر . لكن طنجة صمدت ولم ترضخ . وقد اختارها مولاي الحسن عاصمة دبلوماسية بعد مؤتمر مدريد . وفي أواخر القرن التاسع عشر ، أصبحت المدينة منطقة دولية ، لها نظام إداري خاص تشرف عليه ثماني دول ، وذلك إثر تدخل القوات العظمى . وفي هذه المدينة صرح الامبراطور كيوم الثاني Guillaume II للألمانيين سنة 1905 بما يلي : « **إن المغرب بلد مستقل . إنه مستقل وأؤكد أنه سيبقى مستقلا** » . وكان يريد بذلك أن يندد بالأطماع الفرنسية والاسبانية . وقد صدق تنبؤه في تلك الحقبة المضطربة .

وكانت إدارة المدينة منذ 1923 إدارة دولية . وكانت طنجة تعيش عيشة ازدهار في الحقبة التي سبقت خطاب محمد الخامس ، لكنه ازدهار مريب . فقد كانت مركزا لأنواع من التجارة غير المشروعة وللجاسوسية الدولية . وكثر فيها الصحافيون والملاحظون والممثلون والرسامون الأجانب . وكانت تديرها لجنة دولية مؤلفة من 27 مديرا . وكانت مدينة محايدة . وكانت الوحيدة التي لم توضع مباشرة تحت إدارة إحدى الدول . وذلك ما نبه إليه محمد الخامس بقوله : « **وآن لنا أن نزور عاصمة طنجة التي نعدها من المغرب بمنزلة التاج من المفرق . فهي باب تجارته ومحور سياسته وعنوان محاسنه الوهاجة** » .

وقد شبه صاحب السمو الملكي الأمير ولي العهد مولاي الحسن هذه المدينة بنافذة المغرب فقال : « **فهذه نافذة المغرب – منها يطل على**

خطاب طنجة

مدينة طنجة ، نافذة المغرب .
(تصوير أودول) .

العالم العصري الذي يزخر بالأفكار والمخترعات ، وفيها تلتقي الثقافات المتباينة ، شرقيها وغربيها ، قديمها وحديثها » .

هذه المدينة ذات الشهرة الدولية هي التي اختارها محمد الخامس منبرا للخطب التي اشتملت على كل التلميحات والاشارات ودقائق المعاني ، فتنوقلت في العالم كله ، وقد تركت فيه الحرب آثارها ، وتنوقلت خاصة في المغرب .

المتناقضات

منذ إمضاء معاهدة الحماية طرأ على الحياة الدولية تطور بليغ كاد يكون تحولا . فقد أخذت القوى الدولية تتضاعف وتخور . وتضافرت عواقب الحرب العالمية الثانية والنظام الاستعماري على إضعاف قوة عدد من الدول التي كانت لها الصدارة على الصعيد الدولي ، وعلى رأسها فرنسا ، إذ خابت مساعيها مرات عديدة .

وأصبحت العلاقات بين الدول مبنية على عدة مواثيق ترفض احتلال المحتلين وتنشئ ظروفا جديدة بالنسبة للبلاد المستعمَرة ، مثل ميثاق الأطلسي الذي أمضاه روزفيلت وتشرتشل وميثاق الأمم المتحدة الذي قرر « **حق الشعوب في تقرير مصيرها** » ، لا سيما أن هذه الشعوب نفسها ساهمت في الحرب إلى جانب الحلفاء ، وإلى جانب القوات – التي يقال عنها إنها ديموقراطية – ضد دول المحور ، فأصبحت تطالب بحقوق جديدة لقاء ما أراقته من دمائها وما قدمته من تضحيات .

وفي داخل البلاد نظمت الأحزاب السياسية (حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال والحزب الشيوعي) لتحقيق مطالبها ومقاومة سياسة الاقامة العامة .

فقد قدم يوم 22 يوليوز 1946 مشروع إصلاحات انتقده الفرنسيون ، أعضاء مجلس الحكومة المتطرفون ، فكان شعارهم ضده أنه مشروع « **سابق لأوانه ، مستعجل أكثر مما ينبغي ، ويهدف إلى أبعد مما ينبغي** » . ذلك أن السياسة التحريرية التي نادى بها لابون كانت منطلق تحول في الطرق التي سنتها الاقامة العامة ، لا في المبادئ . وقد يصح ذلك إذا ما قارنا تلك

مذكرات من التراث المغربي

السياسة بسياسة تيودور ستيك THÉODORE STEEG ، إذ اهتم بتوسيع عملية استيلاء الفرنسيين على الأرض وبضمان مصالحهم قبل غيرهم ، وبسياسة الجنرال نوكيس NOGUÈS إذ نفى عددا كبيرا من الوطنيين ، فكانت سياسة لابون أخطر من غيرها .

وسبق للمقيم لابون أن خط يوم 22 يوليوز 1946 خطوط سياسته العريضة ، وأرادها سياسة أكثر تحررا كما أكد ذلك مرارا عديدة ، إذ قال : « **إن عمل الدولة هو تحديد الحاجات الأساسية في ميدان الاقتصاد والاهتمام بها . لذلك ينبغي أن نشعر الشعب المغربي قاطبة ، شبانه وشاباته بأن المستقبل مفتوح على مصراعيه بجميع مظاهره للذين يكدون ويسخرون ذكاءهم وطاقاتهم . فليوقنوا بذلك** » . وأدرك الوطنيون خطر ذلك البرنامج إذ قالوا عنه : « **كأن تعالج بالكي ساقا من خشب** » . فقد كان من خطره أن يهدئ حماس المعارضين والمستائين وأن يدفع خاصة ببعض طبقات الشعب إلى موالاة الحكام .

تأثير الغلاة

ووجد الوطنيون مساعدة لم يكونوا يأملونها من لدن الغلاة من المعمرين وممثلي الغرف التجارية والصناعية والفلاحية ، إذ رأوا البرنامج أكثر تحررا مما ينبغي ورأوا في الحقوق القليلة التي مُنحها المغاربة ، وخاصة حق الانخراط في النقابات ، تجاهرا بالعداء لأرباب المعامل وللاطارات الفرنسية ، فصوتوا على اقتراح بإدانة سياسة المقيم العام .

وبعث المقيم إلى رئيس الحكومة المؤقتة ووزير الخارجية جورج بيدو GEORGES BIDAULT بتقرير يشرح فيه أسباب ذلك إذ قال : « **إن الفرنسيين يخافون تفجر طبيعة المغاربة وعنفها . وزادهم خوفا ما حدث بالهند الصينية وبالجزائر . إنهم يخافون أن تتسبب الاصلاحات المقترحة في تصدع الجهاز الاداري المعتمد على الباشوات والقواد المراقَبين مباشرة من لدن أعوان السلطة الفرنسيين . ويرون أن هذه الاصلاحات لم تقترح إلا لتلبية رغبة شرذمة من الرجال الذين يثون الفوضى . وإن عموم المغاربة لا يرغبون إلا في الاستمرار في الكد وتحسين ظروف العيش والاثراء في إطار المؤسسات الحالية** » . ولذلك قيل عن الاصلاحات التي اقترحها المقيم العام : « إنها قدمت قبل أوانها . وإنها أسرع مما ينبغي ، وإنها تذهب إلى أبعد مما ينبغي » . وقد عبر المقيم العام عن خوف المعمرين إذ تساءل هؤلاء ألا تؤدي هذه السياسة إلى تقوية نفوذ السلطان ودوره وإضعاف نفوذ المقيم العام نفسه . ولما تقدمت الاقامة العامة إلى السلطان بطلب المصادقة على الاقتراحات وختمها بخاتمه فرفض ، صاغتها في صيغة قرارات مقيمية .

وكانت العلاقات بين السلطان والمقيم توضح شخصية السلطان نفسه وضيق مجال تصرفه ، إذ كان عليه أن يتصرف بحذر ومهارة .

القصر والاقامة العامة

وقد وصف إيريك لابون العلاقات بين القصر والاقامة العامة ، فقال في تقرير له : « **إن السلطان لا يجهل ، منذ زيارة السفير جيفرسون كافري** JEFFERSON CAFFERY — **ولو كان يشك من قبل — أن**

المقيم العام إيريك لابون EIRIK LABONNE .
(تصوير بولان) .

حكومة الولايات المتحدة سعيدة بوجود فرنسا في المغرب وأنها ترغب في استمرار ذلك الوجود ... وخاصة إذا عرفت فرنسا كيف تفرض سياسة إصلاحات مطابقة لرغبات الرأي العام الأمريكي ومنظمة الأمم المتحدة » .

واتسم التعامل بين السلطان والمقيم بالحذر والدقة . فقد قال لابون في ذلك : « ليس من شك في أن السلطان أصبح يضيق في قرارة نفسه بالعبارة « الحماية » وبالنظام الذي تقتضيه تلك العبارة وأن ذلك أصبح منافيا لسيادته ولكرامة الشعب المغربي الأنوف الباسل . وليس من شك أيضا أنه يوافق الوطنيين على مبدأ التخلي عن هذه العبارة وعلى تليين بعض مؤسسات نظام الحماية . ويعلم ذلك جميع الناس أو يكادون . لذلك يرون في السلطان زعيما للوطنيين ، ويرون سرا أنه متواطئ مع الذين ينادون بعدم التعامل مع فرنسا أو بقطع العلاقات معها ... » .

وقد ورد أيضا في أحد التقارير المحفوظة ضمن الوثائق الفرنسية ، حرره المراقب المدني بولو BOULHAUT إثر حديث كان له مع الوطني الحاج عمر بن عبد الجليل : « لقد نبهنا الأوساط الفرنسية إلى غموض الاتفاق المزعوم بين المقيم وسلطاننا . إن ذلك الاتفاق غير موجود . ولم يسبق لصاحب الجلالة أن عتب علينا شيئا قط . وإن المقيم يعلم علم اليقين أن السلطان يرى الأمور كما نراها . فقد استُقبلنا في فرنسا بصفتنا ممثلين رسميين لجلالته واتصلنا بأوساط كثيرة سياسية وصحافية ... » .

وكان من شأن الزيارة الملكية الرسمية إلى فاس ، بضعة أشهر قبل رحلته إلى طنجة ، وقبل خطبته بها ، أن تدل الاقامة العامة على مقاصد السلطان الحقيقية .

مغزى الرحلة الملكية إلى فاس

لقد بلغ الفرح منتهاه في المدارس حيث أخذ التلاميذ يتناولون الرايات وصور الملك ، وكذلك عند السكان إذ اضطلعوا بتنظيم أنفسهم وحفظ النظام العام . وهبت أفواج غفيرة لاستقبال السلطان هاتفة « يحيا الملك ! تحيا الحرية ! » وقد أعد المراقب المدني المسؤول عن الناحية تقريرا عبر فيه عن غمه العميق ، إذ قال : « نعيش هنا في ظروف لا تحتمل بالنسبة لنفوذنا ، نحن الفرنسيين : إن جماعات الناس لَيُسرون عندما يجهرون عند مرورنا بهم بكل ما يغيظنا ، لكن دون أن يتعدوا الحدود التي تخولنا التدخل تدخلا عنيفا . فقد حضر إلى الساحة الأولى من القصر الملكي أعضاء هيأة الكشفية (غير المعترف بها) وفرق كرة القدم (المحلولة) ببذلتهم وهم يستخفون بنا ويتهكمون علينا بينما يتقبل صاحب الجلالة باقات شعبه الحبيب وولاءه وهو يبتسم لكل واحد ويحيي كل واحد . ذلك هو الجو الذي عشنا فيه طوال الثماني والأربعين ساعة الماضية : تكريم السلطان والحزب الوطني وإهانة فرنسا وممثليها إهانة بليغة » .

وبعد مرور أسبوعين اثنين على هذه الزيارة الخالدة إلى فاس ، عبر محمد الخامس عن نيته في زيارة طنجة ، تلك المدينة التي لم يحل بها أي سلطان منذ نصف قرن . وقد احتفظت هذه العاصمة الدبلوماسية ذات الادارة الدولية بصفتها المغربية ، كما احتفظت بنفس الصفة المنطقةُ التي كانت تحت النفوذ الاسباني .

وصرح محمد الخامس بأنه لا يحيد عن مبدإ هذه الزيارة ، وذلك رغم العراقل التي ما فتئت تخلقها وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية والسلطات الاسبانية بواسطة الجنرال فاليرا VALERA والأنجلوساكسونيون والجمعيات واللجا ن المتطرفة . وقال في ذلك المقيم العام : « إن صاحب الجلالة مُصر على مشاريعه كإصراره من ذي قبل . فإنه يرى في هذه الرحلة تأكيدا لمبدأ وحدة الإيالة الشريفة » . وقد تذرعت السلطات الفرنسية بالحالة العصبية وبشبح الفوضى الذي يحدثها الوطنيون ، وذلك لصده عن السفر . وتشبث السلطان بموقفه وأجاب في لباقة : « لقد عبرت لكم عن رغبتي في إقرار الأمن والسكينة قبل كل شيء ... ولن أكون أنا سببا في الفوضى أبدا ... » .

وقد أتت الفوضى من جهة السلطات الفرنسية بضباطها وشرطتها وممثلي جهاز الأمن الذين تركوا الرماة السينغاليين المرابطين في ثكنات الدار البيضاء يُقتِّلون مئات المغاربة يوم 7 أبريل ، يوم الثورة والحداد .

وتبين أن ما سماه بعضهم « حادثا مؤسفا » أو « معركة مفاجئة » كان في الحقيقة عملية تقتيل للمغاربة على يد الجنود السينغاليين وبتواطؤ مع مصالح الأمن . وقد حدث ذلك قبيل سفر السلطان إلى طنجة . واعتبر المؤرخ شارل أندري جوليان CHARLES-ANDRÉ JULIEN وشخصيات فرنسية أخرى ذلك الحدث تحديا . وتساءل ذلك المؤرخ في كتابه LE MAROC FACE AUX IMPÉRIALISMES عددا من الأسئلة الكاشفة ، فقال : « أصحيح أن بعض الأفراد المغاربة من الجيش ومن الشرطة قد جردوا من سلاحهم في اليوم السابق لهذه الأحداث ؟ لم كانت المسالح التي سلبها السينغاليون غير محروسة ؟ أصحيح أن الضباط رفضوا التدخل عندما طُلب إليهم ذلك ؟ وأن بعضهم ممن كانوا حاضرين في عين المكان لم يأمروا بوقف إطلاق النار ؟ وأن الشرطة لم تحضر لأنها تلقت الأمر بالامساك ؟ »

إن وقوع كل ما وقع لا يمكن إلا أن يؤكد التواطؤ ، بل التهييج الذي سعى إليه أحد الموظفين السامين المعروف بتطرفه ، وهو بونيفاص BONIFACE . فقد اغتاظ الوطنيون لذلك غيظا شديدا وصرخوا : « سننتقم عاجلا أو آجلا » وكأنهم يشيرون إلى المسؤولين عن الفاجعة .

رحلة طنجة تأكيد وحدة المغرب

في هذه الظروف الحرجة رحل السلطان إلى طنجة في التاريخ الذي حدده هو نفسه ، أي يوم 9 أبريل 1947 ومعه ابناه الأميران مولاي الحسن ومولاي عبد الله وكبرى بناته الأميرة

صاحب السمو خليفة تطوان يقدم ولاءه لصاحب الجلالة السلطان

« إن هذا البلد لينشرح ، وحُق له أن ينشرح ، عندما يرى أمانيه تتحقق . لقد جاهد ، مثلما جاهد النبي صلى الله عليه وسلم ، للوصول الى الهدف . وها نحن اليوم نكتب صفحة زاهية من تاريخنا .

« نحن في قرن ننزع فيه إلى المساواة بين الرجال في كيفية عيشهم ، ونتمنى أن يصبحوا كذلك متساوين في حقوقهم . »

وأضاف الخليفة : « إن لشعبنا تاريخا مجيدا ، وإن صاحب الجلالة السلطان ، أمير المؤمنين لاجدر أن يقوده إلى أهدافه وأن يرد له سالف مجده .

« إن المغرب أمة واحدة ، وله سلطان واحد ، وفي عهده يتسنم مدارج الرقي .

أعان الله صاحب الجلالة على إنجاز أعماله . »

الغذاء في أصيلة ، وقد جلس عن يسار المرحوم محمد الخامس صاحب السمو مولاي المهدي ، خليفة تطوان . (الخزانة العامة والوثائق بتطوان) .

للاعائلة وجميع أعضاء المخزن وبعض القضاة السامين وشخصيات أخرى.

وفي الصباح الباكر ركب قطارا خاصا في محطة الرباط الصغيرة. وأقام خليفته في تطوان حفلة غداء على شرفه في المنطقة الاسبانية حضرها المقيم لابون والجنرال فاليرا – وكانا قد اعتبرا هذه الرحلة غير مناسبة –. وقد كيلا معا إهانات حقيقية. وصرح الخليفة: « إن المغاربة القاطنين في المنطقة الاسبانية يقدمون ولاءهم لصاحب الجلالة محمد الخامس أمير المؤمنين وقائد المغرب الأوحد ». ولم يُدع، بطبيعة الحال، الباشوات والقواد الموالون للاسبانيين. وقد كتب لابون في مذكراته ما يلي: « لقد وقف السلطان موقف غير المبالي، ولم يُبد أية عاطفة. وكان أحيانا غير متحفظ. ولم يُلق، أثناء السفر أية كلمة إلى جاره الجنرال فاليرا. ولما تسلم من الجنرال هدايا ثمينة، ساعة ذهبية مرصعة وسلسلة محفظة منقوشة، قبلها وهو يهز رأسه دون أن يعبر عن شكره بطريقة أخرى. وكان فاليرا يحذر حذرا شديدا من وقوع أي حادث حتى إنه فرح بالغ الفرح لما سار القطار شطر طنجة ... » وبعد دور فاليرا جاء دور المقيم العام ليتجرع هو نفسه مرارة الاهانة.

وكان جو الاستقبال من تطوان إلى طنجة يخالف ما كان عليه الطقس القارس. فقد هتفت الجموع البشرية بالسلطان في كل مكان. وفي طنجة تدفقت العواطف الشعبية واشتد الحماس. ذلك أن محمدا الخامس أعلن وحدة البلاد وعدم انشطار السيادة الوطنية، وبذلك أبطل كل الترهات القانونية الدولية والاسبانية.

الخطاب

لقد رسخ خطاب طنجة في ذاكرة الشهود إذ اعتُبر وثيقة سياسية أنجزها خبير وازن بين محتوياتها موازنة العالم المدقق. وطبقت عبارات الترحيب بالسلطان آفاق المدينة، وتناقلتها أحياؤها. ولم يصفق الناس إلا على أعضاء البعثة

جماهير طنجة تستقبل المغفور له محمدا الخامس لدى وصوله إلى المندوبية حيث ألقى خطابه التاريخي.

الأمريكية، وذلك تعبيرا عن عواطفهم إزاء الرئيس روزفيلت. أما عند مرور غيرها أي الفرنسيين والاسبانيين، فكان الصمت رهيبا. ثم تفجرت أفواج الناس وهاجوا وطالبوا بالاستقلال مثلما طالبت به العائلة الملكية. وألقى محمد الخامس خطابه في حدائق المندوبية، وبلغت الهتافات أوجها واشتدت الصلة الروحية بين السلطان وبين أفواج المستمعين وقد ربطتهم حبال المحن والثقة.

« بسم الله الرحمان الرحيم ». بذلك ابتدأ الملك خطابه، خطاب المؤمن الذي ينتظر أمر الله تعالى: « يمتاز المومن بين أفراد البشر بكمال اليقين واطمئنان الضمير والاعتماد على ربه في حركاته والسكنات ومسراته وكدر الحياة ».

ورأى صاحب الجلالة أن مصائب الدهر عديدة شديدة، إذ قال: « كان العلم بيننا منبثق الأنوار، متبلج الأسرار، فهجرناه حتى أظلمت سبلنا وعظمت بالجهل حيرتنا. وكان العدل مخيما في أعطاننا، منشورا في عرصات أوطاننا، مبذولا للعاكف والباد، متمتعا به كل العباد. فانحرفنا عن سواء سبيله حتى حل الظلم في نادينا واستحالت إلى الاجحاف بالحقوق مبادينا. وكان الاحسان إلى البؤساء ضاربا أطنابه في الحواضر والبوادي، فملك الشح الأنفس فأشقاها واستولى الايثار على الهمم حتى بلغت من الخذلان منتهاها. فمهدنا لشقائنا سببا حتى تفرقنا أيدي سبا. ولم تقتصر الكوارث النازلة بنا على إبعاد المشرقي عن المغربي، بل أبت إلا أن تمزق وحدة بلاد كانت تصول بالاتحاد وتزدان بتماسكها بين البلاد.

وهكذا نلاحظ أنه لم تكن هناك مجاملة في تشخيص الداء، لكن الايمان بالله يجب أن يدفع المسلمين إلى الاتحاد. ثم أشاد الملك إشادة لم يسبق لها مثيل بالجامعة العربية، إذ لم يمض على ميلادها إلا قليل، فقال: « فسعينا جهد المستطاع في تلافي الأحوال مرشدين إلى سر النجاح في الحال

خطاب جلالة الملك محمد الخامس أمام وفود الشعب بطنجة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

من النعم التي لا يفي بواجبها إلا متواصل الشكر، نعمة الاجتماع بين قلوب اتحدت وجهتها، وصفت محبتها، وأخلصت في عملها. ذلك وصف المومنين الذين قال فيهم ربنا جلت قدرته: «الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، الذين امنوا وكانوا يتقون لهم بشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمة الله، ذلك هو الفوز العظيم».

يمتاز المومن بين افراد البشر بكمال اليقين، واطمئنان الضمير، والاعتماد على ربه في حركاته والسكنات، وفي مسراته وكدر الحياة، يعلم ان الله سبحانه بين ما يتجه اليه من الواجبات، يقوم بتأديتها ويتيقن بعد بان الباري جل جلاله لا يضيع اجر من أحسن عملا. فما علينا اذن الا ان نزكي العمل بعد توطيد اليقين، لنكون حقا من عباد الله المومنين.

فاضت على المسلمين اهوال بلغت من الشدة اقصاها؛ ورمتهم يد النائبات فأصابت الكوارث مرماها. كان العلم بيننا منبثق الانوار، متبلج الاسرار، فهجرناه حتى أظلمت سبلنا؛ وعظمت بالجهل حيرتنا. كان العدل مخيما في أعطاننا؛ منشورا في عرصات أوطاننا، مبذولا للعاكف والباد، متمتعا به كل العباد؛ فانحرفنا عن سواء سبيله، حتى حل الظلم في نادينا، واستحالت الى الاجحاف بالحقوق مبادينا؛ كان الاحسان الى البوءساء ضاربا أطنابه في الحواضر والبوادي، مزدانا بالكرم والانفاق في سبيل الخير كل نادي؛ فتملك الشح الانفس فأشقاها، واستولى الايثار على الهمم حتى بلغت من الخذلان منتهاها؛ فمهدنا لشقائنا سببا؛ حتى تفرقنا ايدي سبا.

ولم تقتصر الكوارث النازلة بنا على ابعاد المشرقي عن المغربي، بل أبت إلا

خطاب يوم 10 أبريل 1947 بالندوبية.
(وثائق ستوديو السويسي بالرباط).

خطاب طنجة

ان تمزق وحدة بلاد كانت تصول بالاتحاد ، وتزدان بتماسكها بين البلاد . فاصبح الفرد منا غريبا عن أخيه الشقيق ، نازحا عن موطنه لا يصل إليه باي طريق ؛ فسلبنا بعظيم غفلتنا أشرف الحقوق ؛ وتمزقت وحدة بلادنا بما جنيناه عليها من العقوق ؛ وكذلك كنا نقضي أيام الحياة كمدا ، لما تفرقنا في كل الشؤون طرائق قددا . إلا ان الباري جل علاه رحمنا بالهام الرشاد ، لما ولانا امر هذه البلاد ، فسعينا جهد المستطاع في تلافي الاحوال ، مرشدين إلى سر النجاح في الحال والمآل ، مهتدين بتعاليم ديننا الحنيف ، الذي ألف بين قلوب المسلمين ، ووفق الامة العربية المسلمة الى التعاضد والتكاتف والتعاون ، حتى وضعت أسس تلك الجامعة الرشيدة ، التي متنت العلاقات بين العرب أينما كانوا ، ومكنت ملوكهم ورؤساءهم في الشرق وفي الغرب من توحيد خطتهم وتوجيه سيرهم نحو الهداية الدينية ، والعزة الاسلامية والكرامة العربية .

وأخذنا العهد على أنفسنا ببذل كل الجهود في استرداد مجدنا الغابر ، بإحياء المهج وإرشاد الضمائر وإنضاج الافكار وتنوير البصائر . ولما علمنا ان لا حياة لهذه الامة إلا بما تقدم به سلفها الكريم أخذنا على عاتقنا نشر العلم ، سواء منه الجديد أو القديم هذا لنتوفق به الى تحلية النفوس بأنوار اليقين ومكارم الاخلاق . وذلك لاكتساب وسائل السعي إلى الامام في كل سبل الرقي والارتزاق . فاخذت بحمد الله وكمال عونه كل النفوس تحيا بحسن النتائج في تربيتها وتطمح للمزيد في السير الى نشرتها . فتأسست مدارس يتلقى فيها الشباب المغربي بذور الصلاح ، واخذت تلوح في افق الرشاد شموس الفلاح ، واستيقظت الامة متنبهة لحقوقها ، وسلكت لادراك مجدها انفع طرقها . ولكن شتان ما بين ما حصلته في ذلك السبيل ومنتهى مرماها . فانما هي في فاتحة الجهود ، وكم ينبغي لها أن تبذل قبل ان تحمد سراها .

ثم اذا كان ضياع الحق في سكوت اهله عنه فما ضاع حق من ورائه طالب . إن حق الامة المغربية لا يضيع ولن يضيع . فنحن – بعون الله وفضله – على حفظ كيان البلاد ساهرون ، ولضمان مستقبلها الزاهر المجيد عاملون ، ولتحقيق تلك الامنية التي تنعش قلب كل مغربي سائرون . فما علينا إلا أن لا ندي في الجد وراء ما يجب للوطن من السعي الحميد .

ولا نزال دائبين لادراك ما نطمح إليه من حفظ مجدنا القديم وتحصيل الجديد ، ولتشمل كل النواحي المغربية بكامل رعايتنا . برهنا بالوقوف على كل شؤونها ، على جميل عنايتنا . فانتقلنا عند كل مناسبة إلى كل جهاتها من مغربها إلى المشرق . وأن أن نزور عاصمة طنجة التي نعدها من المغرب بمنزلة التاج من المفرق ؛ فهي باب تجارته ، ومحور سياسته ، وعنوان محاسنه الوهاجة . وفي صفحات مجده أجمل ديباجة بنيت في أول العهود من تاريخ البشر ، طالما ازدهى المغرب ببهجتها وافتخر . فجددنا بها عهد زيارة جدنا المقدس مولاي الحسن ، لنزيل عن عين غفلتها الوسن . لذلك اممنا وجهتنا الميمونة لنتفقد شؤونها المصونة ، حاملين إلى ساحتها بشائر العناية ، ونزف إلى سكانها براهين الاعتبار والرعاية ليعلموا أنهم في صف الملحوظين بين رعايانا المخلصين ، وفي طليعة المميزين بقوي النجدة بين العاملين .

جئنا نتفقد شؤون طنجة وكل أرجائها تفقد الاب الحنون الذي يشعر بكل ما عليه من الواجبات ، المستعد للقيام بتنجيزها ليريح ضميره ويرضي ربه وينهض ببلاده نهضة تسترد ما مضى لها من مجد ، وما يجب أن تطمح إليه من

استرداد حقوق ، وسعي الى تقدم يجعل المغرب برمته في صف الدول ، وطبقة أعلى الامم حضارة ومدنية .

ذلك ما عاهدنا عليه الله ، ووقفنا كل مواهبنا عليه ، وننتظر أن يقع في القريب العاجل ذلك الاجتماع الذي سينعقد للنظر في شؤون طنجة ، راجين أن يسمع فيها صوت المغربي ، ليتوصل إلى ما يؤمله من الحقوق .

ولكم سرنا تجديد العهد بكل هذه البلاد التي حلها ركابنا الشريف ، واجتماعنا بخليفتنا المفوض بتطوان ، الذي يعلم كل حزمه وتمام استعداده للسير إلى الامام ، في كامل اتفاق مبدئنا جميعا ، فيما يرضي الله جل جلاله . ولنا اليقين بأن جميع رعايانا التابعين له ، يبذلون له تلك النصيحة الواجبة على كل مومن في ذلك الاخلاص الذي لا يتم الاتحاد الا به . ونرجو أن تكون نتائج هذا الاجتماع محمودة وافرة في كل سبل الخير إن شاء الله .

ولقد بلغنا ما وجهه رعايانا الطنجيون من المطالب فنجز منها حينا ما أمكن تنجيزه مساعدة لهم . وسنوالي بحول الله كل الجهود حتى يتوصلوا الى كل مرغوبهم ، ويحمدوا بفضل الله حسن منقبلهم . وما ندعوهم إليه هو أن تكون كل جهودهم لادراك ما يطمحون إليه ، متجلية في دائم السكينة وسائد الوقار . فإن أحسن الرقي ، ما نشأ عن حركة لا يمازجها طيش ، ولا يتخللها اضطراب .

هذا وقد نصبنا في كل مدينة وكل ناحية من أنحاء مملكتنا رجالا توسمنا فيهم الكفاءة والاخلاص ، فقلدناهم مهمة النيابة عنا في السهر على مصالح هذه الامة ، وضمان حقوقها المدنية والشرعية . إن هذه المهمة الجليلة تستدعي نسيانا للمصالح الشخصية في سبيل الصالح العام . فليس الوظيف طريقا الى استعمال السلطة في غير ما وضعت له ، بل الوظيف مؤسسة يقصد منها أولا وأخيرا مصالح رعايانا الاوفياء ، ورفع نير الظلم والهوان عنهم ، ومد يد المساعدة والتشجيع لكل المشاريع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الرامية إلى تنوير الاذهان ، ورفع مستوى الحياة ، وتوسيع ضيق العيش .

وبالجملة فعلى الموظف المسؤول ، أن يسعى ويجد ليمكن سكان المنطقة أو الناحية أو المدينة التي نصبناه عليها من التمتع بجميع ما يخول الانتساب إلى المملكة المغربية ، والاخلاص والولاء للعرش العلوي . ذلك العرش الذي عمل منذ قرون بكل ما أوتيه من قوة ، على حفظ كيان الامة وسلامة أجزائها وسعادة مختلف طبقاتها .

فلهذا كله نأمر النواب والباشوات والقواد والعمال والقضاة وجميع الرجال الذين حبوناهم ثقتنا ، وميزناهم باعتمادنا ، أن يتبصروا في الواجب الوطني الهام الملقى على عاتقهم . فليتمسكوا بلين الجانب في المعاملات ، والعدل والانصاف في المحاكمات والخبرة والحزم ، ولننتبه لما يجب على كل واحد من الواجبات لنؤديها برمتها بغير توان ولا وجل ولا تعذر بمثبط الكسل .

فإلى العمل الباعث من العجز المميت ! وإلى الجد الذي يلم كل شتيت ! فلا مجد للمتخاذلين . ولا مستقبل للعاجزين . وإلى حياض العرفان الذي تحيا به القلوب ، وتنزاح بنوره الوهاج مظلمات الخطوب ! إلى العلم الذي ينير للمتبصر مسالك السعي النافع! وإلى العمل بنتائجه الذي تحول دون المطامع! فإذا أجبتم ما وجهناه اليكم من ناصح الندا ، نجوتم حالا واستقبالا من مهاوي الردى ، وأمكنكم أن تحيوا أعزاء بين الناس ، بعد أن تنزعوا من قلوبكم قاتل الاياس . اعملوا بما يوجبه عليكم دينكم الطاهر المتين ، لتدركوا به الفلاح المبين . فإليه يدعونا الباري جل جلاله ، حيث يقول في ذكره الحكيم : « ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم » .

خطاب صاحب السمو الملكي مولاي الحسن

« ... لقد أتى على المغرب حين من الدهر انطفأت فيه مصابيحه ، فساد الظلام ، وتعطل السير ، وضل الناس السبيل ، وعجزت بصيرتهم عن تبين الهدف الاسمى ، فأمسوا حائرين ، تتلاطمهم الامواج ، وتتلاعب بهم الاهواء ، حتى كاد اليأس يستولي على النفوس ، ولكن ما كان الله ليعرض عن عباد برحمته متشبثين ، من روحه لم ييأسوا ، وعن الثقة والعمل ما تقاعسوا فقيض لهم جل جلاله في فجر نهضتهم ، ومبدإ انبعاثهم ملكا كملت فيه خصال المومن الواثق ، والمسلم العامل ، والمغربي الابي ، ونضجت فيه مميزات العاهل العطوف ، والسياسي المحنك ، والمصلح الخبير ؛ ملكا أخذ من تراثنا الفكري كل ما كان سببا في ترعرع والمآل ، مهتدين بتعاليم ديننا الحنيف الذي ألف بين قلوب المسلمين ووفق الأمة العربية المسلمة إلى التعاضد والتكاتف والتعاون حتى وضعت أسس تلك الجامعة الرشيدة التي متنت العلاقات بين العرب حينما كانوا ومكنت ملوكهم ورؤساءهم في الشرق والغرب من توحيد خطتهم وتوجيه سيرتهم نحو الهداية الدينية والعزة الاسلامية والكرامة العربية ».

وإن من عظمة الاسلام أن نسترجع حقوقنا المشروعة . وفي ذلك قال جلالته : « إذا كان ضياع الحق في سكوت أهله عنه ، فما ضاع حق وراءه طالب . إن حق الأمة المغربية لا يضيع ولن يضيع . فنحن – بعون الله وفضله – على حفظ كيان البلاد ساهرون ولضمان مستقبلها الزاهر المجيد عاملون ، ولتحقيق تلك الأمنية التي تنعش قلب كل مغربي سائرون » .

الحضن الطبيعي

وقال ولي العهد في خطابه : « فإن ملككم يسعى لتحصيل حقكم في الحياة كشعب مسلم عربي لا يبغي بالاسلام والعروبة بديلا ، وكأمة ذات ماض مجيد جعلت هدفها الأسمى استرداد مجدها الغابر وإحياء تراثها السابق ، وكدولة ذات كيان مستقل وسيادة لاتقبل التجزئة . »

إن المعاني التي أراد تبليغها أوضح ما تكون . وإن الهدف هو الاستقلال ، لا شيء غيره . وقد أعاد أعضاء الأسرة الملكية المغرب إلى حضنه الطبيعي ، وذلك بإشادتهم في جميع الخطب بالوطن العربي وبالأمة الاسلامية .

وتغافلت الأميرة للا عائشة عن الحقبة الاستعمارية ، وأكدت العلاقات مع مصر الشقيقة والوطن الثاني لكل العرب ، فقالت :

« إن بلدنا ، الذي تصله بسائر البلاد العربية عرى لا تنفصم ، بلد إسلامي يتحتم عليه رفع راية الثقافة العربية . وينبغي إحياء هذه الثقافة وإغناؤها . وإن من مصلحتنا الاتصال بالحضارات الغربية وتمثل ثقافاتها بواسطة لغاتها . وبذلك تفتح لنا أبواب أوربا » .

مدنيتنا ، وازدهار حضارتنا ، واستمد من العلم العصري ما يؤهل الامة المغربية لتتبوأ مكانها الممتاز بين الامم ، وترفع رأسها عاليا بين الدول . (...)

« واليوم قد جاء بعد طول الانتظار ، وعظيم الاشتياق ، دور طنجة ، تلك المدينة المغربية الجميلة التي رغم ما توالى عليها من تقلبات ، وما رأته من الحوادث والتغيرات – أبت إلا أن تحتفظ بصبغتها المغربية ، وطابعها الاسلامي ، ومركزها العظيم في تراب الدولة المحمدية الحنيفة .

« فإذا زارها اليوم صاحب الجلالة ملك المغرب ، فما زيارته لها إلا تقدير لتشبث أهلها بالعرش العلوي المجيد ، وتشجيع لرجالها المخلصين الذين شمروا عن ساق الجد للعمل ، وإحياء معاهد العلم الذي كاد ينضب معينه ، وإعدادها لاخذ نصيبها من ذلك البرنامج الاصلاحي الشامل الذي وضعه جنابه الشريف للنهوض بالشعب المغربي من كبوته ، وإيقاظه من غفلته .

« ذلك البرنامج الذي تتلخص فصوله في كلمات ست : إسلام وعروبة – علم وعمل – وحدة وتعاضد – فالاسلام ديننا وسر قوتنا ، ومنبع سعادتنا . وإذا كان المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ، ذاقوا بالرغم من انتسابهم للحنيفية السمحة ، مرارة الضعف وانواع الشقاء ، فما ذلك إلا لانهم لم يحتفظوا من الدين إلا بأعراضه ومظاهره ؛ أضاعوا جوهره وحقيقته ، وتركوا الخرافات والاوهام تنسج عنكبوتها على صرح الاسلام العتيد ، فمازالت تعمل فيه عملها حتى أتى يوم صار المسلمون فيه أبعد الناس عن الاسلام ، فتعددت بينهم الفرق ، واختلفت الوجهات ، ونمت البدع . »

صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن يلقي خطابه في طنجة .
(الخزانة العامة والوثائق بتطوان) .

وتزعمت الأميرة ، بخطابها هذا ، **حركة تحرير المرأة** . وقد نزعت اللثام وأعرضت عن عراقل الماضي وعن الحياء المصطنع وعن العوائق الناتجة عن مواقف الغلاة من المحافظين .

وقدم تلاميذ مدرسة كنون الحرة تمثيلية رُمز فيها إلى المغرب بطائر محبوس في قفص يحرسه تلميذان ، يمثل أحدهما فرنسا والآخر اسبانيا . وقد اضطر الحارسان إلى تحرير الطائر . وتحمس الشعب في المدارس والمساجد والشوارع طوال أيام 10 و 11 و 12 أبريل لما تحمس له السلطان ، رمز الاتحاد والوحدة الترابية . وتبين أنه خطيب ورجل سياسي خطير . وقد نقل إليه أستاذه السيد المعمري طلب المقيم العام بإدراج إشارة إلى فرنسا في خاتمة أهم خطبه . وكانت هذه الاشارة تتلخص فيما يلي : « ألقوا نظرة إلى العالم المتحضر واقتبسوا من علومه ، واسلكوا خطى الرجال الذين أنشؤوا الحضارة العصرية . واستعينوا ، من أجل ذلك ، بعلماء البلاد الصديقة وتقنييها ، وخاصة الفرنسيين المولعين بتلك الحرية التي قادت البلاد إلى الازدهار والتقدم » . وتعمد السلطان إهمال هذه الفقرة وذكّر بالتراث العربي والاسلامي . واشتد حنق السلطات الفرنسية لما نشر نص الخطاب كاملا وضمنه الفقرة المضافة . أما العبارات الوحيدة التي أشير فيها إلى فرنسا ، فكانت محشوة بالرموز ، مثل العبارة الآتية : « بل الوظيفة مؤسسة يقصد منها أولا وأخيرا خدمة مصالح رعايانا الأوفياء ورفع الظلم والهوان عنهم » التي وردت في خطاب محمد الخامس . أما للاعائشة ، فقد أشارت إلى « أولائك الذين لم يكن لهم حتى فضلُ فتح أبواب المغرب على نهضته » . وفي ذلك نقيض محتوى الفقرة التي أعدتها الاقامة العامة .

واستقبل السلطان الهيأة الديبلوماسية حسب الترتيب الذي رغب فيه هو نفسه وبدون تمييز أي من الديبلوماسيين على غيره بميزة خاصة . ورأى في ذلك ممارسة لاختصاصات سيادته التي لم يكن لممثل أية دولة ، ولو كانت فرنسا ، الحق في الاعتراض عليها . وانقطع ذلك الحبل الهش الممدود بين القصر والاقامة لما صرح السلطان بأن له وحده أن يقرر في موضوع

خطاب سمو الاميرة للا عائشة

« ... تمر الامم والشعوب في حياتها بأطوار متباينة ، وتقطع مراحل مختلفة ، وتشعر بإحساسات متناقضة . فالامة ، في عصر هرمها وسقوطها تعيش مفككة الاجزاء ، متضعضعة الاطراف ، مبلبلة الافكار ، يعمل كل فرد منها لمصلحته الخاصة وربحه العاجل ، وكأن ليس بينه وبين بني وطنه صلة روحية أو رابطة اجتماعية أو أخوية قومية ؛ أما كتاب الامة ومفكروها فيطلقون العنان لخيالهم عله يجد بين طيات ماضي البلاد المجيد مفخرة رفيعة يتغنون بنشيدها ، أو معركة حاسمة يخفون بانتصار أجدادهم فيها ، عجزهم المذل وهوانهم المخجل .

« أما حاضر البلاد ومستقبلها ، أما مصلحة الامة وسعادتها ، أما العمل والجد والتضحية في سبيل استرداد مفاخرها واسترجاع مجدها ، فتلك مشاكل يتركون للغير عبء إيجاد حلول لها ومسائل يقنعون أنفسهم بأنهم ليسوا مطالبين بالاجابة عنها . هذه مميزات الامة في طور كبوتها وهرمها إلى أن تضع حدا لخمولها ، فتدخل في طور جديد ، طور النهضة والانبعاث ، ومرحلة الترميم والتجديد ، وزمن الابداع والتشييد . فعصر النهضة شباب الامة : فيه تبني مجدها بنفسها ، وفيه تؤسس عزها بعملها ، وفيه تنظر إلى حاضرها بعزم ، وإلى مستقبلها بتفاؤل ، تعيش بين الامم مرفوعة الرأس ، ممتلئة ثقة

صاحبة السمو الملكي للا عائشة تلقي خطابها في طنجة .
(الخزانة العامة والوثائق بتطوان) .

واستعدادا ، لا تفكر في ماضيها إلا بقدر ما تستفيد من تجارب سلفها الصالح العامل .

« ففي أي طور ياترى يحيا مغربنا العزيز المفدى ؟ ألا زال مكتوف الايدي يهوي في قعر الظلام ، على بصره غشاوة ، أم شرع يسترد شعوره ويستجمع قوته وينادي أبناءه ويوحد وجهته ؟ ان المنصف لا يسعه إلا أن يسجل تلك العلاقات الواضحة والامارات الباهرة الدالة على انقلاب أساسي في أفكار الامة المغربية وفي أعمالها ومشاعرها . لقد انقضى ذلك العهد البغيض الذي كان فيه يعمل كل مغربي لنفسه لا يهمه إلا عيشه ، فالمغربي اليوم عظيما كان أو حقيرا كبيرا أو صغيرا ، مستعد للتضحية بماله وهنائه بل وحياته في سبيل حق المغاربة وسعادتهم ، وعزهم وفخارهم . ثم إن مجموع الامة قد برهن على استعداد كامل وتسابق إلى العمل ... من أراد الدليل على ذلك فليجل الطرف في عشرات المدارس التي ارتفعت جدرانها بسرعة فائقة في حواضر المغرب وبواديه . هي أعمال مغربية بالرجال القائمين بها ، مغربية بالبرامج المطبقة فيها ، مغربية بالاموال المنفقة عليها ، مغربية بالاهداف التي تسعى لتحقيقها . فهل بعد هذا نوسم بأننا قوم كسالى خاملون ، بالاوهام والخرافات متشبثون ؟ لقد فتحت التجربة عيون المغاربة ، وأنارت المعرفة أذهانهم ، وامتلكت المدنية الحقة قلوبهم وألبابهم . فلا حاجز يقف في طريق نهضتهم ، ولا صاد يعوقهم عن إدراك بغيتهم ولا صعوبة تردهم عن سعيهم بل هم إلى النجاح سائرون ، وإلى قمة المجد صاعدون ، وعلى أمانيهم محصلون . ضمنوا الظفر باجتماع شروطه الثلاثة : العقيدة الثابتة والهدف الجلي والقائد الخبير المسموع الكلمة ، تجتمع عليه الامة . »

الاصلاحات ، وأن ليس لفرنسا أن تقترح . وفي ذلك نبذٌ لروح معاهدة فاس نفسها ، إذ جاء في فصلها الأول : « اتفقت حكومة الجمهورية الفرنسية وصاحب الجلالة السلطان على إنجاز الاصلاحات الادارية والقضائية والتعليمية والمالية والعسكرية التي قد ترى الحكومة الفرنسية فائدة في انجازها في القطر المغربي » .

لكن محمدا الخامس لم يعد يريد أن يشركه أحد في هذا الاختصاص ، إذ عدّه ، منذ ذلك الحين جزءا من سيادته .

ثم كان العمل الأخير الذي قوى الروح التي أُضفيت على هذه الرحلة . فقد سُلمت الصحافة بلاغا قال فيه السلطان ، قبل مغادرته العاصمة الديبلوماسية : « إن المغرب مُصر على استرجاع حقوقه كاملة ، وانه بصفته ، دولة عربية ، يرغب في الانخراط في جامعة الدول العربية » التي أسست سنة 1945 في القاهرة . ولم يسبق للسلطان والاقامة العامة أن تجاهرا ، مثلما فعلا ، بتناقض آرائهما السياسية حينما قطع محمد الخامس العلاقات السياسية والمعنوية التي تربطه بالاستعمار الفرنسي . وكانت هذه المعطيات

تصريحات مهمة لصاحب الجلالة المفدى أمام سفراء الدول الاجنبية

في هذا الاجتماع الحبي الذي يضم ممثلي الدول الصديقة يسرنا أن نوجه لكم عبارات تشكراتنا الخالصة على ما أبديتموه لنا في هذه المناسبة التاريخية وعلى ما أظهرتموه للشعب المغربي بأجمعه .

فلا عجب في ذلك لأن المحبة التي تربطنا منذ عهد قديم قد بناها أجدادنا المقدسون فلنراجع صفحات التاريخ فانه يشهد بذلك .

أنتم على علم بأن المغرب شارك في الحرب الاخيرة بأبنائه وبجميع ما لديه من الوسائل حتى حصل على النصر النهائي (ولدا صارت الامم تطالب بحقوق تناسب الوقت الحاضر فمن الحق أن ينال الشعب المغربي حقوقه الشرعية وأن يقع تحقيق ما نتمناه ويتمناه الشعب المغربي من المطامح التي نتوق إليها كسائر الامم) .

(الجريدة « العلم »
بتاريخ 11 أبريل 1947)

الاستقبال الحماسي بالمندوبية بطنجة.
(الخزانة العامة والوثائق بتطوان).

رفع العلم الوطني.
(الخزانة العامة والوثائق بتطوان).

الشخصيات الحاضرة يتوسطها صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن.

في الطريق الى المسجد لصلاة الجمعة بعد اليوم الذي ألقى فيه الخطاب .

مغادرة طنجة يوم السبت 12 أبريل .

« عشرون فرقة من الجيش أو ... الجنرال جوان » .
(تصوير بولاك) .

الجديدة أشد خطرا على المغرب ، لا سيما أن استقبال السكان للسلطان كان يدل على التفاهم الكامل بين العاهل وبين الشعب . فلم يعد الوطنيون تلك « الشرذمة » كما يراهم غلاة المعمرين . ولم تمض إلا أيام قليلة حتى اندلعت عواقب خطب طنجة وآثار هذه الرحلة الخالدة . ولم يكن يَعدل الهوانَ والحقد اللذين أحس بهما الفرنسيون إلا شدة حبور الشعب وعزمه ، وقد افاق من سباته . وفي طريق العودة من طنجة كان استقبال سكان سوق الأربعاء ومشرع بلقصيري استقبالا مؤثرا مثل غيره ، إذ كانت آلاف الصور والرايات والأعلام تضطرب في الهواء بينما يهتف المستقبلون « يحيا الاستقلال » أمام ممثلي فرنسا . وكانت هذه الرحلة سببا في تقدم قضية الاستقلال وفي توعية النفوس عند المغاربة وعند سكان شمالي افريقيا قاطبة .

فقد بعث أحد الموظفين السامين من مدينة الجزائر برقية إلى رئيس مجلس الوزراء قال فيها : « إن كل ما يمس المغرب يمس كذلك شمالي افريقيا ... إن الجغرافية والسياسة تتواصلان تواصلا متينا . قد يكون في تحقيق بعض مطامح الجزائريين السياسية ، بإنشاء قانون مطابق لرغباتهم ، ما يحمل المغاربة على التخفيف من غلوهم . ولكن لا يجوز الشك في أن لتقلب الأوضاع في المغرب عواقب بليغة على تصرفات الجزائريين » . وقد يشمل ذلك حتى شعوب الشرق الأوسط حيث سجلت مصالح التجسس البريطانية بقلق وذعر مضاعفات خطاب طنجة في بعض بلاد الشرق الأوسط التي تعتبر ذات أهمية استراتيجية ، إذ رأى السكان في هذا الخطاب « انتصارا للقضية العربية » . وأضحت القاهرة قاعدة تنشط فيها الوطنيون . وأقام فيها علال الفاسي وعبد الخالق الطريس إقامات منتظمة . وفي هذه المدينة نفسها حدد عبد الكريم الخطابي موقفه في أواخر ماي 1947 . وما أشد ما تضررت فرنسا من ذلك . وقد رددت الصحافة على نطاق واسع التصريحات التي أدت إلى حادث ديبلوماسي مؤسف بين باريس والقاهرة .

القصاص : وصول جوان

وعقبَ الاهانة فترةٌ من التوتر امتدت آثارها إلى مجلس النواب الفرنسي ، إذ طلب أحد النواب إلى رامديي Ramadier ، رئيس مجلس الوزراء أن « يبعث ، للانتقام من خطاب طنجة ، عشرين فرقة من الجيش أو الجنرال جوان Juin » . فاختير جوان ليخلف إيريك لابون في ماي 1947 ، وذلك شهرا واحدا بعد رحلة النصر إلى طنجة . واستلم الجنرال جوان تعليمات خاصة من رئيس مجلس الوزراء جورج بيدو Georges Bidault مضمنة في مذكرة سرية . وقد نبه فيها بيدو خاصة إلى ما يلي : « وإذا ما عمد القصر إلى العرقلة ، فيجب التفكير في استعمال القوة . فإما أن يتنازل السلطان طوعا ، وإما أن تحرض السلطات الفرنسية نفسها على خلعه . »

ويعني ذلك أن هذه السلطات لا تقبل تعطيل الجهاز السياسي الذي أقيم في المغرب إثر معاهدة فاس . فكان لا بد من استغلال كثير من وسائل الضغط والتأثير والاكراه لمنع السلطان من استعمال حقه في الرفض ، وذلك حتى تبقى ممارسة السلطة الحقيقية في يد الاقامة العامة . وكأن هذه المذكرة تنبأت بالأحداث التي حدثت فيما بعد وبتأزم العلاقات بين القصر والاقامة العامة وباستحالة هذه العلاقات إلى مجابهة . وقد قُومت الأمور تقويما في عين المكان ، وعزمت سلطات الحماية على تغيير مسار الأحداث . فقد بعث ليون مارشال Léon Marchal ، وهو أحد موظفي الاقامة العامة تقريرا توجيهيا يحدد خطة الاقامة العامة . وورد فيه مايلي : « إن السلطان يسلك منذ أمد غير قريب سياسة فيها كثير من الأناة والمهارة تهدف إلى تفكيك جهاز الحماية وزعزعته . يجب على الاقامة ألا تبدي أي نوع من أنواع الضعف من أجل استرجاع السلطة . فستحدث أزمة في القصر سيُتغلب عليها ، وستتخللها أحداث لا محالة . إن السلطان يحسن تدبير أموره وتصريف آثارها . وسيستغل لذلك كل أسباب العناد والاحتيال والتهديد والاستغواء . وسيستغل كذلك الحجج القانونية الواهية ومعرفته بعض الشخصيات الباريسية ، كما سيشار إلى العلاقات الدولية . لكنني مقتنع بأن السلطان سيستسلم في نهاية الأمر إذا خاطبناه خطابا لا ضعف فيه ولا تردد ولا شك . وقد نخطئ الظن إن نحن افترضنا أن السلطان لن يتراجع عن موقفه بعد طنجة وأنه يستحيل استدراجه إلى سلوك سياسة التعاون بين فرنسا والمغرب » .

وختم المذكرة بعبارة تعد من محسنات الأسلوب ، لكنها تدل على سوء تقدير الناس الذين لم يفهموا شيئا عن قوة الاسلام ، فقال : « لا شيء في بلاد الاسلام يكون نهائيا » . وقد كذبته الأحداث . فلم تُضعف السلطان قط هذه التحذيرات ، ولم يبدل خطته عندما هددت سلطات الحماية بسلوك سياسة العنف والاضطهاد . فأصبح كل شيء نهائيا .

خطاب طنجة

تصوير بونيشير .

عهد القطيعة و

محمد كنبيب

لقد أوضح خطاب طنجة نوايا السلطان سيدي محمد بن يوسف وعزمه لخوض النضال واسترجاع سيادة البلاد كاملة وفرض استقلالها التام .

إلا أن الاقامة العامة تجاهلت آمال عاهل المغرب وتطلعات شعبه ، فخططت لاستراتيجية منطوية على مقاومة تاريخية كبرى وأقصت فرضية الاستقلال من حقل الحلول المحتملة .

ولم تنتبه السلطات الفرنسية العليا إلى أن تنفيذ - وبالأحرى إنجاح - برنامج مثل هذا كان يقتضي إحراز الجنرالين جوان وخلفه الأمين كيوم على قوات أضخم وتأييد أوسع بكثير من قوة وتأييد كمشة المعمرين والاقطاعيين المحليين الذين وقفوا بجانبهم غير مبالين بمشروعية وعمق المطالب الوطنية ، ولا بتفاحش لاشعبيتهم وسخط الجماهير على مواقفهم الرجعية .

وفي إطار هذه الاستراتيجية المتجاوزة وضع جوان وأعوانه مخططا يرتكز أساسا على مبدإ اقتسام السيادة وإشراك الفرنسيين مشاركة قانونية في تسيير شؤون البلاد وتحقيق ما لم تستطع **معاهدة فاس** فرضه سنة 1912 ، وبالتالي تجاوز روحها ونصها تجاوزا « رجعيا » وسلبيا . وذلك

خطاب طنجة وفشل سيناريو الاقامة العامة .
(الخزانة العامة ، تطوان) .

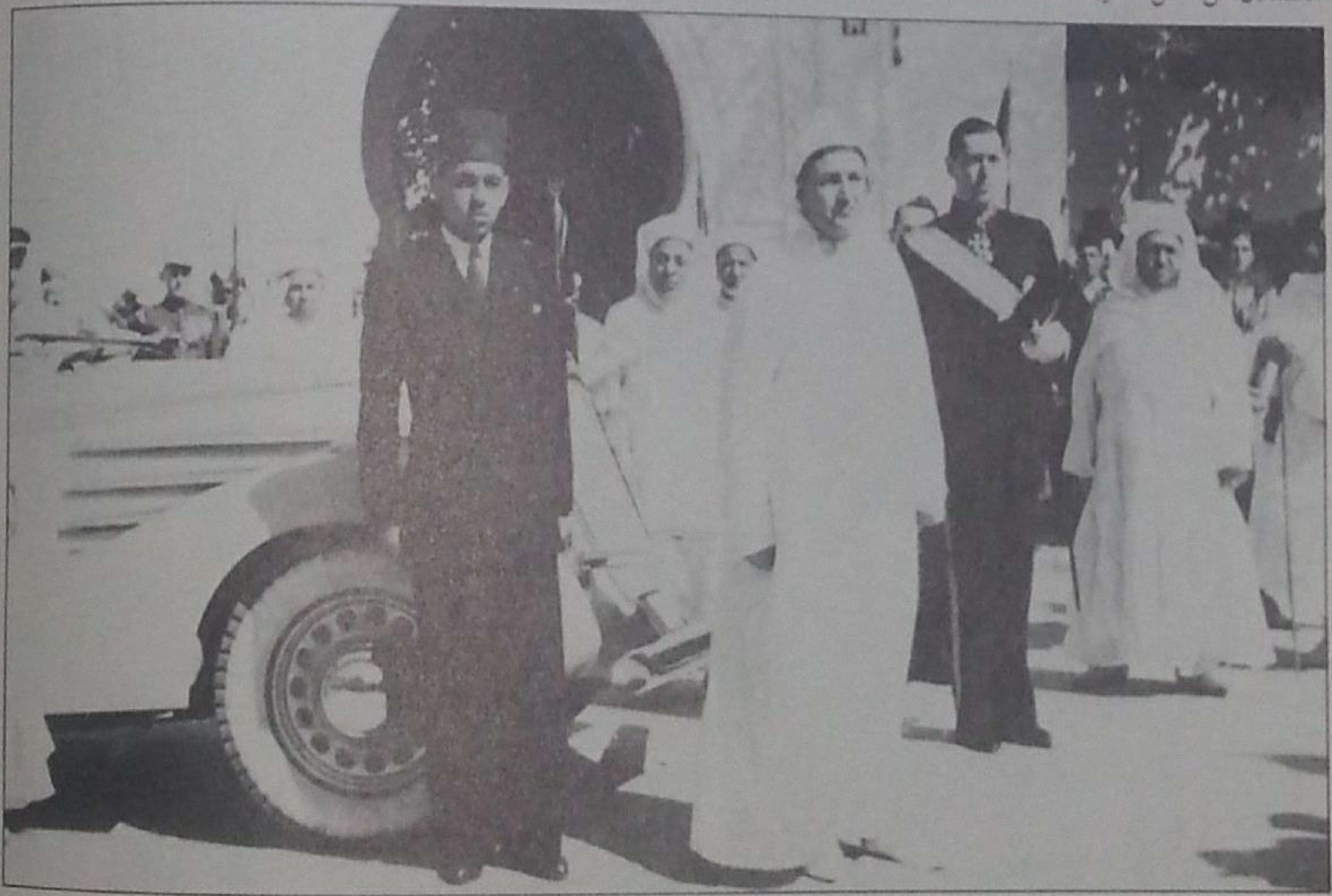

فترة 1947-1953

بالذات ما سبق للمولى عبد الحفيظ التحذير من وقوعه حينما أثار الانتباه لجاذبية « **الادارة المباشرة** » على النمط « الجزائري » ، واحتمال تخلي المراقبين المدنيين وضباط الشؤون الأهلية عن مهامهم « التقنية » وإفراغ الحماية من دلالتها الأصلية واعتبارها مجرد ستار لاستغلال طاقات البلاد الطبيعية والبشرية بأقل ما يمكن من التكاليف العسكرية والمالية .

إن تحرك جوان في هذا الاتجاه ومبالغته في التأكيد على أنه مصمم العزم لايجاد حلول مستعجلة لانهاء الأزمة المغربية وان اقتضى الأمر عدم التردد في استعمال القوة لاكراه السلطان على « **الرضوخ أو التنازل عن العرش** » و « **إطعام الوطنيين التبن** » ، ما هو إلا انعكاس وبلورة لاقدام السلطات الفرنسية على خرق التزاماتها خرقا سافرا وعدم المبالاة بصفة خاصة بما نص عليه البند الثالث من معاهدة فاس (التعهد بحماية السلطان وولي العهد ضد كل الأخطار وفي كل الحالات) وتورطها في ممارسات تتجاهل القانون والمشروعية .

بدأ جوان يتصرف وكأن معاهدة الحماية أحادية الجانب لاتلزم سوى العاهل المغربي حيث كان عليه ، في نظره ، أن يستجيب فقط وفورا لكل مقترحات الاقامة العامة ويختم جميع ما تتقدم به من مشاريع وظهائر ولو أدى ذلك إلى تجريده من صلاحياته وتقليص سيادته وحريته .

وانتهاج مثل هذا السلوك كان يعني كذلك تجاهل ما أدخلته الحرب العالمية الثانية من تحولات جوهرية على الأوضاع الدولية من جهة ، ومن جهة ثانية ، التنكر لفلسفة نظام الحماية بالمفهوم المتداول في عهد المارشال ليوطي الذي كان يعتبر – رسميا على الأقل – أن مهام الفرنسيين محدودة ولاتستهدف سوى تحديث هياكل المغرب الادارية والقضائية والاقتصادية والمالية والتعليمية ، دون المس بجوهر نظامه السياسي .

إن إدراك الحماية بهذا المعنى وباعتبارها صبغة تقنية أملتها ظروف تاريخية استثنائية – تحمل في طياتها عوامل تلاشيها الذاتي ومحوها النهائي – يفرض حتما تتويجا منطقيا واحدا دون سواه لسيرورة الحماية : **استقلال البلاد** .

وانطلاقا من هذه الاعتبارات تمحورت مطالب الوطنيين حول مبدإ الاستقلال وضرورة انتزاع الاعتراف به . لذا رفضوا التعاون مع المقيم العام السابق ، السفير إريك لبون ، وانتقدوا ما وضعه من مشاريع اقتصادية واجتماعية بهدف تحسين ظروف المغاربة المعاشية والسكنية ، وبصفة أخص ، إشراك البورجوازية المحلية في استغلال موارد البلاد وخيراتها .

وإذا كانت « المشاركة » تشكل رسميا في نظر الاقامة العامة تنازلا ليبراليا ومكتسبا جديدا تقدمه فرنسا للمغاربة ، فإن الوطنيين كانوا يعتبرون تنفيذ هذا المشروع بمثابة رجوع للوراء وتقهقر من شأنه توطيد أقدام الفرنسيين بالمغرب وإفشال الطموحات الوطنية .

الجنرال جوان : « تجريد السلطان ... وتشويه سمعة الزعماء الوطنيين » . (الخزانة العامة ، الرباط) .

مغزى الاصلاحات : السيادة المشتركة

لا داعي للتذكير بغلاظة طبع ولسان المقيم العام الجديد ومشاعر الاحتقار التي كانت تغمره تجاه إحساس المغاربة القومي وميوله السافر للاساليب الفاشية والقمع المنهجي .

إلا أن تحركات الرجل ومناوراته كانت لاتخلو من ذكاء بل وعبقرية لم يكن غريبا عنها كل من مدير الداخلية وحاكم ناحية الدار البيضاء (فليب بونيفاص) وقد تجلى ذلك في مهارته البالغة في فن « تجميل » سياسته الرجعية وإلباسها زيا ديموقراطيا لامعا .

إثر تعيينه خلفا لاريك لبون وفور وصوله إلى الرباط كشف الجنرال جوان النقاب عن نواياه الرسمية وفحوى برنامجه : الاسراع بالاصلاحات واتخاذ كل الأجراءات اللازمة لتنفيذها و « إشراك » المغاربة المؤهلين في تدبير شؤون بلادهم والمساهمة في تسييرها بجانب الفرنسيين .

ولبلوغ هذه المرامي بَذَلَ جوان كل ما في وسعه لتحريف طبيعة النضال الوطني وحصره في معادلة مبسطة : صراع حاد بين الاقامة العامة ذات « النية الحسنة » وخطتها الاصلاحية من جهة ، والقصر المتشبث بالتقاليد والمناهض للاصلاحات وما تفرضه الحداثة من جهة ثانية .

والواقع أن الجنرال جوان ، رغم احتكاكه الطويل بالمغاربة خصوصا منهم أولائك الذين خاضوا بجانبه معارك كبرى بتونس ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وقدموا تضحيات جسام ساهمت بقسط وافر في صنع شهرته وأمجاده العسكرية ، كان لايستطيع ، بحكم أفكاره المسبقة وحقده العنصري على العرب – وهو إرث سنوات شبابه بالقسطنطينة – استيعاب جوهر المطالب الوطنية ومشروعية كفاح الشعب المغربي .

وقد تجلى ذلك بصفة خاصة في عجزه على إدراك مواقف سيدي محمد بن يوسف وتفهم مدى استعداده لتحمل مسؤولياته كاملة ، الداخلية منها والخارجية .

ومن المعلوم أن خطاب طنجة تعدى حدود المغرب وخلف أصداء طيبة على مستوى العالم العربي والاسلامي . فلم يفت المعلق السياسي لاذاعة القاهرة مثلا ، التأكيد بهذه المناسبة أن « **المطالب الوطنية أصبحت (الآن) مطالب رسمية بكل معنى الكلمة بفضل الخطاب الملكي والتزامات السلطان الواضحة** » وان جامعة الدول العربية والحكومة المصرية « **تتمنيان التوفيق لشعب مراكش** » .

وتجسيدا لتضامنه مع العرب والمسلمين وتعبيرا عن رغبته في استرجاع سيادة البلاد الدبلوماسية لم يتردد السلطان في اتخاذ موقف صريح من أحداث ماي 1948 في الشرق الأوسط ، فأصدر بلاغا رسميا للتنديد بالصهيونية وسياسة الأمر الواقع التي نهجتها للاستحواذ على فلسطين كما أنه دعا رعاياه اليهود وحثهم على الالتزام بمغربيتهم والتشبث بمكونات تعايشهم التقليدي مع مواطنيهم المسلمين وعدم الاستجابة لنداءات وتحرشات الصهاينة .

وقد كان من الصعوبة بمكان على اليهود المغاربة لنسيان أو تناسي ما بذله سيدي محمد بن يوسف من جهود عقب صدور **قوانين فيشي** العنصرية لعرقلة تطبيقها في المغرب وحمايتهم من المخاطر التي ذهب ضحيتها بشكل أو آخر اليهود في أوروبا بل وحتى في أقطار مجاورة مثل تونس والجزائر حيث أخضعتهم السلطات للأعمال الشاقة وأدخلتهم معسكرات الاعتقال .

ولضرب رمز التطلعات الوطنية وإضعافه حاول الجنرال جوان تشويه سمعة سيدي محمد بن يوسف وتخويفه مؤكدا له انه يحمل ترخيصا من حكومته يسمح له بإبعاده عن العرش إذا ما استمر في معارضته للمخطط الاصلاحي والمشاريع « الديموقراطية » ، المركزية منها والجهوية .

إعادة تنظيم الجهاز المركزي

إن المبادرة بإدخال تعديلات على الجهاز المركزي بدعوى العقلنة والتحديث تشكل في حد ذاتها اعترافا صريحا بحدود « المنجزات الفرنسية » وما تم تحقيقه منذ سنة 1912 خدمة لـ « رسالة الحماية » و « مهمتها » التاريخية .

وبدعوى إعطاء المزيد من الفعالية وتحسين التنسيق بين الوزارات « بصفتها إرث مخزن ما قبل الاستعمار » والمديريات المحدثة بعد 1912 (الداخلية ، المالية ، التعليم) والمصالح التابعة مباشرة للاقامة العامة ، تم التخلي عن تركيب الحكومة المغربية وصيغتها السابقة (إمكانية عقد جلسات مغلقة لايحضرها سوى المغاربة برئاسة السلطان) وإحداث حكومة « **مختلطة** » تضم على الخصوص خمسة وزراء – مفوضين جدد يجتمعون – تحت رئاسة الوزير الأعظم الاسمية بحضور « زملائهم » المديرين الفرنسيين والكاتب العام للحماية .

وإنشاء حكومة مغربية فرنسية مثل هذه كان يعني إنهاء استقلال المخزن وتحقيق خطوة أساسية أولى في إطار مخطط « **المشاركة** » ، واقتسام السيادة . لذا التزمت الحكومة الفرنسية الصمت عموما ولم تأخذ بعين الاعتبار انتقادات السلطان لهذا التعديل والبلاغات التي أصدرها للتذكير بطابع المديرين التقني المحدود واستحالة اعتبارهم بمثابة وزراء وكذا التأكيد على أن الوزراء – المنتدبين الجدد لايجوز النظر إليهم كأعوان للمديرين .

وبعد اقحام فرنسيين ضمن الحكومة المغربية والثناء المفرط على « عملية توسيع صلاحياتها وتقوية فعاليتها » ، بصرف النظر عن

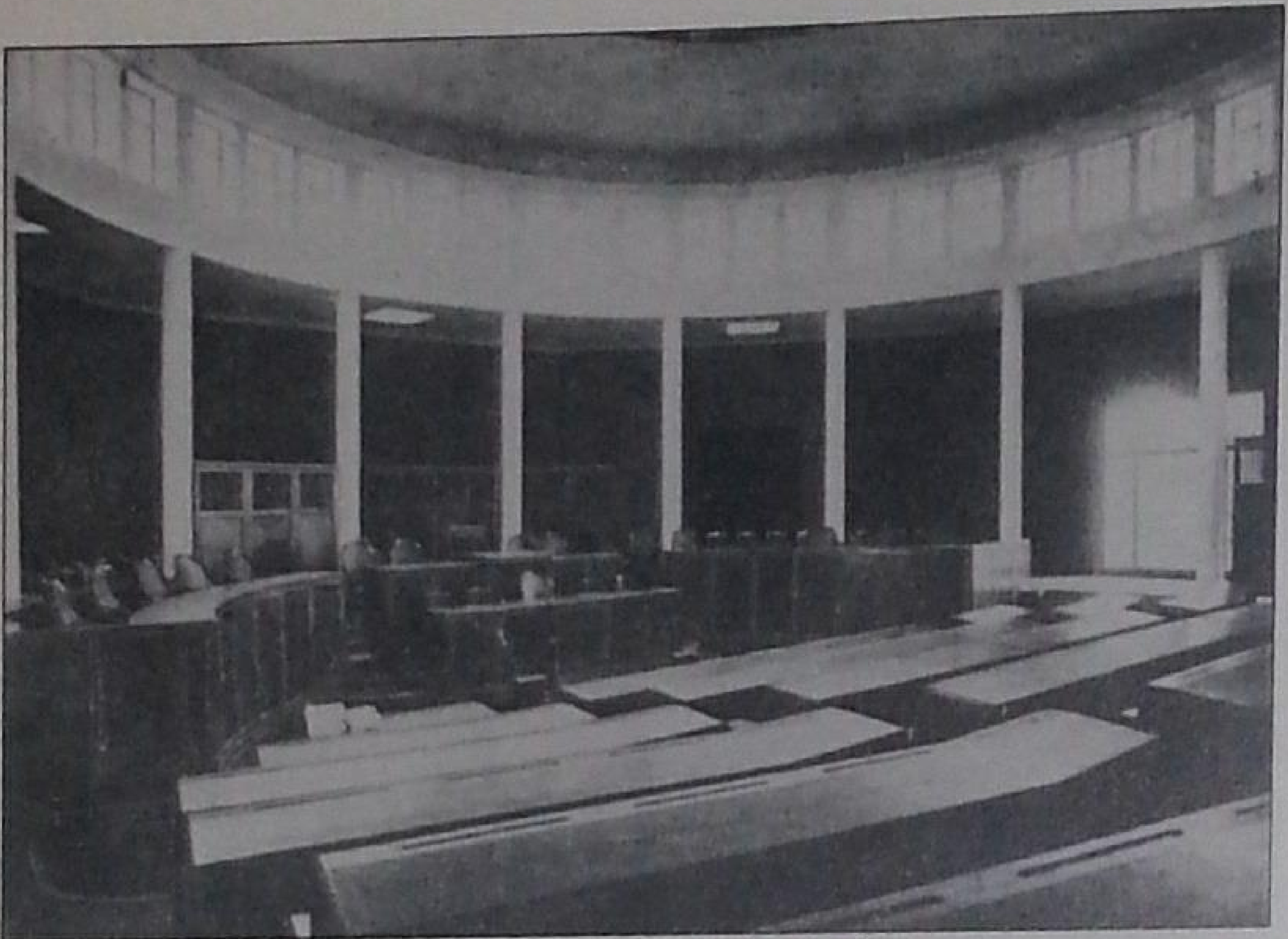

قاعة مجلس شورى الحكومة ... مقاطعة الوطنيين للدورة الصيفية ... وطردهم منها خلال دورة الشتاء .
(« المغرب » ، سنة 1938 ») .

ضخامة التناقضات مع روح معاهدة فاس وبنودها الصريحة ، خطت الاقامة العامة خطوة ثانية لـ « دمقرطة » مؤسسات البلاد ، على حد تعبيرها : إصلاح مجلس شورى الحكومة .

كان « **مجلس الحكومة** » المحدث أحاديا سنة 1919 — مع تعديل طفيف سنة 1926 - مجرد هيئة استشارية لاتتحكم في زمام الأمور بل تكتفي - بقسميها الفرنسي والمغربي - بمناقشة مقترحات مديرية المالية وميزانية الدولة قبل عرضها على أنظار لجنة وزارية مختلطة بباريس وتقديمها للسلطان للمصادقة .

وعلى عكس القسم الفرنسي المنتخب من طرف المعمرين وأرباب المصانع والتجار والمهن الحرة ، فإن « ممثلي » « الأهالي » ضمن الغرفتين المغربيتين غالبا ما كانت الادارة « تتكلف » بتعيينهم .

ولتحسين هذه الوضعية اقترحت الاقامة العامة إحداث غرفة مغربية ضمن القسم الثالث من مجلس الحكومة وإلغاء « التعيين » لفائدة الانتخاب . وقد أوقعت بمبادرتها هذه الوطنيين في نوع من الحرج حيث أنهم كانوا ، من جهة أولى ، واعين تمام الوعي بطابع المجلس الاستشاري وبما تستطيع الدعاية الرسمية أن تجنيه من « مساهمة » الوطنيين لاعطاء الدليل القاطع على نجاح سياسة « المشاركة » ، إلا أنهم كانوا من جهة ثانية ، يدركون أهمية استغلال منصة المجلس لممارسة نقد منهجي وشن حملات دعائية واسعة ضد نظام الحماية .

وفي نهاية الأمر اختاروا أخف الضررين وقبلوا المساهمة في الانتخابات والدخول في مجلس شورى الحكومة .

مشروع الاصلاح البلدي

اقتضى منطق « الدمقرطة » عدم الاكتفاء بتغيير الجهاز المخزني المركزي وإضافة غرفة جديدة لمجلس شورى الحكومة بل تجاوز

غرفة الدار البيضاء للتجارة والصناعة : « وزن بطاقة الناخب المغربي أقل بكثير من وزن بطاقة المعمر الفرنسي » .
(وثائق خاصة) .

ذلك كله واتخاذ اجراءات شمولية بهدف تعميم « الاصلاح » .

وعلى هذا الأساس شرع في إعادة النظر في صلاحيات المجالس البلدية وكيفية تشكيلها . وباستثناء مجلسي فاس والدار البيضاء المتميزان باستقلال ذاتي نسبي وبمشاركة فعالة لأعضائهما في تسيير شؤون المدينتين ، فإن المجالس البلدية الأخرى – بقسميها ، المسلم والاسرائيلي – كانت لاتتكون على العموم سوى من أعضاء معينين للقيام بمهمة استشارية صرفة ، وبصفة عامة تزكية قرارات الباشا ورئيس المصالح البلدية – موظف فرنسي يتمتع بسلطة واسعة رغم طابع منصبه « التقني » المحدود رسميا – في مجال المعاملات العقارية ، والأشغال العمومية ، والانارة ، وتحديد ومراقبة أسعار المواد الاستهلاكية الأساسية الخ ...

وعوض هذا كله ، أصبح في الامكان بفضل المشروع الجديد ، تشكيل **مجالس بلدية منتخبة** تتمتع بسلطة تقريرية حقيقية .

ومما زاد مشروع الاصلاح البلدي أهمية إلحاح الاقامة العامة على أن التعديلات المقترحة على مستوى القاعدة – المدينة – ما هي إلا إحدى اللبنات الأولية في مخطط ديموقراطي سوف يتوج – على المدى البعيد أو المتوسط – بتأسيس هيئة « برلمانية » : الجمعية التشريعية .

اتسم إذن مشروع تغيير نوعية تركيب المجالس البلدية وفتح أبواب المسؤولية المباشرة أمام المغاربة بجاذبية قصوى . وقد حاولت السلطات الفرنسية الاستفادة من جوانب الاصلاح « التقدمية » لاخفاء مزالقه وما كان يشكله من تهديد خطير على مبدإ السيادة الوطنية .

ذلك أن تعميم مسطرة الاقتراع ومنح صلاحيات فعلية أوسع للهيئة البلدية المنتخبة ، كان لايعني على الاطلاق التخلي نهائيا عن كل سلبيات الفترة السابقة . فالاصلاح لايشير لسلطة الباشا أو المراقب المدني ورئيس المصالح البلدية ولايتحدث عن امتدادها وحدودها . كما أنه لايتطرق لسلطة الهيئة المحدثة سنة 1947 لممارسة المراقبة السياسية والقضائية والادارية على كل من الدار البيضاء ، والرباط ، ومكناس ، وفاس ، ومراكش : المندوبون لدى الشؤون الحضرية .

وانطوى المشروع ، من جهة أخرى ، على فكرة إقحام المواطنين الفرنسيين المقيمين بالمغرب وفرض مشاركتهم بصفة قانونية ومشروعة ضمن المؤسسات البلدية بصرف النظر عن كونهم مجرد أجانب قاطنين خارج بلادهم لايمكن الاعتراف لهم – رغم هيمنتهم الاقتصادية والاجتماعية – بحق الانتخاب وتسويتهم في هذا الباب مع المغاربة دون المس بروح نظام « الحماية » .

وقد ذهب الاصلاح إلى أبعد من هذا حيث أن قيامه على مبدإ التساوي بين عدد الأعضاء المغاربة والفرنسيين داخل المجالس البلدية المختلطة كان يستهدف من الناحية التطبيقية قلب نتائج التفاوت الديموغرافي وتفوق « الأهالي » المطلق على الأقلية الفرنسية . ولترجمة الحسابات السياسية المتوخاة من نظرية « التساوي » و « **الثنائية** » إلى أرقام ونسب مائوية أوضح تكفي الاشارة إلى أن الأخذ بالمسطرة المقترحة كان يعني أن صوت أو « وزن » ناخب فرنسي واحد (مجرد « أجنبي » حسب القانون المغربي) كان من المفروض أن يساوي ما يناهز أصوات ثلاثين ناخبا مغربيا !

استراتيجية التشويه

كان الاصلاح إذن خطيرا للغاية وجذابا في آن واحد .

ولتضليل الرأي العام وطمس الحقائق شنت الصحافة الفرنسية والأوساط اليمينية حملة تهريج واسعة لمدح خطة تعديل النظام البلدي وواضعيها كما أنها نعتت بـ « الرجعية » كل موقف مناهض لوجهة نظر الاقامة العامة ومناصريها .

وبصفته أول مسؤول عن سيادة البلاد فإن السلطان نفسه لم ينج من عواقب منطق مثل هذا . فبعد رفضه التوقيع على مشروع الاصلاح وتوجيه الانتقادات لِمَراميه ، تعرض بالفعل سيدي محمد بن يوسف لهجومات دعائية شديدة اللهجة نظمتها الاقامة العامة لاعطاء نفس جديد لأطروحة « الدمقرطة » .

ولكي تكتسي الحملة التشويهية بعدا دينيا وتثير مشاعر المغاربة واهتمامهم ، وزعت أيادي خفية منشورات هجائية ، باسم « **حزب الله** » و « **حزب الاخوان المسلمين** » الخ ... تؤاخذ فيها السلطان على مواقفه باعتباره أمير المؤمنين وتحاول النيل من سمعته وشعبيته .

وقد أثبت التحقيق المفتوح عقب الشكوى الرسمية التي تقدم بها سيدي محمد بن يوسف للمطالبة بتحديد هوية المسؤولين عن المنشورات السرية ومتابعتهم متابعة قضائية ، تورط مديرية الداخلية وأنها كانت وراء عملية تحرير وتوزيع المطبوعات بمساعدة أحد المغاربة العاملين بجريدة « السعادة » ، قيل عنه فيما بعد أنه « **مريض بالأعصاب ومصاب بالجنون** » لايعرف بالضبط ما يفعله وما يقوله !

وبالاضافة لترويج « الأخبار » المزيفة والالتجاء للوسائل الغليظة والأساليب الديماغوجية لتضليل الجماهير الشعبية وسواد الأمة ، بذلت الاقامة العامة كل ما في وسعها لعزل السلطان عن الأحزاب الوطنية والقوى القومية واختراع تناقضات بين القصر « المحافظ » والتيارات التواقة إلى « الديموقراطية » على النمط الذي صاغه الجنرال جوان .

كما أن السلطات الفرنسية عملت على إحداث انشقاقات في صفوف الوطنيين أنفسهم لضرب بعضهم ببعض واستغلال الحزازات

صياغة « الوداد » و « العزيمة » لتبليغ « كلمة » الاقامة العامة . (الخزانة العامة ، الرباط) .

الجمعة ٧ صفر ١٣٦٢ — ١٢ برابر ١٩٤٣

ثمن العدد فرنك ونصف

السنة السابعة عدد 157

مديرها المسؤول

محمد اشماعو

Télé. 20-25 :تلفون

شيك بوسطا 3219

سانية معنينو (سلا المغرب الاقصى)

الوداد

ALWEDAD

Journal Hebdomadaire

اشتركوا

في جريدة «الوداد»

وساعدوها

ماديا وادبيا

.. ان لهذا المغرب العربي اهدافا انسانية ومطامح شريفة وحقوقا شرعية يصبو لتحقيقها بجد وعزم

EL-AZIMA

HEBDOMADAIRE

POPULAIRE

Independant et social

Directeur

Driss Abderrahman Djemny

Rue Sidi Boumedien El ghaouti

N° 123 Derb Martinet (N.M)

CASABLANCA

ثمن النسخة 15 فرنك

العدد الخامس

الأحد 13 محرم 1371

الموافق 14 اكتوبر 1951

العزيمة

فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين

جريدة شعبية استقلالية اشتراكية تصدر اسبوعيا بالبيضاء

كلمة العزيمة

ان حوادث ايران الاخيرة ... موقف حكومتها من انكلترا ازاء ... البترول لها مدلولها وخطورتها ... صلابة موقف ايران يدل دلالة واضحة على ان الحق لم يكن فقط ... افواه المدافع كما يقولون ... اما موقف الانكليز وتمسكه (بالهزيل) ... حقوقه (الواهية) وامتيازاته ... المكتسبة) فانا نفهم من برودته ... الطبيعية انه موقف شك وريبة في ... الانكليز وقد فشلت سياسته الاستعمارية التي قضى عليها إيران ... الداهية الخطير الدكتور مصدق.

اما موقف مصر حكومة وشعبا ... سياسة الانجليز ازاء وحدة النيل ... خطوة حاسمة لقطع دابر الاستعمار وتفكيك اوصاله من بلاد ... الكنانة، وهاته ضربة قاضية اصابت ... الاستبداد في الصميم وحطمت

رفع التباس

العزيمة جريدة شعبية استقلالية اشتراكية.

شعبية لأنها من الشعب واليه

استقلالية لأنها مستقلة عن الاحزاب

صاحب السمو الملكي

ولي العهد المحبوب

انا عندما نهنئ صاحب السمو الملكي

الامير الجليل مولانا الحسن انما

شخصية العدد

الشخصية (علال الفاسي - محمد بن الحسن الوزاني) خدمة لمصالحها .

وللحفاظ على إمساكها بزمام الأمور والتحكم في مجرى الأحداث ، أكثرت الاقامة العامة ، في إطار خطة التجزئة والتفرقة المعتادة ، من المناورات لخلق المزيد من الارتباكات المفتعلة على الساحة السياسية المغربية . لذلك فإنها لم تبخل بمساعدتها للأحزاب المصطنعة ومدها بالمال وبـ « التأطير التقني » . وقد سخرت لهذه الغاية وبصفة خاصة « **الحزب الديموقراطي للرجال الأحرار** » و « **حزب الوحدة الاسلامية** » و « **حزب الشعب المغربي** » الخ ...

غير أن هذه المنظمات الوهمية لم تلق أية استجابة جماهيرية ولم تحظ بتأييد أية « قاعدة » وذلك رغم أهمية وسائلها المادية وتعبئة صحافة « **ماص** » للتعريف بها وبرمجة حملة إشهارية واسعة لعرض « أفكارها » .

وبصفة عامة يمكن التأكيد أن سياسة المناورات والتماطل لم تصب قط ما كانت تطمح إليه بل أسفرت عن ابعاد معاكسة تماما للمرامي الأصلية . ذلك أن ما أقبلت عليه السلطات الفرنسية من ممارسات أسهم بقسط وافر في بلورة شعور بعض المناضلين وإقناعهم بضرورة اعتماد أساليب عمل جديدة أكثر فعالية للاسراع بحل الأزمة وتحقيق الأهداف القومية المنشودة .

والملاحظ أيضا هو أن الزعماء الوطنيين أدركوا خطورة الموقف واستطاعوا اجتناب الفخ الذي نصبته الاقامة العامة والافلات من حبالها ، فلم يكتفوا باستنكار الوسائل الدنيئة المستعملة ضد عاهل البلاد وحسب بل عبروا علنيا عن تضامنهم معه والتفاهم حوله .

حزب الاستقلال في طليعة النضال الوطني

والواقع أن الاجماع حول مبدأ استرجاع سيادة البلاد كاملة ومناصرة السلطان بصفته رمزا لهذه السيادة وللكفاح من أجل الاستقلال ، كان يضفي صبغة انسجام واسعة على مختلف الأحزاب الوطنية في شمال البلاد وجنوبها ، وذلك بصرف النظر عن تباين أسسها الاجتماعية - الاقتصادية ، وتأرجح أفقها الاديولوجي بين السلفية والماركسية والليبرالية بمفهومها الغربي ، وكذا تفاوت وزنها السياسي وتنافس زعمائها .

وقد كان حزب الاستقلال يحتل الصدارة ضمن هذه التشكلة . وبوقوفهم في الخطوط الأمامية كان مناضلوه يتعرضون باستمرار للقمع والاعتقال ويواجهون كل المضايقات الرامية إلى

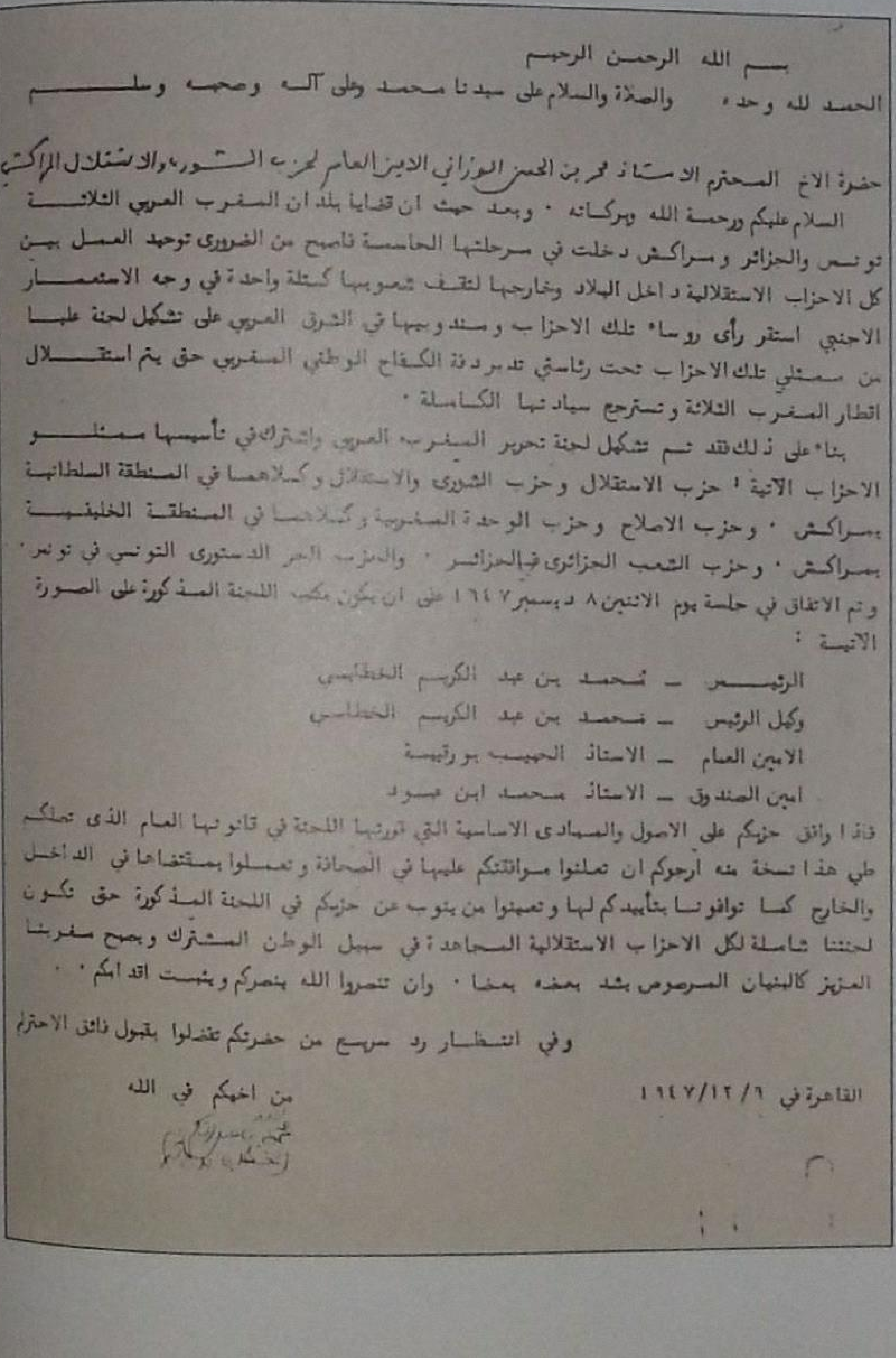
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الاخ المحترم الاستاذ محمد بن الحسن الوزاني الامين العام لحزب الشورى والاستقلال المراكشي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد حيث ان قضايا بلدان المغرب العربي الثلاثة تونس والجزائر ومراكش دخلت في مرحلتها الحاسمة فاصبح من الضروري توحيد العمل بين كل الاحزاب الاستقلالية داخل البلاد وخارجها لتقف شعوبها كتلة واحدة في وجه الاستعمار الاجنبي استقر رأى روساء تلك الاحزاب وسندوبيها في الشرق العربي على تشكيل لجنة عليا من ممثلي تلك الاحزاب تحت رئاستي تدير دفة الكفاح الوطني المغربي حتى يتم استقلال اقطار المغرب الثلاثة وتسترجع سيادتها الكاملة .

بناء على ذلك فقد تم تشكيل لجنة تحرير المغرب العربي واشترك في تأسيسها ممثلو الاحزاب الاتية : حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وكلاهما في المنطقة السلطانية بمراكش . وحزب الاصلاح وحزب الوحدة المغربية وكلاهما في المنطقة الخليفية بمراكش . وحزب الشعب الجزائري في الجزائر . والحزب الحر الدستوري التونسي في تونس .

وتم الاتفاق في جلسة يوم الاثنين ٨ دسمبر ١٩٤٧ على ان يكون مكتب اللجنة المذكورة على الصورة الاتية :

الرئيس — محمد بن عبد الكريم الخطابي
وكيل الرئيس — محمد بن عبد الكريم الخطابي
الامين العام — الاستاذ الحبيب بورقيبة
امين الصندوق — الاستاذ محمد ابن عبود

فاذا وافق حزبكم على الاصول والمبادئ الاساسية التي قررتها اللجنة في قانونها العام الذى تملكم طي هذا نسخة منه ارجوكم ان تعلنوا موافقتكم عليها في الصحافة وتعملوا بمقتضاها في الداخل والخارج كما توافونا بتأييدكم لها وتعينوا من ينوب عن حزبكم في اللجنة المذكورة حتى تكون لجنتنا شاملة لكل الاحزاب الاستقلالية المجاهدة في سبيل الوطن المشترك ويصبح صفرنا المتين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . وان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم .

وفي انتظار رد سريع من حضرتكم تفضلوا بقبول فائق الاحترام

القاهرة في ٦/١٢/١٩٤٧

من اخيكم في الله

محمد بن عبد الكريم الخطابي

محمد بن عبد الكريم الخطابي يخبر محمد بن الحسن الوزاني بميلاد « لجنة تحرير المغرب العربي » .
(مؤسسة محمد بن الحسن الوزاني) .

إضعاف الحزب وإبطال مفعول ما حققه من مكتسبات كما وكيفا خلال فترة « **الانفتاح** » الوجيزة التي ميزت « **عهد** » إريك لبون .

انتهز حزب الاستقلال فعلا مرحلة الليبرالية النسبية التي مر بها المغرب فيما بين سنة 1946 وسنة 1947 لتوسيع صفوفه وإعادة هيكلة تنظيماته وتقوية نفوذه ومكانته على المستويين الداخلي والخارجي ، خصوصا وأنه أصبح يتوفر ، بفضل ارتفاع عدد مناضليه ومحبيه ، على إمكانات مادية لابأس بها - مساهمات منخرطيه وتبرعات شخصيات وطنية مثرية من أمثال الغزاوي والسبتي وغيرهم .

وهكذا قام الحزب بمجهودات جبارة لمواجهة الحملات الاعلامية الفرنسية ولتنوير الرأي العام المغربي مجندا لذلك جرائده ومجلاته ومنشوراته (العلم ، الاستقلال ، صوت الشبيبة المغربية ...) وغالبا ما كانت مقالاته تستمد مواضيعها من معانات الشعب اليومية وتعرضه لسوء التغذية وسوء السكن وأزمة التمدرس والبطالة وانتشار التسول والدعارة ألخ ...

ودفاعا عن المثل السلفية ومساهمة منه في تطهير المجتمع المغربي من الشعوذة والممارسات المتجاوزة ، قاوم حزب الاستقلال بشدة الطرق والزوايا خصوصا وأن بعضها كان يتعامل بوجه مكشوف مع الاستعمار ويضع نفوذه الروحي تحت تصرفه .

وشعورا منه أيضا بأهمية « المعركة **الثقافية** » والتعليم لتوعية المغاربة وتفتحهم وتقدمهم ، بادر الحزب بتأسيس مجموعة إضافية من المدارس والثانويات الحرة وكذا تنظيم حلقات ليلية لمحاربة الأمية . كما أنه تبرع بالمنح على التلاميذ والطلبة لاعانتهم على تحصيل العلم والمعرفة واستكمال دراستهم بالمعاهد والجامعات الأوروبية والمشرقية .

ولخوض المعركة الحاسمة ضد الاستعمار ، كثف حزب الاستقلال من جهة أخرى جهوده لتأطير الطبقات الكادحة و « **إقحام** » النقابات ومراكزها القيادية . وقد وفق فعلا في هذا المجال واستطاع فرض هيمنته على الطبقة الشغيلة في المدن .

أما في البوادي فقد تمكن الحزب من إحداث خلايا جديدة ورفع عدد مناضليه وعاطفيه داخل ثانوية أزرو « **الفرنسية - البربرية** » مثلا ، كما أنه وسع نشاطه في الأسواق ولقاءاته بالفلاحين وغيرهم من سكان القرى .

وبفضل هذه الأنشطة المكثفة أصبح حزب الاستقلال يمثل التشكلة السياسية الأولى في المغرب . وقد تجلى ذلك بصفة خاصة في نتائج الانتخابات لغرف مجلس شورى الحكومة سنة 1948 حيث أنه فاز بـ 14 مقعد من مجموع 21 .

وكان نشاط الحزب خارج البلاد موازيا لحيويته داخلها ذلك أنه استعمل كل إمكانات مكتب المغرب العربي بالقاهرة (علال الفاسي) ومكاتب الاعلام والتوثيق المحدثة بباريس ونيويورك لزيارة العواصم الأوروبية والمشرقية وغيرها ، لشرح مطالب المغرب المشروعة وكسب السند لها .

خصوصية حزب الشورى والاستقلال

إن ما نعت به حزب الشورى والاستقلال من مرونة و « **اعتدال** » بمعنى الكلمة السلبي والقدحي لايقوم على أي أساس موضوعي . ذلك أن تشكلة محمد بن الحسن الوزاني اتخذت أحيانا مواقف متطرفة تعدت أقصى ما ذهب إليه حزب الاستقلال مثلا .

فقد كانت جريدة الحزب « **الرأي العام** » ، تنتقد بشدة مجلس شورى الحكومة وتدعو لمقاطعته ذاكرة أن « **إدارة الحماية - بإقدامها على السماح بذلك الانتخاب ... إنما كانت تتوخى إتاحة الفرصة والمناسبة لظهور عناصر تعاونية جديدة تخلف الفئة التعاونية القديمة التي أخذت تتلاشى مع مرور السنين وكادت تشرف على الانقراض** » مضيفة أن السلطات الفرنسية تعمل كل ما في وسعها لتطبيق « **خطة رجعية** » و« **إنعاش سياسة ليوطي التي أكل الدهر عليها وشرب** » وذلك بإدخال « **عناصر من الشباب المغربي إلى المجالس الاستشارية ...** » .

وكان حزب محمد بن الحسن الوزاني يمتاز أيضا بنضاله من أجل حقوق المواطنين الأساسية - المساواة في الحقوق ، حرية الرأي والتجمع ، نزاهة الانتخابات ... - وإلحاحه باستمرار على مزايا الديموقراطية الحقيقية مبرزا مدى تطابقها مع مبدإ الشورى بمفهومها الاسلامي ومع آمال الشعب المغربي .

وذلك ما أوضحه بالضبط في عدد لايحصى من المقالات المنشورة على أعمدة « **الرأي العام** » وغيرها من الجرائد ، ومنها على سبيل المثال : « **إنما العز بالحرية** » ، « **أمة بدون قانون** » ، « **الحرية بين حماية القانون وعسف السياسة** » ، « **الدستور والقضاء** » ، « **حقائق عن نظام الأحزاب** » ألخ ... وهي مقالات تعكس فلسفة محمد بن الحسن الوزاني ورفاقه ونوعية منهجهم السياسي .

وقد لخص الحزب تحليلاته وتقييمه للأوضاع ولأفق العمل الوطني في المذكرة الرسمية (23 شتنبر 1947) التي رفعها للسلطان مؤكدا عزمه على متابعة النضال من أجل مغرب ديموقراطي ومستقل ، وهي مذكرة متطابقة في جوهرها مع ما ورد في خطاب طنجة ومع ما جاء في الملتمس الملكي (3 دجنبر 1947) الموجه لرئيس الجمهورية الفرنسية للرد على ما حاول المقيم العام ترويجه من تهم ملفقة للنيل من سمعة سيدي محمد بن يوسف .

وامتاز حزب الشورى والاستقلال ، فضلا عن حساسيته البالغة بكل ما يتعلق بحقوق المواطنين الأساسية والنظام الدستوري ، بتقييم خاص للأوضاع الدولية ولدور الجامعة العربية ومنظمة الأمم المتحدة .

زعماء الأحزاب الوطنية بعد التوقيع على « ميثاق طنجة 1951 » « الرفض لأي تعاون مع سلطات الحماية »
(وثائق حزب الاستقلال).

بالنسبة للجامعة العربية ، كان محمد بن الحسن الوزاني لاينسى حرص انجلترا على تأسيسها بمساعدة نوري السعيد لصيانة مصالحها في الشرق الأوسط خصوصا وأن حكومة لندن كانت سباقة إلى التفكير في صيغة جديدة لتأمين نفوذها وسيطرتها شرق قناة السويس دون اللجوء للسيطرة المباشرة وما تتطلبه من تكاليف مالية وإدارية وعسكرية.

كما أن حزب الشورى كان يشك في مصداقية وفعالية الأمم المتحدة الخاضعة ، في نظره ، خضوعا مطلقا للولايات المتحدة الأمريكية ، ويعتبر أنها مجرد « **عصبة أمم** » جديدة ولكن عقيمة .

ولم يفت الحزب من جهة أخرى إثارة الانتباه إلى ضرورة تعميق النضال القومي لفرض استقلال حقيقي من شأنه وقاية البلاد من خطر « **الاستعمار الجديد** » .

وخصوصية الحزب هذه كانت لاتعني انغلاقه على نفسه وانعزاله . الواقع أنه نهج سياسة متفتحة تجاه الأحزاب الأخرى ، فوحد غير ما مرة خططه مع حزب الاستقلال ووقع على اتفاق التزم بمقتضاه كلا الطرفان بـ :

– رفض ترشيح مسؤوليهما للمناصب الرسمية .

– تنسيق جهودهما على المستوى الدولي.

– قبول اليهود المغاربة – باستثناء المتجنسين والصهاينة – في صفوفهما .

في مرحلة لاحقة تقوت هذه القاعدة بعد أن انضم لها ، ضمن الكتلة الموسعة المشكلة في طنجة سنة 1951 ، زعماء أحزاب المنطقة الشمالية .

تحولات الحزب الشيوعي المغربي

إن رفض مشاركة الحزب الشيوعي المغربي و « إقصاءه » من الكتلة المحدثة بطنجة لم يمنعه من فرض وجوده على الساحة الوطنية وذلك ضمن الاستيراتيجية التي اختارها سنة 1946 بعد اقتناعه بضرورة التكيف مع أوضاع البلاد الخاصة ، البنيوية منها والظرفية ، ونقل « **التناقض**

الأساسي » بمفهومه الماركسي من مستوى الصراع الطبقي إلى مستوى النضال الوطني ... وذلك دون إهمال لمصالح الطبقة الكادحة ولتضامن الشعوب المتطلعة إلى الانعتاق والاشتراكية .

وعلى إثر المقابلة - غشت 1946 - التي حظي بها الحزب الشيوعي من طرف سيدي محمد والتي أكد خلالها العاهل لأعضاء الوفد « **إن الوقت قد حان لكي تتمتع كل الشعوب بحقوقها الديموقراطية ، وهي حقوق منسجمة تمام الانسجام مع تعاليم الاسلام الحنيفة** » أصبح وجود الحزب يكتسي صبغة خاصة حيث أن المقابلة الملكية اعتبرت بمثابة تزكية من أعلى مستوى لتطلعات الشيوعيين « **الوطنية** » وما كانوا يعتقدونه من آمال « **لاندماجهم** » كحزب كامل العضوية ضمن التيار الوطني المغربي .

والواقع أن الحزب الشيوعي كان يستحق اندماجه هذا نظرا لما امتاز به مناضلوه من حماس وروح قتالية مرتفعة واستعداد لخوض المعارك السياسية والنقابية .

ولفرض إرادة الشعب وانتزاع الاستقلال كان الحزب لايكتفي بتعبئة مناضليه ومحبيه بل كرر مرارا النداء من أجل وحدة الصف وتكثيف الجهود لمواجهة الاستعمار وحلفائه داخل البلاد وخارجها .

كان هناك إذن قاسم مشترك بين هذه الأحزاب كلها بسلفييها وليبراليها وماركسييها : الكفاح من أجل استقلال البلاد والرفض القاطع لكل المساومات الفرنسية .

غموض سياسة الجنرال فرنكو في المنطقة الشمالية

إن ارتباك سياسة فرنكو وغموض وعوده إبان اندلاع الحرب الأهلية الاسبانية واعتماده على « **الموروس** » لقلب النظام الجمهوري ، أغريا لفترة وجيزة وإلى حد ما بعض الزعماء الوطنيين في شمال البلاد ، وعاصمتها تطوان بالذات .

إلا أن الأوضاع سرعان ما انقلبت رأسا على عقب بعد الحرب العالمية الثانية ذلك أن تجذر الحركة الوطنية لم ينحصر في « تطرف » الأحزاب تجاه السلطات الفرنسية والاقامة العامة بالرباط وحسب ، بل شمل أيضا **حزب الوحدة المغربية** (المكي الناصري) **والحزب الوطني للاصلاح** (عبد الخالق الطريس) .

وقد وجه الحزبان انتقادات شديدة للمندوب السامي الاسباني - خصوصا بعد اجتماعه بزميله الفرنسي الجنرال جوان بطنجة سنة 1948 - ولتآمره ضد الوطنيين والاكتفاء بتقديم إصلاحات سطحية واتخاذ إجراءات - مثل تجريد قوات الأمن الأهلية من سلاحها وتسريحها - من شأنها إضعاف الحكومة الخليفية وتوطيد السيطرة الاستعمارية .

والواقع أن المندوب السامي كان واعيا تمام الوعي باتساع الهوة بين المغاربة والاسبان وبحتمية الاستعداد لشن حملة قمعية واسعة « لاقناع » الوطنيين وإرغامهم على التحلي بروح الاعتدال ومراجعة مطالبهم « المتطرفة » .

وهذا استنتاج وصلت إليه المندوبية السامية خصوصا بعد ما لمست حماس الوطنيين خلال لقائهم في طنجة (ابريل 1947) بعاهل البلاد وولي العهد المولى الحسن والأميرة للاعائشة وإلقاء كلمات بين أيديهم للتعبير عن الولاء والالتزام بالمطالب الوطنية وكذا ابلاغهم تضامن سكان الشمال المادي والمعنوي مع ضحايا أحداث الدار البيضاء .

لقد كشفت أحداث يناير-فبراير 1948 القناع عن نوايا اسبانيا الحقيقية .

ذلك أن اسبانيا لم تتردد في استعمال القوة لتكسير الاضراب العام المعلن عنه للاحتجاج على إغلاق أبواب المنطقة الشمالية في وجه بعض الزعماء الوطنيين - عبد الخالق الطريس ، محمد بن عبود ، المهدي بنونة - العائدين إلى ديارهم بتطوان بعد قيامهم بحملة دعائية واسعة في أمريكا والشرق الأوسط - بمشاركة علال الفاسي - لصالح القضية الوطنية .

وقد تسبب إطلاق النار على المتظاهرين ، المرددين لشعارات وأناشيد مناوئة للاستعمار الاسباني والفرنسي ، في إصابة وقتل أو جرح عدد كبير من أهالي تطوان والشاون والعرائش والقصر الكبير . الأمر الذي خلف ردود فعل عنيفة داخل البلاد وخارجها حيث ندد بطل حرب الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي ، الرئيس الشرفي للجنة تحرير المغرب العربي (القاهرة) ، بأعمال اسبانيا الوحشية وبنظامها الفاشي ، وأثنى على « **الشعب المغربي البطل** » وما يقدمه أبناؤه من تضحيات جسام .

كما وجه الوطنيون في المنطقة الخاضعة للسيطرة الفرنسية سيلا من البرقيات لجامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة لاستنكار أحداث تطوان الدامية وأساليب القمع الوحشية التي نهجتها السلطات الاسبانية وكذا حملة الاعتقالات الواسعة التي تعرض لها المواطنون والرقابة الصارمة المفروضة على الصحافة وإثقال كاهل السكان بالغرامات ومنع خطب الجمعة بالمساجد والجوامع .

الاستعمار ومآسي الجماهير اليومية

إن تصلب الحركة الوطنية وتجذرها على المستوى القيادي كان له ما يوازيه لدى الجماهير الشعبية التي كانت تبدي استعدادها التام للقيام بالمظاهرات في الشوارع ، وشن الاضرابات في المناجم والمصانع والمواصلات العمومية وغيرها من القطاعات ، وبصفة عامة تجاوز أساليب المرحلة الوطنية الاصلاحية وطابعها « **السياسي** » والنخبوي ، والانتقال إلى طور جديد يفرض استعمال السلاح ان اقتضى الحال لمواجهة الاستعمار وتحدياته .

وبفضل وعيها استطاعت الجماهير إفشال المحاولات الرامية إلى إقناعها بحسن نية فرنسا و « تفانيها » في خدمة مصالح المغرب العليا وكذا « مساعيها » لتحسين أوضاعها المعاشية والسكنية والتعليمية و « الانعام » عليها ، رغم معارضة « بعض الجهات » ، بمؤسسات « ديموقراطية » .

وقد كان فعلا من المستحيل الحصول على أية نتيجة ملموسة في هذا الباب حيث أن العمال والفلاحين والعاطلين كانوا يدركون تمام الادراك مدى التفاوت بين « **الخطاب** » الفرنسي من جهة ، ومن جهة ثانية ، تفاهة « منجزات فرنسا الاجتماعية » . فسواد الأمة كان يتحمل 90 % من مجموع الضرائب المباشرة ويدفع كضريبة على السكر وحده ما يعادل 14 % من مجموع مداخل الدولة العادية . وإذا كانت الفوارق بين المغاربة والجالية الأوروبية تتأرجح بين 1 و 10 في المدن فإنها تراوحت بين 1 و 22 في البوادي .

ومقابل هذه المساهمة الجبائية الهائلة ، فإن النفقات المخصصة لتعليم أبناء المغاربة وبناء مدارس لهم كانت لاتتعدى 7 % من مجموع نفقات الدولة . الأمر الذي تسبب في ضآلة نسبة التمدرس : 145.000 تلميذ مسجلين رسميا بمختلف الأقسام في حين أن عدد الأطفال البالغين سن الدراسة كان يفوق 1.870.000 .

ورغم حصول أقلية محدودة على المقاعد وتسجيلها بالمدارس ، فلا يمكن اعتبارها بمثابة أقلية محظوظة . ذلك أنها كانت تقع فريسة الاستيلاب الثقافي وتشويه الهوية نظرا لقيام المدارس المحدثة في إطار الحماية على اساس التمايز الاثني والعقائدي وهيمنة اللغة الفرنسية .

فاللغة العربية أصبحت لغة مهمشة باعتبارها مجرد « لغة أجنبية » بالنسبة للمدارس « **الفرنسية-العربية** » والمدارس « **أبناء الأعيان** » ولغة متجاهلة أو ممنوعة في ، على التوالي ، المؤسسات « **الفرنسية-الاسرائلية** » و « **الفرنسية-البربرية** » .

وللحفاظ على مكانة اللغة الفرنسية وضمان سيطرتها الثقافية عملت فرنسا على إفشال مقترحات سيدي محمد بن يوسف الذي كان يدعو إلى تأسيس لجنة مختلطة لوضع « **ميثاق تربوي** » بهدف تحسين الأوضاع التعليمية في البلاد ، وتوحيد البرامج ، وإقرار مجانية التعليم وإجبارية الطور الابتدائي وإعادة الاعتبار للغة العربية ولمكانتها .

وبالاضافة لتفاهة المنجزات الاجتماعية وما يترتب عنها من مآسي وانتشار للجهل ، كانت الجماهير تعاني أيضا من غلاء المعيشة (ارتفعت الأسعار بنسبة 60 % خلال الفترة المتراوحة بين

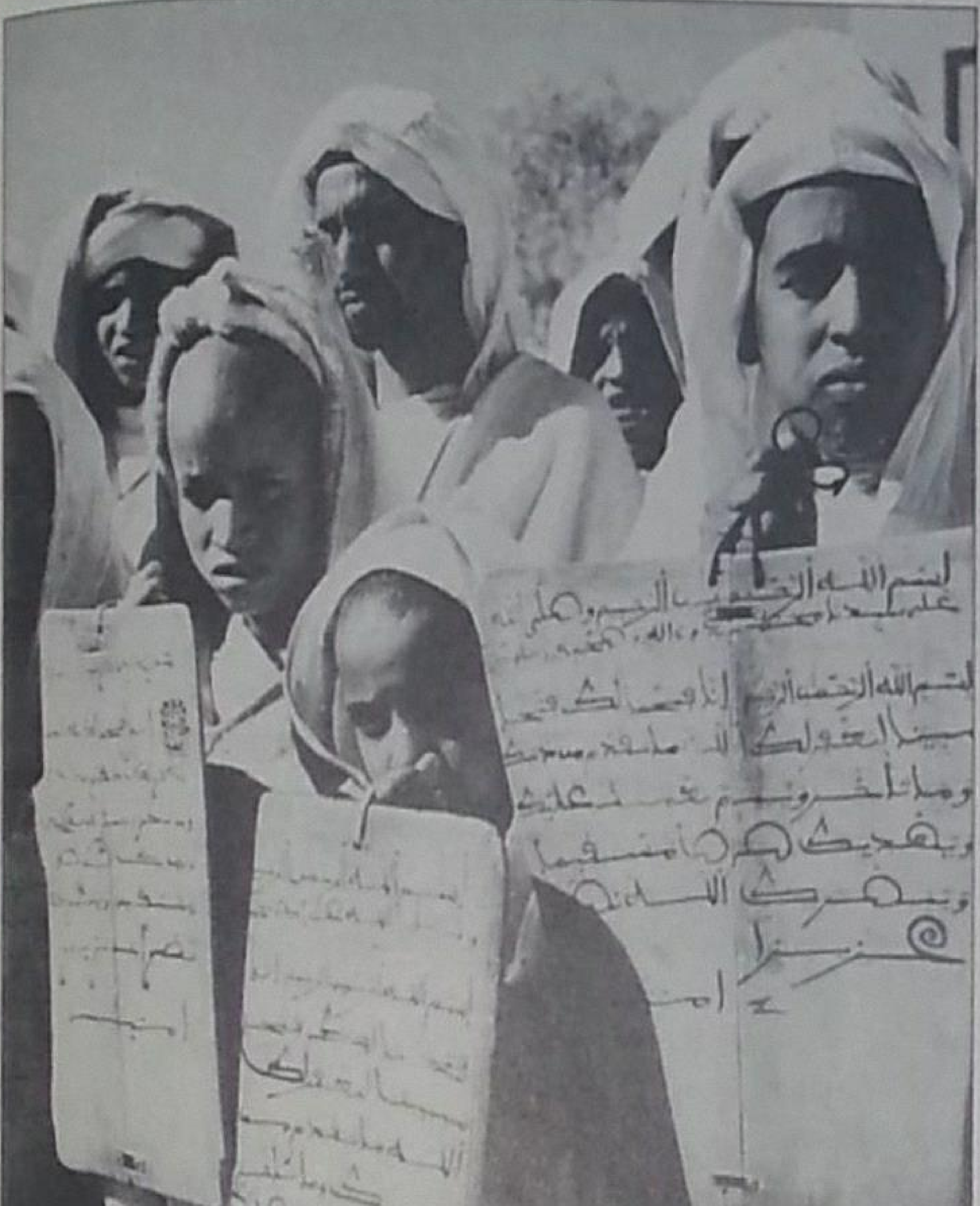

إغلاق أبواب التعليم العصري في وجه أبناء الشعب
(وثائق حزب الاستقلال).

1948 و 1952) وهزالة الأجور ، مما أدى إلى تفاحش الفقر والبؤس في المدن والبوادي .

ففي المدن لم يواجه الحرفيون ارتفاع أسعار المواد الغذائية (السكر ، الشاي ...) والمواد الأولية الخام المستعملة في قطاعاتهم (الصوف ، الجلود ، الخامات المعدنية ...) وحسب ، بل تعرضوا كذلك لانهيار دخلهم وكساد مبيعاتهم بسبب المنافسة الأجنبية واكتظاظ السوق المغربية بالمنتوجات الصناعية المستوردة من اليابان وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بكل سهولة بفضل « **سياسة الباب المفتوح** » التي أقرتها اتفاقية الجزيرة الخضراء (1906) وفي غياب اي إجراء حمائي .

هذا بالضبط ما كانت تعاني منه القطاعات الحرفية بفاس ، وسلا ، ومراكش ، وتطوان الخ ...

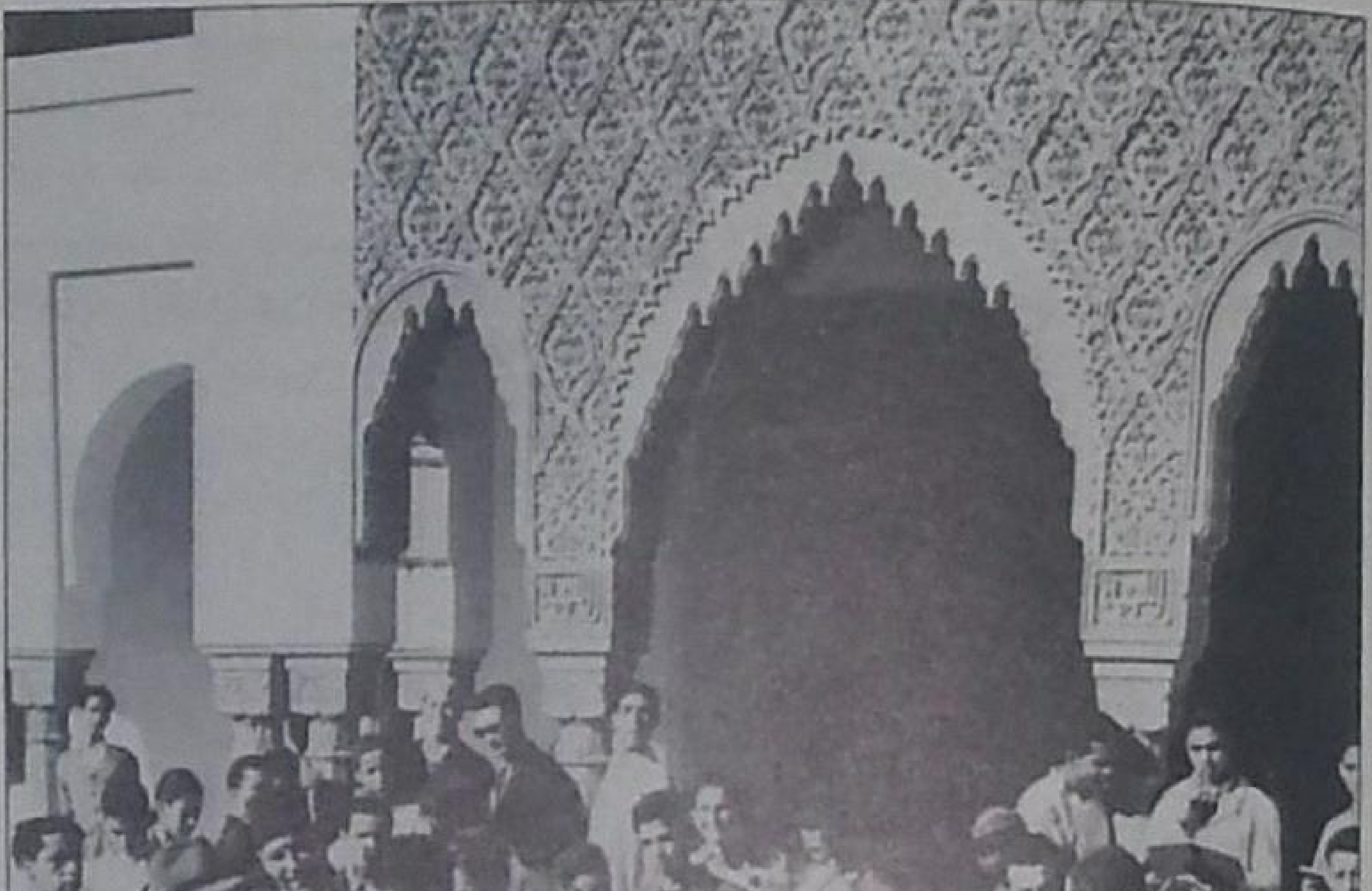

أما المراكز الحضرية « **العصرية** » فإنها كانت تواجه مشاكل اجتماعية متفاقمة نتيجة الارتفاع السريع لعدد سكانها خصوصا منهم العناصر التي هاجرت من البادية (بعد تلاشي البنيات الزراعية التقليدية) وتراكمت في أحياء الصفيح .

فسكان « **بن مسيك** » و « **كريير سنطرال** » أصبحوا يشكلون ما فوق 21 % من مجموع سكان الدار البيضاء المسلمين .

ورغم تخوفات بعض الأوساط من مخاطر امتداد أحياء شعبية غير قابلة للمراقبة ، فإن السلطات الفرنسية لم تتخذ أي تدابير عمرانية أو معمارية فعالة لتحسين ظروف المغاربة السكنية بل اعتبرت (متواطئة مع بعض المضاربين العقاريين) أن « **الضرورة الاجتماعية تفرض قيام أحياء الصفيح واستمرار وجودها** » .

لذلك ، فإنها اكتفت ، خصوصا بعد تعيين ميشال إكوشار على رأس المصالح المعمارية بالرباط ، ببعض المبادرات الجزئية بتعاون مع شركات مختلطة (عمومية خاصة) وأدخلت بعض التحسينات على مدن القزدير (ترتيب « البيوت » ، حملات التنظيف ...) كما أنها شيدت مجموعة من العمارات ذات الطاقة الإوائية المحدودة حيث أن العجز كان يقدر بما يتعدى 100.000 وحدة سكنية سنة 1949 .

النضال النقابي والكفاح الوطني

إن تدهور أوضاع الجماهير الغذائية والسكنية والتعليمية جعلها تلمس بسهولة جوهر المشكل القائم بين المغرب وفرنسا وتربط تلقائيا بين مآسيها والهيمنة الاستعمارية ، الأمر الذي دفع بها إلى تجاوز مسألة المطالبة بالزيادة في الأجور .

ثانوية مولاي يوسف ... مؤسسة لفائدة الأقلية : أبناء الأعيان . (تصوير ج . بلاش)

وهكذا تأكد تدريجيا الالتحام والانصهار بين النضال الاجتماعي والنضال السياسي .

وقد أدرك أرباب المصانع ومسيرو نقاباتهم تمام الادراك مدى خطورة ارتباط النضالين ، النقابي والسياسي ، ارتباطا عضويا ، وما كان يشكله ذلك من تهديد لمصالحهم خصوصا إثر موجة الاضرابات التي شنها ، سنة 1948 ، عمال المصانع السكرية والحديدية بالدار البيضاء ، وعمال مناجم الفوسفاط بخريبكة والفحم بجرادة .

ولايقاف المد النقابي – السياسي لم يكتف أرباب المصانع بتسريح العمال المضربين بل شنوا حملة دعائية واسعة لابراز طابع الاضرابات السياسي وحث السلطات على اتخاذ الاجراءات القمعية اللازمة ضد « المشوشين » ورفاقهم .

وللنيل من معنوية العمال وفك « **الكتلة** » النقابية-السياسية ، استعملت الاقامة العامة كل ما لديها من وسائل ردعية وقمعية . إلا أنها لم تصب أهدافها ذلك أن العمال كانوا واعين بجسامة ما يتطلبه الاستقلال من تضحيات ولأن الأحزاب الوطنية كانت تكثف نشاطها للتغلغل في الأوساط العالمية وتأطيرها .

ولتقوية قاعدتها الشعبية وتنظيمها شجعت الأحزاب العمال على الانخراط في **الاتحاد العام لنقابات المغرب** والتحرك للسيطرة على مناصبها القيادية .

وتتويجا لكل هذه المجهودات استطاع المغاربة فعلا تحقيق مراميهم خلال الانتخابات النقابية (نونبر 1950) واحتلال مراكز القيادة إلا أن المناضلين الفرنسيين لم ينسحبوا بل احتفظوا ببعض المناصب وذلك لضمان استمرارية النقابة قانونيا ، وواجهة المشروعية بما أن المغاربة كانوا لايتمتعون بحق تأسيس نقابات مغربية صرفة .

واثر هذا الانتصار تضاعفت خطة « **تسييس** » العمل النقابي وتعبئة الطبقة العاملة لخدمة مصالح البلاد العليا . وقد تجلى ذلك في المطالب المتمخضة عن أشغال المؤتمر المنعقد خلال شهر دجنبر 1950 حيث أصدر **الاتحاد العام لنقابات المغرب** ملتمسا يطالب فيه بإلغاء نظام الحماية والاعتراف باستقلال المغرب .

تدجين البوادي ؟

أحدثت فرنسا شبكة إدارية-عسكرية كثيفة في البوادي المغربية بهدف « تجميد » تطورها وشل حركة سكانها . فأخضعتهم لمضايقات مماثلة – إلى حد ما – لـ « **قانون الأهالي** » المطبق على أهل الجزائر .

ولتسهيل مامورية ضباط الشؤون الأهلية والمراقبين المدنيين قدمت الاقامة العامة امتيازات مادية هائلة وتسهيلات شتى للقوات المحلية المحافظة وحثتها على « التعاون » معها لـ« تهدئة » البلاد وضمان استقرارها و « رفاهيتها » .

إلا أن التهدئة والاستقرار والرفاهية كانت تعني بالنسبة للعامة المعاناة اليومية من استبداد السلطات الفرنسية وأعوانها ، والتعبئة العشوائية في مزارع كبار القواد والأعيان أو الأوراش العمومية وراء قناع « **التويزة** » ، وكذا التجنيد لدعم المجهود الحربي الفرنسي ومغامرات فرنسا الاستعمارية في الهند الصينية حيث وصل عدد الجنود المغاربة هناك (من زيان ، زمور ، غياية ، برانص ...) إلى 70.000 مقاتل سنة 1950 .

كما أن ذلك كان يعني أيضا تعرضهم للاستنزاف الجبائي (ارتفعت الضرائب بنسبة 40 % خلال سنة 1951 وحدها) ، واستحواذ المعمرين على أراضيهم . وإذا كان عدد هؤلاء المعمرين لايتعدى 4.500 فإن مساحة الأراضي الخاضعة لسيطرتهم تجاوزت 1.000.000 هكتار سنة 1948 حققوا بفضلها أرباحا باهضة خصوصا وأنها كانت تقع في المناطق الخصبة وتستفيد من التجهيزات العمومية (مقاومة المستنقعات ، بناء السدود وقنوات الري) والتقدم التقني (الأسمدة ، البذور المختارة ، الجرار ، الات الحصاد ...) وشبكة التسويق (مخازن ، مستودعات ، سكك حديدية ألخ ...) والتسهيلات البنكية (قروض) والمالية (مساعدة عمومية تشجيعية) فضلا عن ضآلة الأعباء الجبائية .

وبالرغم من تراكم أرباحهم وثرواتهم ، فإن المعمرين لم يترددوا للمطالبة بإلغاء كل الحواجز القانونية والعرفية التي كانت تقف في وجههم وتعوق تسلطهم على المزيد من الأراضي ولو تعلق الأمر بالأراضي الجماعية أو المخزنية غير القابلة مبدئيا للبيع والتفويت .

والملاحظ أن **الغرف الفلاحية الفرنسية** وعلى رأسها كوسطاف أوكوتوبي ، وهو أحد « إقطاعيي » مكناس وركيزة من ركائز التيار الفرنسي اليميني المتطرف ، جندت كل إمكاناتها ومارست الضغوط تلو الضغوط لفتح المجال أمام المعمرين والسماح لهم بالاستحواذ على أراضي إضافية في السهول الخصبة وغيرها من المناطق .

وبالطبع فإن هذه الغرف كانت لاتبالي بما يتولد من مآسي بالنسبة للمغاربة وتهميش بسبب نمو القطاع الفلاحي « **العصري** » على حسابهم و « اكتفائهم » بالأراضي العقيمة ، وتعرضهم للتقلبات المناخية والجفاف ، وسقوطهم بين أيدي المرابين ، وبصفة عامة ، إفقار غالبيتهم الساحقة وتحويلها إلى مجرد يد عاملة متجولة بحثا عن لقمة العيش في المزارع التي تشكلت فوق أراضي أبائهم وأجدادهم وذلك مقابل أجور هزيلة .

وهذه « الأجور » كانت أحيانا تدفع لهم عينا رغم تناقض هذه الممارسة مع النظام الرأسمالي واعتياد المزارع على أحدث أساليب التدبير والاستغلال والتسويق ... إلا أن الغرف الفلاحية كانت تغض الطرف عن ذلك ولا تنهى المعمرين عن مثل هذه الممارسات حيث أنهم

كانوا يجمعون كلهم حول هدف أساسي : تحقيق أقصى ما يمكن من الأرباح بصرف النظر عن نوعية الوسائل المسخرة لبلوغ هذه المرامي .

إن هذه البنيات والذهنيات والتصرفات كانت في طليعة العوامل التي ساهمت بقسط وافر في افراغ ادعاءات الاقامة العامة (بعد 1947) من دلالتها واستحالة حصولها على أدنى مصداقية . فشعارات « تحسين ظروف الأهالي المعاشية » والانعام على البلاد بنظام « ديموقراطي » لم تغر أحدا وبقيت مجرد « شعارات » عقيمة .

تجربة التعاونيات وفشلها

وبجانب تدخلها بكل قواها وثقلها لمؤازرة الجنرال جوان ومغالطة الجماهير وإغرائها ، عملت الغرف الفلاحية على إفشال الاجراءات الجزئية التي كانت تتخذ من حين لآخر للتخفيف من حدة التوتر الاجتماعي–السياسي .

وهكذا تجند المعمرون لاجهاض التجربة التي بادر بها **جاك بيرك** – بعد إسناد منصب له على المستوى المركزي – للتخفيف من وطأة الفقر في البوادي وإيجاد حلول للأوضاع الناجمة عن تلاشي الهياكل القبلية التقليدية واضمحلال قاعدتها العقارية لاسيما وانه لمس بشكل مباشر مآسي البوادي عندما كان يقوم بمهام مراقب مدني في بعض نواحي الغرب والأطلس .

تحت شعار « **الجماعة فوق الجرار** » كانت تجربته تحاول تجاوز مشروع التعاونيات المحدثة سنة 1921 لحث السكان على « الاستقرار » بدواويرهم ومداشرهم ، ولتحسين الانتاج الفلاحي وذلك بتعويد الفلاحين على أدوات الحرث العصرية (محراث حديدي) واستعمال البذور المختارة والأسمدة وتقديم بعض التسهيلات لهم لشرائها والتحرر من الربا وقيودها .

ولتفادي سلبيات تجربة 1921 وفشلها النهائي بسبب قلة إمكاناتها المادية وتحول التعاونيات إلى أداة سياسية تحرس البوادي وتراقبها ، حاول جاك بيرك التوفيق بين التحديث التقني من جهة ومن جهة ثانية إنتاش الهياكل القبلية التقليدية وذلك باللجوء لاقتراع ديموقراطي لانتخاب مسيري « **الجماعة** » وتفويض زمام الأمور لهم لتسيير شؤونهم بأنفسهم ، مثلا : تنسيق وبرمجة الحرث والحصاد الجماعيين وتقييم مشاركة كل عضو من أعضاء التعاونية قبل توزيع الأرباح .

وقد دشنت فعلا ، هذه التجربة في المناطق التي كانت تتوفر على أراضي جماعية ، ونالت تأييد الاتحاد العام لنقابات المغرب والحزب الشيوعي المغربي باعتبارها مبادرة ذات مزايا اجتماعية واقتصادية ونظرا لتشابهها مع الخولخوزات السوفياتية .

وطابع التعاونيات « **الاشتراكي** » هذا ، شكل أحد العوامل السياسية التي انطلق منها المعمرون لابراز « الخطر الأحمر » وإمكانية « تفشي الداء » وبالتالي إقناع الاقامة العامة بضرورة التخلي عن هذه المبادرة وتحريف « وظيفتها » أي الاحتفاظ بواجهتها لتشديد المراقبة السياسية على البوادي واستعمالها كستار لاستحواذ المعمرين على الأراضي الجماعية .

جلالة الملك محمد الخامس يزور منطقة الغرب ، التي تعاني كباقي البوادي المغربية من سياسة التفقير والتهميش . (VIGIE ، 15 ماي 1947 . الخزانة العامة الرباط) .

أسطورة « البادية السليمة المحبة لفرنسا »

إن إجهاض كل المحاولات الاصلاحية وإفراغها من مدلولها الاجتماعي–الاقتصادي الأصلي كان يعني انغماس البوادي في مشاكلها وبؤسها والسخط على الاستعمار والمعمرين .

وغالبا ما كان منطق بديهي مثل هذا يغيب عن الاقامة العامة نظرا لاعتبارات شتى منها على الأخص تشبعها بطروحات الثوغرافيها وإلحاحهم على تعاطف سكان البوادي مع فرنسا وقابليتهم الفطرية « للاندماج » وتشبثهم بـ « الجمهوريات البربريةُ » وروحهـا « الديموقراطية » .

وتمشيا مع هذه الاديولوجية ، وبصرف النظر أيضا عن « دروس » الثلاثينيات وردود الفعل العنيفة التي سجلتها المناطق البربرية ضد مبادرة التقسيم الفرنسية (16 ماي 1930) ، صاغت الاقامة العامة أطروحة « خطر اندلاع **السيبة من جديد** » وحاولت استعمالها كشبح لتهديد السلطان وانتزاع مصادقته وتوقيعه على المشاريع « الديموقراطية » التي كان الجنرال جوان يضعها لتأمين استمرارية الوجود الفرنسي بالمغرب .

ولتفادي المجابهة المباشرة مع السلطات الفرنسية وتفويت الفرصة على الجنرال جوان الذي كان لايخفي استعداده لاستعمال العنف ضد العاهل المغربي إن اقتضى الحال ، أحدث سيدي محمد بن يوسف ديوانا ملكيا جديدا اعتمد في تكوينه على رجال مخلصين لمصلحة وطنهم العليا ، وذلك لابطال مفعول « الاصلاح » المتمثل في « ابتلاع » بقايا المخزن العتيق ضمن « **مجلس الوزراء والمديرين** » المزدوج .

الجنرال جوان : « لعبة البادية لتخويف السلطان » (تصوير : ج. بلان) .

ومن جهة أخرى ، ورغم تحفظاته تجاه رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء ووزارة الخارجية – الكي دورسي – ووعيه بمدى تواطئهم الفعلي مع الاقامة العامة ، قام السلطان بسلسلة من المبادرات السياسية قصد استغلال الحزازات الفرنسية الداخلية وحرص الجهاز المركزي بباريس على إخضاع « الرباط » لمسطرة السلم الاداري والاكتفاء بـ « تنفيذ » سياسة « الجمهورية » وعدم الاقدام على أية مبادرة دون « ضوء باريس الأخضر » .

لذلك تكاثرت البرقيات والمراسلات والملتمسات الملكية ، وكلها احتجاج على تصرفات الاقامة العامة وقلة لباقتها وخرقها لمعاهدة فاس ، وتذكير بما ورد في خطاب طنجة وضرورة الاعتراف باستقلال المغرب وسيادته التامة ضمن إطار ديموقراطي حقيقي .

لكن الحكومة الفرنسية كانت تكتفي بالمماطل ولا تستجيب للمطالب الملكية سواء منها المطالب الواردة في البلاغ المعلن عنه بتاريخ 24 شتنبر 1950 والداعية لـ « **فتح مناقشات سياسية** » قصد التباحث حول مستقبل المغرب ، أو المطالب التي تقدم بها رأسا سيدي محمد بن يوسف خلال زيارته لفرنسا في نونبر 1950 .

جماهير غفيرة حيث لتوديع جلالة الملك محمد الخامس لدى مغادرته الدار البيضاء متجها إلى فرنسا .

وانسجاما مع هذه الخطة كان المقيم العام يناور هو الآخر ويهدد ، فبعد التأكيد على صلاحياته الواسعة وسلطاته الخاصة – بما في ذلك سلطة « تقديرية » لعزل السلطان باعتباره ، على حد ما كانت الاقامة العامة تروجه ، أكبر حاجز يعوق « دمقرطة » المؤسسات المغربية .

كل ذلك كان لايمنع الجنرال من الادلاء وهو يخاطب مساعديه الأقربين :

« الاصلاحات ؟ مالنا والاصلاحات ! بالطبع لانحتاج إطلاقا للاصلاحات ! غير أننا في حاجة لاصلاحيين ولقسم مختص بالاصلاحات وخبراء يدرسونها ويفحصونها ويحللونها من كل جوانبها ... وأن تدوم هذه الدراسات وتطول أكثر وقت ممكن ! » .

المجابهة المباشرة بين الاقامة العامة والقصر

اعتبرت السلطات الفرنسية زيارة العاهل المغربي لفرنسا في شهر نونبر 1950 مجرد زيارة بروتوكولية لاتكتسي أية صبغة دبلوماسية أو سياسية ، واكتفت بحد أدنى في مراسم الاستقبال حيث أنها لم توفد سوى وزير الصناعة والتجارة لـ « الترحيب » بسيدي محمد بن يوسف بعد وصوله إلى مدينة بوردو .

وقد تخوف الزعماء الوطنيون من عواقب هذه الزيارة حيث أنهم كانوا يخشون تكرار « تجربة » 1945 حيث أعلنت الحكومة الفرنسية آنذاك عن عدم استعدادها للتفاوض مع السلطان وعن تشبثها بمقررات مؤتمر برازفيل ووحدة الامبراطورية الفرنسية وأراضيها في ما وراء البحار ، واكتفت بإنهاء « مهمة » المقيم العام كبريل بيو وتعيين خلف له .

وكان الوطنيون يخشون كذلك عواقب ضغوط الجنرال جوان ومناوراته الرامية إلى إكراه سيدي محمد على مراجعة مواقفه وعزله عن التيار الوطني .

والواقع أن هذه التخوفات كانت لاتنبني على أساس ، الأمر الذي تطمأن إليه الوطنيون بعد أن تحدثت الصحف البارسية عن ملتمس السلطان ودعواه لفتح حوار مثمر « حول مستقبل المغرب » واستقلاله وكذا انتقادات العاهل للانتهاكات المرتكبة من قبل المقيم العام وأعوانه ، وللحلول الجزئية التي اقترحتها الحكومة الفرنسية .

لقد فضلت فعلا الحكومة الفرنسية تجاهل جوهر « **الأزمة المغربية** » ، وحصرت ما كانت ترتئيه من حلول في بعض النقط المحدودة ووعدت بتشكيل لجنة مختلطة فرنسية – مغربية للانكباب عليها ودراسة تفاصيلها .

وضمن هذه الخطة تعهدت فرنسا مبدئيا بالتفكير في إمكانية تخفيف الرقابة والقوانين الاستثنائية المفروضة على الصحافة ، والاعتراف بالحقوق النقابية وحرية تأسيس منظمة نقابية مغربية صرفة ، وتوسيع صلاحيات المخزن في مجال التجارة الخارجية ، وإعادة تنظيم مجلس شورى الحكومة ، وإنهاء الاقامة العامة وكفها عن التدخل في شؤون المخزن الداخلية والتطفل في اختيار القواد وتعيينهم .

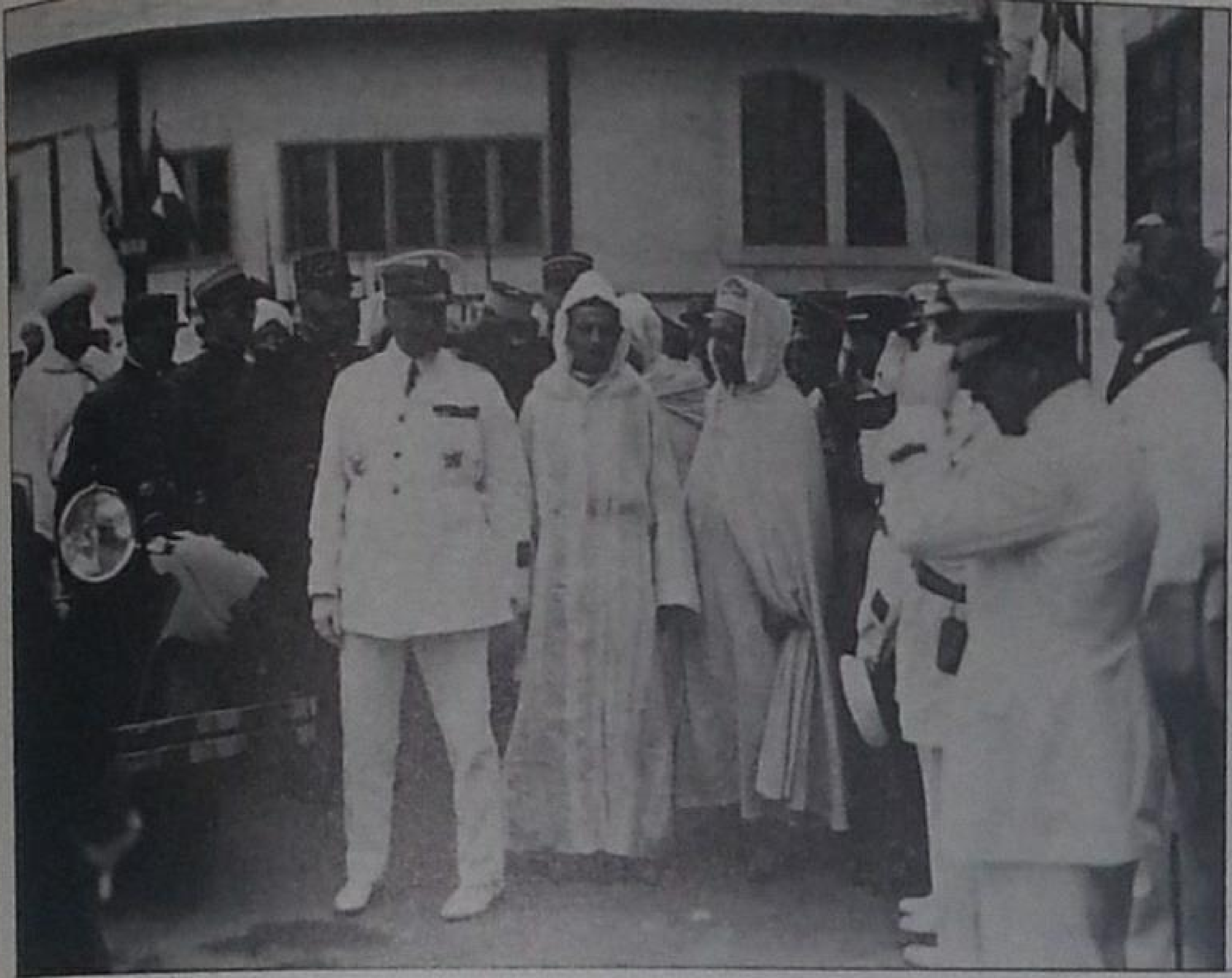

أكتوبر 1950 : سفر سيدي محمد بن يوسف إلى فرنسا من أجل مفاوضات سياسية تحدد مصير المغرب .
(مصلحة الاعلام العامة) .

وكل ذلك اعتراف ضمني بطبيعة السيطرة المسلطة على المغاربة وبالتباين الشاسع بين مقتضيات معاهدة فاس والممارسة اليومية .

أما مطلب السلطان الأساسي ، الاستقلال ، فإنه بقي معلقا ومتجاهلا .

وبعد انتهاء زيارته لفرنسا عاد العاهل إلى أرض الوطن حيث خصصت له الجماهير استقبالا حماسيا حاولت الرد به على الاستقبال الحار الذي أعده المعمرون لـ « بطلهم » الجنرال جوان الذي عرج على الهند الصينية – حيث قام هناك بتفتيش القوات الفرنسية والوحدات المقاتلة ضد الثوار الفيتناميين – معبرا بجولته هذه وبتصريحاته للصحافة البارسية عن تشبثه بوحدة « الامبراطورية الاستعمارية » واستماتة الفرنسيين في الدفاع عنها وعن « **منجزاتها الحضارية** » .

غير أن المناورات والتهديدات لم تمنع سيدي محمد بن يوسف من صياغة ملتمس آخر (2 نونبر 1950) ألح فيه على ضرورة إلغاء معاهدة فاس والاعتراف باستقلال المغرب .

وقد كرر العاهل هذه المطالب بمناسبة عيد العرش (18 نونبر 1950) مؤكدا من جديد عزمه على تزويد المغرب المستقل بالمؤسسات الديموقراطية انسجاما مع المبادئ الاسلامية ومع متطلبات العصر ، كما أنه ندد من جديد بسياسة التماطل والمقترحات التي لاتتطرق لصميم الموضوع .

حملات الوطنيين

إن تضارب موقف السلطان والمطالبة بالاستقلال من جهة وتمسك الاقامة العامة

جلالة الملك لدى رجوعه من فرنسا وإلى يمينه المقيم العام ستيك . 1950 .
(مصلحة الاعلام العامة) .

بشعار « **الديموقراطية** » الفارغ ومبدإ « **السيادة المشتركة** » من جهة ثانية ، تفاقم بشكل خطير خلال شهري نونبر ودجنبر 1950 .

وللتخلص من السلطان وإنهاء تصلب العناصر « المتطرفة » التي كانت « لاتعترف بالجميل » و « تكن العداء لفرنسا » وتتآمر عليها في كواليس المنظمات الدولية والعواصم العالمية الغربية والمشرقية ، بدأت الاقامة العامة تخطط وتتخذ الترتيبات التطبيقية اللازمة لفرض إرادتها ووضع « حد نهائي للاضطرابات » .

وفي هذا الجو المشحون قرر الزعماء الوطنيون مقاطعة جلسات مجلس شورى الحكومة إلا أنهم تراجعوا عن قرارهم بعد فترة وجيزة واستأنفوا الحضور لاستغلال منصة المجلس لأغراض دعائية وإبراز تفاهة ما حققته فرنسا في الميدان الاجتماعي .

وهكذا انطلقت عاصفة الانتقادات المنهجية لتبدير أموال الخزينة العمومية وتخصيصها للمعمرين ولما يحتاجونه من تجهيزات أساسية ومساعدات تقنية . فبعد تدخل الجنرال جوان لانهاء هذه الانتقادات ومقاطعته لتدخل مقرر ميزانية الأشغال العمومية وطرده من قاعات الاجتماعات ، انسحب الوطنيون الآخرون تضامنا مع زميلهم وشكلوا وفدا توجه إلى القصر الملكي حيث استقبلهم سيدي محمد بن يوسف .

وإثر هذا الانسحاب والاستقبال الملكي أطلقت الاقامة العامة عنان الصحافة الفرنسية المتطرفة التي خصصت مقالات شديدة اللهجة للعاهل وللوطنيين مؤكدة أن مناضلي حزب الاستقلال ما هم في الحقيقة سوى « **شيوعيين متسترين** » و « **ملحدين** » و « **عملاء تحركهم موسكو** » ، وملحة على ضرورة تكفيرهم .

والملاحظ هو أن انسحاب مناضليه ومحبيه من مجلس شورى الحكومة ، أعاد لحزب الاستقلال حرية المبادرة وأنهى التناقضات التي كان يعاني منها بسبب التفاوت القائم بين تطرف « خطاب » بعض زعمائه وحربهم الكلامية ضد فرنسا من جهة ومشاركة مناضلين ومحبين استقلاليين في مجلس شورى الحكومة وبالتالي إتاحة الفرصة أمام الفرنسيين للتأكيد أن المغاربة يساهمون في تسيير شؤون بلادهم ويتعاونون مع السلطات الفرنسية .

إهانة الباشا الجلاوي

اكتسى التوتر المتولد عن طرد **الغزاوي** وجماعته من مجلس شورى الحكومة بعدا جديدا حينما انتهز باشا مراكش ، **الجلاوي** ، مراسيم العيد الصغير لانتقاد موقف السلطان وتأييده لـ « الملحدين » وكذا إبلاغ العاهل أن نشاطات حزب الاستقلال أصبحت ممنوعة في مراكش ونواحيها .

وردا على بطش الباشا وغلاظة لسانه وما كان ينطوي عليها من نوايا سيئة ، طرده سيدي محمد بن يوسف من القصر الملكي . والاقدام على إجراء مثل هذا كان لا يعني إهانة الباشا بصفته باشا وحسب ، بل توجيه لطمة لأمثاله وحماته .

ذلك ما استوعب الفرنسيون مغزاه عندما أطلقوا لسانهم مجددا وقاموا بحملة صحفية مسعورة لمؤازرة « أعز صديق فرنسا » والثناء على إخلاصه وتفانيه في خدمتها .

وفي جو زاده انعقاد تجمع استثنائي لحزب الاستقلال برئاسة أحمد بلافريج توترا واضطرابا ، حاول المقيم العام انتهاز الفرصة لارغام سيدي محمد بن يوسف على إصدار بلاغ رسمي يدين « أعمال » حزب الاستقلال وتحركاته . وبعد فشل الضغوط الأولى ، صعد الجنرال جوان تهديداته المباشرة حيث « وعد » السلطان بعزله عن العرش إذا ما لم يظهر ما تفرضه الأوضاع الراهنة من « مرونة » ويستجب لمطالب الاقامة العامة ، محددا أجلا لذلك : فترة غيابه عن الرباط وقيامه بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية رفقة رئيس مجلس الوزراء الفرنسي .

الكلاوي في باحة قصره بمراكش ، يرافقه الحاج إيدر أمين سره منذ 38 سنة .
(Paris Match ، مارس 1951 . الخزانة العامة . الرباط) .

الجدال حول القواعد العسكرية الأمريكية

تجدر الاشارة بهذا الصدد الى احتدام المعارضة الوطنية للتسهيلات المقدمة للولايات المتحدة الأمريكية قصد إقامة قواعد جوية ، وجوية – بحرية كبرى فوق التراب المغربي (بن كرير ، النواصر ، القنيطرة ...) وتعريض البلاد لمخاطر المجابهة العسكرية الأمريكية – السوفياتية .

بالنسبة لعلال الفاسي « إن تصرفات الجنرال جوان تشكل خرقا فادحا للقانون واستبدادا ... (ذلك) أنه رخص لاقامة قواعد جوية أمريكية دون استشارة صاحب الجلالة أو الشعب المغربي . »

أما محمد بن الحسن الوزاني فإنه وجه هو الآخر انتقاداته لاتفاقية « نوقشت وأبرمت في غياب السلطات الشريفية » وبعد إبراز الأخطار العسكرية التي أصبحت تهدد المغرب ألح زعيم حزب الشورى والاستقلال على مساوئ « هجرة أعداد وافرة من الأمريكيين وإقامتهم بالمغرب تحت ظل الامتيازات القضائية والجبائية » مضيفا في جريدة الرأي العام وتحت عنوان « الامتيازات الأمريكية بالمغرب » إن الولايات المتحدة « التي خرجت من عزلتها التقليدية ، وفرضت وجودها بالقوة والدولار على شطر عظيم من المعمور ، أصبح طموحا إلى السيادة والقيادة يقضي عليها بتوسيع دائرة مصالحها وامتيازاتها في جميع الأقطار التي لايشملها نفوذ الدولة المنافسة التي هي روسيا الشيوعية » . وقد أبدى محمد بن الحسن الوزاني استياءه وتشاؤمه من « وطن ابراهام لينكولن » .

وشارك الحزب الشيوعي المغربي بدوره في هذه الحملة ضد القواعد والامتيازات الأمريكية مبرزا سلبياتها العسكرية والسياسية وتشبث أمريكا بالامتيازات القديمة المنصوص عليها أساسا في معاهدة مكناس (1836) ومعاهدة مدريد (1880) والتي لم تلغ بعد 1912 رغم استجابة كل الدول الأخرى – بما في ذلك انجلترا سنة 1937 – لمطالب فرنسا في هذا الشأن .

ومما جاء في انتقادات الحزب الشيوعي :

« إن فرنسا الامبريالية لازالت تتعنت وتواصل خرقها الفادح لأقدس حقوق الشعب المغربي ... إنها تعمل على إدماج البلاد إدماجا فعليا ضمن الكتلة الأطلسية دون استشارة صاحب الجلالة ... إن الولايات المتحدة الأمريكية (من جهتها) تضرب عرض الحائط بحقوق شعبنا ... وتحاول فرض حماية أوسع من الحماية الفرنسية .. وأن تجعل من المغرب ميدانا للمعارك المرتقبة » .

إثر زيارته للولايات المتحدة وعودته إلى الرباط وانتهاء « الأجل » المحدد للسلطان . انتقل الجنرال جوان إلى طور جديد من التعامل مع سيدي محمد بن يوسف ، ذلك أنه تجاهل « نصائح » وإرشادات بعض الموظفين السامين في الكي دورسي وكذا « تحفظات » كتابة الدولة الأمريكية في الخارجية – حيث كانت حكومة واشنطن ترغب في حل دبلوماسي سلمي للأزمة المغربية لتأمين استقرار بلد أقامت فيه قواعد واعتبرته جسرا استراتيجيا هاما . تجاهل جوان كل ذلك واتخذ مجموعة من الاجراءات الردعية لاخضاع العاهل المغربي لإرادة الاقامة العامة .

قام الجنرال بمحاصرة القصر الملكي ببعض الوحدات من الجيش المعززة بالدبابات . وكذلك بتطويق فيلا الأمير مولاي الحسن ، ولم يترك للعاهل المغربي سوى مخرجا واحدا : إما التنازل عن العرش أو الاستجابة فورا لقائمة مشددة من المطالب المستعجلة ، منها على الخصوص :

– المصادقة الفورية على كل الظهائر المعلقة

– تعيين موظفين فرنسيين لمناصب القواد والباشوات

– إدانة حزب الاستقلال علانيا

– « تكفير » مناضليه « الملحدين »

– متابعة ومعاقبة أعداء الجلاوي

– الاعتراف بالجميل والثناء على ما تقوم به فرنسا من « جليل الأعمال » لصالح المغرب ...

وبالاضافة للتدابير العسكرية المشار لها آنفا ، ادعت الاقامة العامة أن القبائل البربرية **« المناهضة لحزب الاستقلال »** كانت على أتم الاستعداد للزحف على المدن وفي مقدمتها الرباط **« لاعادة المياه إلى مجاريها العادية »** والتعبير عن سخطها بالنهب **« كما كانت تعبر عنه قبل 1912 وبنفس الوسائل »** . وهذا كان يعني ، حسب ادعاءات الصحافة الفرنسية ، أن المغرب أصبح مهددا بالفوضى وبانتعاش « السيبة » .

والأمر لم يكن في الواقع سوى مؤامرة دبرتها الاقامة العامة وخططت لها بمساعدة ضباط الشؤون الأهلية والمراقبين المدنيين وكبار القواد المناهضين للحركة الوطنية وانتقال البلاد إلى طور جديد من تاريخها .

فـ **« الثورة البربرية »** المزعومة ، كانت – رغم كل الاحتياطات المتخذة لضمان « عفويتها » – عملية منهجية بادر بها الفرنسيون وأعوانهم وأشرفوا على مختلف مراحلها الاعدادية وعلى تنسيقها تنسيقا محكما . ولاغراء الناس عملوا على ترويج كلما خطر ببالهم من إشاعات وإن كانت إشاعات متضاربة مؤكدين لبعض القبائل أن السلطة تقوم بجمع فرسانهم للمساهمة في « سباق كبير للخيل » ، وللآخرين أنهم مدعوون للاستفادة من « حملة توزيع السكر » وللبعض الآخر أن المصالح الطبية قررت « تلقيح جميع السكان ضد داء السل » ألخ ...

وتحت هذه الضغوط المتزايدة ، خصوصا منها التحرشات والمناورات الرامية إلى حث المغاربة على الاقتتال والدخول في حرب أهلية ، قرر سيدي محمد بن يوسف (25 فبراير 1951) التراجع شيئا ما فقام بحل الديوان الملكي ، وعزل بعض الموظفين السامين في المخزن ، وعزل « عميد » القرويين ، كما أنه كلف الصدر الأعظم بإصدار بلاغ رسمي يندد بتصرفات « حزب ما » .

ومباشرة بعد الاستجابة لبعض مطالب جوان سارع السلطان للتأكيد أن كل ذلك انتزع منه تحت الضغط وتفاديا لحرب أهلية من شأنها أن تؤدي إلى تقهقر خطير للقضية الوطنية .

والواقع أن « انتصار » الجنرال خلال هذه « الجولة » الأولى كان انتصارا مشبوها . وتجدر الاشارة بهذا الصدد إلى ما أكده مراسلو جريدة « لوموند » الباريسية في أحد أعدادها المتضمنة لمقال يتحدث عن « أحداث » المغرب وما شاهده الصحفيون الأجانب وهم يتجولون في الأطلس والمناطق المجاورة .

« (وجدنا) الأهالي متجمعين على أطراف الطرقات ... قاصدين المكاتب الفرنسية ... يجلسون ساعات طويلة في ساحاتها دون صياح ولا إزعاج ... وإذا سألهم سائل عما يريدون أجابوا أنهم يطالبون فرنسا بعزل الباشا أو القائد ... بسبب موقفهم المناهض للسلطان والتامر ضد العاهل ... (وهذا) أمر غريب تحار له السلطات الفرنسية ...»

فـ « **الأزمة** » بعبارة أخرى لم تنل من شعبية سيدي محمد بن يوسف . بالعكس ، انها أسهمت في تدعيم مكانته كرمز للصمود في وجه الاستعمار . وذلك بالضبط ما حاول السكان التعبير عنه ،بوقوفهم – أو جلوسهم – أمام مكاتب المراقبين المدنيين وضباط الشؤون الأهلية مطالبين بعزل العناصر المتورطة في المؤامرة .

كان انتصار جوان إذن انتصارا وهميا لأنه ، من جهة أخرى ، لم يتمكن من انتزاع المصادقة الملكية على مشروع البلديات المزدوجة وحق مساهمة المواطنين الفرنسيين في سياسة البلاد مساهمة قانونية . محاولات الاقامة العامة في هذا المجال باءت بالفشل ، الأمر الذي كان يعني أن المعادلة لم تتغير : مبدأ السيادة المشتركة من جهة ، ومن جهة ثانية متابعة المطالبة باستقلال البلاد .

تشكيل الكتلة الوطنية

لمواجهة تزايد الضغوط الفرنسية والاسبانية قامت الأحزاب الوطنية بمجهودات مكثفة لايجاد صيغة تمكنها من تقوية النضال الوطني وفرض مطلب الاستقلال ، فعملت قبل كل شيء على إحداث قاعدة سياسية لتنسيق نشاطها الداخلي والخارجي ، وهكذا تم لقاء بمدينة طنجة خلال شهر أبريل 1951 بين مسؤولي حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال والحزب الوطني للاصلاح وحزب الوحدة المغربية ، والتزم الجميع بـ :

– مواصلة الكفاح لتحقيق استقلال البلاد التام واسترجاع سيادتها كاملة .

– رفض مشروع الانضمام للاتحاد الفرنسي

– رفض أي حوار لايقوم على الاعتراف بمبدإ الاستقلال

– التعاون مع جامعة الدول العربية

– عدم إبرام أي اتفاق منعزل مع الحزب الشيوعي المغربي ... ألخ .

لقاء الوطنيين بطنجة سنة 1951 . يبرز في الصورة على الخصوص كل من علال الفاسي وعبد الله كنون والمختار البقالي . (وثائق حزب الاستقلال) .

هناك أهداف شتى دفعت بالأحزاب المجتمعة بطنجة إلى رفض مشاركة الشيوعيين المغاربة وإقصائهم ، منها بصفة خاصة : الخلافات الاديولوجية ، تباين الأسس الاجتماعية – الاقتصادية ...الخ بالاضافة للصراع الحاد القائم بين الحزب الشيوعي وحزب الاستقلال لفرض هيمنتهما على الطبقة العاملة وأجهزة النقابات القيادية .

غير أن عملية الاقصاء هذه كانت لاتعني إطلاقا إفلات الشيوعيين من الحملات القمعية والاعتقالات والرقابة . كما أن التزام « القيادات » لم يمنع مناضلي حزب الشورى والاستقلال مثلا – على مستوى القاعدة – من التنسيق مع الشيوعيين والمساهمة معهم في العمليات الفدائية التي كانت تقوم بها منظمة « **الهلال الأسود** ».

وصول الجنرال كيوم

إن ترقية جوان بعد شتنبر 1951 لرتبة مرشال لم تكن سوى محاولة لاغراء الرأي العام الفرنسي وطمس الحقائق وإخفاء فشله الدريع .

قبل مغادرة المغرب وتسليم الأمور لخلفه ، قام جوان بجولة وداعية لطمئنة المعمرين . وخلال زيارته البروتوكولية للسلطان أكد أنه « **يشعر بأنه قام بواجبه وعمل على تحقيق آمال الشعب المغربي المشروعة خصوصا ما يتعلق بمساهمتهم في إدارة شؤون** » بلادهم .

غير أن انسحاب جوان لم ينه التوتر بل فتح مرحلة مجابهة جديدة ذلك أن ، الجنرال كيوم ، بمجرد وصوله إلى الرباط ، أعلن أنه ينوي مواصلة خطة « الاصلاحات ». وتصريحات مثل هذه لم تكن بالطبع تبشر بالخير .

والتمسك بـ « **الاستمرارية** » كان يعني بشكل خاص عدم مبالات الجنرال كيوم بمستجدات الأوضاع الداخلية والخارجية ، منها مثلا : تصلب موقف السلطان والزعماء الوطنيين – بعد « نكسة » فبراير 1951 – رغم استعدادهم للحوار البناء ، حماس الجماهير الشعبية المتزايد ومعنويتها العالية وميولها للعمل المباشر ، تلاشي تأثير القوة المحافظة وتقهقر نفوذها

الروحي – بالنسبة للطرق والزوايا – في البوادي ، تفاقم لاشعبية الباشا الجلاوي ألخ ...

أما على المستوى الخارجي فالتشبث المطلق باستراتيجية « **الاستمرارية** » ومبدإ « **السيادة المشتركة** » و « **الدمقرطة** » الزائفة ، كان يعني إهمال الأصداء الطيبة التي أصبحت تتمتع بها القضية المغربية وتطلعات المغاربة التحررية لدى العديد من الدول الاسلامية والعربية وأقطار أمريكا الجنوبية . وهي دول لها ثقلها – وإن كان ثقلا نسبيا – في منظمة الأمم المتحدة وجمعيتها العامة .

وكان على فرنسا من جهة أخرى مواجهة انشقاق الرأي العام الفرنسي نفسه وظهور تيار

الجنرال كيوم : « متابعة سياسة حلفه والتشبث بأهدافها » .
(منشورات Jeune Afrique) .

ليبرالي متعاطف مع طموحات المغرب الوطنية ومستعد للدفاع عنها على أعمدة الجرائد والمجلات الفرنسية وشرحها وإبراز مشروعيتها في ندوات ومحاضرات الخ ... وهذا بالذات ما عمل من أجله مثقفون أمثال فرنسوا مورياك ولويس مسنيون وشارل اندري جوليان وغيرهم من الليبراليين الذين حرروا المقالات والعرائض والملتمسات لدعم نضال المغاربة .

ولمواجهة هذه الأوضاع وضغوط القوى الوطنية المتزايدة ، اعتمد الجنرال كيوم على « **قيادة عليا** » شكلتها جماعة من « المخلصين » المتطرفين والمقتنعين بأنهم يملكون القدرة الكافية لفرض الحلول المناسبة لمصالح فرنسا الآنية دون مراعاة مطالب « الأهالي » والعناصر « المشوشة ».

احتضنت هذه القيادة العليا كلا من مدير الداخلية (مرسيل فالت) والمندوب لدى الاقامة العامة (جاك دو بليسون) ومستشار الحكومة الشريفة (جوفرو دو لتور دو بان فركلوس) وبالطبع حاكم ناحية الدار البيضاء السابق و « بطل » المعمرين ذوي النزعة الفاشية (فليب بونيفاس).

مقاطعة «انتخابات» نونبر 1951

أدى البحث عن نفس جديد « **لبرنامج الاصلاحات** » وعن حد أدنى من المصداقية في هذا الباب بالجنرال كيوم إلى الاعلان عن نية تنظيم انتخابات في المدن والبوادي لتجديد غرف مجلس شورى الحكومة .

وبما أن الجنرال وأعوانه كانوا لاينوون على الاطلاق تنظيم انتخابات نزيهة والالتزام بنتائجها ، ولكن استغلال شعار الاقتراع لأغراض دعائية وصياغة النتائج حسب متطلبات الظروف السياسية ، فإنهم سارعوا لاتخاذ كل الاجراءات اللازمة للحصول على النسب المائوية الملائمة للخطة المرسومة مسبقا .

وهكذا أعيد النظر في الخريطة الانتخابية وتم تضخيم المقاعد المخصصة للبوادي باعتبارها ، حسب الأطروحة الرسمية ، « محافظة » ومناهضة للاستقلال . فارتفع عدد الناخبين من 8.000 إلى 220.000 من بينهم 125.000 ناخب قروي كانت السلطة الفرنسية مقتنعة أنهم سيمتثلون لتعليمات القواد وتهديداتهم .

وللتضييق على الأحزاب الوطنية وتكبيدها خسارة شنيعة ، اخترعت الاقامة العامة إجراءات مسطرية معقدة ولم تترك ، مثلا ، سوى أجلا قصيرا لتقديم الترشيحات ، كما أنها منعت المرشحين من عقد تجمعات عمومية لعرض أفكارهم وبرنامجهم ، وشددت المضايقات على الصحافة في هذا الباب ومنعت نشر المقالات الدعائية .

ولكي تتفادى المفاجآت غير المرغوب فيها ولاحاطة « العملية » كلها بما يلزم من ضمانات تكميلية ، اختارت السلطات من يشرف على مكاتب التصويت ولجن فرز الأصوات وأقصت منها العناصر « المشبوه فيها » وممثلي المرشحين الوطنيين .

إن نزول الاقامة العامة بكل ثقلها حول « الانتخابات » إلى مهزلة أصبحت نتائجها معروفة مسبقا . لذا قررت الأحزاب الوطنية مقاطعتها .

وقد شهد يوم « الاقتراع » عدة مظاهرات واصطدامات واعتقالات أفسدت الجو « الديموقراطي » وبرهنت عن مدى ارتباط والتزام القاعدة الجماهرية بتعليمات المسؤولين الوطنيين . ذلك أن المقاطعة حققت نجاحا ساحقا في مختلف أنحاء البلاد حيث تراوحت نسبتها بين 80 و 90% (سيدي قاسم الخميسات ...) رغم لجوء السلطة إلى التهديد وممارسة كل انواع القمع حيث وصل عدد القتلى في مدينة الدار البيضاء وحدها 8 و 80 جرحى .

إنه لمن المفيد قياس استجابة المغاربة هذه لتعليمات المقاطعة بالفشل الذي منيت به دعوة الحزب الشيوعي السابقة للمواطنين الفرنسيين المقيمين بالمغرب وحثهم على مقاطعة انتخاب ممثليهم في مجلس شورى الحكومة باعتباره ، على حد تعبيره ، « **مهزلة ... اخترعت لاغراء المواطنين الفرنسيين وترويج ادعاءات كاذبة توحي بوجود الحريات السياسية وممارستها الحرة في هذا القطر** » والواقع ، حسب الحزب الشيوعي ، أن الأمر كان لايتعلق سوى بانتخاب « **ممثلي كبار المعمرين والتجار وأرباب المصانع ورجال الأعمال الوصوليين والسادة المرتشين (الذين) يساندون مساندة مطلقة ويدعمون سياسة القمع والبؤس ... المفروضة على الطبقات الكادحة بما في ذلك الطبقة الفرنسية نفسها** » .

ودعما للمكتسبات المحققة بمناسبة هذه « الانتخابات » انتهز سيدي محمد بن يوسف مناسبة حلول ذكرى عيد العرش (18 نونبر 1951) لدعوة الحكومة الفرنسية من جديد إلى فتح مفاوضات مع المغرب كي يتمكن هذا القطر من « **استرجاع سيادته كاملة وبناء العلاقات الفرنسية – المغربية على أسس جديدة** » .

مهمة مندوبي أمريكا اللاتينية

لم تتسرع الحكومة الفرنسية لتوضيح وعودها (أكتوبر 1950) وإحداث اللجن المختلطة المكلفة نظريا بتدارس ومتابعة تفاصيل هذه الوعود ، بل اكتفت بتعبئة دبلوماسيتها لافشال مساعي الوطنيين في كواليس الأمم المتحدة والمجهودات المبذولة لتسجيل المسألة المغربية في جدول أعمال جلسة الجمعية العامة الرابعة .

وفعلا استطاعت الدبلوماسية الفرنسية فرض وجهة نظرها حيث اكتفت الأمم المتحدة بتشكيل **لجنة لتقصي الحقائق** وتكليفها بزيارة المغرب ووضع تقرير حول الأوضاع القائمة فيه (فبراير 1952) .

خلال زيـــارتهم لبـــعض المدن المغربية – الدار البيضاء ، مكناس ، فاس ، مراكش ... – لمس أعضاء اللجنة الأممية ، وهم مندوبون ينتمون إلى أقطار أمريكا الجنوبية ، مدى تحمس المغاربة للاستقلال واسترجاع سيادة بلادهم كاملة . لمسوا ذلك بصفة خاصة لدى الجماهير التي احتشدت لاستقبالهم مرددة شعارات وأناشيد وطنية رغم ضغوط وتهديدات السلطة الفرنسية والقواد وفي مقدمتهم الجلاوي الذي انتقم من المتظاهرين بجلد واعتقال ونفي بعضهم ، « المحرضون على أعمال الشغب » بشكل خاص .

وقد تزامنت موجة الاضطرابات هذه مع حلول **ذكرى معاهدة فاس** وما يواكبها عادة من مظاهرات واعتقالات وإجراءات قمعية أخرى وفي طليعتها تشديد الرقابة ومنع الجرائد وصحافة حزب الاستقلال (العلم) وحزب الشورى والاستقلال (الرأي العام) والحزب الشيوعي المغربي (إسبوار) .

قرار محكمة العدل الدولية

وصادف حلول هذه الذكرى من جهة ثانية تكثيف نشاط سيدي محمد بن يوسف السياسي ورفع **ملتمس ملكي** آخر (15 مارس 1952) لرئاسة الجمهورية الفرنسية – اقتنع الجنرال كيوم أن « **الابن (مولاي الحسن) الحاقد على فرنسا** » هو محرر سطوره الحقيقي – للمطالبة الملحة بمراقبة وضبط تصرفات ومناورات الاقامة العامة ، ورفع حالة الحصار وكل التدابير الاستثنائية الجاري بها العمل في المغرب ، والاعتراف بحقوق الرعايا المغاربة الأساسية ، وتشكيل حكومة مغربية مؤقتة للتفاوض مع فرنسا ومراجعة العلاقات المغربية – الفرنسية وتحديد أسس جديدة لها .

وحرصا منه على اجتناب أجوبة الحكومة الفرنسية المعتادة ، ألح سيدي محمد بن يوسف في ملتمسه بشكل خاص على ضرورة إنجاز وثبة إيجابية إلى الأمام وتجاوز الحلول الجزئية .

ومن الناحية النظرية كانت الأوضاع الدولية الجديدة تفرض هي الأخرى إيجاد صيغة جديدة للتعامل مع المغرب حيث أن محكمة العدل الدولية بلاهاي أصدرت قرارا يؤكد بكل وضوح استمرارية شخصية المغرب السياسية بالرغم من خضوعه لنظام الحماية والسيطرة الفرنسية – الاسبانية ، وانه يشكل من الناحية القانونية الصرفة دولة ذات سيادة . (27 أبريل 1952) .

إن اعتراف القانون العام الدولي بـ « **شخصية المغرب السياسية** » وبأنه « **دولة ذات سيادة** » نسف من أساسه مبدأ « **السيادة – المشتركة** » و « **البلديات المزدوجة** » ومشروع منح حقوق سياسية للجالية الفرنسية وإشراكها بكيفية شرعية في تسيير شؤون البلاد .

مواصلة سياسة التماطل

اتخذت الحكومة الفرنسية موقفا انتظاريا ولم تعقب رسميا على الملتمس الملكي (15 مارس 1952) إلا بعد مضي ستة أشهر (17 شتنبر 1952) وقبيل انعقاد الجلسة السابعة لجمعية الأمم المتحدة العامة بنيويورك .

لاغراء الرأي العام – قبيل المناقشات الأممية – وربح الوقت بعثت الحكومة الفرنسية برسالة جوابية ذكرت فيها بتشبثها بمقتضيات معاهدة فاس وفوائد مرحلة – غير محدودة – لـ « تعويد الشعب المغربي على الديمقراطية »

وذلك بتنفيذ الخطة التالية :
– انتخاب البلديات المزدوجة
– تعميم « **الجماعات الادارية القروية** » (أحدث بعضها في بعض الأقاليم الشرقية وسوس)
– تمتين الصلة بين الفرنسيين والمغاربة على مستوى المخزن المركزي وإلحاق الكاتب العام للحماية (فرنسي) بالصدر الأعظم .

وبالاضافة لبرنامجها الاصلاحي هذا لم تبخل الحكومة الفرنسية بإرشاداتها « ونصحها » للمغاربة وتحذيرهم ، على لسان وزير الخارجية روبيرشومان ، من عواقب « **سراب الاستقلال** » و « **أوهامه الخادعة** » ، في الوقت بالذات الذي تحدثت فيه المذكرة الملكية عن « **أيام الاستعمار المحدودة** » وإشراف المغرب على عهد جديد من تاريخه .

إن تشبث الحكومة الفرنسية بخطة سياسية متجاوزة خلف انشقاقا متزايدا في صفوف الفرنسيين أنفسهم وساعد ، إلى حد ما ، على تقوية التيار الليبرالي سواء في فرنسا أو داخل المغرب .

وقد تجلى ذلك في مواقف الأكليروس الكاتوليكي نفسه حيث أنه تغلب على عقدة خطيئته الأصلية – الظهير البربري – وأصبح يبدي تفهمه لمطالب المغاربة الوطنية مؤكدا بهذا الصدد (كما جاء في رسالة أسقفية) إن الموقت قد حان لمراجعة المواقف وللاعتراف بما هو « مشروع وصحيح في مطالب المغاربة » وان ذلك مطابقا للمثل المسيحية التي تدعو المسيحيين وتحثهم على « العمل من أجل العدالة » .

ولم يفت أحد علماء القرويين الترحيب بالمبادرة الأسقفية عن « ما يغمر المغاربة من آمال وهم ينتظرون انتشار مشاعر الحب والاخاء المسيحية واكتساحها لقلوب ... المعمرين والمراقبين المدنيين ، ورؤساء المحاكم ، وحراس السجون ومعسكرات الاعتقال السياسي »

ورغم ما خلفته رسالة « الأسقف الأحمر » – كما نعته المعمرون – من بلبلة وضجيج ، وكذا تحذيرات أحد مستشاري « الاتحاد الفرنسي » المؤرخ شارل اندري جوليان الذي زار المغرب للتباحث مع سيدي محمد بن يوسف – « دبلوماسي ماهر » على حد تعبيره – وولي العهد مولاي الحسن من مخاطر الأوضاع الراهنة وقابليتها للانفجار ، رغم ذلك كله لم تغير فرنسا خطتها .

اغتيال فرحات حشاد وتضامن شعوب المغرب العربي

إن تضارب موقف الطرفين ، المغربي والفرنسي ، وتعارض مشروعيهما تعارضا مطلقا – الاستقلال من جهة ، والسيادة المشتركة من جهة ثانية – لم يكن يعني الجهود التام أو وقوعها في مأزث لا مخرج منه .

فالمغاربة والفرنسيين كانوا غير راضين على ما آلت إليه الأوضاع ومنهمكين في التنقيب عن الوسائل الكفيلة بفرض وجهة نظر كل منهما على حدة .

في هذه الظروف بالذات أذيع نبأ اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد ، وهو نبأ كان بمثابة عبوة ناسفة فجرت الوضع وأسرعت بمجرى الأحداث لاسيما وأن الاقامة العامة كانت تتربص الفرصة وعلى أتم الاستعداد لانعاش مخطط الجنرال جوان وتوجيه ضربة نهائية لكل القوى الوطنية المغربية ولتطلعاتها القومية .

شكلت وفاة الزعيم التونسي بالفعل فرصة سانحة لأن الشعب المغربي سارع للتعبير عن تضامنه مع الأشقاء التونسيين وشن إضراب عام للاحتجاج ضد الاغتيال .

شرعت الاقامة العامة في تنفيذ خطتها القمعية (6 – 10 دجنبر 1952) بإطلاق

مظاهرة بالدار البيضاء .
(وثائق حزب الاستقلال) .

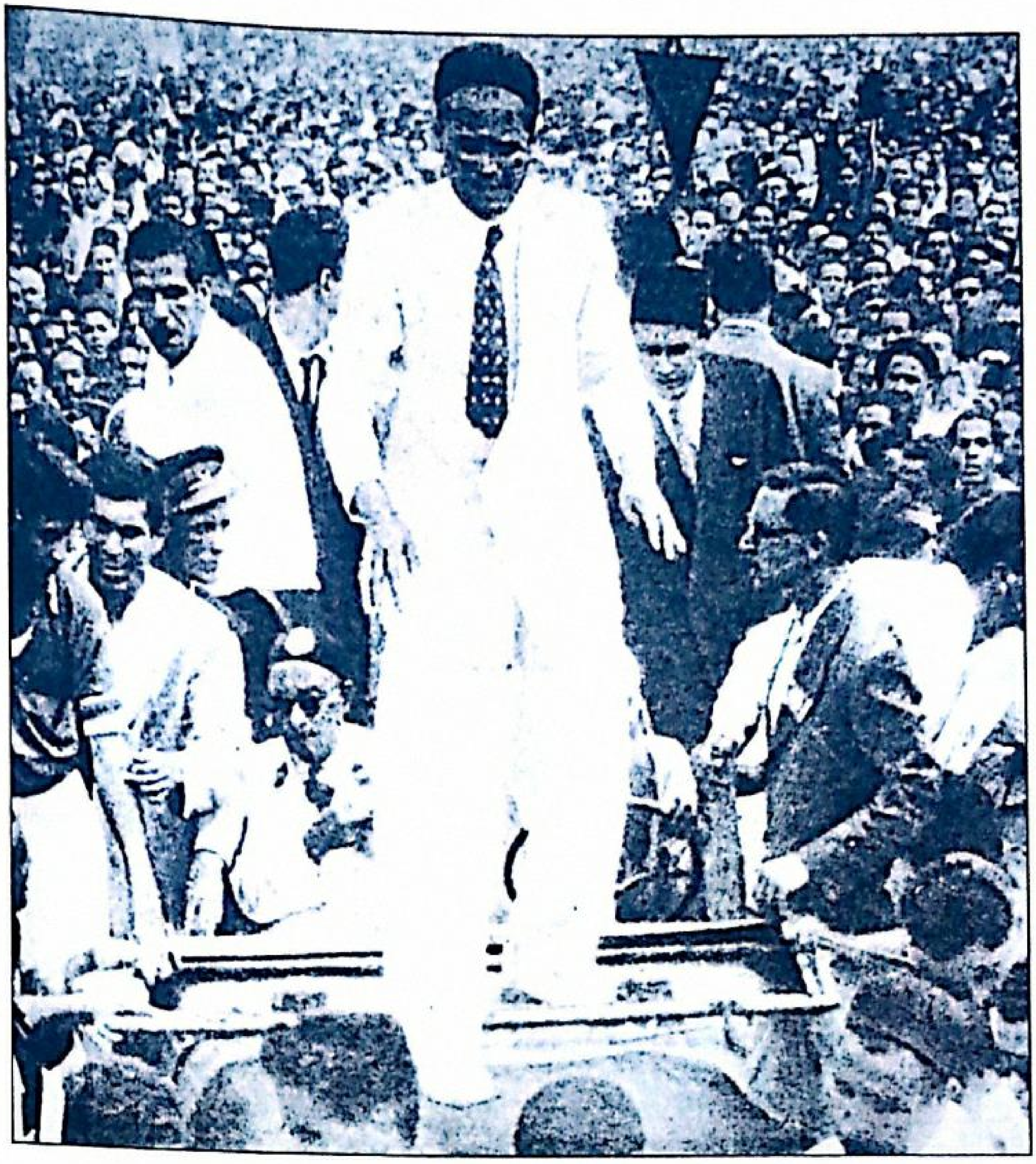

فرحات حشاد . اغتياله كان بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل أحداث دجنبر 1952 .
(وثائق وكالة الأنباء التونسية) .

النار على المغاربة الذين اعترضوا طريق « البراحين » وغيرهم من أعوان السلطة المتجولين في أحياء الدار البيضاء الشعبية لتحدير السكان من عواقب الالتزام بتعليمات « المشوشين » والاقدام على الاضراب العام والتوقف عن العمل في المصانع والمتاجر وغيرها من المرافق .

أثناء ليلة 6 – 7 دجنبر قامت الشرطة والقوات الفرنسية بعملية « تمشيط » واسعة في الأحياء الشعبية ومارست كل أنواع الارهاب على السكان لافشال الاضراب وسحق الحركة الوطنية .

غير أن الطلقات النارية المتتالية وارتفاع عدد القتلى والجرحى وتراكم جثث الضحايا في المساجد والجوامع وكذا انتشار وحدات من الجيش معززة بالرشاشات والدبابات ، كل ذلك لم ينل من معنوية الجماهير وعزمها على الالتزام بالاضراب العام يوم 8 دجنبر .

في زوال ذلك اليوم نظم تجمع نقابي بالدار البيضاء لاستنكار أعمال العنف والقتل والمطالبة بإطلاق سراح النقابيين المعتقلين وعلى رأسهم الكاتب العام للاتحاد العام لنقابات المغرب ، كما كان التجمع يستهدف أيضا تقويم الاضراب ونسبة نجاحه .

إلا أن هذه التظاهرة السلمية تحولت إلى مآسي لانهاية لها عندما قرر حاكم ناحية الدار البيضاء فجأة وبدون إعلان مسبق اعتبار التجمع خرقا للقانون ومنعه ثم تطويق مقر النقابة المركزي واقتحامه . وبهذه الوسيلة أوقع جميع الحاضرين (3.500) في فخ لم يستطع أحد الافلات منه وكل من حاول الخروج أو الفرار انهالت عليه

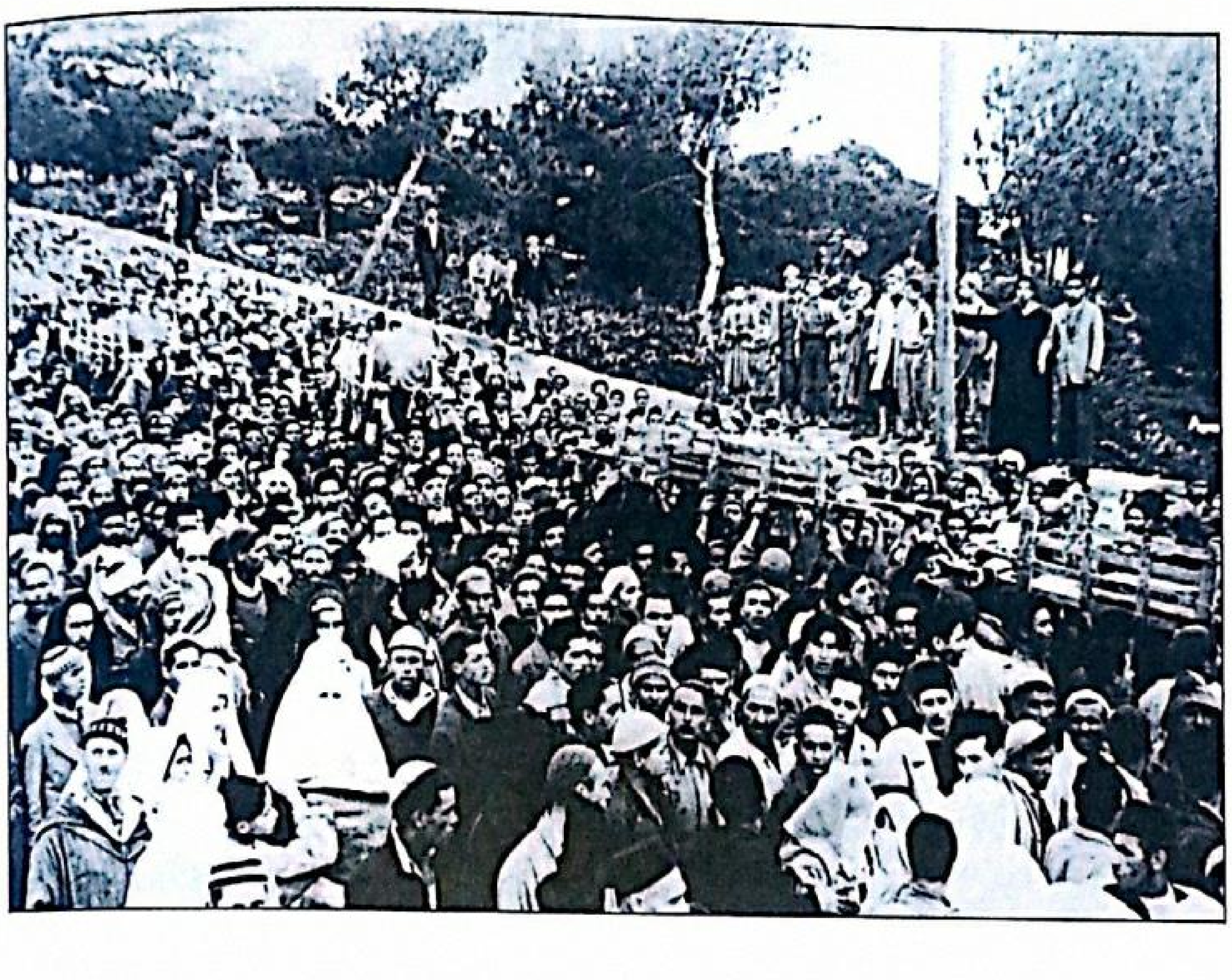

شهداء 8 دجنبر 1952 ، مقبرة بن مسيك .
(وثائق حزب الاستقلال) .

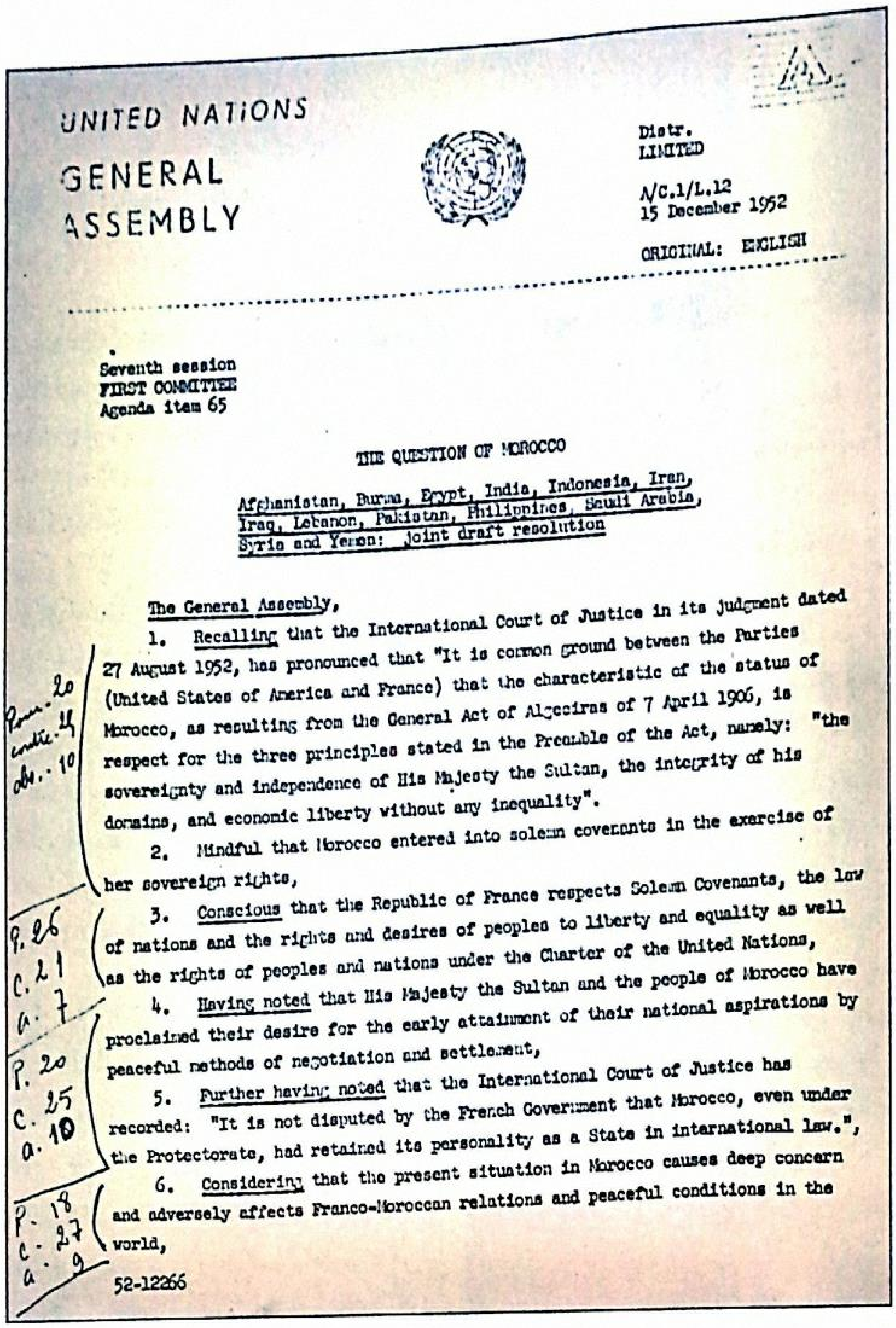

UNITED NATIONS
GENERAL ASSEMBLY

Distr.
LIMITED

A/C.1/L.12
15 December 1952

ORIGINAL: ENGLISH

Seventh session
FIRST COMMITTEE
Agenda item 65

THE QUESTION OF MOROCCO

Afghanistan, Burma, Egypt, India, Indonesia, Iran, Iraq, Lebanon, Pakistan, Philippines, Saudi Arabia, Syria and Yemen: Joint draft resolution

The General Assembly,

1. Recalling that the International Court of Justice in its Judgment dated 27 August 1952, has pronounced that "It is common ground between the Parties (United States of America and France) that the characteristic of the status of Morocco, as resulting from the General Act of Algeciras of 7 April 1906, is respect for the three principles stated in the Preamble of the Act, namely: "the sovereignty and independence of His Majesty the Sultan, the integrity of his domains, and economic liberty without any inequality".

Pour. 20 contre. 11 abs. 10

2. Mindful that Morocco entered into solemn covenants in the exercise of her sovereign rights,

3. Conscious that the Republic of France respects Solemn Covenants, the law of nations and the rights and desires of peoples to liberty and equality as well as the rights of peoples and nations under the Charter of the United Nations,

P. 26 C. 21 a. 7

4. Having noted that His Majesty the Sultan and the people of Morocco have proclaimed their desire for the early attainment of their national aspirations by peaceful methods of negotiation and settlement,

P. 20 C. 25 a. 10

5. Further having noted that the International Court of Justice has recorded: "It is not disputed by the French Government that Morocco, even under the Protectorate, had retained its personality as a State in international law.",

6. Considering that the present situation in Morocco causes deep concern and adversely affects Franco-Moroccan relations and peaceful conditions in the world,

P. 18 C. 27 a. 9

52-12266

دجنبر 1952 ، الأمم المتحدة : مقررات متجاوزة .
(مؤسسة محمد بن الحسن الوزاني) .

قوات « الأمن » بالضرب وتسارع للكمه وشتمه الفرنسيون المتطرفون الذين حظروا لعين المكان « ليشفوا الغليل » وينتقموا من « العرب » .

وقد تم ذلك كله وسط جو هستيري أعدت له الصحافة اليمينية الصادرة بالدار البيضاء بنشر أخبار كاذبة مفادها أن « العرب » أقدموا على أعمال وحشية وقتلوا أوروبيين أبرياء وانتهكوا حرماتهم .

وبسبب وقوعهم في « الفخ » المشار إليه أعلاه ، وتعرضهم لـ « الحملات التأديبية » المدبرة ضد أحياء المسلمين بتواطؤ مصالح الشرطة ، وسقوطهم تحت رصاص الجنود الذين كانوا يطلقون النار على مواكب الجنازة في طريقها من المساجد إلى مقابر المسلمين ، ارتفع عدد القتلى والجرحى بشكل سريع .

نحو هند صينية ثانية ؟

هكذا ألحقت الاقامة العامة الحركة الوطنية والنقابية خسائر بشرية فادحة ، ولتصفية الجو نهائيا أصدرت قرارها بمنع الحزب الشيوعي وحزب الاستقلال وجريدتي « اسبوار » و « العلم » . كما أنها اعتقلت المسؤولين النقابيين والوطنيين وتابعتهم أمام « المحاكم » على أساس الفصل 80 من القانون الجنائي الفرنسي (معاقبة أعمال الشغب والمس بأمن الدولة الداخلي) .

وبإقصائها للزعماء الوطنيين – رغم مساندتهم لمبدإ « ضمان مصالح الفرنسيين المشروعة » الوارد في الملتمس الملكي (15 مارس 1952) – وإقدامها على تنظيم حملة دعائية مسعورة ضد « سلطان الكريير سنطرال » ،

الأمم المتحدة ، جلسة 23 أكتوبر 1952 .
(الخزانة العامة ، الرباط) .

مذكرات من التراث المغربي

وضعت الاقامة العامة حدا للحوار وفتحت الباب لما نعته صحافي أمريكي مهتم بتطور الأوضاع في المغرب وتوترها بـ « هند صينية ثانية » .

إن غياب الزعماء الوطنيين عن ساحة الأحداث المباشرة بالمغرب ، إما لأنهم معتقلين أو منفيين ، أو لأنهم منشغلين باتصالات في كواليس المنظمات الدولية لفائدة المرامي القومية ، ترك المجال فارغا بالفعل أمام « القاعدة » التواقة للخلاص وانتزاع الاستقلال وعدم الاكتفاء بقرارات الأمم المتحدة وتوصياتها الداعية إلى « احترام حقوق وحريات الشعب المغربي الأساسية طبقا لروح ومبادئ الميثاق (ميثاق الأمم المتحدة) ومواصلة المفاوضات بهدف تطوير المؤسسات السياسية (المغربية) » .

طرد الأشخاص غير المرغوب فيهم

كانت أجهزة الأعلام الرسمية تدعي ، رغم ضخامة تضحيات المغاربة وحجم الاضرابات ، أن الأمر لايتعلق سوى بـ « كمشة محدودة » من المشوشين تخلصت منها السلطة بعض ان اكتظت بها السجون ومعسكرات الاعتقال .

وقد تابعت السلطة حملتها « التطهيرية » بطرد العناصر الفرنسية التي كانت تستنكر ما شهدته البلاد ، وبصفة خاصة الدار البيضاء ، من قتل وجرح وغيرها من الأعمال الوحشية فيما بين 6 — 10 دجنبر 1952 . وتعرضت للطرد بالخصوص جماعة من أساتذة ثانوية ليوطي الذين وجهوا رسالة — « **رسالة 13** » — يعبرون فيها للجنرال كيوم عن استنكارهم للعنف المسلط على المغاربة وعن تشككاتهم فيما ورد في الأطروحة التي صاغتها الاقامة العامة لتبرير تصرفات وممارسات الشرطة والجيش في الدار البيضاء .

كما كانت رسالة 13 تطالب بفتح تحقيق نزيه لتحديد أسباب الحوادث الدامية ، وتدقيق عدد الضحايا وكذا طبيعة الأساليب المطبقة ضد « الأهالي » المعتقلين سواء أثناء « استنطاقهم » أو بعده .

وعوض الاجابة عن هذه الأسئلة المحرجة قرر المقيم العام التخلص ، بمقتضى مرسوم فرنسي صادر سنة 1778 ! ، من واضعيها وطردهم من المغرب بصفتهم « مشوشين » يعكرون « صفو الجو » والنظام !

وإثر وصولهم إلى باريس تحدث « المطرودون » عن ظروف طردهم « **الهتليرية** » وعن أساليب « **الجيستابو الألمانية** » المتبعة في المغرب ضد الجماهير المناضلة من أجل استقلال بلادها ، كما أنهم أدلوا بتفاصيل أخرى نشرتها جريدة « **الفيكارو** » الباريسية وعلق عليها فرانسوا مورياك ولويس مسنيون وغيرهم من اللبراليين المؤسسين للجنة « **فرنسا — المغرب** » و لـ « **مركز المثقفين المسيحين الفرنسيين** » .

وفي ندواتهم ومحاضراتهم ومقالاتهم ندد اللبيراليون بالأساليب « **الفاشية** » و « **الميز العنصري وما ينجم عنه من جرائم جماعية** » وفي مناداتهم بواجب تضامن كل الأحرار في فرنسا ووقوفهم بجانب المغاربة ، لم يتردد مورياك ومسنيون وأمثالهما في الاستدلال بمشاهد الماضي ومعاناة الشعب الفرنسي فيما بين 1940 و 1944 تحت نير الاحتلال الألماني وما ارتكبته الوحدات النازية الخاصة من جرائم (أورودوسوركلان) .

أما الأقطار الاسلامية والعربية فقد تعبأت هي الأخرى للتعبير عن تضامنها مع الشعب المغربي وضحايا حوادث الدار البيضاء وغيرها من المدن ، ودعت إلى مقاطعة فرنسا سياسيا وتجاريا وثقافيا .

المؤامرة الثانية

اعتبرت الاقامة العامة في الرباط حملة التضامن الواسعة مع الشعب المغربي ، في فرنسا نفسها وعلى المستوى الاسلامي — العربي ، بمثابة

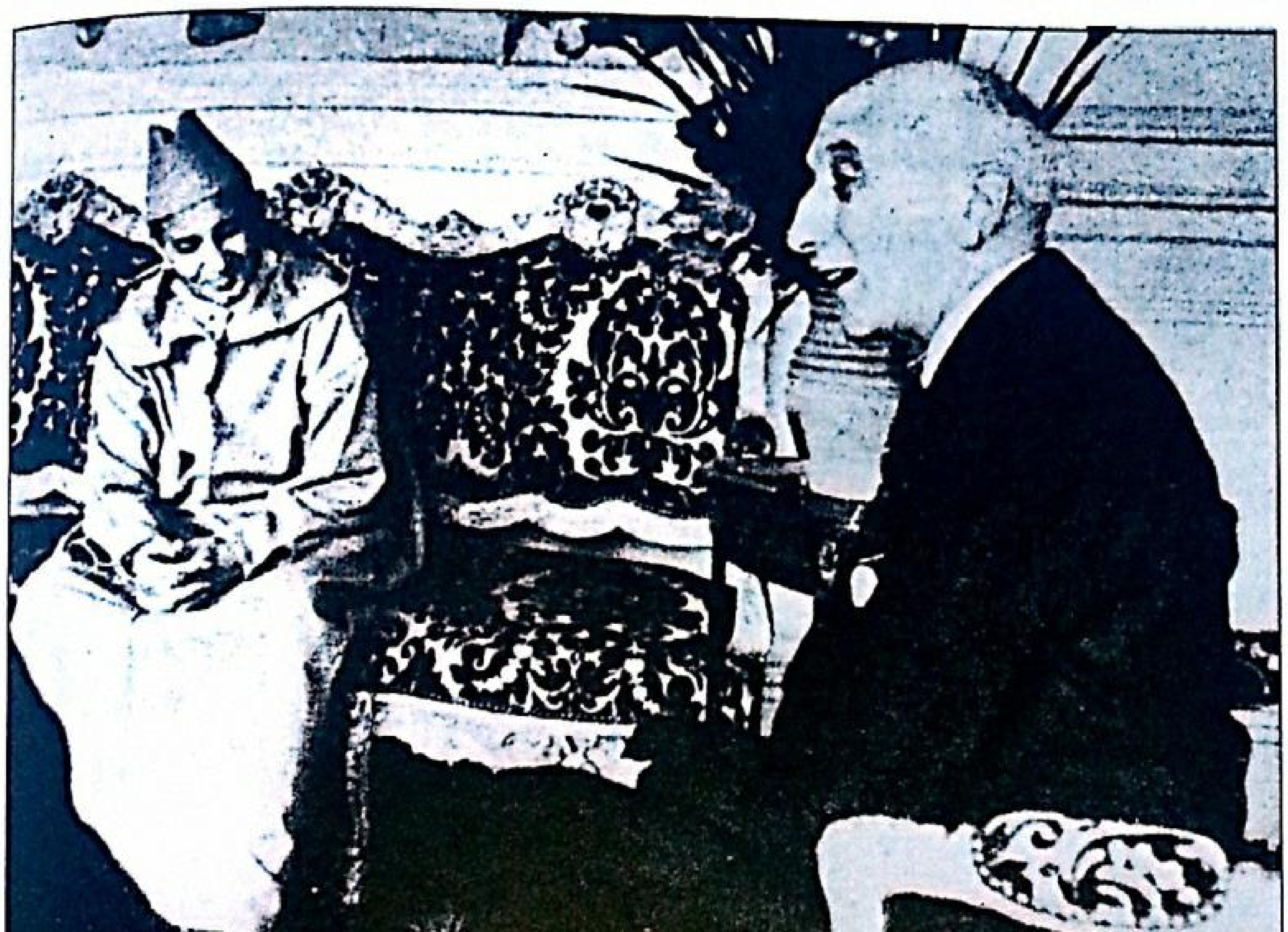

الكاتب فرنسوى مورياك في طليعة المثقفين الفرنسيين الذين نددوا بما كان يجري في المغرب .
(مجلة Paris Match نونبر 1955) .

« ضجيج صحفي » لايمكنه بأي حال من الأحوال أن يقف في وجهها ويمنعها من متابعة تنفيذ الخطة الرامية إلى « تطهير الجو » وإنهاء الاضطرابات ، وبصفة خاصة ، الاطاحة بالحاجز الرئيسي : سيدي محمد بن يوسف .

وانطلاقا من تحليلاتها هذه وتقييمها للأوضاع الخارجية والداخلية ، تابعت الاقامة العامة استعداداتها لخوض المعركة الفاصلة وإنجاح مراميها الاستراتيجية ، وأسندت « شرف » قيادة العمليات وتنسيق الخطة للمرشال جوان الذي لم يتخل أبدا عن « الشؤون المغربية » ومتابعة تطوراتها عن كثب رغم انتهاء ماموريته الرسمية ورغم التحولات الجذرية التي شهدتها الساحة السياسية المغربية بما في ذلك تصدع الصفوف الفرنسية وظهور وتقوية التيارات الداعية إلى التفاهم والحوار مع المغاربة حفاظا على المصالح الاقتصادية وشعورا منها بأن الاستعمار بمفهومه التقليدي أصبح متجاوزا تاريخيا وسياسيا .

لاخفاء هوية مدبري المؤامرة الحقيقيين وتضليل الرأي العام ، حاولت الاقامة العامة إعطاء نفس جديد لطروحات الاستوغرافية والاتنوغرافية التقليدية وما قامت عليه من أفكار مسبقة ومفاهيم جاهزة ، وادعت أن البلاد مقبلة على موجة عارمة من الاضطرابات « البربرية » وأن خطر اندلاع « السيبة » غير بعيد إذا ما استمر السلطان في مؤازرته لحزب الاستقلال وفي إفشال المجهودات الرامية إلى « دمقرطة » المؤسسات المغربية .

وتصريحات مثل هذه كانت تعني ضمنيا اعتراف فرنسا بفشل « ماموريتها التاريخية » والمهام المنوطة بها بمقتضى معاهدة فاس التي كانت تلزمها نظريا بالعمل على صيانة « استقرار » البلاد و « أمنها العام » وتقديم المساعدة لعاهل البلاد وولي العهد .

ولضمان اندلاع محكم « للسيبة » وإنجاح عفويتها ، جندت الاقامة العامة القواد والباشوات لقيادة « انتفاضة القبائل » ضد « سلطان الاستقلال » ، معتبرة أن الانسجام بين أمثال الباشا الجلاوي والجماهير الشعبية القروية لايطرح أي إشكال ، وذلك رغم ما كانت تتعرض له هذه الجماهير من قهر وظلم جبائي وغرامات وجلد لأدنى سبب أو بدون سبب وزج في السجون والمعتقلات وتعبئة عشوائية ومجانا في المزارع ألخ ...

لقد تناست السلطة الفرنسية ممارسات القواد الاستبدادية ووقوفها بجانبهم وتغطية تعدياتهم ووضع ثقلها العسكري لدعمهم وتفادي ما كانوا يتعرضون له قبل 1912 من ردود فعل عنيفة غالبا ما كانت تنتهي باندلاع النيران في « قصباتهم » أو اثقالهم بالسلاسل الحديدية و « الكبايل » ورميهم في السجون بعد تريكهم ومصادرة ما حازوه غصبا لفائدة بيت المال .

والتنبؤ باندلاع « السيبة » بمعناها التقليدي وبالشكل المتداول عند الاتنوغرافيين والاستوغرافيين الفرنسيين ، كان لايتنافى ، حسب الاقامة العامة ، مع الحداثة وما تفرضه من عقلنة السياسة ، وتسخير الوسائل الاعلامية المكتوبة والناطقة ، ورفع العرائض والملتمسات ، وعقد المؤتمرات والمهرجانات ، واستعمال وسائل النقل السريعة ألخ ...

كلها وسائل ومناهج أخذت بعين الاعتبار خلال مرحلة التمهيد للمؤامرة المحاكة ضد سيدي محمد بن يوسف فيما بين مارس وغشت 1953 .

وفضلا عن العقلنة والحداثة والتنظيم المحكم « لعفوية » الحدث المرتقب ، انتبه المتآمرون لخصوصية المغرب ولبعض مميزاته الحضارية والسياسية : بما أن الأمر كان يتعلق بمؤامرة محاكة ضد عاهل البلاد الشرعي و**أمير المؤمنين** اقتضت الضرورة إضفاء صبغة « دينية » و « روحية » على الانتفاضة المدبرة .

لذلك استنفرت الاقامة العامة بعض الطرق والزوايا ، وشجعت الباشا الجلاوي على اختراع سلالة شريفة لنفسه .

وبانكبابها على هذه الاستعدادات والتنسيق بين مختلف الأطراف المتآمرة والتوقيت لمراحل المؤامرة والانغماس في خيوطها وحرارتها ، بسبب ذلك كله أهملت الاقامة العامة « غلاظة » أطروحة « **الانتفاضة الداخلية الصرفة** » والتناقض بين فكرة « سيبة » جديدة موجهة ضد سيدي محمد بن يوسف بصفته أمير المؤمنين اتخذ مواقف مساندة لـ « الملحدين » – مما أثار سخط القوى « الدينية » – من جهة والأطروحة الاستعمارية التقليدية القائمة على أن السيبة كانت لاتعني سوى مناهضة الجانب السياسي من حكم السلطان – خصوصا الجبائي منه – وأن المتمردين كانوا لايجادلون في سلطة السلطان الروحية بصفته أمير المؤمنين ، من جهة ثانية .

وتسببت حرارة الاستعداد أيضا في إهمال نقطة أساسية أخرى : إن التعامل مع الطرق والزوايا والاعتماد عليها كان يعني التعامل والتورط مع قوى فقدت منذ زمن قديم مصداقيتها ونفوذها لسببين اثنين : تواطؤها مع القوى الأوروبية طيلة القرن التاسع عشر وتعبئتها لصالح التغلغل السياسي والترابي الاستعماري إما بكيفية متسترة أو علانية (بعد الاحراز على الحماية الدبلوماسية أو القنصلية) ، وبسبب الانتقادات التي وجهتها الحركة السلفية خلال الثلاثينات بصفة خاصة للمشعوذين بمختلف فصائلهم وأصنافهم ولممارساتهم وانحرافاتهم عن تعاليم الاسلام الصحيحة .

ورغم أن الأمر لم يكن يتعلق رسميا سوى بأزمة داخلية وصراع حاد بين السلطان ومناهضي حزب الاستقلال ، فإن المعمرين الفرنسيين تدخلوا للادلاء برأيهم والمطالبة باتخاذ كلما من شأنه أن يضمن ويصون مصالحهم . وفي رسالة سلمها وفد من الجمعية الفاشية « **بريزانس فرنسيز** » لرئيس الجمهورية (17 دجنبر 1952) وقع الالحاح على ضرورة نهج سياسة مشددة تجاه المغاربة – طبقا لمقتضيات معاهدة

فاس ! – والمبادرة ببعض الاجراءات المستعجلة « للخلاص » ، منها على الخصوص :

- إبعاد سيدي محمد بن يوسف
- إنهاء اندفاع مولاي الحسن وتجريده
- توسيع صلاحيات المقيم العام .

وتحت إشراف الجنرال كيوم ، وحاكم ناحية الدار البيضاء السابق ، فليب بونيفاس – الذي فاز بمنصب « مكلف بمهمة لدى الاقامة العامة » غداة إحالته « النهائية » على التقاعد ! – ، وحاكم ناحية مراكش ، دو هوطفيل ، تحركت القوى المغربية المناهضة للمطالب الوطنية للقيام بـ « الدور » المنوط بها :

فخلال شهر يناير 1953 التقى الجلاوي بالشريف **عبد الحي الكتاني** . وإذا كان أولهما يحاول فرض نفسه – خصوصا داخل بعض النوادي والأوساط الباريسية « الغالية » والمتطلعة لعطائه ومصارفه المفرطة – والظهور بمظهر المنافس المباشر لسيدي محمد بن يوسف وأول مرشح للجلوس على العرش ، فإن ثانيهما – وهو الشخص الذي رسم لويس مسنيون ملامحه المدهشة – نصب نفسه رئيسا لـ « كونفدرالية طرق المغرب الشرفي » الوهمية واحتكر الجانب « الروحي » من المؤامرة وافتى في شأن « **تعارض سياسة السلطان الحالي مع تعاليم الشريعة الاسلامية** » ، وبالغ في فتاويه وشروحاته رغم ردود فعل العلماء واحتجاجاتهم .

وإثر المقابلة بين الجلاوي والكتاني في مراكش ، انطلقت حملة التوقيع على عريضة تندد بمواقف السلطان الوطنية ، وقد أمضى عليها عدد كبير من القواد والباشوات إما من تلقاء أنفسهم بهدف صيانة مصالحهم وامتيازاتهم الراهنة ، أو تحت الضغط (بالنسبة للأقلية المتشبثة بولائها لعاهل البلاد الشرعي ، والمتعاطفة مع التطلعات القومية) .

وبصرف النظر عن تضارب الأسباب وتفاوت الحسابات ، أكدت العريضة أن الموقعين عليها يطالبون « **بعزل الامام سيدي محمد بن يوسف وإبعاده بسبب سلوكه المتناقضة مع التعاليم الدينية** » وباستبداله بإمام آخر له « **الكفاءة اللازمة لضمان الممارسة الدينية الحرة ... وهي أغلى شيء بالنسبة للمؤمنين** » ، مؤكدين أنهم « **مستعدون لتقديم أرواحهم دفاعا عن هذه الممارسة الحرة** » .

والملاحظ أن انطلاق حملة التوقيع على « **عريضة القواد** » تزامن – ولذلك في حد ذاته أكثر من مغزى – مع استعدادات الشعب المغربي لتخليد ذكرى 30 مارس تخليدا استثنائيا والتعبير عن مشاعره القومية ومطالبه الوطنية رغم المضايقات وتعسف السلطات حيث قامت الجماهير بتجمعات ومظاهرات خاطفة وترديد

الجلاوي والكتاني ، في صفوف المتآمرين الأمامية .
(تصوير منشورات Art Maroc)

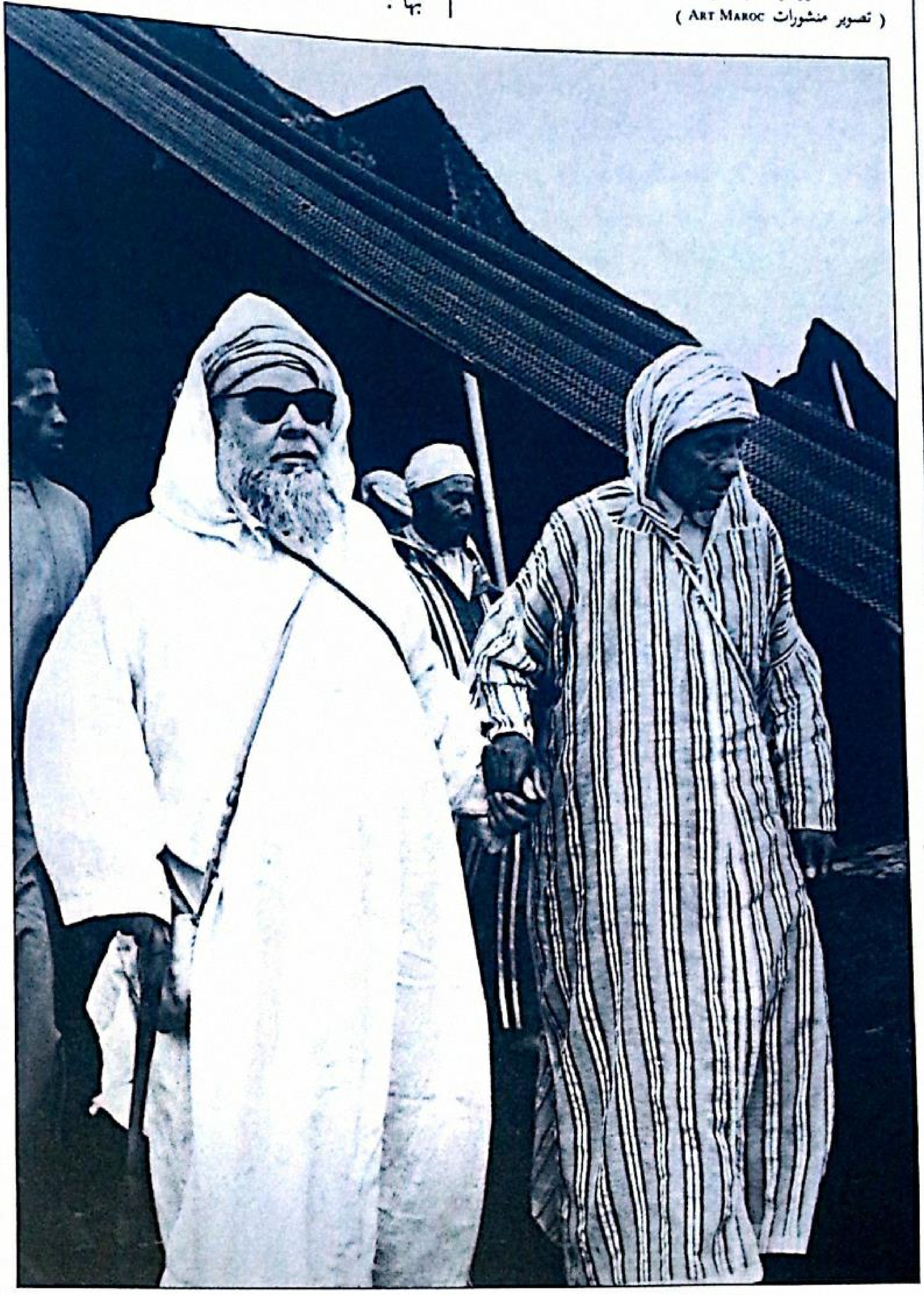

شعار الاستقلال والصيام يوم حلول الذكرى كما أنها عبرت عن ابتهاجها لما حققته القضية الوطنية على الصعيد الدولي وللاعلان الذي أكد فيه الزعيم الفيتنامي **هوشيمن** قراره بتسريح 200 من الجنود المغاربة الأسرى في حرب الهند الصينية. وكان إقدام الزعيم الفيتنامي على تلك المبادرة بمثابة رمز لتضامن شعوب آسيا مع كفاح الشعب المغربي.

ونظرا لخطورة ما كان يحاك ضد عاهل البلاد الشرعي قدم المرشال جوان بنفسه إلى المغرب لمؤازرة الجنرال كيوم وإتمام الاحتياطات لتفادي أدنى خطإ. فقام بجولة حاول خلالها حث رجال القبائل – خصوصا في خطابه الموجه لقدماء المحاربين و « **الكوم** » الذين قاتلوا تحت أوامره في معارك منطي كسنو بإيطاليا، 1944 – على التشبث « بالصداقة والاخلاص لفرنسا » ومد يد المساعدة لرمز الوفاء لها : الباشا الجلاوي.

وفي خطاب له أمام الأكاديمية الفرنسية بباريس مدح جوان من جديد باشا مراكش وبالغ في الثناء على الرجل و « خصاله الحميدة »، وهي « خصال » فضحها لويس مسنيون باستعراض مداخل الباشا المشبوهة و « الوسائل الخاصة » التي كان يستعملها للحصول على الأموال.

ورغم هذا الثناء المفرط والحملات الاشهارية في الصحف الفرنسية اليمينية، كان يستحيل على الممدوح إخفاء اللطمة التي تكبدها في انجلترا خلال مراسيم تتويج الملكة إليزابيت الثانية : انتهز الباشا صداقة ونسطون تشارتشل لحضور حفلات التتويج وتقديم هدايا فاخرة – مولت على حساب الرعايا المغاربة وخصوصا منهم سكان ناحية مراكش – للعاهلة البريطانية رفضها قسم التشريفات في قصر بوكنهام !.

وعلى الجبهة الداخلية واصلت الاقامة العامة ممارسة التهديدات والضغوط على السلطان والمبالغة في الالحاح على مخاطر « الثورة البربرية » إذا ما لم يكف عن « عناده » ويصادق على الظهائر المعلقة خصوصا منها مشروع نظام البلديات المزدوج وتفويض بعض صلاحياته للصدر الأعظم.

لقد مارس الجنرال كيوم هذه الضغوط في الوقت بالذات الذي كان فيه الباشا الجلاوي يقوم بـ « سباق » أو « لحاق » عبر مختلف الأقاليم لكسب المزيد من الدعم والتأييد للمؤامرة.

ولانجاح هذا اللحاق وضعت الاقامة العامة رهن إشارة الباشا كل إمكاناتها البشرية والمادية وجندت وسائل الاعلام الرسمية وغيرها لتغطية « مهرجانات القواد » لاسيما تجمعهم مع رجال الطرق والزوايا بضريح المولى إدريس بجبل زرهون ومهزلة نحر الثيران لتوثيق « إمام » جديد خلفا للامام الشرعي.

وبما أنه كان متشبثا بهذا « العهد » وبالالتزامات « المقدسة » المتفق عليها أثناء تجمع القواد بجبل زرهون فإن الباشا لم يستجب لكوميدية « الوساطة » و « الجهود » التي بذلتها الاقامة العامة رسميا لانهاء الخلاف « بين السلطان والباشا » وإيجاد حل وسط يرضيهما.

إلا أن مناورة فرنسا هذه لم تغر أحدا وقد قيل عنها أنها كانت لاتختلف عن عملية « إيقاد النار عمدا ثم إرسال موقديها لاطفاء لهيبها » !

هكذا اندلعت إذن نار « الفتنة الداخلية » وانتعشت. وقد كان من اليسير على الجنرال كيوم في مثل هذه الظروف قطع آخر أشواط المؤامرة : فبعد تجريد الحرس الملكي من السلاح وتطويق القصر وفيلا ولي العهد بالجيش والمدرعات، حاول إخضاع سيدي محمد لادارة الاقامة العامة، إلا أن العاهل اكتفى بالاجابة قبل أن يساق مع ولديه إلى مطار السويسي العسكري ويبعد إلى كورسيكا ثم مدغشقر : « **إني ملك المغرب الشرعي، ولن أخون أبدا الأمانة التي ائتمنني عليها شعبي الوفي المخلص، إن فرنسا قوية فلتفعل ما تشاء** ... » (20 غشت 1953).

وفور إعلان نبأ عزل العاهل ونفيه قامت مظاهرات عارمة في مختلف أنحاء البلاد رغم قرار حالة الحصار وحظر التجول المعلن عنه رسميا. ورغم ارتفاع عدد القتلى والجرحى والمعتقلين واصلت الجماهير موجة الاستنكار والتعبير عن تشبثها بالمشروعية ومطلب الاستقلال.

التآمر ضد السلطان الشرعي ... الفراغ الوهمي.
(الخزانة العامة، الرباط).

الحنصالي ، بطل تادلة

العربي الصقلي

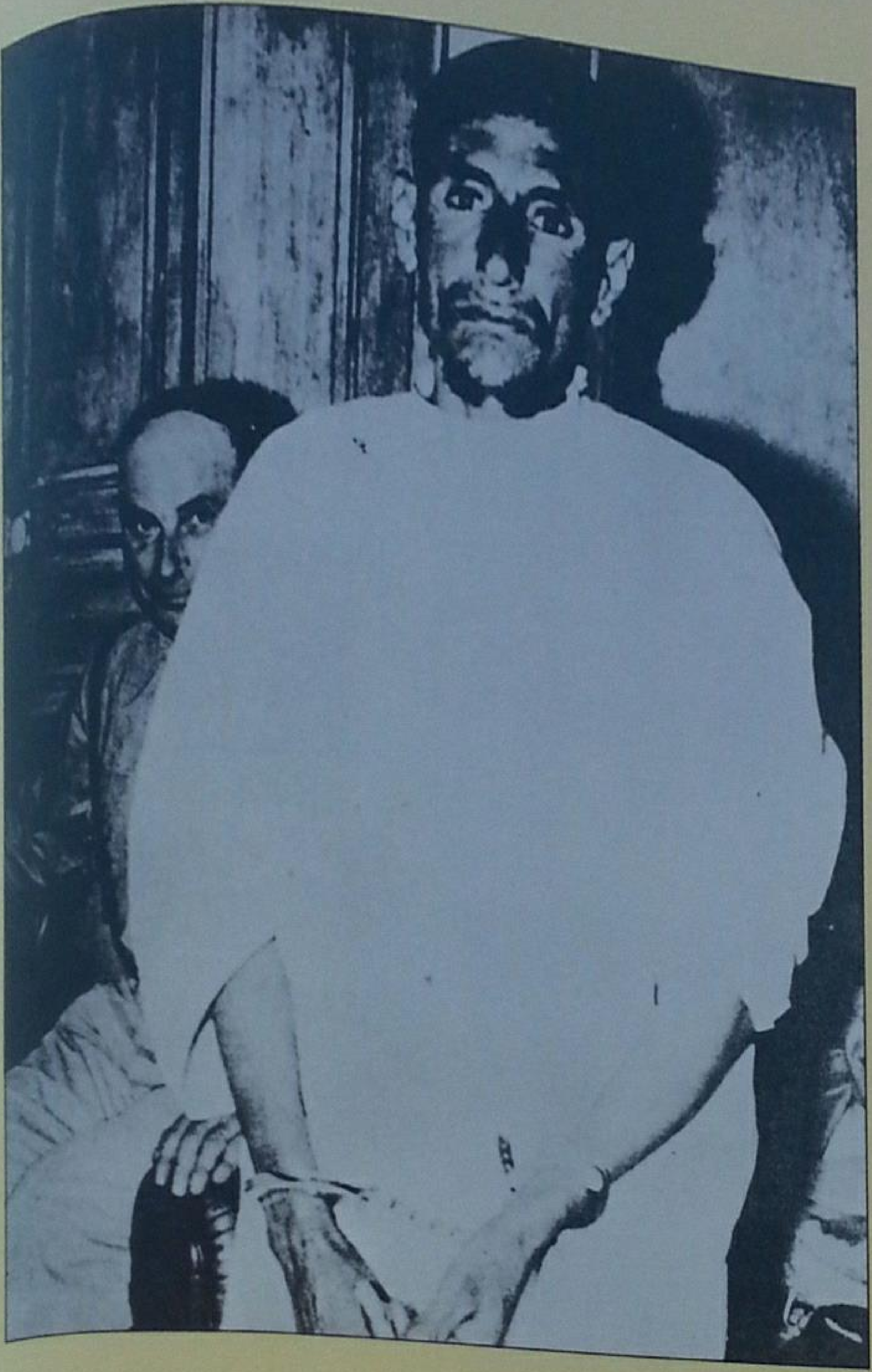

في يوم 26 نفمبر 1953 على الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين ، أعدم سيدي أحمد ولد موحا أوحمو الحنصالي وموحا أو الحسين ولد سميحة في العنق بمدينة الدار البيضاء .

فقد أجثيا وكُتفا وغميت عيناهما . ثم أطلق عليهما النار جماعة من 12 جنديا ، وقد أدارا ظهريهما إلى البحر . ولما أجهز عليهما ، وضعت جثتاهما في عربة ونقلتا إلى مقبرة ابن مسيك ودفنتا حالا .

كان ذلك سنتين ونصفا بعد اعتقالهما وبعد محاكمة صاخبة .

فمن هذان الرجلان اللذان سميت الشوارع باسميهما في مدن مختلفة بالمغرب ؟

لقد كانا مطلق راعيين ينتجعان الكلا في مرتفعات تادلة وأزيلال . كان عمر الاول ثلاثا وأربعين سنة . وقد قدمته الصحافة الاستعمارية بالاسم « سفاح تادلة » . أما الثاني ، فكان عمره سبعا وخمسين سنة . وقد اعتبر شريكا له في الجريمة .

ما هي الظروف التي خلدت اسميهما ؟

في يوم 13 ماي 1951 أرسلت الطلقات النارية الاولى . فدوت في الطريق بين أفورار وبين الويدان كأنها قصف

الرعد . فقُتل بعض راكبي السيارات الاوروبيين وجرح بعضهم .

ثم كان ضحايا آخرون في اليوم التالي وطوال ستة أيام .

وشغلت القضية بال الرأي العام في المغرب وفي العالم ، وتساءل الناس عن كنهها . أكان ذلك بداية الثورة ، بداية ثورة منظمة على الطريقة المعهودة التي سلكها المتطوعون في جبل صاغرو وآيت عطا وآيت باها وآيت باعمران وفي مناطق أخرى قاوم أصحابها الاستعمار . لم يعرف شيء طوال ستة أيام . وانتهى هلع الناس لما علموا أن كل تلك الاعمال قام بها رجل وحده اسمه الحنصالي .

لقد أغاظه الاستعمار غيظا شديدا ملك قلبه . فثار وحده لقتل رموز ذلك الاستعمار . وعُبئت قوات تقدر بعشرة آلاف رجل لمطاردته طوال عشرة أيام في الجبال ، وهي تتفحص الادغال واحدا واحدا . لكن الحنصالي كان يعمل ولا يظهر ، ويقطع المسافات الطويلة ليلا ونهارا ، ويضرب من أمكنة مختلفة . فظُن أن هناك عصابات من المقاتلين .

وقد قال شارل أندري جولیان Charles André Julien في كتابه Le Maroc face aux impérialismes عن قضية الحنصالي : « إن الارهاب ظاهرة تلقائية ، يعمد إليها الشعب حيثما بدت مقاومة المحتل . فلا الحضر ولا الفلاحون يستطيعون الصبر على الاحتلال الاجنبي ، إذ إنه يقهر الناس قهرا لا يحتمل ، كيفما كانت وسائله . ذلك أنه يتسلط على أعز ما لدى المستعمَر ، أي على هويته . قد يقتل بعض الرجال غيرهم بدون أن يقصدوا إلى ضحية معينة ، وهم يظنون بذلك الدفاع عن استقلالهم . ليس هؤلاء الرجال سفاحين ، بل رجال مسالمون ، ما كان جلهم ليعمدوا إلى القتل والعنف لو لم يحتل « الغير » أرضهم ويفسد عليهم تقاليدهم في العيش . إن الوطنية ، بالنسبة إليهم ، مطعّمة في مكان حر . فهم لا يقومون ، عموما ، بما يقومون به ، عن مصلحة ، بل هي غريزة الدفاع تُحركهم ، وقد تحولت إلى نزعة عدوانية . ولا تلبث أن تظهر عندهم نزعة أخرى بالاضافة إلى ميلهم إلى الانصاف ، وهي افتتانهم الشديد بالقتل . وهكذا قتل الاب ميلون le Père Milon الذي كتب عنه دوموباساں De Maupassant ، رجلا ألمانيا كان يدخن بغليونه في حفيرة له ، فحز رأسه بمنجله الكبير . ولم يكن لهذا الفلاح النورماندي أية سابقة قبل سنة 1870 . إن القـتْلة الاولى أصعب من غيرها . ثم قتل الاب ميلون 15 رجلا من المحتلين . ولما اعتقل افتخر بما فعل ولم يندم على شيء . فعبر بكلمات بسيطة عن رد فعله البسيط ضد المحتل ، فقال : « لم أخاصمكم ، ولا أعرفكم البتة ، ولا أعلم من أين أتيتم . وها أنتم في بلدي تحكمون كأنكم في بلدكم ، فانتقمت من الاخرين . ولا أندم على ذلك » . إن الحنصالي « سفاح تادلة » مثل الاب ميلون . إنه فلاح . وقد كان « راعيا ، ثم خادما عند بعض القواد ، ثم مُرمّما للطرق » . ويمكن ، من خلال قراءة la Vigie marocaine ، إدراك مدى الرعب والدهش اللذين أثارهما في الناس تصرفه بعد اعتقاله . »

وقام المسؤولون بالبحث عنه بوسائل عظيمة ، لكن بدون جدوى . ولم يمنع ذلك ضباط الشؤون الاهلية ورؤساءهم بالدار البيضاء ، ومنهم بونيفاص Boniface ، وبالرباط من قمع السكان قمعا مطلقا . فما أكثر ما اعتُقل الناس ، وما أكثر ما هددوا ، وما أكثر ما رشوا ! وضاقت السبل بالحنصالي . واشتد عليه الجوع . فلجأ إلى ثلاثة أشخاص ، فاعتقلوه وكتفوه . وقد طمعوا في جائزة قدرها مليون فرنك (1951) ، وخافوا من تورطهم باعتبارهم شركاء له .

أما سميحة ، فلم يخف من مساعدة « بطل تادلة » ، فأعدم .

يعتبر الحنصالي رائدا – بطريقته الشخصية – من رواد الكفاح المسلح الذي عمد إليه المغاربة بعد مضي أقل من سنتين لينتقموا من مؤامرة 20 غشت 1953 .

الوعي الطبقي والوعي

حسن بن عدي

L'Action du Peuple

عمل الشعب

لسان الحركة القومية بالمغرب

JEUDI 1er JUILLET

Organe de l'Action Nationale Marocaine

Directeur : Mohamed Hassan OUAZZANI

Bureaux : 37, rue Kettanine - FES

Le Peuple Marocain revendique :

1.- le retour à une stricte et utile politique de protectorat

2.- le droit de participer à la gestion de ses affaires publiques

Etre l'ennemi d'une politique ou d'une méthode ne veut pas dire qu'on est l'ennemi d'une nation.

(CHEKIB ARSLAN)

Le Protectorat et nous

L'évolution du peuple marocain doit avant tout être l'œuvre du peuple marocain lui-même

M.-H. OUAZZANI

Propos d'un Jeune

Au secours du fellah

La France doit être l'alliée de l'Islam

الجريدة « عمل الشعب » ، عدد فاتح يوليوز 1937 تعبر عن مطالب الشعب المغربي . (الخزانة العامة بالرباط) .

إن المغرب لم يضع السلاح قط أمام اعتداءات المستعمرين .

فلم يمض زمن على انتهاء المقاومة بجبل بوكافر في الأطلس الصغير حتى ارتفعت أصوات الاحتجاج على النظام الاستعماري ، من المدن والقرى ، في جميع أنحاء البلاد . وقام الشعب المغربي قومة رجل واحد ضد **الظهير البربري** ، وأحبط بذلك كل ما أخطأ دعاة العنصرية البربرية في تدبيره .

وفي سنة 1934 ، أي أربع سنين بعد صدور الظهير البربري ، قدم الوطنيون الشباب **برنامج الاصلاحات** ، وبذلك أفحموا مُنظّري نظام الحماية ، إذ كانوا يدعون في كل آن وحين عدم نضج المغاربة .

وفي سنة 1940 ، كشف السلطان – والحرب العالمية على أشدها – عن دراية دقيقة بكيفية تطور التاريخ . فسجل استقلال بلاده من بين أهداف كفاح شعوب العالم من أجل التحرير .

وفي سنة 1944 ، كان في **وثيقة الاستقلال** دعوة لأمم العالم – تلك الأمم التي كانت تعلن حق الشعوب في تقرير مصيرها – إلى أن تتخذ موقفا مطابقا للمبادئ التي تنادي بها ، وتفي بوعودها .

وفي سنة 1947 ، أكد صاحب الجلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف من مدينة طنجة « الدولية » الهوية الوطنية التي لاتنال منها أية وسيلة من وسائل الاستعباد والادماج .

الوطني

وفي سنة 1952 ، ابتدأت الحقبة الحاسمة ، **حقبة المجابهة العامة** ، فتقدم العمال المغاربة إلى الصفوف الأولى .

ثم كان يوم 20 غشت 1953 ، أي بداية النهاية بالنسبة لنظام الحماية .

وبدا التاريخ ، في ظرف أربعة عقود ، كأنه ينقلب عن مساره مرتين . كانت المرة الأولى بعد انتهاء المقاومة في الريف وفي الأطلس ، وانتهاء الأعمال الكبرى لتجهيز البلاد وتسابق المعمرين إلى « الايالة السعيدة » . وكان الغرب يستطيع أن يظن حينا - بعد ما انتصر - أنه لم يبق إلا أن يسيّر عملية الادماج النهائي . ألم يكن يحمل « قيما عالمية » ومقلدا « بمهمة تحضيرية » ؟ ألم يكن مصدرّ قوته نظام اجتماعي واقتصادي يرمي ، حسب قولة ديكارت Descartes ، إلى أن يصبح للطبيعة « سيدا ومالكا » ؟ إن النظام الرأسمالي يقضي على الفروق ، ولا يترك - باسم مبدأ تقديس الملكية الخاصة - فرقا إلا بين طبقة الملاكين والطبقة الكادحة . وقد اقتحم هذا النظام البلاد الاسلامية اقتحاما عنيفا ، بين رجال لا يمكن أن يتصوروا أنفسهم إلا منتمين إلى جماعة المؤمنين وأعضاء في عالم لا مالك له إلا الله ، الذي يهب الانسان قدرته ويتركه حرا في التصرف فيها دون إسراف ، لأن الله وحده يرث الأرض .

فكانت الرأسمالية ، وهي في أوجها ، قد حولت الأمم إلى وضع الكادحين ، والرجال إلى وضع المتسكعين . ولم يكن لها ، في نظر الغرب - وهو منتصر - أن تدعو إلى المعارضة إلا باسم مبدأ إلغاء الفروق . وهكذا جاء في أحد المناشير الشيوعية التي وزع منها 500 نسخة في المغرب في شهر فبراير 1935 ما يلي : « **لايحق لكم استعباد شعب بكامله ... إلى الأمام يا أيها المغاربة . ليس هناك أورروبيون ، وليس هناك أهال ، بل هناك أغنياء يستغلون الفقراء . وقد سئم الفقراء من هذه الوضعية ... مستغلون ضد مستغلين ... وطبقة ضد طبقة** » .

وفي هذه الحقبة ، بدأ التاريخ ينقلب للمرة الثانية . وطالبت الحركة « **الشبيبة المغربية** » بالاصلاحات ، ومن ضمنها الحق النقابي للكادحين ... من الأهالي !

العدد 26 — عدد خاص بالذكرى السابعة للظهير البربري

السنة الأولى

الوحدة المغربية

شعارها المغرب للمغاربة أولا وأخيرا

يوم الأحد 5 ربيع الأول 1356 — جريدة اسلامية وطنية ثقافية اخبارية حرة — الموافق 16 مايو 1937

الذكرى السابعة للظهير البربري

يوم حزن وحداد في عالم العروبة والاسلام

من ينصفنا من الاستعمار ...؟

16 مايو 1930 ـ 16 مايو 1937

محمد المكي الناصري

الجريدة « الوحدة المغربية » ، عدد 17 ماي 1937 ، وهو عدد خاص بالذكرى السابعة للظهير البربري .
(الخزانة العامة بالرباط) .

وظن اليسار الغربي أنه وجد في برنامج الاصلاحات فرصا أحسن للادماج. وقررت **الجامعة الاشتراكية بالمغرب**، عند عقد مؤتمرها سنة 1934 الاتصال بالوطنيين لمعرفة «**المطالب التي يمكن قبولها وتأييدها**».

وعبر «الحزب الشيوعي العتيد» بالمغرب (ولما يمض على التصريح به الا قليل) بقلم مؤسسه ليون سلطان Léon Sultan عن إرادته «**بذل كل قوته لتحرير الشعب المغربي، تقوده في ذلك الجمهورية الفرنسية قيادة كريمة وأخوية**»

وهكذا أصبحت الأمور واضحة مفهومة. فليس للدولة المغربية ولا للأمة المغربية وجود، بل ليس هناك إلا شعب ينبغي تحريره بفضل... جمهورية! هكذا خطت سبل الحرية في هذه العملية، إذ كانت الوسائل إليها: الأممية والعلمانية وكفاح الطبقات.

وكان الغزو الاستعماري قد فكك بالعنف الهياكل التقليدية التي كان التكوين الاجتماعي المغربي يقوم عليها، فعجل بظهور طبقة اجتماعية جديدة وبتطورها: وهي الطبقة العاملة المغربية. واجتمعت كل الشروط اللازمة لتعبئتها، ولم يبق «إلا وضع الخميرة في العجين». فهل تستطيع الماركسية، «هذه الخدعة الأخيرة التي اصطنعها الغرب» إثبات إمكاناتها؟

وكيف ستتصرف هذه الطبقة العاملة المغربية الفتية القوية إزاء تحدي نظام لم يترك لها من اختيار سوى بين الاضمحلال أو الاندماج؟ أكان من الممكن سلوك سبل أخرى نحو الحرية؟ كل هذه الأسئلة جعلت من الطبقة العاملة المغربية هدفا يُسعى إلى كسبه، وظهرت وضعية تاريخية خاصة جعلت منها عنصرا حاسما في كفاح المغرب من أجل استرجاع استقلاله.

نشوء الطبقة العاملة المغربية ونموها

إن معاهدة الحماية الممضاة سنة 1912 اكتفت بإقرار واقع من الناحية الاقتصادية. فقد سبق لرأس المال الفرنسي أن اقتحم السوق

المجابهة تصبح عامة.
(عن مجموعة وثائق خاصة).

ثمن العدد : 50 سنتيما

L'Action du Peuple

عمل الشعب

لسان الحركة القومية بالمغرب

JEUDI 15 JUILLET 1937

Un crime impérialiste : l'obscurantisme

Propos d'un jeune

Les causes de la misère nous préoccupent autrement que la misère elle-même

Le Maroc crie haro sur la politique d'assimilation et d'administration directe

M.-H. OUAZZANI

Libérez Abd-El-Krim !

SI MOKHTAR ESSOUSSI

La Pensée est invincible

Victor HUGO

الجريدة « عمل الشعب » ، عدد 15 يوليوز 1937 ترفض الادماج.

(الخزانة العامة بالرباط) .

المغربية ، إذ كانت الشركة La Compagnie Marocaine تشتغل منذ 1902 . وبدت معالم التوسع الاقتصادي . وكان ميناء الدار البيضاء يستقطب 20 بالمائة من التجارة سنة 1908 . وامتد نشاط الشركة La Compagnie Générale du Maroc ثم الشركة Omnium Nord - Africain امتدادا قويا إلى ميادين المعادن والنقل والعقار . وبنيت 2000 كلم من السكك الحديدية .

وحدثت في نفس الوقت انقلابات قوية . فحاربت الجيوش الاستعمارية القبائل حربا لاهوادة فيها ، وأرغمت الثائرين على اللجوء إلى الجبال حيث قاموا بحرب العصابات . واستعبدت القبائل المغلوبة استعبادا ، فسخرتها في إنجاز الأعمال الكبرى من أجل بناء الأسيس ، وذلك بأجور زهيدة . وأهلكت كل شيء أثناء هذه « الملحمة الفتاكة من أجل تأمين البلاد » ، فأحرقت الغلل وقنبلت الأسواق ودمرت المخازن الجماعية وقتلت الماشية وحطمت وسائل السقي .

وأدى تقتيل القبائل ومنع الرعي في بعض المراعي المشاعة واحتلال أجود الأراضي وإرهاب السكان من لدن كبار مساعدي الاستعمار إلى إفقار سكان الأرياف إفقارا كاملا ، إذ كانت نسبتهم 90 بالمائة من مجموع سكان البلاد . وتأثر ، من جراء ذلك ، الاقتصاد التقليدي في المراكز الحضرية القديمة ، فانهارت الصناعة التقليدية والتجارة مع المناطق الريفية .

ودقت ساعة التفقير والتشريد . وهكذا انتزع الآلاف من الناس من الاطار التقليدي الذي كانوا يعيشون فيه ، فالقوا بأنفسهم في عالم الرأسمالية ، لا للنجاح في الحياة ، بل ليبقوا أحياء ، - مثلهم في ذلك مثل الرواد البروتستانيين بأمريكا - (بل وركب بعضهم البحر إلى أوروبا ملبين دعوة الداعين إلى العمل) . وقد تزاحموا في الأحياء العتيقة من المدن التاريخية ، ثم في أرباضها حيث أخذت تنمو بعض قطاعات النشاط الحديث . وازدحموا خاصة في مراكز جديدة مثل القنيطرة (Port-Lyautey) وخريبكة (مركز الفوسفاط) والدار البيضاء . والتمس الآخرون العمل في أراضي الاستعمار الجديد .

وارتفع عدد سكان الحضر بالنسبة لعدد مجموع سكان البلاد من 10 بالمائة إلى 25 بالمائة في ظرف 30 سنة أي من سنة 1920 إلى سنة 1950 . (وقد حصل نفس التطور بنفس النسبة في فرنسا في ظرف 150 سنة !)

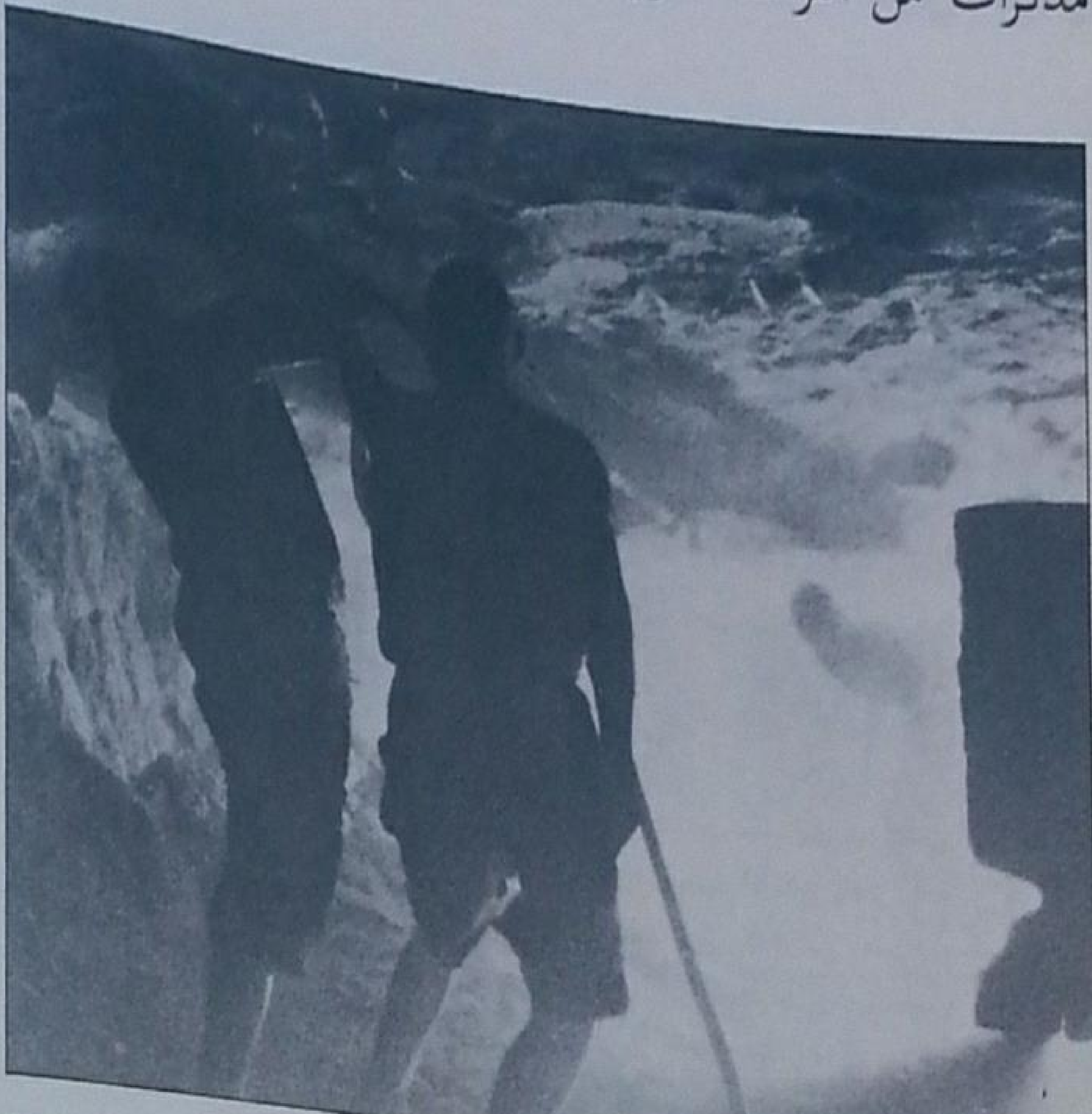

وازدادت حركة الهجرة الداخلية في الوقت الذي حصل فيه الازدهار الرأسمالي المفاجئ في السنوات 1926 - 1929 ، واستقر كثير من المهاجرين استقرارا نهائيا في المدن التي حلوا بها. وهكذا ارتفع عدد سكان الحضر من 400.000 إلى 650.000 نسمة فيما بين سنة 1924 وسنة 1931 . وكان أرباب المعامل الاستعماريون يشتكون مع ذلك من ندرة اليد العاملة. وفي هذه الحقبة نفسها بلغت هجرة الفوج الأول من الأوروبيين أوجها. وكأنهم انقضوا انقضاضا على « الايالة السعيدة » .

ولم تشتد عواقب **الأزمة العالمية** الكبرى على المغرب إلا بعد سنة 1934 ، عند إغلاق الأوراش وانتهاء الأعمال الكبرى ووقف النفقات العسكرية الضخمة سنة 1936 . ونذكر من الأعمال الهامة المنجزة حينذاك ميناء الدار البيضاء (1930 - 1934) ومراكز فاس (1932 - 1934) والقنطرة وبهت (1925 - 1935) والقصبة الزيدانية (1934 - 1936) و 2000 كلم من الطرق والسكة الحديدية بين ابن كرير وآسفي لتصدير الفوسفاط (1929 - 1936) وبين فاس ووجدة (1928 - 1934)

وقاست مقاولات الصناعة والمعادن والبناء مصاعب مؤقتة ، فكان من عواقب ذلك حدّ الهجرة القروية شيئا ما. على أن ذلك لم يمنع المهاجرين من الانقياد إلى حركة التحول الاجتماعي ، إذ هي حركة قاهرة لاترد. وفي هذه الحقبة نفسها بين سنة 1930 وسنة 1936 ، عمد الاستعمار الفلاحي (بعد انهيار أسعار الحبوب سنة 1929) إلى سلوك سبيل التنويع ، وذلك بتنمية زراعة الخضر والحوامض والكروم. وبذلك استعمل أعدادا كبيرة من عمال الفلاحة (30.000 عامل قار و 60.000 فصلي تقريبا)

قطاع المعادن : سوق للعمل بالنسبة للمهاجرين من القرى.
(خزانة المكتب الشريف للفوسفاط) .

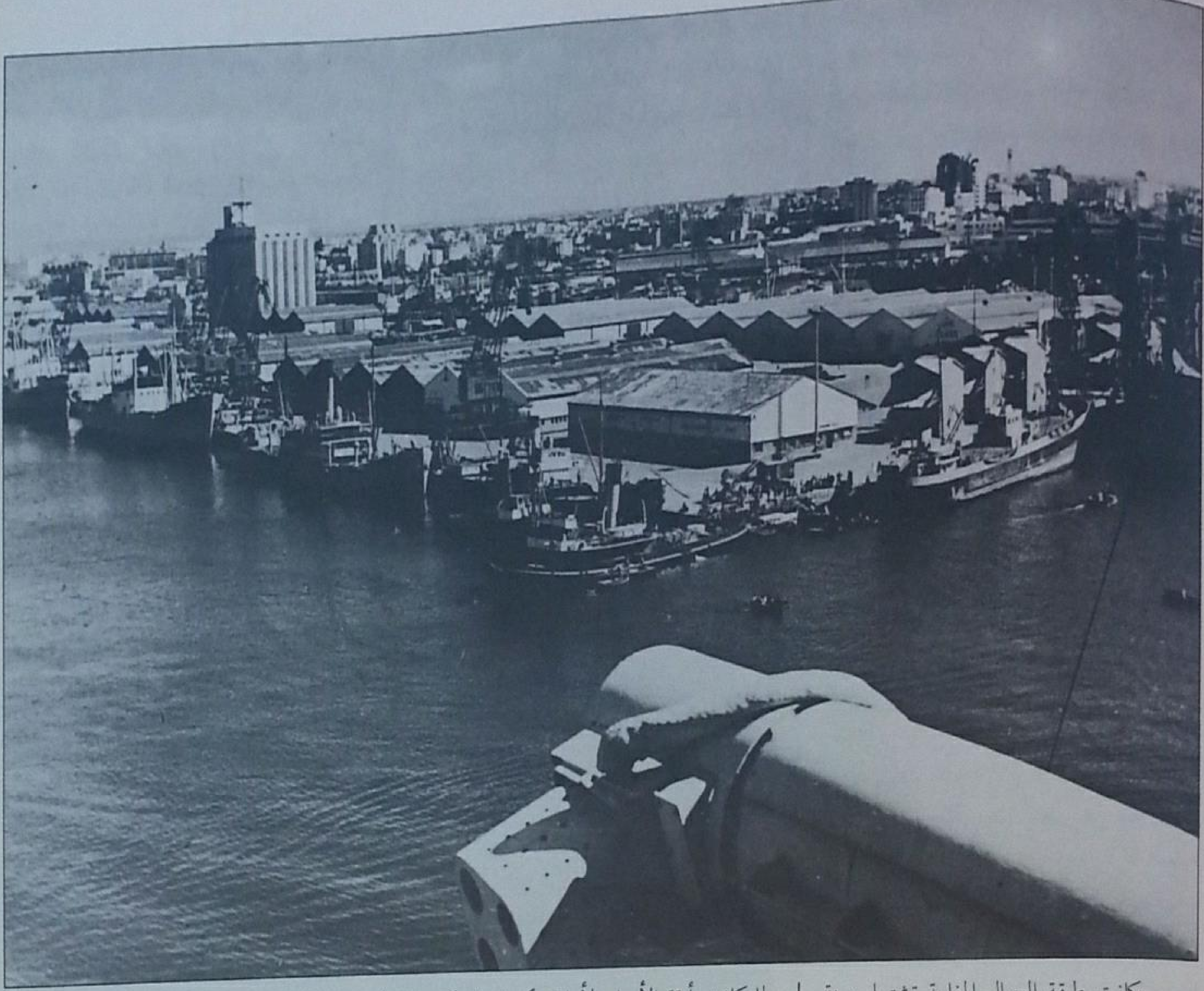

كان ميناء الدار البيضاء يستقطب 20 في المائة من الحركة التجارية منذ سنة 1908.
(تصوير بولان).

وكانت طبقة العمال المغاربة تشتمل سنة 1936 على :

– 30.000 عامل في المصانع والمعادن
– 10.000 عامل في البناء
– 60.000 عامل في النقل على الطرق والسكك الحديدية
– 5000 مساعد في الادارة
– بضعة آلاف في التجارة والأبناك (وأغلبهم مغاربة يهود)
– 90.000 عامل في الفلاحة ، كان 60.000 منهم يتنقلون بين أراضي المعمرين وأوراش الاشغال العمومية والمراسي لحمل السلع.

ولم يكن الباحثون الأوروبيون يصدقون ظروف عيش هؤلاء العمال عندما يقفون عليها.

ولما كانت أزقة الأحياء الأهلية تكتظ بالسكان ، تظهر أحياء أخرى ، ولا قانون لها سوى قانون البقاء وتدبير الأمور بأية وسيلة. وبذلك أنشئت أولى المدن القصديرية في القنيطرة والرباط والدار البيضاء. فظهر دوار الدبغ سنة 1921 ، وبعده بقليل دوار الدوم ، وهو أكبر منه. وفي الدار البيضاء ازدحم أكثر من نصف السكان المسلمين في أحياء كان أعظمها ما سمي « المحاجر المركزية » Les Carrières Centrales (1923) وحي ابن مسيك (1932). وينبغي أن نرى في هذه المجموعة من العمال طبقة دون مستوى الطبقة العاملة لا يُستعمل منها إلا عدد محدود ، ويُستغلون استغلالا مفرطا ، وليس لهم أية وسيلة للدفاع عن أنفسهم.

الطبقة العاملة الأوروبية

وكان إلى جانب هذه الطبقة طبقة عاملة أخرى أوروبية ، تكونت هنا ، بعدما استقدمت من أوروبا ، فحظيت بمنح وامتيازات متنوعة في حقبة الازدهار الذي حدث في السنوات العشرين ، ثم بعد ذلك ، قاست نصيبها من مصاعب الاستعمار المؤقتة.

وكان عدد الأوروبيين (بالمنطقة الفرنسية) يقرب من 200.000 نسمة سنة 1936.

وكانت سلطات الحماية توظف من بينهم العمال الذين تحتاج إليهم للتأطير : منهم الصناع المؤهلون ومراقبو الأوراش ورؤساء المزارع والموظفون والأطر ... وكان عدد العاملين في المصالح العمومية 17.000 (8400 من الموظفين و 3600 من المساعدين) وعدد العمال 14.500 تقريبا ، وعدد العاطلين المسجلين 6500 .

وحظي هؤلاء العمال بامتيازات عديدة بالقياس إلى العمال المغاربة (إذ كان أدنى الفرنسيين أجرة يتقاضى ما يتقاضاه أعلى المغاربة أجرة) . ومع ذلك ، فقد أخذوا منذ السنين الأولى ينظمون أنفسهم للدفاع عن الامتيازات التي نالوها في بداية عهد الحماية ، وللمطالبة بالاستفادة مما فاز به زملاؤهم في فرنسا . فنظموا أنفسهم أول الأمر في السنوات العشرين في إطار وداديات وجمعيات مهنية وتعاونيات . وامتاز منهم في هذه الحركة رجال التعليم ، ثم رجال البريد ، ثم رجال السكك الحديدية . وتكونت قبل ذلك في سنة 1919 بعض الاتحادات العمالية بين عمال البناء وعمال السكك الحديدية . وشُنت إضرابات تميز فيها العمال الأهالي « بتضحيتهم » . وصدرت في نفس السنة رسالة وزارية تمنع على العمال المغاربة منعا قاطعا تبني « المطالب التي يقدمها الأوروبيون إلى السلطات » .

ولما انتصرت الاتحادات اليسارية في شهر ماي 1924 ، قويت الحركة المهنية في أوساط العمال الفرنسيين بالمغرب . ولما اعترف للموظفين في فرنسا بالحق النقابي أصبح وجود **الوداديات** وجودا شرعيا ، إذ كانت تتصرف عمليا ، مثل النقابات . وفي شهر أبريل 1926 حول المعلمون ودادياتهم إلى «**فرع مغربي للنقابة الوطنية للمعلمين والمعلمات بفرنسا والمستعمرات**» . وحذا موظفو البريد حذوهم . أما عمال السكك الحديدية ، فأنشأوا يوم 10 مارس 1929 بمكناس « **جامعة عمال السكك الحديدية بالمغرب** » . وانتهت هذه الحركة النقابية بإنشاء الاتحاد الاقليمي التابع للنقابة C.G.T وسمي « **الاتحاد المغربي للمنظمات النقابية العمالية المتحدة** » Union marocaine des Organisations Syndicales ouvrières Confédérées . وقد قام هذا الاتحاد ، إلى سنة 1936 ، بعمل يهدف إلى تحسين حالة أعضائه الأوروبيين وحدهم والدفاع عن امتيازاتهم . ولم يطعنوا قط في النظام الاستعماري ولا في أسس النظام الرأسمالي .

لكن ينبغي أن نشير إلى أن بعض الاهتمام بالعمال المغاربة أخذ يبدو منذ 1934 وهي السنة التي قدم فيها برنامج الاصلاحات .

ولما تسلم اليسار مقاليد الحكم في فرنسا سنة 1936 أخذت الحركة النقابية في تقوية نشاطها في المغرب بصورة هائلة . وفي يوم 7 يونيو أمضيت اتفاقات ماتينيون بين مجموعة أرباب العمل والنقابة C.G.T حصلت الطبقة العاملة بفرنسا بمقتضاها على مكاسب جديدة . وتوقفت أغلب القطاعات عن العمل من 11 إلى 23 يونيو ، أي القطاع الخاص والمصالح ذات الامتياز . وتتابعت الاضرابات في الشركة COSUMA وفي الفوسفاط والنقل والتعدين وصناعة السيارات . أما حركة الاضراب التي شنت في مصالح تنظيف مدينة الدار البيضاء حيث لا يعمل إلا المغاربة ، فقد قمعت بسرعة !

وفي 19 يونيو صدرت ثلاثة ظهائر تتعلق بتحديد مدة العمل اليومية وبالحد الأدنى للأجور وبالأجور والغرامات ومصالح الاقتصاد . وفي 24 دسمبر ، ليلة عيد ميلاد المسيح ، صدر الظهير الذي يمنح العمال الأوروبيين وحدهم الحق النقابي .

وفي السنة التالية ، استمرت الحركة النقابية على نفس الوتيرة . وانعقد المؤتمر الثاني للاتحاد الاقليمي الذي سمي « **اتحاد النقابات المتحدة بالمغرب** Union des Syndicats Confédérés du Maroc ، وعين عدد كبير من الشيوعيين في المكتب . ولذلك كتب مراسل الجريدة التي كانت لسان الفرع المغربي من **الحزب الشيوعي** المصرح به آنذاك ما يلي : « **ما أكثر الأحداث التي تعاقبت طوال سنة واحدة . وإذا قصرنا الحديث على المغرب فقط ، نشير إلى أنه كانت إضرابات يونيو ، فنتجت عنها حركة نقابية حقيقية شارك فيها أغلبية العمال في البلد ونتج عنها أخيرا الظهير المعترف بالحق النقابي** » .

وبعد مرور بضعة أسابيع على صدور ذلك الظهير ، اجتمعت نقابات تابعة للاتحاد C.F.T.C (المسيحي) ، فكونت بين الاتحاد الاقليمي بالمغرب وأمثاله بمدن الجزائر ووهران وقسنطينة والاتحاد التونسي اتحادا سمي **اتحاد النقابات المسيحية بشمالي افريقيا** Union des Syndicats Chrétiens d'Afrique du Nord . وتنافست المنظمتان فيما بينهما لكن المنظمة C.G.T تفوقت على الأخرى تفوقا كبيرا . وقد نشط المناضلون الشيوعيون والاشتراكيون فيها نشاطا كثيفا . واعترفت الاقامة العامة بصفتها التمثيلية وحظيت عندها . لكنها كانت تستهوي العمال المغاربة ، فتزايد إقبالهم عليها ، إذ لم يجدوا إطارا آخر للدفاع عن مصالحهم ولا سندا للتعبير عن مطامحهم ، وخاصة بعد القمع الذي أصاب الحركة الوطنية إثر مظاهرات الاحتجاج على تحويل مياه بوفكران لفائدة أراضي المعمرين في شهر ماي 1937 .

وبعد تغير الأغلبية في فرنسا ، اغتنمت الاقامة العامة فرصة الاضرابات في خريبكة واليوسفية ، وذكّرت بأن قبول العمال الأهالي في النقابات لم يعد جائزا . ونص ظهير 24 يونيو 1934 على أنه « **يعاقب بالسجن لمدة تتراوح بين خمسة أيام وثلاثة أشهر وبذعيرة تتراوح قيمتها بين 5 فرنكات و 300 فرنك أي مغربي انخرط في نقابة ما أو كل من عمد إلى تسجيله فيها** » .

فقد مضى وقت التسامح . وفي هذه الحقبة التي كانت فيها أوروبا تتأهب لخطوب شديدة كان على السلطات أن تفضل الاهتمام بمطالب أرباب العمل .

وهكذا نلاحظ أن تطور الحركة النقابية الأوروبية بالمغرب كان رهينا – بصفة خاصة –

بالتقلبات التي كانت تحدث بفرنسا ، مثل ظهور النقابات اليسارية وانتصار الجبهة الشعبية . فكان العمال الفرنسيون بالمغرب يستفيدون من نفس المكتسبات التي فاز بها زملاؤهم في فرنسا . لكن هذا التطور لم يكن يحدث عند الأوروبيين وحدهم . فقد ظهرت بعض آثاره على العمال المغاربة وعلى تطور كفاحهم الخاص بهم وهو كفاح سببته تقلبات أخرى حدثت في المغرب ، لا في فرنسا .

سلطات الحماية شديدة الهلع من ممارسة المغاربة الحق النقابي

وفي سنة 1955 أعلن المحجوب بن الصديق وصحبه للعالم – ولما يمض على خروجهم من السجن إلا قليل – خبر إنشاء **الاتحاد المغربي للشغل**. وكان في ذلك استخفاف بالاقامة العامة ، إذ لم تكن سلطات الحماية قد قضت في مسألة الحق النقابي بالنسبة للعمال الأهالي . ولم يتح لها بعد ذلك أن تفعل ، إذ استرجع المغرب استقلاله بعد سنة واحدة .

لقد عرّضت الدولة « الحامية » طوال العقود الخمسة التي نشطت فيها الرأسمالية نشاطا هائلا ، طبقة العمال المغاربة للاستغلال والاستعباد باسم القيم الشمولية وبدعوى نشر الحضارة . وكانت هناك طبقة من العمال المؤطّرين ، لها حقوقها المكتسبة ومطالبها ولم يكن بد لوجودها من إثارة بعض المشاكل ومن تعريض مصداقية شمولية بعض المبادئ إلى امتحان عسير .

وقد خِيض في الكفاح والجدل حول موضوع **الحق النقابي للعمال الأهالي** طوال النصف الثاني من حقبة الحماية . على أنه يجب التمييز بين الجدل الذي جرى في الوسط الأوروبي من جهة ، والذي جرى في أحضان الحركة الوطنية من جهة أخرى . وظهر في الوسط الأول نزاعات حول المصالح التي كان يجب المحافظة عليها . فكانت هناك مصالح أرباب المعامل والمعمرين الفرنسيين ، إذ لم تكن لهم ذمة . وكانت هناك مصالح نظام الحماية الذي كان يخاف الحركة الوطنية أكثر مما يخاف نزاع الطبقات . ثم كانت مصالح الغرب العليا ، الغرب الذي يوافق اعتقاده التقاليد ، وقد قبل ، في فترة ما ، مساعدة الرأسمالية على التوسع ، ولكنه يريد تأييد نفوذه ومثله وقيمه .

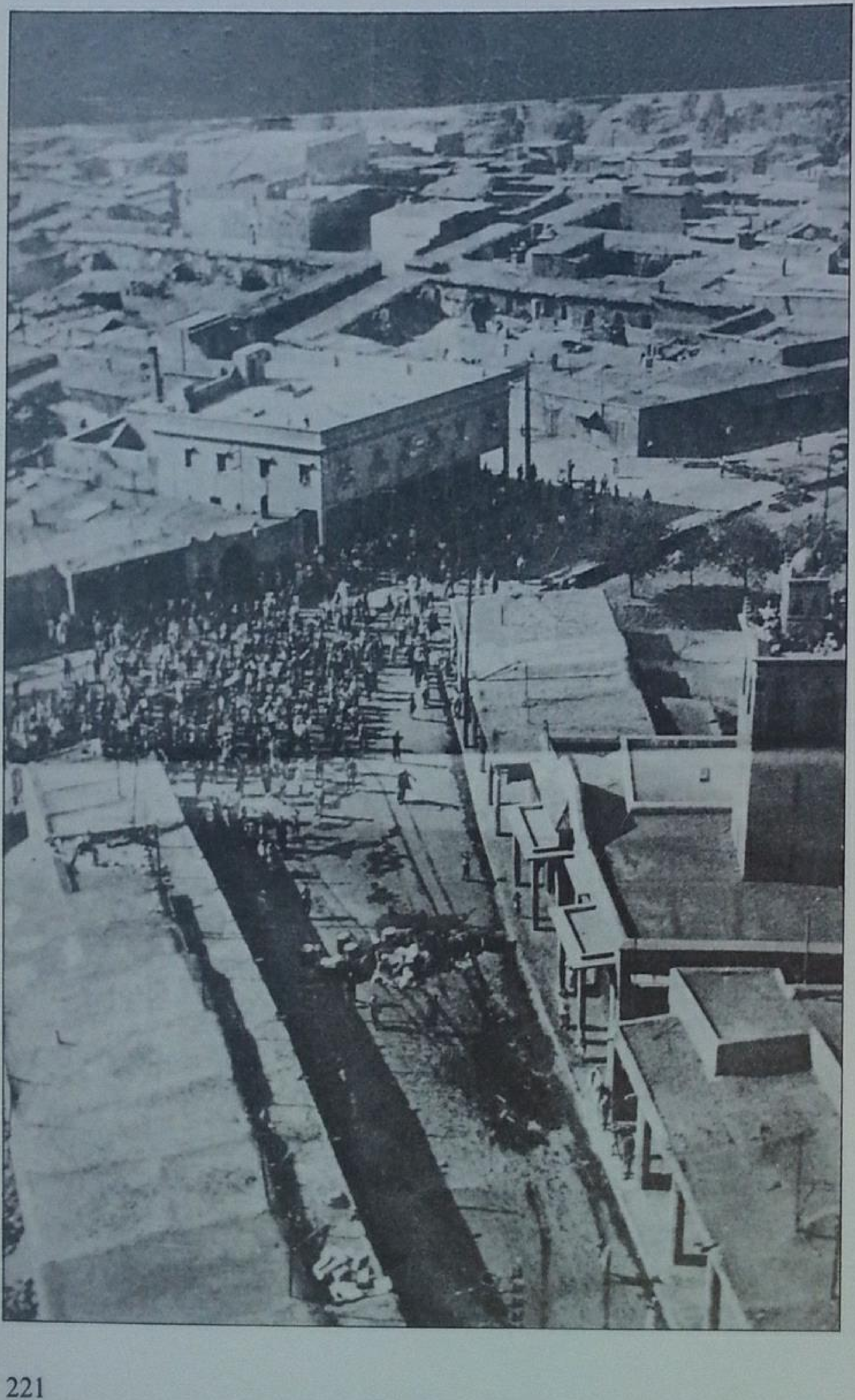

حوادث دامية بمكناس عند تحويل مياه بوفكران ، في شهر شتنبر 1937 .
(عن جريدة « المغرب ») .

المحجوب بن الصديق

« إن للمحجوب بن الصديق بقامته القصيرة ووجهه النحيف وقسماته المتغيرة مظهرا أقرب إلى مظهر المثقف والاستاذ منه إلى مظهر الخطيب الشعبي أو الزعيم النقابي . (...)

« وقد بدأت شخصيته تفرض نفسها فيما بين 1950 و 1954 .

« وحكمت عليه سلطات الحماية بالسجن سنة 1952 وهو إذ ذاك نقابي مناضل . وما أسرع ما امتاز في أوساط الطبقة العاملة المغربية بكونه من أنشط العناصر في الكفاح من أجل الاستقلال .

« لذلك لما حصل المغرب على الاستقلال وأسس الاتحاد المغربي للشغل لم يجادل أحد في أن تكون له إدارة هذه المنظمة بصورة طبيعية ، وحتى زعيم فيديرالية المعادن القوية الطيب بن بوعزة ، إذ كان أقدم منه في النضال . ومنذ ذلك الحين هيمن المحجوب على الحياة النقابية بالمغرب . (...)

« ولد المحجوب بن الصديق بمدينة مكناس سنة 1922 من عائلة متواضعة – إذ كان أبوه صانعا تقليديا – ثم درس في الطورين الابتدائي والثانوي بنفس المدينة ، ثم نجح في مباراة الانخراط في سلك أعوان شركة السكك الحديدية المغربية وترقى درجات السلم بسرعة حتى أصبح رئيسا لمحطة سيدي قاسم .

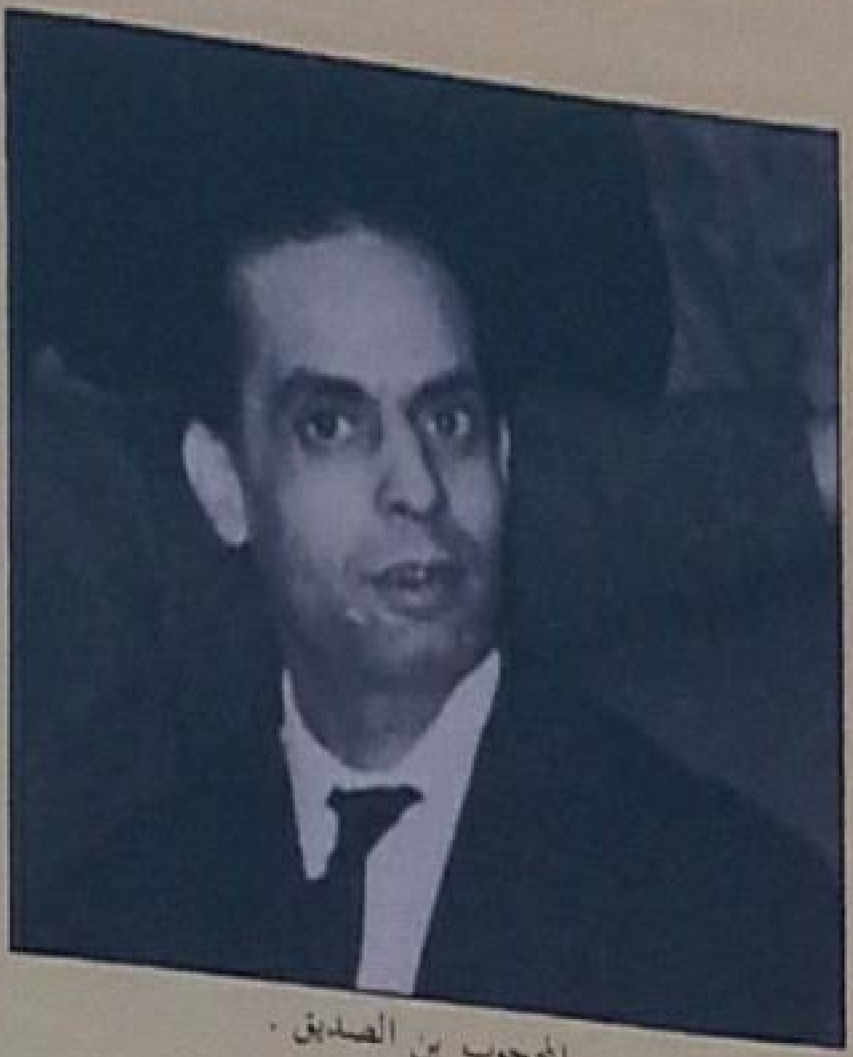

المحجوب بن الصديق .
(تصوير مارادجي) .

« وقد وعى ، وهو مايزال حدثا بقضايا الدفاع عن مصالح العمال وسارع إلى النضال في أحضان المنظمات النقابية آنذاك ، وبالضبط في النقابة .C.G.T ، إذ تدرب على العمل النقابي ، فمارس بصفة خاصة سنة 1948 مهمة كاتب نقابة عمال السكك الحديدية التابعة للنقابة .C.G.T .

« وما أسرع ما تميز بإرادة الاستقلال عن الاتحادات النقابية الفرنسية ، إذ كان فكره الوطني يهدف إلى إنشاء منظمة وطنية تستجيب استجابة أحسن لمصالح العمال المغاربة . ويجب أن لاننسى أن عددا كبيرا من الاوروبيين وخاصة من العمال الصغار كانوا حينئذ يناضلون في المنظمات النقابية ، إذ كانوا أشد حماسا من غيرهم في الدفاع عن الحماية ، فكانت أسباب النزاع كامنة ، لاسيما أن المحجوب بن الصديق لم يكن يرى في الحركة النقابية أداة للدفاع عن مصالح العمال المادية والمعنوية فقط ، بل كان يرى فيها خاصة وسيلة للعمل والكفاح ضد الحماية . وهكذا ، نظمت في مدينة الدار البيضاء سنة 1952 إثر وفاة الزعيم النقابي التونسي ، فرحات حشاد ، مظاهرة نقابية كبيرة تعمد النقابيون توجيهها ضد « الاستعمار » . فكان من نتائج تلك المظاهرة أن حكم على المحجوب بن الصديق ، كبير منظميها ، بما يقرب من سنتين سجنا (فحبس في السجن المركزي بالقنيطرة حيث لقي عبد الرحيم بوعبيد والحنصالي) . ولما سرح سنة 1954 ، أصبح من المخاطبين الذين فاوضتهم الاقامة العامة لايجاد حل سياسي يمكن من إخراج البلاد من أزمتها . فطالب المحجوب بن الصديق كغيره من الزعماء السياسيين ، برجوع محمد الخامس من منفاه قبل البحث عن أي حل . وفي سنة 1955 ، وهي سنة حاسمة أنشأ المحجوب بن الصديق وبعض أصدقائه وخاصة الطيب بن بوعزة ، الاتحاد المغربي للشغل ، واستطاع أن يفرض نفسه على هذه النقابة بذكائه ونشاطه . (...) »

عن La Documentation française
العدد 54 ، نفمبر – دسمبر 1972 .

أما في الأوساط الوطنية ، فكان البحث عن معرفة الطريقة التي يُغلب بها الخصم في ميدانه ، وذلك بربط الجانب الاجتماعي بالجانب السياسي ربطا وثيقا . ولم تهتم الأوساط الأوروبية في المغرب حتى سنة 1930 بمطامح العمال المغاربة إلا قليلا . أما الذين كانوا يريدون الاهتمام بها ، مثل بعض الماركسيين ، فكانوا يصرحون بأن « **ليس هناك أوروبيون وليس هناك أهال** » .

حقا ، إن العمال المغاربة كانوا ، منذ البداية ، يساهمون في الكفاح النقابي خاصة بالاضراب في مكان العمل . على أن العمال الأوروبيين وحدهم هم الذين كانوا يستفيدون في غالب الأحيان من نتائج النزاعات . وما كانت سلطات الحماية تتردد في تطبيق القانون الفرنسي المؤرخ بـ 24 مارس 1884 ، والمتعلق بالحرية النقابية ، على العمال الأوروبيين بالمغرب إلا لخوفها من اقتحام جموع العمال المغاربة ساحة الحياة الاجتماعية : « **لا يمكن إبعاد الأجانب عن النقابات ، وذلك بمقتضى الاتفاقات الدولية ، ولم يكن المغاربة قد كسبوا من التكوين ما يؤهلهم للاندماج في التنظيم النقابي** » .

ولما كان بعض المندوبين الفرنسيين يقومون ببعض المحاولات ، كانت الاقامة العامة تنبه إلى أن للعمال الأوروبيين جمعياتهم المهنية . فكأن الخلاف لم يكن إلا في التعبير .

ويمكن أن ندرك أن محاوري الاقامة العامة كانوا على بينة من مخاوفها . وكان لأكثرهم تقدمية مواقف حاسمة حول مصالح الأهالي . فلا يمكنهم « التضامن مع الوطنيين والعنصريين المغاربة » ، وذلك « باسم نزاع الطبقات وباسم الدولية العالمية » ، حسبما ورد في التصريح النهائي الذي صدر عن مؤتمر **الفيدرالية الاشتراكية** بالمغرب الذي انعقد يوم 3 يونيو 1934 . وكانوا يرون أن من واجب الاشتراكية « التدخل في حياة الشعوب المستعمَرة » . وقد ورد في خاتمة التصريح « **أن الحزب الاشتراكي لم ينتظر ظهور حركة الشبيبة الوطنية لاعداد قائمة بمطالب الطبقة العاملة المستعمَرة** » .

ولم يظهر تطور الاشتراكيين واضحا إلا بعد نشر **برنامج الاصلاحات** . فقد خُصص جزء كامل من البرنامج للمطالب الاجتماعية ، وبذلك أبرزت الحركة الوطنية التناقض عند الغربيين . فنقضت أسس كل المبررات التي برر بها الاستعمار الفرنسي وجوده ، إذ لم يعدل قط عن التباهي بنشر الحضارة والتقدم الاجتماعي . ولم يعد في إمكان المناضلين الاشتراكيين التعبير عن « معارضتهم كل حركة وطنية وكل بورجوازية ، إذ يقاومونهما في المغرب كما يقاومونهما في فرنسا » .

وقد ألح برنامج الاصلاحات عن المطالب الاجتماعية ، وبذلك استدل بالضد على أن الاستعمار يضطهد خاصة العمال والفلاحين في المغرب (كما يفعل في غير المغرب) . وعلقت الجريدة Le Maroc Socialiste ، وهي لسان الفدرالية ، فقالت : « **إننا نعترف بغير حرج بأننا متفقون مع محرري البرنامج في بعض النقط الجوهرية التي توافق أفكارنا الاجتماعية وتطبق المذهب العمالي الصرف** » .

لكن التطور الذي ظهر في غضون السنوات التي سبقت حكم الجبهة الشعبية في فرنسا والذي عبرت عنه الصحافة الاشتراكية لم يكن يعكس حتما رأي القاعدة ولا حتى رأي اتحاد النقابات ، إذ كانت هذه النقابات ترى « **أن التحرر مايزال شيئا بعيد المنال وأنه لايمكن حصوله إلا بعد تربية طويلة الأمد تمكن الطبقات الشعبية من التخلص من وصاية البورجوازية والاقطاعية المحلية ومن تأثير الاسلام** » !

وتبين لنا أن في برنامج الاصلاحات قضية محرجة : كيف يجوز الادعاء بمناصرة فكرة تحرير طبقات الشعب المغربية ورفع مستواها وتقدمها بإبقاء هذا الشعب تحت الوصاية ؟ الجواب هو تبرير هذه الوصاية « بطول أمد التربية » !

والواقع أن الوطنيين المغاربة محرري البرنامج كانوا يهدفون خفية إلى الكشف عن نوايا نظام الحماية الحقيقية . فكان الوطنيون ، وهم يطالبون بتطبيق معاهدة الحماية تطبيقا دقيقا يريدون فضح الاستعمار واستدراجه إلى الاعتراف بأن معاهدة الحماية ، ولو كانت مفروضة ، لم تُمضَ إلا لتنقض .

أما اعتراف النقابيين الفرنسيين برغبتهم في تحرير العمال من تأثير الاسلام ، فكان اعترافا صريحا .

وقد حدث تقارب ضمني في مواقف اليسار والنقابات والاقامة العامة . وساعد على ذلك تواتر الاحداث في فرنسا . وحاولت الاقامة عبثا سلوك سبل تؤديها إلى حل القضية النقابية بواسطة الجمعيات الحرفية ، ولكنها قررت في الأخير أن تغض الطرف عن الأمر الواقع الذي حدث بعد الاضرابات الكبرى التي شنت سنة 1936 .

وتميز العمال الأهالي مرة أخرى بتضحياتهم أثناء هذه الاضرابات .

فكانوا يساهمون بنشاط في جميع فرص الكفاح ، لكن لا ينالهم إلا بعض الفتات مما يكسب إثر المفاوضات . ومع ذلك ، فكانوا يلتمسون الحماية عند النقابات ، إذ في ذلك الوسيلة الوحيدة التي تمكنهم من الاجتماع وجمع الشمل . وقد برر النقابيون الأوروبيون ذلك الموقف بقولهم : « **إن النقابة ، إذ تُيسر التقارب بين المغاربة والفرنسيين ، قد تكون بمثابة الحاجز الذي يمنع أية فكرة استقلالية ، وفي ذلك فائدة كبيرة لنظام الحماية ولطول عمره** » .

هذه هي النظريات التي بنيت عليها أسس مذهب نظام الحماية في السياسة النقابية .

وتأكدت هذه السياسة بصورة أدق بُعيد الحرب العالمية الثانية . وليس معنى ذلك أن الغلاة المؤيدين لرفض حقوق الأهالي رفضا بلا شرط قد أحجموا . ما أبعدهم عن ذلك ! فقد كتبت جريدتهم Le Petit Casablancais ، بعد إضرابات يونيو 1936 : « **ألم تُعطوا هؤلاء الأهالي سلاحا فتاكا ، وقد علمتموهم كيف يثورون . أيمكنكم**

مذكرات من التراث المغربي

أن تقولوا ضد من سيستعملون هذا السلاح ؟ » وكتبت كذلك ما يلي : « **إن عددا كبيرا من العمال** (**المضربين**) **القادمين من الجنوب لم يلقوا السلاح إلى منذ بضعة أشهر** » .

وساندت الاقامة العامة مطالب أرباب العمل بعد التشدد الذي عقب سقوط الجبهة الوطنية وسبق الحرب . فأصدرت ظهير 1938 . ولم تر نقابات C.G.T بدا من تحذير سلطات الحماية إذ أكدت أن « **العمال المغاربة سيميلون حتما إلى المنظمات الوطنية إذا ما أقصوا من النقابات التي كانوا يلجؤون إليها** » . ونبهت النقابات كذلك إلى أن « **السلطات تتحمل وحدها مسؤولية الاضرابات التي تنجم عن ذلك** » . إنه جدل الأسبقيات !

وذلك ما حدا بالمقيم العام نوكيس Noguès إلى طمأنة بيير سيمار Pierre Semard لما استقبله يوم 26 أكتوبر 1939 ، فأكد له أنه يعتبر النقابة C.G.T « النقابة الوحيدة التي يراها مؤهلة للدفاع عن مطالب الأهالي ».

تلك هي الخطة التي كانت ترمي باستمرار إلى صد الطبقة العاملة عن الكفاح الوطني وإلى صرف همتها ، بقيادة النقابة C.G.T ، إلى الكفاح الاقتصادي الذي تقوده حركة نقابية غير بعيدة الهمة وإلى التمسك بخرافات المستقبل الزاهر والثورة العالمية .

وازداد نشاط النقابة C.G.T ، بُعيد الحرب ، إذ كان المناضلون الشيوعيون أنشط من غيرهم (في الوقت الذي كان فيه شيوعيون آخرون على كراسي الحكم بباريس) وسوندت هذه النقابة مساندة قوية واستفادت من وسائل مادية وبشرية ، ففتحت أبوابها للعمال المغاربة ، وذلك رغم الحظر الذي نص عليه ظهير 1938 . وينبغي أن نشير إلى أن ذلك حدث في حقبة كان المقيم العام فيها رجلا متحررا ، يرى « **أن من شأن النشاط النقابي بالنسبة للعمال – مثل الدعوة إلى تنمية الانتاج بالنسبة للملاكين – أن يصرف المغاربة ، على الأقل عن الحركة التقليدية والانفصالية ، إن لا يصرفهم عن الوطنية** » . وكان إيريك لابون Eirik Labonne ، عندما يزور المعامل ، يحث العمال المغاربة قائلا : « **هبوا إلى النقابة C.G.T ! هبوا إليها** » وقلق الوطنيون قلقا كبيرا عندما لاحظوا حظوة هذه النقابة وحظوة الحزب الشيوعي (حسب المظاهر على الأقل لأن العامل يستلم غالبا بطاقة الانخراط في النقابة وبطاقة الانخراط في الحزب معا) . ومع ذلك فلم يفلحوا في محاولتهم صَدّ العمال عن النشاط النقابي .

وقد كتب المحجوب بن الصديق وهو في السجن سنة 1952 ، مذكرة يصف فيها حيرة نخبة من العمال المغاربة ، إذ كانت هناك نخبة تكونت في فترة الكفاح في أواخر السنوات الأربعين ، فقال : « **أما دعوة الأحزاب السياسية الوطنية إلى مقاطعة النقابة C.G.T ، فلم يستجب لها ، ولم يعد يهتم بها إلا قلة قليلة من العمال المناضلين ، وهم غير راضين لأنهم اضطروا إلى الاحجام عن النشاط . فقد كانوا في حيرة شديدة : فإما أن يتبرؤوا من النقابة C.G.T ولا يقترحون عنها بديلا ، فيدعون بذلك إلى التنازل عن ممارسة الحق النقابي وإلى الانتظار . وإما أن يبقوا مكتوفي الأيدي أمام النفوذ الشيوعي . ولم يعودوا يدركون مغزى موقف الأحزاب الوطنية . فقد كانوا يفيضون حيوية وينتظرون بفارغ الصبر الفرصة التي يتحينونها لاثبات كفاءتهم . وكانوا كذلك يدركون خطورة الوضعية الاجتماعية وضرورة القيام بعمل إيجابي لتحسين أحوال معيشة العمال . لذلك أرادوا إنشاء حركة نقابية مستقلة ، دون انتظار الحق النقابي . فإن يصدر هذا الحق في يوم ما ، فليضفي الشرعية على حالة واقعة** » .

هكذا وضعت المشاكل التي كانت الحركة الوطنية تعانيها أمام الحظوة الظاهرة التي حظيت بها النقابة C.G.T وحظي بها الشيوعيون . لكن هذه الحظوة كانت ، في الواقع ، علامة لبروز حدث تاريخي جديد : الحركة العمالية المغربية الأصيلة .

وبقي على تلك النخبة تحديد دائرة عمل الحركة وتدقيق مميزاتها لوضع إطارها الخاص بها . وبذلك اضطلع المحجوب بن الصديق وصحبه ، فنوّوْا مراكز التقرير في النقابة .C.G.T (التي سميت UGSCM منذ 1943) فنفذوا إلى هذه المراكز وربطوا الصلات على مستوى شمالي افريقيا وعلى المستوى الدولي ، وعمدوا خاصة إلى الدعايات الكتابية والشفوية ، ونخص منها مقالات المحجوب بن الصديق في الجريدة L'Opinion du Peuple باسم مستعار وهو « الزوفري » .

وكان يجب قبل ذلك توضيح الأشياء ورفع اللبس . فقد سبق لمصالح الاقامة العامة التي تتولى تسليم الاذن بإنشاء النقابات أن أشاعت أن السلطان يعارض منح المغاربة الحق النقابي (وقد كان في الواقع يعارض تطبيق مبدأ السيادة المزدوجة في الميدان النقابي) . فاستقبل صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف وفدا من النقابيين المغاربة (الطيب بن بوعزة ومحمد التيباري والمحجوب بن الصديق) يوم 30 أبريل 1949 ، وحدد موقفه بوضوح في هذه القضية فقال لهم ما معناه : « **إن النقابة حركة لتحرير الطبقة العاملة ، وهي أكثر الطبقات عددا وأجدر بالاهتمام . وإننا لشديدو العناية بها ، شديدو الحدب عليها . إن النقابة لا تستطيع أن تنمو وتؤتي أكلها سالما إلا في جو الحرية . ومعنى ذلك أن يكون جميع العمال أحرارا في إنشاء المنظمة النقابية أو في اختيارها ، وأحرارا في اختيار مُسيريهم اختيارا ديموقراطيا . إن هذه الحرية هي الضمانة الوحيدة التي نطالب بها . فلا تهمنا جنسية المسيرين إلا قليلا ، إذ يكفي أن يتمتعوا بثقة العمال** » . وعبر صاحب الجلالة عن أسفه لكون العمال المغاربة مضطرين إلى تنظيم أنفسهم في أحضان النقابة C.G.T . ثم وعد الوفد بأنه لن يألو جهدا في إصدار الحق النقابي قريبا ، وألح على ضرورة مقاومة الأفكار الخبيثة التي تبثها الشيوعية .

صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن مع المحجوب بن الصديق والطيب بن بوعزة .
(عن مجموعة صور خاصة) .

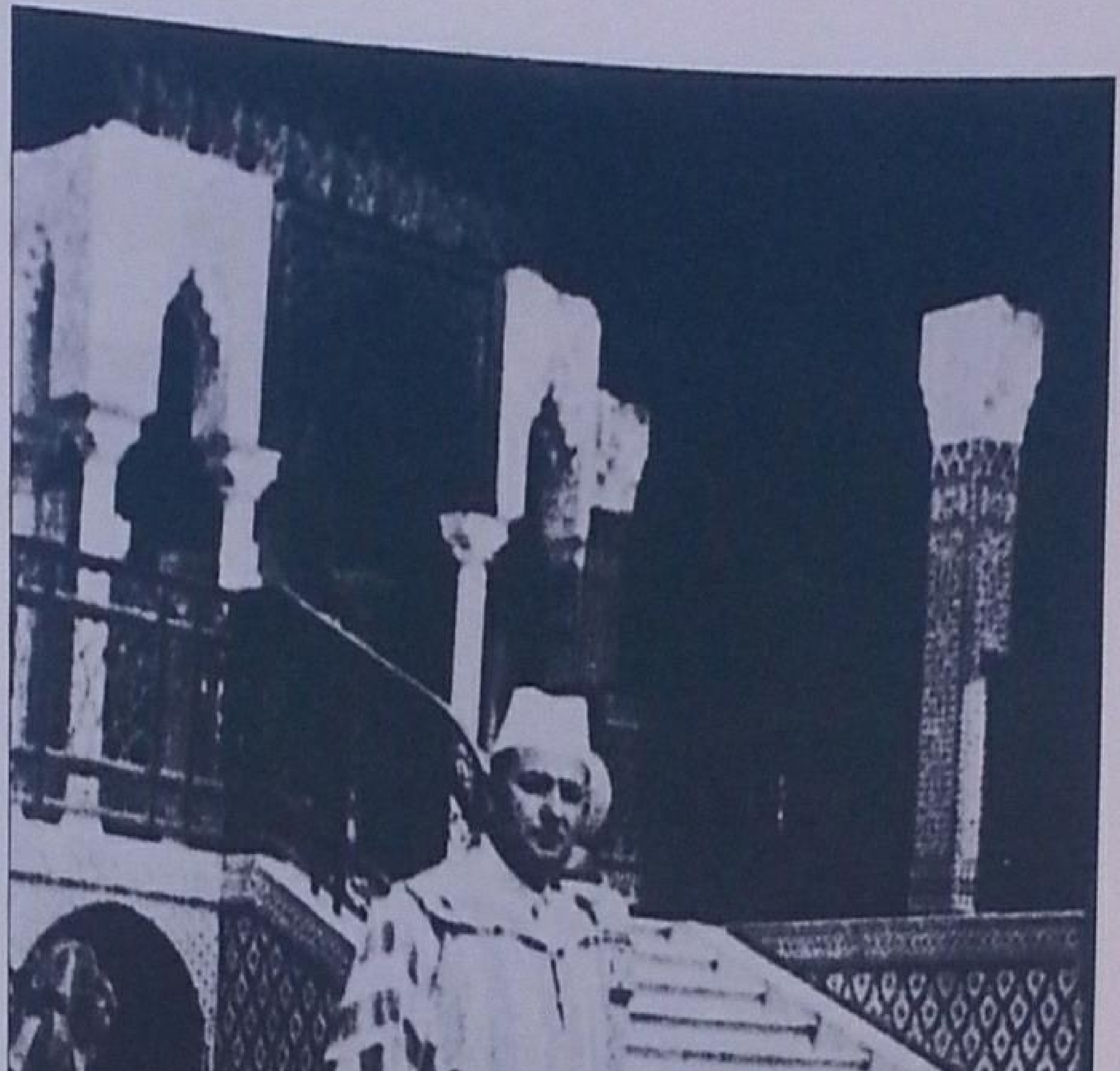

جلالة الملك يصرح أن : « لا نقابة بدون حرية » .
(PARIS MATCH ، أكتوبر 1950 ، الخزانة العامة ، الرباط) .

واستنكر مكتب النقابة UGSCM ما قام به الوفد وحذفت الرقابة محتوى محضر المقابلة من الجريدة « العلم » . لكن الممثلين النقابيين اغتنموا فرصة تجمعات فاتح ماي فشرحوا للعمال مواقف صاحب الجلالة وهي المواقف التي أعلن عنها مرارا في خطب العرش . « **لانقابة بدون حرية** » ، بهذا صرح ذلك العاهل الذي لقبه غلاة الحماية « سلطان حي CARRIÈRES CENTRALES » . ولم تتردد بعض الأوساط في نعته – عندما حان الوقت والحاجة في نفس يعقوب – بالعبارة « رجل موسكو » .

وأكد صاحب الجلالة ، عندما حدد شروط الحرية ، على موقف لم تحد عنه الحركة الوطنية فيما بعد ، وهو أن الاستقلال تمهيد للاصلاحات . فكان على المناضلين الوطنيين أن يعزوا كل ما أصاب الطبقة العاملة المغربية إلى المصيبة الكبرى وهي الحماية ، وأن يعلقوا ، من جراء ذلك ، تحسين وضعية الطبقة العاملة بإلغاء عقد الحماية . فأصبحت الأسبقية للكفاح الوطني ، إذ شمل كفاح الطبقات . وأصبح معظم الخلافات بين الشعب المغربي بجميع عناصره الاجتماعية من جهة ، وبين الاستعمار من جهة أخرى . وقد شرح المحجوب بن الصديق ذلك بقوله : « **إن العمال والفلاحين والصناع التقليدين وأرباب المصانع متضامنون تضامنا طبيعيا . وعليهم أن يكونوا في خدمة الأمة في كفاحها من أجل الحرية وضد التوسع الاستعماري وأذناب الاستعمار** » .

ولما كان الشيوعيون من النقابيين يسألون المناضلين الوطنيين هل هم متفقون مع البورجوازيين مثل الغزاوي كانوا يجيبون : « **ولمَ أنتم متفقون مع قوم مثل الماريشال جوان أو الكلاوي ؟** » . وهكذا اتضحت الحدود الفاصلة .

وبقي على النقابيين أن يحلوا قضية الاطار الخاص بحركتهم . وبما أنهم لم يجدوا وسيلة إلى ذلك غير الاستيلاء على مراكز التقرير في أحضان النقابة UGSCM ، فقد عمد إلى ذلك المناضلون الوطنيون في النقابات ، فأفلحوا في عملهم . وقد ارتابت الهيأة المسيرة في حزب الاستقلال أول الأمر ، ولكنها تحمست فيما بعد . ولما حلت سنة 1949 « كان المناضلون المغاربة غير الشيوعيين يسيرون خلايا القاعدة » . أما فيدراليات المصالح العمومية والمصالح ذات الامتياز ، فقد كانت إدارتها ثنائية . وقد قال بن الصديق : « **لم تكن هناك صعوبات في المرحلة الثانية ، إذ كان النقابيون المغاربة يعارضون الشيوعية معارضة صريحة بينما كان**

أغلب النقابيين الفرنسيين (موظفي الحماية) غير شيوعيين ، على أي حال . وكان من شأن مجرد تطبيق القانون النقابي أن يمكن من تغيير الادارة وتغيير القمة لتكون صورة للقاعدة »

وانعقد المؤتمر في سنة 1950 بعدما تأخر سنة ونصفا ، فانتخب مكتبا مؤلفا من خمسة شيوعيين وأربعة استقلاليين . وأوضحت الجريدة « العلم » أن كاتبين عامين يسيران المكتب عمليا ، أحدهما يمثل الفرنسيين لوروا Le Roy وثانيهما يمثل المغاربة « الطيب بن بوعزة » . أما على مستوى الطبقة العاملة ، فتلك مسألة مفروغ منها . وندب حزب الاستقلال عبد الرحيم بوعبيد ليخطب في العمال المتجمعين في ملعب فيليب Philip يوم فاتح ماي 1951 . فاستقبل استقبالا رائعا ، في حين أهين ممثل الحزب الشيوعي . وتصرفت طبقات العمال في القنيطرة نفس التصرف إذ حددت موقفها ، فاستقبلت المحجوب بن الصديق بالتصفيق بينما استقبلت بوابل من الصفير زميله في مكتب النقابة UGSCM ، الحدوي . وقد تعدت ذلك فمنعته من إلقاء خطبته .

عندئذ أدركت سلطات الحماية أن خدعة التسامح النقابي وتأطير العمال المغاربة بواسطة « الحماية النقابية » تنقلب عليها . وحاصر العمال المغاربة الاتحاد UGSCM وأوشكوا على أن يضعوه في مقدمة وسائل الكفاح الوطني .

فأضفت الطبقة العاملة على الكفاح الوطني صبغته الشعبية الناجعة ، وذلك بتعبئتها للكفاح حسب طريقة صائبة . وأصبحت مدينة الدار البيضاء عاصمة الوطنية المغربية بعدما كانت أيضا عاصمة الطبقة العاملة المغربية . كان رأس المال الاستعماري قد ازدهر فجأة وللمرة الثانية ، وأخذ يؤتي أكله ، فنتج عنه تقوية صفوف الطبقة العاملة المغربية وخاصة البيضاوية ، إذ كان ذلك الاقتصاد ، بعد ما اشتد أزره في أيام الحرب ، يهدف إلى تحقيق رغبات فرنسا .

واغتنم أرباب المعامل فرصة فترة الرخاء التي عقبت الحرب ، فسخوا ببعض ما كسبوه لفائدة العمال الأوروبيين خاصة ، وبذلك تفاقم الميز بين « الطبقة العاملة الأوروبية العليا » وبين

فاتح ماي 1952 ، عدد خاص من الجريدة « العلم » حول عيد الاتحاد والنضال .

عدد خاص عن

فاتح ماي : عيد العملة . عيد الاتحاد والنضال

العلم
جريدة يومية إخبارية

السنة السادسة
الخميس 6 شعبان 1371
1 مايه 1952
العدد [illegible]

الإدارة
زنقة إجيل ديلوبي
شارع تمارة
بالرباط
التلفون 6041
صندوق البريد 141
الثمن 15 فرنكا

مدير الجريدة : عبد الجليل القباج

عيد الاتحاد والكفاح

هل من أمل في انتهاء محنة الطبقة العاملة في بلادنا ؟ وهل يرجى أن تشرق شمس الحرية في أفقها لتتمتع بالعيوم فتظفر بحقوقها المشروعة ورغائبها العادلة ؟ أم ستبقى على الدوام مطية استغلال واستعباد في عصر تحررت فيه كافة الطبقات العاملة في غير هذا القطر المنكوب ؟ وأصبحت في أمن على نفسها وأبنائها وأموالها وحقوقها ؟

هذه أسئلة نوجهها للذين يمسكون بمقاليد الحكم في هذا القطر دون أبنائه ، كلما سلخ عام على عيد العمال وأقبل عام جديد بل كلما عايهم كلما أتيحت الفرصة فحدثنا عن شؤون هذه الطبقة المحرومة من الضمانات والحقوق ومع ذلك ما فتئوا يصمون آذانهم ، ويتركون عملتنا نهبا للاستعباد والاستغلال فقد مر على الوضع القائم أربعون عاما ، وزعم مؤسسوه أنهم ما راموا بسطه إلا لإسعاد أبناء هذه البلاد وإدخال الإصلاحات العصرية على مرافق حياتها ، وكفالة الأمن والحقوق لأهلها . فكيف يسوغ لهم أن يدعوا مثل هذه المزاعم ونحن نرى أكبر [illegible]

يباشر الإصلاح الحقيقي الذي يفتقر إليه في كافة الميادين

وهذا الموقف الذي اتخذوه عن تجربة واقتناع بسببه لهم كثيرا من المحن والاضطهادات من النوع الذي يلقاه الأحرار المؤمنون بمبادئهم الساعون لتحقيقها فنرى اليوم عددا لا يستهان به من القادة والمسيرين النقابيين في السجون والمنافي لا لجرم اقترفوه وإنما لنشاطهم وسعيهم في سبيل مصلحة رفقائهم ومصلحة هذا الوطن بصورة عامة على أن هذا القمع المريع الذي يتعرضون له في كل مناسبة لا يثنيهم عن مواصلة الكفاح وضم الصفوف وشحذ العزائم لحمل خصومهم على الاعتراف بما لهم من حقوق ، فقد برهنت التجربة على أن الحقوق لا تأتي عفوا وطواعية وإنما تؤخذ غلابا

لذلك يعمد العملة ، رغم ما نزل بهم من كوارث في النضال ويجعلون من عيدهم هذا عيدا شعاره الاتحاد والكفاح لانتزاع مطالبهم التي هي مطالب الشعب المغربي عن بكرة أبيه

الصحف الفرنسية تتحدث عن

جواب الحكومة الفرنسية على المذكرة الملكية

تحدثت كافة الصحف الفرنسية أمس عن جواب الحكومة الفرنسية الذي هو بصدد التحضير على المذكرة الملكية ولضيق المقام نقتصر على إيراد ما قالته جريدة لوموند فبعد ما ذكرت اجتماع المجلس الوزاري قالت :

من المعلوم أن مذكرة العاهل المغربي التي وجهت بالطرق المعتادة بعد ما انتهى الهيجان الذي أحدثته مناقشات الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة احتوت على مطالب دقيقة فقد ألح سيدي محمد في منح مختلف الحريات السياسية المعطلة بمقتضى الأحكام العرفية التي ما تزال سائرة

التطبيق والحقوق النقابية التي تأخر الاعتراف بها بسبب خلاف طويل بين القصر والإقامة العامة كما طالب جلالته بتشكيل حكومة موقتة مؤلفة من شبان تناط بها مهمة فتح مفاوضات مع فرنسا للوصول إلى مراجعة وضعية المغرب

وبعدما درست الحكومة الفرنسية هذا البرنامج من المطالب كلفت وزارة الخارجية ومصالح الإقامة بإعداد جواب عنه وقد أحيط الجواب الفرنسي لحد الآن بتكتم كبير . وكان هناك مشروعان على طرفي نقيض : إما التفكير في مراجعة عقد الحماية وإما الاكتفاء بالتذكير ببرنامج الإصلاحات الذي تعمل الإقامة على إنجازها بتعاون مع عاهل المغرب والوقوف عند حد هذا البرنامج . ويظهر أن وزارة الخارجية وافقت على مشروع ثالث اقترحه الجنرال كيوم : وهو يرمي إلى تقديم مقترحات واسعة وجديدة لتبني فتح [illegible]

مغزى فاتح مايه وتاريخه المجيد

بقلم الطيب بوعزة [illegible]

فإذ كان هذا اليوم عزيزا على قلوب العمال فما ذلك إلا لكونه يمثل مرحلة دامية في هذا النضال الذي يشتد يوما على يوم .

أصل فاتح مايه

إن تاريخ فاتح مايه يرجع أصله إلى الولايات المتحدة ذلك أن الكفاح الذي خاض غماره في شهر مايه ١٨٨٦ « فرسان الشغل » المطالبة بقانون لثماني ساعات كان شديدا وقد تبلور هذا الكفاح في التصريح الآتي :

« ابتداء من هذا اليوم لا ينبغي لأي عامل أن يشتغل أكثر من ثماني ساعات في اليوم »

ثماني ساعات للشغل
ثماني ساعات للراحة
ثماني ساعات للثقافة والتهذيب

وقد [illegible] أرباب العمل لقوة هذه الحركة وشمولها فبدأوا يرضخون وفي [illegible]

إن يوم فاتح مايه حافل بالمغزى بالنسبة للطبقة العاملة وجميع الذين يكافحون من أجل التحرير

فخلال هذا اليوم يشعر العمال في العالم أجمع بالتضامن الذي يوحدهم ويقوم العملة بهذه المناسبة في الأقطار الحرة بحفلات فاخرة أما أولئك الذين يخضعون لنظام استعماري كالمغاربة فإنهم يعبرون عن رغبتهم في الوصول بفضل اتحادهم في العمل إلى حياة شريفة وإلى التحرير الوطني . [illegible]

الجريدة Maroc - Presse تتحدث عن حوادث دسمبر 1952 بالدار البيضاء والرباط .

MAROC-PRESSE

Président directeur Henri SARTOUT

GRAND QUOTIDIEN D'INFORMATION

« La Presse Marocaine », « Le Maroc Quotidien », « Le Petit Marocain », « Le Soir Marocain »

6 à 13, rue Dumont-d'Urville — Tél. : 274-93 - 254-06 - 206-80 — CASABLANCA

LA PLUS FORTE VENTE DES QUOTIDIENS DU MATIN

MARDI 9 déc. 1952

PRIX : 15 FRANCS

PRÉPARÉES PAR UN VÉRITABLE COMPLOT DES EXTRÉMISTES

LES EMEUTES DE CASABLANCA

ONT FAIT DE NOMBREUX MORTS ET BLESSES

HUIT EUROPEENS ont été massacrés avec une rare sauvagerie

Des manifestants attaquent le poste de police des Carrières Centrales

VINGT MORTS

Route de Médiouna ils se heurtent malgré les sommations d'usage au service d'ordre

DIX MORTS

Trois mille Marocains, cernés au siège de la C. G. T.

MAROC-PRESSE

12 PAGES

Président directeur Henri SARTOUT

GRAND QUOTIDIEN D'INFORMATION

« La Presse Marocaine », « Le Maroc Quotidien », « Le Petit Marocain », « Le Soir Marocain »

6 à 13, rue Dumont-d'Urville — Tél. : 274-93 - 254-06 - 206-80 — CASABLANCA

LA PLUS FORTE VENTE DES QUOTIDIENS DU MATIN

VENDREDI 12 déc. 1952

PRIX : 15 FRANCS

L'ISTIQLAL ET LE PARTI COMMUNISTE SONT INTERDITS

Les récentes émeutes de Casablanca ont manifesté à nouveau le danger que constitue pour l'ordre public l'activité du parti de l'Istiqlal et du parti communiste marocain.

Ces deux partis qui se sont institués et fonctionnent en infraction formelle à la législation chérifienne sur les associations, sont illégaux.

Leurs dirigeants tombent, de ce fait, sous le coup de sanctions pénales prévues par cette législation.

D'autre part, l'action de ces partis, qui a abouti aux tragiques incidents des 7 et 8 décembre, expose par sa nature tous ceux qui les dirigent, y sont affiliés ou leur prêtent leur concours, aux peines de prison et d'amende prévues par le dahir du 29 juin 1935 contre quiconque aura exercé une action tendant à troubler l'ordre, la tranquillité et la sécurité publiques.

DES TROUBLES A RABAT

1 mort 3 blessés

QUATRE CENTS ARRESTATIONS

Le Résident Général a été reçu hier par S. M. le Sultan

Situation tendue à Casablanca

Hier soir à la radio

Un APPEL aux MAROCAINS

« الطبقة العاملة المغربية الدنيا » . وازداد الميز عقب نتائج عدد من الاضرابات ولو كان المغاربة يكافحون كفاحا واحدا إلى جانب الأوروبين . وبذلك تأكد سداد الخطة النقابية الوطنية وتأكد شعارها « **لتسقط الحماية أولا** » .

فلم يعد هناك مجال للأوهام ، واقتربت ساعة المواجهة .

دسمبر 1952

وعادت الاقامة العامة بعد مؤتمر سنة 1950 إلى طرق الحوار العنيف مع العمال فحلّت اللجنة المركزية المكلفة بالأجور وجداول الترتيب المهني وساعدت السلطات أرباب العمل جهارا على التعسف ، إما بالحياد المتحيز أو بالقمع . فطردت أفواجا من العمال والمسؤولين النقابيين . وحُكم على المسيرين بأحكام قاسية ، منهم المحجوب بن الصديق وكاتب الاتحاد المحلي بالرباط ، إذ حكم على كل منهما بسنتين سجنا . أما مسيرا الاتحاد المحلي بمكناس خالد والعلمي ، وكاتب الاتحاد المحلي بسلا ، عمر الجديدي وكاتب الاتحاد المحلي بالدار البيضاء ، صالح المسكيني ، فقد نفيا إلى الجنوب . فكان القمع الذي ينزل بالموظفين المغاربة قمعا انتقائيا

وأخذت الاقامة العامة تقلب بمهارة لعبة التسامح النقابي . فاشتدت في قمع النقابيين المغاربة بدعوى مقاومة الشيوعية . وبذلك لبست الأمور وأسكتت الرأي العام الغربي وخاصة الرأي العام الأمريكي ، إذ كان كيوم Guillaume يشكو من أمريكا ويقول عنها إنها تخون فرنسا كل يوم « بتشجيعها المتطرفين المغاربة » .

وفي هذه الظروف بلغ الهذيان ببعض الاستعماريين إلى أن رأوا في سيدي محمد بن يوسف « رجل موسكو » .

وفي شهر دسمبر 1952 كانت العلاقات بين الاتحاد UGSCM والجامعة CGT قد انفصمت منذ مدة طويلة . « ولم يعد تحويل هذه المؤسسة إلى اتحاد حر إلا أمرا شكليا ، إذ استُدعي المؤتمر

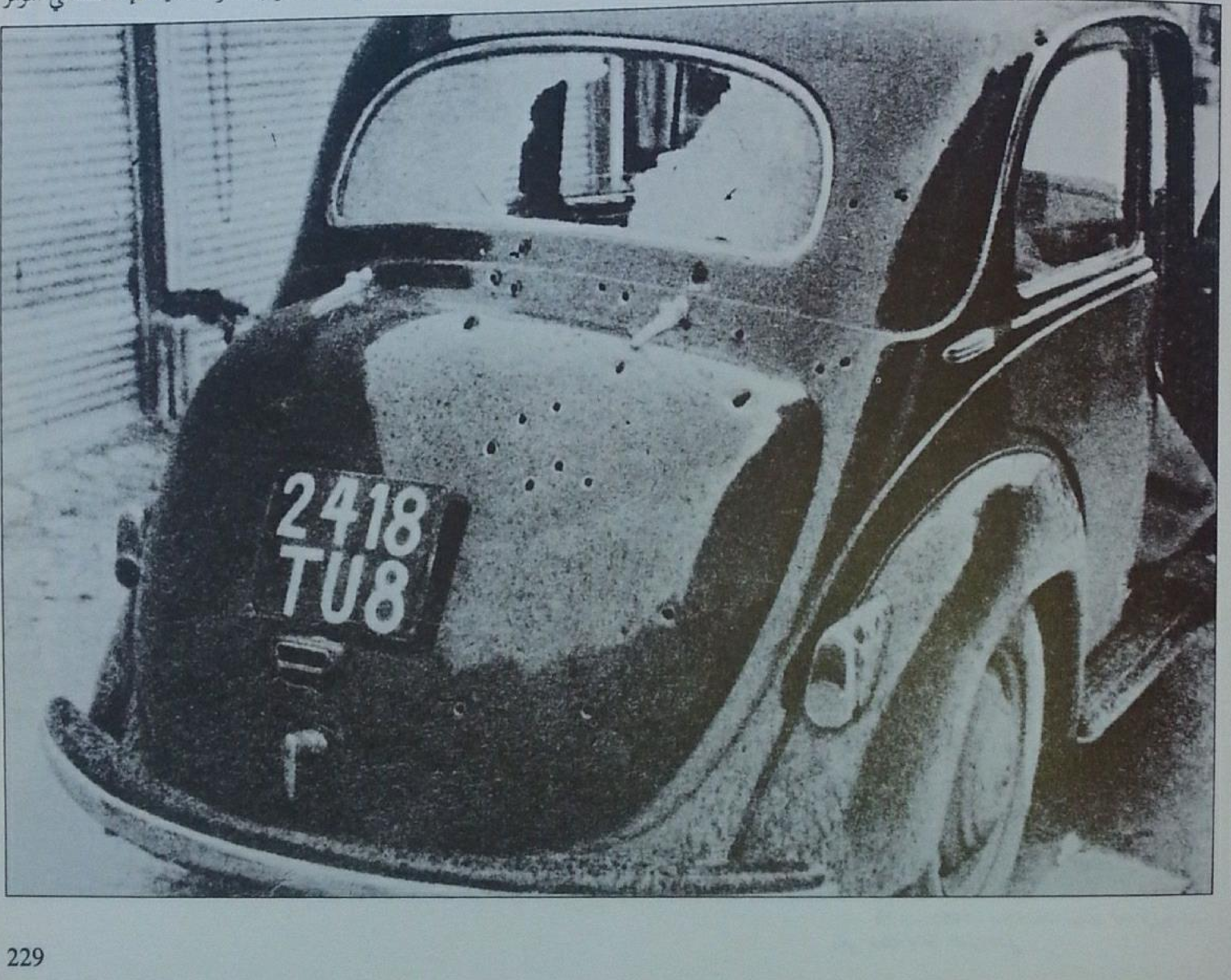

سيارة فرحات حشاد وقد خرقتها الرصاصات .
(وثائق وكالة الأنباء التونسية) .

16 نونبر 1955 ، جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف ، يلقي خطابه داخل القصر الملكي .

للانعقاد في فبراير 1953 والفصل في الأمر . وحرر التقرير الأدبي » . ولم يمنع ذلك سلطات الحماية من شن أقسى حملة لقمع الوطنيين المغاربة بدعوى إحباط مؤامرة استقلالية وشيوعية . وقد قال في ذلك شارل أندري جوليان CHARLES-ANDRÉ JULIEN : « **لقد لبسوا أمرهم كدأبهم من قبل ، فتابعوا الاستقلاليين والشيوعيين واتهموهم بنفس التهمة ، وهي التآمر على أمن الدولة . على أنه لم يكن هناك ما يؤلف بينهم ، بل كانوا على وشك القطيعة** » . فماذا حدث ؟ كانت الأمم المتحدة قد قررت مناقشة القضية المغربية في منتصف دسمبر . وكان الاستعمار يروج دعاية لعزل السلطان وحزب الاستقلال عن الشعب ، ويدعي أن السلطان والحزب لا يمثلان في شيء العواطف الحقيقية عند الطبقات الشعبية المغربية . وادعى الاستعماريون أيضا بقيام حركة للقواد والباشوات وأشاعوا خبرها بسرعة وأعلنوه على نطاق واسع . وأصبح من الضروري القيام بعمل جماعي باهر . وسنحت الفرصة على يد المستعمر نفسه .

فقد اغتيل الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد يوم 5 دسمبر . ودعا النقابيون المغاربة جموع العمال إلى الاضراب للاحتجاج على جرائم الاستعمار ، إذ عُد حشاد من ضحاياه . وكانوا يريدون التعبير تعبيرا جليا عن رفضهم الحماية وعن طموح العمال إلى الاستقلال وإلى الحفاظ على ديانتهم الاسلامية . وكانوا من حين لآخر يهتفون « **تحيا افريقيا الشمالية المسلمة** » .

وكان غلاة نظام الحماية يدبرون مؤامرة أخرى على السيادة المغربية بخلع السلطان عن العرش . فاغتنموا هذه الفرصة وحرضوا الشرطة على تحدي المغاربة ، وأطلقوا النار مرارا على المتظاهرين ، فقتلوا المئات منهم . ثم ختموا عملهم يوم الأحد 8 دسمبر بحصار مئات العمال المجتمعين في دار النقابات للاحتجاج ، واعتقلوهم . وتلك كانت هي « المصيدة » الشهيرة . وقبضت الشرطة في نفس اليوم على عدد من الناس وعلى جميع الوطنيين . فكانت « أكبر غارة سياسية » كما قال بونيفاص BONIFACE .

وبعد عشرين شهرا من السجن سرحت المحكمة المسيرين النقابيين لعدم وجود وجه لاقامة الدعوى . فاستأنفوا كفاحهم لتحرير الحركة النقابية ، وهم أيقن مما يكونون أبدا من أنهم لا يتوقعون خيرا من نظام الحماية . فلم يكن لنظام خارج هو نفسه عن القانون ، أن يمنح الحق النقابي . فنشروا بيانا يوم 5 يناير يدعون فيه الطبقة العاملة إلى « **أن تعي بقوتها وبالدور الذي يجب أن تقوم به في الكفاح من أجل تحرير الوطن وإقرار الديموقراطية الاجتماعية** » ولتنظيم أنفسهم ، من أجل ذلك ، في أحضان اتحاد نقابي قوي ، « **قادر على تحقيق مطامحهم الأكثر تأصلا** » .

وقد قال الصحافي أنطوان مازيلا ANTOINE MAZELLA : « **في يوم 20 مارس 1955 ، أي أقل من ثلاثة أشهر بعد هذا النداء انتصرت الحركة النقابية المغربية انتصارا باهرا ، إذ أنشأت اتحادها الخاص بها ، وهو اتحاد حر مستقل . فقد استقل فعلا عن الحركات النقابية التي لم ترد ، أو لم تدر كيف تنظم العمال المغاربة ، والتي أخفقت ، كما تدل على ذلك حالة العمال السيئة . وكانت مستقلة عن الادارة كذلك ، إذ رفضت « حمايتها النقابية » . فلم تعد تلك الادارة تتذرع بالشيوعية لتبرير القمع الذي تسلطه ، من حين لآخر ، على العمال** » .

واجتمع المؤتمر سرا في أحد بيوت درب بوشنتوف في المدينة الجديدة بالدار البيضاء . وقال المحجوب بن الصديق في تقريره الأدبي : « **إن فروع الاتحادات النقابية الفرنسية أقامت الدليل على عجزها الفطري عن تنظيم العمال المغاربة ... إن تنظيم الطبقة العاملة في أحضان اتحاد حر ديموقراطي ضرورة ملحة (...) أيها الرفاق ، إن كفاحنا يماثل ، لا محالة ، كفاح الشعب المغربي من أجل الحرية والاستقلال . فقد نخادع أنفسنا إن اعتبرنا أن تغير ظروف حياة العمال تغيرا عميقا ممكن ما لم يغير النظام الاستعماري القائم (...)** »

وقد عقد المحجوب بن الصديق ندوة صحفية في قصر أورصي PALAIS D'ORSAY بباريس يوم 19 أبريل 1955 ، فوضع مرة أخرى قضية الحق النقابي بالنسبة للمغاربة ، فقال : « **ما قد يكون موقف الحكومة الفرنسية والاقامة العامة إزاء الوضع الجديد الناتج عن إنشاء الاتحاد المغربي للشغل ؟** » ولم يجب نظام الحماية قط على هذا السؤال . على أنه كان يكفي ، من أجل ذلك ، « تغيير فقرة من ظهير 1936 » . فقد كانت سلطات الحماية تدبر خطة أخرى ، لكنها لم تجد الوقت لتنفيذها .

وتعاقبت الأحداث بسرعة كبيرة في أواخر سنة 1955 . وكان مسيرو الاتحاد المغربي للشغل يجتهدون في نفس الوقت في هيكلة منظمتهم وتقويتها وفي التمسك بالهدف الذي رسموه : وهو الاستقلال أولا .

وفي 16 يناير 1955 كان للعمال المغاربة موقف أثروا به تأثيرا ذا بال على سير الأحداث إذ صرحت ، باسمهم ، لجنة التنظيم من أجل حركة نقابية حرة بما يلي : « **إن قضية العرش قضية وطنية وإن حلها يتحتم قبل النظر في أية قضية أخرى** » .

وفي 16 نوفمبر 1955 كان الحرس النقابي يضطلع بالمحافظة على الأمن ، وقد لبس أعضاؤه بذلة العمل الزرقاء ، وليس لهم سلاح سوى ساعدة من قماش ملون باللونين الوطنيين . كان ذلك داخل المشور وسط جموع غفيرة من الناس بلغ حماسهم أوجه . وقد قدموا ليستقبلوا « سلطان حي CARRIÈRES CENTRALES » ، صاحب الجلالة محمدا الخامس استقبالا رائعا .

لقد عرفت الطبقة العاملة المغربية كيف تشق بعبقريتها الخاصة طريقها الخاص إلى الحرية . فكان وعيها بطبقتها لا يختلف قطعا عن وعيها الوطني . وكان تحررها الاجتماعي مرتبطا دائما بتحرير الوطن . وكان كفاحها من أجل الحق النقابي لا يختلف عن كفاحها من أجل الحرية المطلقة .

الفخ

مصطفى القصري

تعد ، بالنسبة لجيلي الصحفيين اللذين يفصل بينهما تاريخ إعلان الاستقلال ، قطعة « الفخ » هذه من بين النصوص المختارة للتعريف بتاريخ الصحافة المغربية وآدابها . وهو يعتمد شهادة العيان التي لم يكن صحفيونا في ذلك العهد يلجؤون إلى استعمالها إلا نادرا ، في حين أصبحت اليوم هذه الصيغة تستهوي القارئ الذي ولد ليلة الاستقلال أو غداته .

وإن « الفخ » ، بصرف النظر عن الفائدة التاريخية التي يكتسيها من حيث وصفه وقائع يوم 8 دجنبر 1952 (وقد نشر لأول مرة ، سنة 1959 ، على أعمدة صحيفة لافان كارد) ، يمتاز بكونه شهادة عاشها كاتبها بنفسه وبالتالي تعبيرا عن حياة إنسان بما حملته من أحلام وآمال ، ومشاعر ووجدان .

« ... دله أعوان الشرطة على المكان الذي يتعين فيه عليه أن يضع دراجته . إنهم بلا روح ، سلبيون بشكل غريب . وهو لم ير على شفتي أي منهم أمارة الحقد والغرور التي كان يلاحظها باستمرار فيهم حينما لايكونون ينظرون

لقد سقطوا برصاص البوليس لأنهم « رفضوا الامتثال » .
(مجموعة خاصة) .

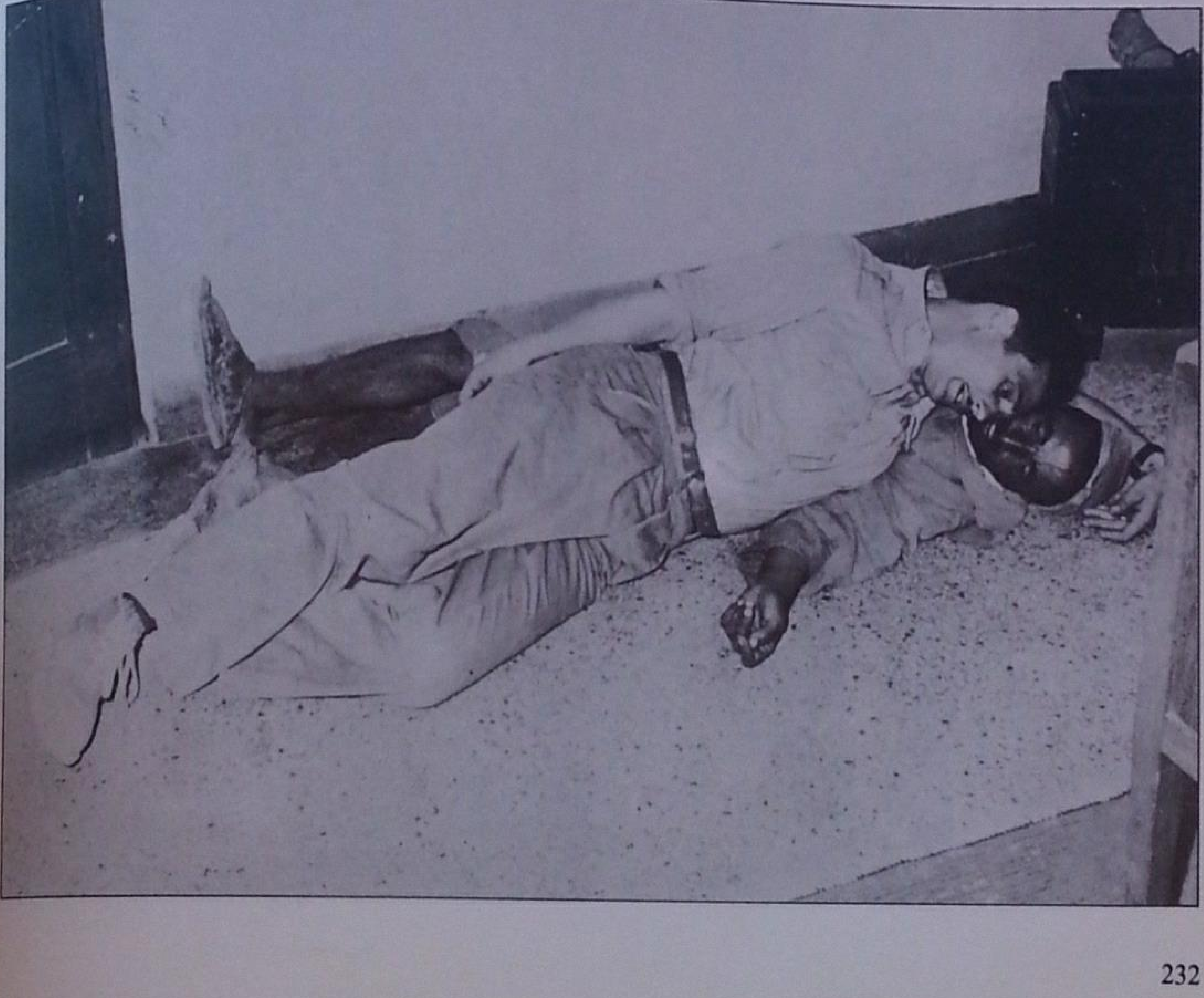

إليه . وكان دوما يتجنب اصطدام نظرته بنظراتهم حتى لايذكي مشاعرهم الاستفزازية . كان ، مثل سائر الأهالي ، على بينة من العواقب الناتجة عن مثل تلك المشاعر . وفي كل يوم كان عدد من الأبرياء يسقطون ضحايا رصاص البوليس بدعوى « رفض الامتثال » . بل ان بعض الشرطيين كانوا يصابون بالجنون أو ينتحرون لفرط اندهاشهم من عدم معاقبتهم أو لذهولهم من التهاني التي كانت توجه لهم على تصرفاتهم . كان الفرنسيون يمزقون المغاربة جسديا وبعضهم كانوا يقتلونهم حتى لايتهمهم أحد بالعطف على الأهالي .

كانت أعناق البوليس بلغت ذروة البدانة والحمرة القذرة والقصر . وكانت تفوح منها رائحة كحول الطماطم ومشروب الباستيس التي كانوا يتناولونها مجانا في المقاهي الأوروبية لشوارع « المحطة » و « الحرية » و « الطيران الفرنسي » . كانوا ألفوا هاته اللعبة . العرب جميعا كانوا يتقوقعون في ذواتهم ، وأما الأوروبيون فكانوا عنصريين أو يتظاهرون بالعنصرية ، في حين كان هناك يهود يحاكون ، من كثرة الرعب الذي استولى عليهم ، الفرنسيين العنصريين . مع أن جميع الناس كانوا يعملون في المعامل أو الادارات أو القطاع التجاري على اختلاف هوياتهم ، كما أنهم كانوا يلتقون في الأزقة بحذر وكانوا يتجنبون التحديق في بعضهم البعض إذا ما التقت نظراتهم عرضا ، وكان الخوف يتحول إلى حقد كامن أو مكشوف . أوروبا كانت تمزق أنف افريقيا . كان العرب يعانون من الضغينة في صمت أو يرددون « مسيو مرسي ! مسيو مرسي ! » ليتوسلوا إلى الباغي حتى يضع حدا لبغيه . وكان البوليس الفرنسيون يخرجون من المقاهي ويحملون الأهالي إلى الكومسارية المركزية من حيث تنقل الجثث العارية ليقذف بها في البحر أو في مكان آخر . ذلك هو القانون الذي ساد وقتئذ بين الناس .

أما هو ، فقد اختار ، لا باقتناع متعصب ، وإنما لأنه قرأ كتب سارتر . كانت الأمور هكذ ينبغي أن تكون ، لا بشكل آخر . وإذ لابد من المرور من هاته المرحلة فليمر بها . إن الحرية فعلا اختيار . كان متضامنا مع لون من الانسانية . ثم إنه من الأحسن أن يعيش الانسان مرتاح الضمير ، إن ذلك خير من أن يظل مرتعشا خوفا في انتظار أن يأتيه الموت ، الموت الذي يخطف بطريقة عشوائية ضحاياه ويضرب كما تضرب الصوف بالعصي . الموت ، في الليلة ، ذهب بأرواح آلاف من عمال حي الكاريير سنترال ، أولئك الذي اختفوا في بيوتهم وأولئك الذين كانوا يوجدون خارجها . الموت كان ينبعث من المصفحات ، والرشاشات ، والمسدسات ، ومؤخرات البنادق . وكل الذين كان يحضرهم الموت ، من أبطال ، وجبناء ، وخونة ، ووطنيين ، ولصوص ، وموسرين ، ومعسرين ، كلهم كان الموت يطبع على جبينهم قبلة أرجوانية . لم يكن هذا الموت أخطر ولا أبطأ من التيفوس أو التيفويد بالنسبة للمرشح له .

ثم إن الحرارة في دجنبر أشد في حفر الموتى المشتركة منها في ظلال العزلة . كان الناس يدخلون أفواجا في الحفرة ويصبحون إخوة متعانقين عناق الخلود على رؤوس الأشهاد دون خشية من نظرة حسود .

والذين كانوا يسلحون البوليس شهدوا تقلص عدد عمالهم . ومع ذلك استمروا في إصدار أوامر الرمي بالرصاص . كانوا بدأوا ولم يكن واردا أن يكونوا مرتاحين لعملهم من البداية

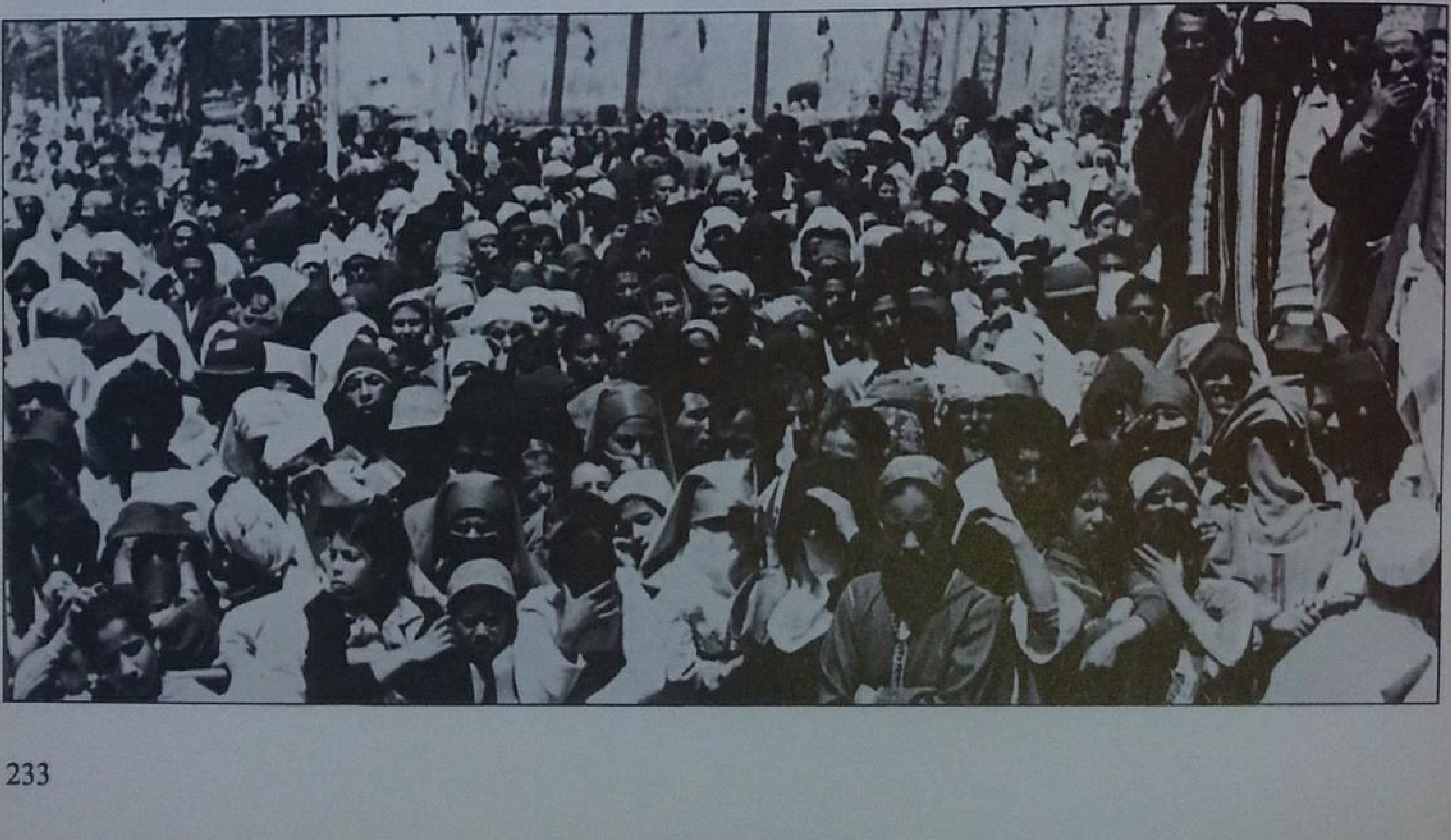

« الحرية اختيار » .
(مجموعة خاصة) .

ولا حتى في منتصف الطريق . لم يكن أي منهم قادرا على ذلك .

الجميع كانوا في نفس الدوامة الالية التي كانت تتحرك ليل نهار ، بلا فتور . **تلك عجلة التاريخ .**

« العرب » كانوا موقنين بحتمية النصر (الوقت كله عندهم) بقدر ماكان الفرنسيون متأكدين من الخسران . كل كان يلعب لعبته : الأبطال ، والجبناء ، والمعتدلون ، والمسالمون ، والفوضويون ، والمتخاذلون ، والعنصريون ... هي الة التاريخ الضخمة التي انتقلت إلى المغرب بعد الهند الصينية حيث كانت هزيمة **ديان بيان فو** مرتقبة . كانت أسماء المذاهب والطرائق كقطع غيار مودعة في صناديق بلا مسامير . كان من الضروري والمستعجل أن يقام المعمل ويفضي قيامه إلى صناعة المنتوج . كل شيء وضع في مكانه . قتل **فرحات حشاد** ، بتونس ، بإصابته بعدة طلقات . وكان عدة متمذهبين يطالبون الليلة الفائتة برأسه . ثم كان التضامن النقابي . تضامن المضطهدين ! نقوم بالاضراب ! هيا بنا ! لكل شيء سببه . والواقع المشهود هو المعمل الذي يقوم بعمله . كل شيء نصب بمكانه .

وأخذ قادة الأوراش ومساعدوهم يحصدون المادة الخام ، الجمهور ، يقذفونها في الأفران ، وتحت المقلّبات ، والساحقات ... ما يخرج من ذلك معلوم . ليس بالجديد . رئي في الهند الصينية .

لم يعد ضروريا بالنسبة لهم أن يرموا عمالهم بالرصاص . هؤلاء العمال يذهبون إلى المصير المحتوم بمحض إرادتهم . هناك دائما من يسجلون أسماءهم بأنفسهم في قائمة المتطوعين . وحتى إذا فرضنا أنهم اعتقلوهم أو أن العمال توقفوا بأنفسهم فإن الالة موجودة لتلتهمهم ولن تقف . ولا ينبغي للعمال أن يتوقفوا عن العمل إن هم أرادوا تأمين معيشتهم وابتغوا الربح ، والفوز ! أما إذا خسروا فتلك الطامة الكبرى . إما وإما . اطلق القطعة النقدية فلابد أن تستقر على أحد الوجهين .

من زمان اتفقوا على التضحية بنصف عددهم أو ثلثيه وإلا أضاعوا كل شيء . جميع المضطهدين سيضيعون كل شيء هنا ، وهناك في تونس وكذلك في الجزائر حيث قد يتساءل الناس لماذا يماطلون لو لم يكونوا موقنين بأنهم سيتحركون

حرائق في الدار البيضاء . (مجموعة خاصة)

بدورهم وأن الأمر سيكون أدهى وأمر . فالغزاة لايتخلون بسهولة عن الأرض التي يعتقدون أنهم امتلكوها شرعا . لكن حيث تنضج الفاكهة تسقط وحدها . سيكون الموقف أدق لأنه لن يكون للثورة الجزائرية وجه .

كل شيء في مكانه . في زنقة لاسال الدبابات تسير في خيلاء قبالة برصة الشغل . لايريد أحد أن يتعرف على سبب التحرك . البوليس الفرنسيون سلبيون رغم ما تجرعوه من بستيس ، ولذا فجميع الذين على مقربة منهم ويستعدون للدخول للبرصة يعتقدون أنهم جاؤوا ليحرسوهم فحسب ، حتى لا تنشب « حوادث » ، وربما ، في هذه المرة ، ليحموهم . من يدري ؟ ألا يجوز أن تكون الأوامر صدرت بذلك من باريس ؟ فقد يكون اغتيال فرحات حشاد حملهم على التفكير والتكفير ...

أودع باطمئنان دراجته عند الحارس الذي كان حاضرا وكان هو الآخر سلبيا . وكان جميع العمال الذين كانوا يخترقون صفوف البوليس ، وهؤلاء كانوا يدلونهم على مبنى البرصة ، كانوا يدخلون كذلك بطريقة سلبية .

نظر إلى الشرطي الذي دله على الطريق ... نظر إليه في أذنيه . فهو يتجنب أن يحملق في عيني أي شرطي اعتقادا منه أن جميع الناس يحسنون قراءة خائنة الأعين ، واسطة الحوار ، حتى ولو كان مكنونها يختفي فيما وراء الظاهر الذي وضع للتضليل أو طلبا للراحة ، ويتجنب إظهار حقيقته . فما الداعي لذلك ؟ أليعلن بطولته ثم يكسرون وجهه ؟ وماذا بعد ذلك ؟

ويلج البهو الكبير للبرصة ، ويتخطى أرجل عدد من العمال ليتقدم شيئا ما . الأخبار غير سارة . الشرطة لم تتوقف منذ أمس عن إطلاق النار في الكاريير سنترال . والمرشحون للموت هم الذين يجمعون الموتى قبل أن يهلكوا بدورهم . هناك في الكاريير خطوط عمودية كثيرة ، فلهذا يصطف الناس أفقيا . ألا يفعل ذلك سمك السردين ؟ وأوراق اللعب (الكارطة) حين ينفخ فيها تتهاوت ، حتى ملوكها وفرسانها . تقدموا يا أبناء الوطن ، حل يوم المجد . اصطفوا أفقيا ! فرنسا تقول لكم هذا . جميع الوجوه الشاحبة في البرصة تحمل علامة الموت الذي يتجول في نظراتها ويشير إلى اقتراب ساعته . كلهم جالسون على الركبتين ومستعدون للصف الأفقي إذا صدر به أمر مؤخرة البندقية أو الرشاشة . كلهم أقرب إلى الخط الأفقي منه إلى العمودي .

لو كانوا قد خافوا على أنفسهم للاذوا بالفرار ، ولتسللوا بهدوء « على الكيفية الانجليزية » حتى لا يعدهم الأصدقاء من زمرة الجبناء ويسحقوا أرجلهم . الجو سخن وجميعهم يتدربون على الحفرة المشتركة ، بروح رياضية ليس إلا . في البهو أصناف وألوان . كم من عمال ؟ ألفان ؟ ثلاثة آلاف ؟ هناك قادة نقابيون ومستخدمون بلباسهم الأزرق ومختشان فرنسيان وصحفي مبتدئ . كان مسؤول نقابي يصيح في القوم أمام مكبر الصوت : « أيها الرفاق . مات حشاد . فلتعش تونس ! » وحاول أمين عمال السكك الحديدية أن يخترق الصفوف . إنه قادم من الرباط . عينان واسعتان ولسان : تلك أدوات عمله ، على خط عمودي . العينان تحملقان في الصحفي . وتقولان : أهذا عامل ؟ ربما معلم بمدرسة ؟

« أنا فلان ، صحفي .

– سلاما ، تقدم ، هناك ما يعمل »

رأى كل منهما الآخر بمحبة وتقدير وثقة في المستقبل . حسنا . « بالأمس اعتقلوا م . و . ت . تقدم من هنا . الحالة خطرة في الكاريير . إنهم يفتكون بإخواننا » .

المذياع يردد الصياح . الجماعة يدخلون إلى المكتب . للعمل . ذلك دور المكتب . لا لشرب كأس من الشاي . يحررون البلاغات ويصوغون النصوص ، ويجرون حوارا هاتفيا . الجرس يرن ولا جواب إلا عندما يكون المحاورون هم البوليس . « حاول على أية حال . سيتخلون عن امساك الهاتف حتى يتسنى لهم الانصات العينان تتحولان ، في الهاتف ، إلى لسان .

– يستحيل الحصول عليه ، الانذال يحتكرون الخط .

– تلفن للقصر ، نعم » .

الصحفي يضرب على الآلة الكاتبة بانفعال ، وهو ينصت . كيف يكتب لفظ « بلاغ » ؟ العينان المستديرتان تحكيان أشياء عجيبة . بسرعة فائقة . مئات التعليمات صدرت ، مئات المهمات أنجزت وسط هاته الفوضى .

« – م ... غير ممكن الحصول على ب .

– لا تضع الآلة . لابد أن يفرجوا عن الخط .

– إننا مطوقون . لا أحد يستطيع الخروج .

– مر من السطح . هناك مخرج .

– مستحيل . إنه تحت الحراسة . لقد أحاطوا بنا من كل جانب .

– انتظر . دعني أتمم : « إن الطبقة العاملة المغربية ...»

ويقترح الصحفي محاولة الخروج للبعث بالبرقيات من مكتب البريد القريب على أية حال سيحاول . ذلك عمله المألوف . « حاول يا صاحبي » . ويجمع النصوص . ويسمع بباب الخروج « قف وإلا أطلقت النار »

ويخرج ورقته الصحفية ثم يسمع : « ارجع إلى الوراء أو أطلق عليك النار » .

ويحرك ورقته « صحفي » . الرشاشة ، في هاته المرة ، صوبت نحوه بدقة . يعود إلى الوراء ويقصد المكتب . إنه خجل إذ اضطر للرجوع والاعتراف بأنه لم يستطع مبارحة المبنى . جموع العمال تتحرك . منهم من يريد إطفاء عطشه . وآخرون يريدون البول . ولكن لامجال للتحرك ...

– لا لست أنا . الآخرون هم ...

–ادفع من الناحية الأخرى .

« كل شيء في مكانه » .
(مجموعة خاصة) .

جميع الحاضرين مضطرون للرجوع إلى الوراء . حاجز يسقط . ثم جرحى . دبابة تسد المخرج تماما .

– جراح بليغة ؟

– نعم ربما مات واحد .

صرخات الحيق والاحتجاج أصبحت صرخات الألم . صرخات إنسانية . الأمر صدر ونفذ .

البوليس يتقدمون بمعداتهم ، من مسدسات ورشاشات وبنادق . كل هذا يتحدث ويتحرك ويتمايل ويصرخ . العمال تداعت متانتهم وانهارت قواهم « سامحني يا أخي » . يمشون على جماجم الذين سقطوا عشر مرات أو عشرين مرة تفاديا للضربات . الجموع البشرية تعلو على رؤوس جموع بشرية أخرى تلافيا للضربات . ثم تنزل ! إنه الفخ . البوليس يضربون وينافس بعضهم بعضا في الضرب .

الحيطان كزرابي أرجوانية . إنها شمس الثورة ، الحمراء .

البوليس عمال يكسبون قوتهم اليومي كيف قدر لهم . لم يأكل الصحفي لقمة وقت الغذاء . ترك مدعويه على المائدة وقال « معذرة ، إن لي عملا معجلا » . عملاق يتقدم نحوه . يسقط وهو يتتبع بعينيه مسيرة مؤخر البندقية التي يبدو أنها لم تمسه . شرطي آخر يجره من عنقه ويخرجه إلى عتبة الباب . هناك يجمعونه .

« اقبض على الصحفي » .

« يا له من نذل وسخ ! » .

ويرغمونه على اختراق مجموعة من البوليس وهو محمول كالجثة . كل يشهر بندقيته . يجلسونه على مقعد حافلة . لا يدري كم من الوقت استغرق كل هذا . ولماذا هو موجود هنا وكيف صعد إلى الحافلة . يتنفس بمشقة ويحس أن هناك شيئا ليس على ما يرام . لا قابض في الحافلة ! أيها الركاب القاصدون محطات مجهولة . اصعدوا من فضلكم ! الرحلة بالمجان . جاره أزال حمرة من عينيه وأوقف نزيفا أسود كان يسيل في صمت من فمه . يظن أن جاره يقول له : « هل معك في جيبك شيء ؟ أفرغ ما فيه . إنهم يفحصون ما في الجيوب » فأشار إلى أن ثم فعلا شيئا بينما الآخر نزع أوراقا من جيبه ومزقها وسلمها للشرطي المغربي الذي رمى بها من تحت العجلات . ذلك تضامن الجنس . وأعطاه جاره الجالس خلفه خبزا يابسا ، لعل ذلك لتحرير اليوم . تحرير اليوم ! الأمر إذن جدي إلى هذا الحد ؟ وشرع يهتم بمن جلسوا حوله في غيبة البوليس الذين كانوا منشغلين في إطعام المعمل . كان يبتلع الكلام . كلام أخوي وحلو وساخن

الفخ

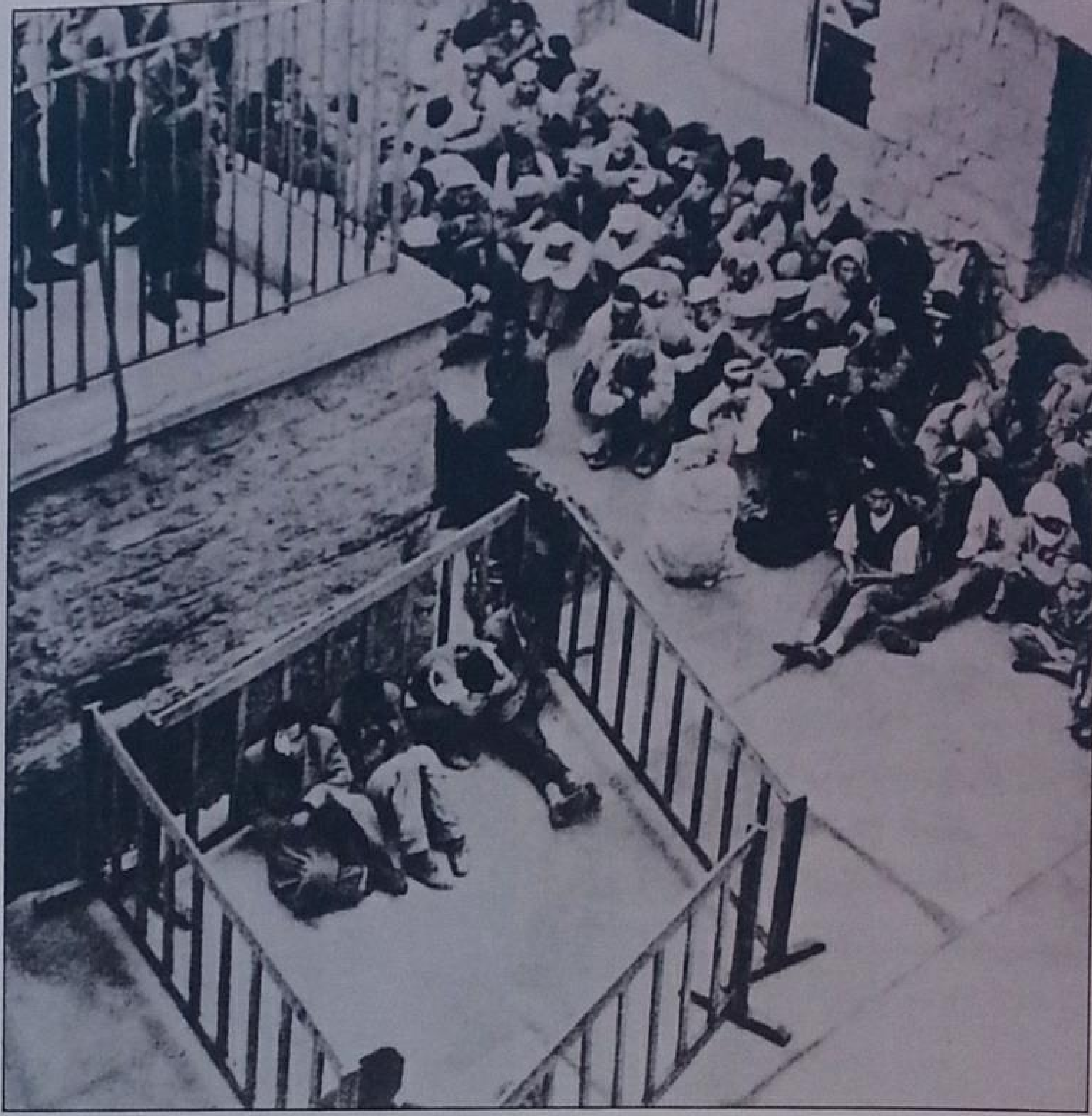

« إنه الفخ » .
(الخزانة العامة بالرباط) .

ككأس لبن ساخن في صبيحة شتاء . المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

أيها الموت الذي زار الاخوة ! أنت نزهة في رياض الأقاحي ! ورأى من خلال زجاج نافذة الحافلة فتيات المدينة اليهوديات شاحبات الوجوه يصفقن ويبتسمن لمرافقاتهن الفرنسيات اللائي خرجن من المكاتب وانعزلن في انتظار تسريح الطريق . صديقه اليهودي . لو رأى المشهد لذاب قلبه حسرة . أيها الموت الذي زار الاخوة أنت نزهة في حقول شقائق النعمان الحمراء ! الجار الذي لم يسلم من الضربات إلا عيناه يضع المنديل الأحمر على السيل الذي ينزل بغزارة متصاعدة . يأخذ قطعة الخبز ولا يستطيع مضغها . أسنانه تؤلمه وحنجرته يابسة ، لقد تجمع الدم فيها . ويحاول مع ذلك تحرير اليوم . يجب تحرير كل شيء حتى اليوم .

يجب أن يتم كل شيء بسرعة للافراج عن هؤلاء البوليس المساكين المنكبين على إبادة آلاف من العمال . الشمس التي تداعب بأشعتها شقق الجدران لا تقبلهم قبلتها الذهبية إلا لتحررهم . كم هي كريمة قبل موتها . قبلة تحرر الشمس . الانتحار الجميل ! عنها قال الشاعر الفرنسي ملارميه « جذوة المجد » .

فلنحرر اليوم بأكل القربان ! ولنحرر الخبز ونمجده ! خبز الطعام ، خبز الغناء ! شخص أفلت من بين يد البوليس وهرب . بعيدا ؟ لنأكل خبز الغضب . سيمر مرغما من الحلق . بالسيف ! يجب أن يسحق المعمل الخبز . يجب تحرير الخبز . أسنانه الموجعة تعذب الخبز وتسحقه إذ تنسحق عليه كما كانت أرجل العمال قبل لحظة تسحق جماجم رفاقهم . إنه القانون . المعدة تنتظر مادتها على عتبة برصتها هي كذلك برصة الشغل التي تعبئ شعبا ، تصنع شعبا . تصنع خبز الغضب . يلقي نظرة دامية على الأفق البعيد . أحد الأهالي يلاحقه أشخاص شقر هملباس أوروبي . يقبضون عليه ويسحقونه بأرجلهم . انتهى ؟ مازال يتحرك . أنهوه . لن يتحرك بعد أبدا . إنه يتنفس الآن الصعداء . انتهى . تحرر . يا له من جنس وسخ . كان الصحفي يتحاشى النظر إلى كبش العيد الذي ذبح بعد التبكير . لم يكن يقدر على مشاهدة الدم . الدم ؟ خذ ، ها هو بكثرة . يحاول بأصابعه معالجة روبة دم استقرت في أنفه . ماذا عساه أن يفعل ؟ بونيفاس هو الذي يدبر كل شيء . يداه ملطختان بالدماء . يا لغبائهم ! لماذا هاته الدماء الغزيرة اللزجة ؟ قبل لحظات نشر الفرنسيون في صحفهم أن المتظاهرين اعتدوا على شرف فرنسيتين وقتلوهما . لم يكن الخبر صحيحا . لقد أكدوا له في البرصة أنه محض اختلاق . وسيلة ليبرروا ما يدبرونه أمام بعض الفرنسيين الذين جعلوا من حقوق الانسان هواية كالفروسية أو لعبة البريدج . لابد لهم من التخلص من السأم . إنها طريقة ابتدعوها لتحريك المعمل . الفتاتان المعتدى عليهما داخلتان في هذا المعمل .

المحرك بدأ يتحرك . لأجل المعمل الكبير . الصحفي يتكئ برأسه على جاره الجالس إلى اليمين ويحملق بعينيه في جموع الأصدقاء العاجزين عن المشي والذين زلزلتهم الحافلة المتحركة إلى الكوميسارية المركزية هذا المعمل الكبير للاخوة .

إن الشهب تحمر تحت وطأة الرياح المعاكسة . ما أجمل وأطهر حرارة الجمرة التي تصفي وتنقي . لم يعد يحمل في قلبه غلا . فقد فهم . »

(ترجمها من الفرنسية عبد السلام حجي) .

ثورة مدينة وجدة...

العربي الصقلي

إن أربعة عشر مواطنا خُنقوا في أحد سجون شرطة مدينة وجدة ، وقد تراكم بعضهم فوق بعض مع خمسة وثلاثين شخصا آخرين في حجرة بعداها 2،50 م × 2،50 م بدون نافذة ، وفي حرارة تبلغ 50 درجة . فلم يتح لهؤلاء الشهداء أن يعلموا خبر **خلع محمد الخامس** عن عرشه يوم 20 غشت 1953 ...

فقد كانوا يستغيثون 24 ساعة قبل ذلك ، أي في الليلة من 18 إلى 19 غشت من وراء باب سجنهم ، ولم يسمعوا من جواب على صراخهم إلا كلمة واحدة هي « **موتوا** » .

كان ذلك جواب الحارس الواقف أمام باب السجن . وقد تبجح بذلك في اليوم التالي أمام المحامي المعين من قبل المحكمة والذي لم يكن يعارض مثل تلك المعاملات ، فقال : « **لقد خنقناهم كما تخنق الفيران** » .

لم تكن مثل هذه العبارة ، في ذلك الوقت ، شيئا غير عادي ، أو غريبا في أوساط بعض الأوروبيين المقيمين في المغرب ... وخاصة « ممثلي نظام الأمن » ، إذ كانوا موقنين بأنهم لا يعاقبون على ذلك . وكانوا يلتمسون ، بدون شك ، الشجاعة في الطرق النازية ... وكان رؤساؤهم يرون أن لا بد من تثبيت قواعد الاستعمار ، مهما يكن الثمن ، وذلك رغم أنه كان ينتفض أحيانا انتفاض المنازع . وبذلك كان الغضب يحل محل الرشد ، فينتج عن ذلك تصرفات مثيرة ورذيلة . وكان الزبانية قد أُعِدوا للتنافس في التفنن في قمع الوطنيين وتعذيبهم ، بل وحتى الذين يُظنون وطنيين . ولم يكونوا يرفقون

ادريس الكيزاري والرحموني بوعنان اللذان ماتا مخنوقين يوم 19 غشت 1953 بمدينة وجدة .
(من وثائق المندوبية السامية للمقاومة وقدماء جيش التحرير) .

بهم . ولم يكن استعمال اللقب « RATON » إلا مظهرا من مظاهر عقلية معلومة ، إذ كان التحقير يُدل عليه بمجموعة كلمات أخرى ذات الدلالات الواضحة .

كانت الظروف وخيمة في فصل الصيف من سنة 1953 . وكان من شأن خبر المؤامرة المدبرة على سيادة المغرب في شخص ملكه أن يزعزع قواعد الحماية . وقام السكان بمظاهرات منظمة من شمال المنطقة « الفرنسية » إلى جنوبها . فاجتمع عشرات آلاف الأشخاص يريدون الاحتجاج على خلع محمد الخامس ، إذ كانوا يعتبرون ذلك العمل من قبيل الخرافة . وكانت الغاية من هذه المظاهرات إنذار السلطات واستنفار الرأي العام . وقد فاجأت إدارة الحماية بانتشارها وتلقائيتها . ذلك أن الزعماء السياسيين كانوا مسجونين أو منفيين . وكانت وسائل القمع قد جردت بسرعة . لذلك كانت الاقامة العامة تستبعد وقوع مظاهرات شعبية في الشوارع . ومع ذلك ... فقد عبرت مدينة وجدة يوم 16 غشت 1953 عن موقفها باستعمال اللافتات وصور السلطان والأسرة الملكية والرايات الوطنية . فتحدى الوجديون ، وهم عزل ، قوات الشرطة والجيش التي كانت تحاصر الحي العتيق منذ أن زار المدينة الفتان الكلاوي باشا مراكش قادما من مدينته البعيدة في موكب يشتمل على مائة سيارة نظمته السلطات الفرنسية المسؤولة عن الناحية .

وكان أنصار الكلاوي يرون فيه صديق فرنسا والزعيم الذي يعيد الاستقرار إلى البلاد والرفاهية إلى السكان . لكن استقباله كان

«خنقوا كما تخنق الفيران»

استقبالا فاترا . فلم ينخدع الشعب ، إذ لما تأكد من تدبير المؤامرة عمد إلى الوسيلة الوحيدة التي كانت لديه ليظهر معارضته ، وهي **المظاهرة من أجل الاستنكار** . فكان ذلك اليوم ، يوم 16 غشت 1953 من أشأم الأيام على وجدة . فلما طلع موكب المتظاهرين ، أطلقت عليه الشرطة والجيش 6000 رصاصة ، وهو عدد لم تكذبه السّلطات المسؤولة في تلك الحقبة . ثم أرسلت الرشاشات الثقيلة قذائفها إرسالا أفقيا ، وابتدأ

« قنص الفيران » في شوارع الحي الأوروبي ، وتلك هي العبارة التي كانت مستعملة حينذاك لمطاردة المغاربة . وانتهى كل شيء في بضع دقائق ! وقد قال شاهد أمام المحكمة العسكرية الفرنسية بوجدة إن جثث القتلى قد نقلت في حافلات جمع الأزبال ، ودفنت في خارج المدينة في أحد مدافن العظام .

منظر جزئي من مظاهرة بوجدة يوم 16 غشت 1953 .
(من وثائق حجيرة الخاصة) .

ولم يُشَر ، بطبيعة الحال ، في قرار الاتهام ، إلا إلى 26 قتيلا و 49 جريحا من بين قوات الأمن والسكان الأوروبيين . وجرت **محاكمة الثوار** أو المتهمين بالفتنة في جو صاخب ، كُشف أثناءه عن أمر **المخنوقين الأربعة عشر** .

ولربما سُكت عن هذه المأساة ، لولا شجاعة محامين نزهاء مثل الأستاذ جان شارل لوكران JEAN-CHARLES LEGRAND أدوا عملهم في إخلاص وكرامة وعزة نفس ، إذ عاملهم بعض

ضحايا طلقات الرشاشات الثقيلة .
(من وثائق حجبيق الخاصة) .

السكان الأوروبيين بشدة وفظاظة وأرادوا قتلهم .

وعندما كُشف عن الأخبار ، ضجت أفواج الناس داخل المحكمة صائحة بالمحامي جان شارل لوكران « إلى المشنقة ، أيها السفاح ! يمت ! سنقتلك ! »

ولم يحرك رئيس المحكمة ساكنا . أما ممثل الحكومة ، فقد ابتسم وبهت وظهرت عليه أمارات الاضطراب والغيظ ، وأخذ ينفي بفتور ما كشف عنه . لكنه طالب فيما بعد بإعدام ثلاثين متهما .

ومع ذلك ، فقد تفجرت الأحداث ، وكانت المأساة . وصُدم المبعوثون الصحافيون

« ... ولم يكونوا يرفقون بهم ... »
(الخزانة العامة والوثائق بالرباط) .

الذين جاؤوا لحضور المحاكمة ، ووصفوا ذلك في جرائدهم . وعبرت الجريدة Le Monde التي كان يديرها حينذاك مؤسسها Hubert Beuve-Mery عن غيظها إذ كتبت ما يلي : « لقد صُرح علانية ، أثناء إحدى الجلسات أن خمسة وأربعين شخصا سجنوا ، أثناء بحث الشرطة ، في حجرة ضيقة طوال أكثر من أربع وعشرين ساعة ، وأن أربعة عشر منهم ربما ماتوا . ولم يكن هؤلاء الرجال ، حينئذ ، حتى من بين المتهمين . وإذا صح ذلك ، فلا يقبل الا يعاقب المسؤولون عنه أشد العقاب . ويجب أن يقدم مرتكبو هذه الأعمال حالا إلى العدالة . فإذا لم يفعل ذلك ، وإذا بدا أنه يُتغاضى عما قد يقوم به المسؤولون عن الأمن من اعتداء على الحرية وعلى الحياة من غير قصاص ، فقد يكون في ذلك خيانة للعدالة واستهتار بها . »

ألو 52 – 60 بالرباط

في صباح ذلك اليوم ، يوم 16 غشت المشؤوم ، شاع خبر **تنصيب ابن عرفة** إماما في مراكش . فغضب الشعب كله لذلك واغتاظ . وكان الظرف وخيما شديدا ، مثلما اشتدت وثقلت مشية جنود اللفيف الأجنبي وغيرهم وهم متشبثون ببنادقهم الرشاشة ، ومثلما ثقل زحف الدبابات إلى الحي العتيق .

وكادت مدينة وجدة تختنق تحت وطأة الحرارة والطغيان . ولما كان الزعماء الوطنيون في السجون ، فقد أخذ المسؤولون عن الخلايا الوطنية يستشير بعضهم بعضا من مدينة إلى مدينة ... بواسطة الهاتف وباستعمال كلمات خفية . وأكدت مدينة الرباط الخبر القادم من مراكش . وكان ينبغي أن يُعرف الرقم الصالح . إنه 52 – 60 الذي تصدر عنه التعليمات من أجل الشروع في العمل على نطاق واسع ، ومن أجل معارضة المؤامرة وتلافي التصعيد . ثم عقد **اجتماع للأطر** بسرعة .

وفي الساعة الثانية عشرة ، رأس تاجر في الأحذية اسمه عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (عبد الله الزجلي) ، وعمره 34 سنة اجتماعا صغيرا تقرر أثناءه تنظيم **مظاهرات لتحدي قوات الاحتلال على الساعة السادسة عشية** .

لقد كان يجب اتخاذ جميع التدابير ، في ظرف ست ساعات ، لنشر القرار في أنحاء

LE COURRIER du maroc

JOURNAL QUOTIDIEN DU NORD MAROCAIN

15 francs

A la journée nationale du Rassemblement devant plus de 6.000 personnes...

LE GENERAL DE GAULLE — A PRONONCE UN IMPORTANT DISCOURS :

« Avant de passer à l'application, si lourde d'aléas, du réarmement de l'Allemagne, il faut établir, par une négociation précise, si une défense internationale est ou n'est pas réalisable »

AU PROCES DES EMEUTIERS D'OUJDA

ABDELOUAHAB CHEF DE L'ISTIQLAL DANS L'ORIENTAL

RECONNAIT AVOIR PREPARÉ UNE MANIFESTATION PACIFIQUE

mais affirme que ni lui ni les autres inculpés n'avaient l'intention de terroriser Oujda

S.S. LE PAPE n'est plus en péril de mort

affirment les professeurs Paolucci et de Stafano

الصفحة الأولى من الجريدة « Le Courrier du Maroc » عدد يوم 5 دجنبر 1954 .

Si Hadj El Djenane à Meknès ?

LE COURRIER du maroc

JOURNAL QUOTIDIEN DU NORD MAROCAIN

Samedi 4 décembre 1954

15 francs | DERNIERE EDITION

L'état de santé de S.S. le Pape reste inquiétant

CITE DU VATICAN. — Le bureau de presse de la Cité du Vatican a publié hier à midi le communiqué suivant sur l'état de santé du Saint-Père.

SEANCE PASSIONNEE A L'ASSEMBLEE SUR LES « FUITES »

M. MITTERAND VIOLEMMENT ATTAQUE PAR M. LEGENDRE

M. d'Astier de la Vigerie est dénoncé comme la «plaque tournante» de la trahison

Au procès des émeutiers d'Oujda

La défense demande l'audition du Résident général et de M. Brunel ancien chef de la Région d'Oujda

Un dépôt de munitions est découvert à Alger

en face de la centrale électrique

LE JEUDI 9 DECEMBRE S'OUVRIRA LE DEBAT SUR L'A.F.N.

Un Martien à Fès

MALGRE LA SOUMISSION DU CHEF LAZAR CHRAITI

DES FELLAGAS TUENT

Quand Paris

ATTENTAT A RABAT

1

L-N

ACTE D'ACCUSATION

(Article 69 du Code de Justice Militaire)

--•--

REPUBLIQUE FRANCAISE

TRIBUNAL PERMANENT DES FORCES ARMEES DE CASABLANCA, SEANT A OUJDA

--++--

-=- A C T E   D'A C C U S A T I O N -=-

dressé par Nous FLOURY, Commandant de Justice Militaire, Commissaire du Gouvernement près le Tribunal Permanent des Forces Armées de Casablanca, dans l'affaire suivie contre les nommés :

1°/- AZZAOUI LACHEMI BEN MOULAY ALI,
2°/- JELLOUN MOHAMED BEN MOHAMED BEN THAMI,
3°/- ABDELKADER BEN AHMED BEN ABDESSELEM,
4°/- BENRICHI AHMED BEN MOHAMED ,
5°/- BRAHIM BEN EL HADJ ABDALLAH ,
6°/- MOHAMED BEN MUSTAPHA BEN MAHJOUB dit "MUSTAPHA TOUATI",
7°/- HAMDI MOHAMED BEN MOHAMED ,
8°/- BELKHEIR BEN HASSAN BEN RABAH ,
9°/- ABDELKADER BEN MOHAMED "LAZZAOUI",
10°/- EL MAHI BEN AHMED BEN EL ABID ,
11°/- LARBI BELKHATIR BEN LARBI ,
12°/- BENEHIL MOHAMED BEN MOHAMED ,dit "NISSAOUI",
13°/- SHOUSSI AHMED BEN AHMED ,
14°/- LAID BEN RABAH BEN MOHAMED ,
15°/- MOHAMED BEN SELLAM BEN KACEM ,
16°/- BENYOUNES BELKHATIR MUSTAPHA ,
17°/- AHMED BEN THAMI BEN AHMED BERRADA ,
18°/- ABDERRAZAK BEN YAHIA BEN HADJ ,
19°/- MOHAMED BEN EMBAREK BEN AHMED ,
20°/- BENSEDDIK BARKA BEN MOHAMED,
21°/- TAYEB OULD ABDELKADER,
22°/- FIGUIGUI MOHAMED BEN BELAID,
23°/- OUARTASSI BEN MOHAMED BEN MOHAMED,
24°/- MOHAMED BEN BENYOUNES BEN MADANI,
25°/- MOHAMED BEN ABDELKADER "ARAB",
26°/- ABDERRAHMANE BEN HADJ AHMED HAJIRA,
27°/- MOHAMED BEN SAYAH BEN LAKHDAR,
28°/- MOHAMED BEN MOHAMED BEN BAROK AOUICH
29°/- ABDALLAH BEN MOHAMED BEN ABDELOUAHAD,
30°/- EL KADIRI BEN AHMED BEN MOULAY YAHIA,
31°/- DRISS BEN AHMED BEN ABDELOUAHAD dit "FIGUIGUI"
32°/- BENYOUNES BEN AHMED BEN MOHAMED FILALI,
33°/- ABDELKADER BEN AHMED BEN KADDOUR,
34°/- HASSAN BEN MOHAMED "MALKI",
35°/- MOHAMED BEN HADJ KADDA,
36°/- MOHAMED BEN MOHAMED BEN TOUHAMI,
37°/- EL MOKRI BENYOUNES,
38°/- AMAR BEN AHMED BEN AMAR,
39°/- BRAHIM BEN SAID BEN CHAIB,
40°/- MENOUAR BEN MOHAMED BEN AILAL,
41°/- FODIL BEN MOHAMED BEN AHMED,
42°/- TAYEB BEN DRISS BEN MOHAMED ,
43°/- YAHIA BEN ABDELKADER BEN CHEIKH,
45°/- BENEHILI LAHBIB BEN KHATIR,

3

1

الجريدة « Le Courrier du Maroc » عدد 4 دجمبر 1954
تتحدث عن المحاكمة .
(من وثائق حجيرة الخاصة) .

2

منظر من مناظر وجدة سنة 1953 .
(من وثائق حجيرة الخاصة) .

3

الصفحة الأولى والأخيرة من قرار الاتهام .
(من وثائق حجيرة الخاصة) .

4

من وسائل الدفاع عن النفس .
(من وثائق حجيرة الخاصة) .

2

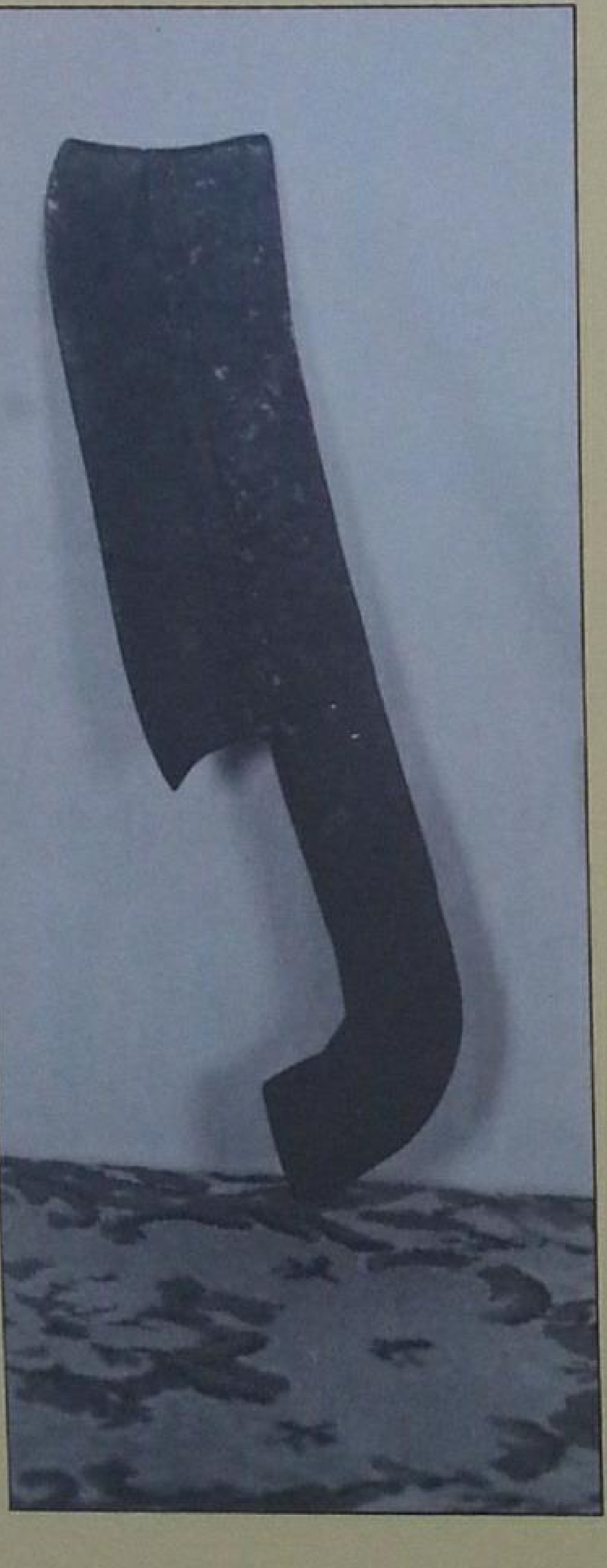

4

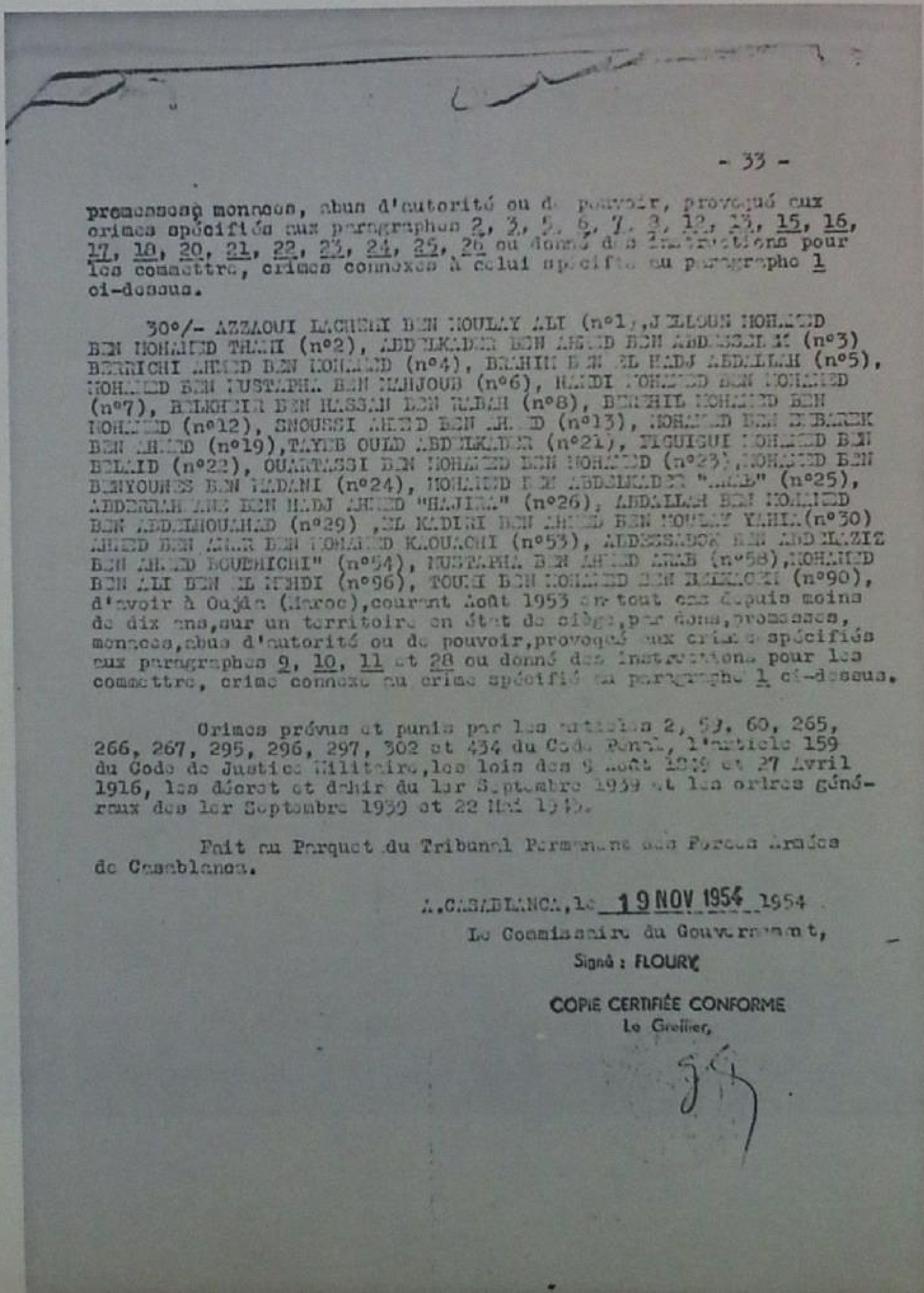

- 33 -

promesses, menaces, abus d'autorité ou de pouvoir, provoqué aux crimes spécifiés aux paragraphes 2, 3, 5, 6, 7, 8, 12, 13, 15, 16, 17, 18, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26 ou donné des instructions pour les commettre, crimes connexes à celui spécifié au paragraphe 1 ci-dessus.

30°/- AZZAOUI LACHEMI BEN MOULAY ALI (n°1), JELLOUN MOHAMED BEN MOHAMED THAMI (n°2), ABDELKADER BEN AHMED BEN ABDESSELEM (n°3) BERRICHI AHMED BEN MOHAMED (n°4), BRAHIM BEN EL HADJ ABDALLAH (n°5), MOHAMED BEN MUSTAPHA BEN MAHJOUB (n°6), HAMDI MOHAMED BEN MOHAMED (n°7), BELKHEIR BEN HASSAN BEN RABAH (n°8), BENZHIL MOHAMED BEN MOHAMED (n°12), SNOUSSI AHMED BEN AHMED (n°13), MOHAMED BEN MBAREK BEN AHMED (n°19), TAYEB OULD ABDELKADER (n°21), FIGUIGUI MOHAMED BEN BELAID (n°22), OUARTASSI BEN MOHAMED BEN MOHAMED (n°23), MOHAMED BEN BENYOUNES BEN MADANI (n°24), MOHAMED BEN ABDELKADER "[illegible]" (n°25), ABDERRAHMANE BEN HADJ AHMED "HAJIRA" (n°26), ABDALLAH BEN MOHAMED BEN ABDELMOUMAD (n°29), EL KADIRI BEN AHMED BEN MOULAY YAHIA (n°30) AHMED BEN AMAR BEN MOHAMED KAOUACHI (n°53), ABDESSADOK BEN ABDELAZIZ BEN AHMED BOUBHICHI" (n°54), MUSTAPHA BEN AHMED ARAB (n°58), MOHAMED BEN ALI BEN EL MEHDI (n°96), TOUMI BEN MOHAMED BEN [illegible] (n°90), d'avoir à Oujda (Maroc), courant Août 1953 en tout cas depuis moins de dix ans, sur un territoire en état de siège, par dons, promesses, menaces, abus d'autorité ou de pouvoir, provoqué aux crimes spécifiés aux paragraphes 9, 10, 11 et 28 ou donné des instructions pour les commettre, crime connexe au crime spécifié au paragraphe 1 ci-dessus.

Crimes prévus et punis par les articles 2, 59, 60, 265, 266, 267, 295, 296, 297, 302 et 434 du Code Pénal, l'article 159 du Code de Justice Militaire, les lois des 9 Août 1849 et 27 Avril 1916, les décret et dahir du 1er Septembre 1939 et les ordres généraux des 1er Septembre 1939 et 22 Mai 1945.

Fait au Parquet du Tribunal Permanent des Forces Armées de Casablanca.

A CASABLANCA, le 19 NOV 1954 1954

Le Commissaire du Gouvernement,

Signé : FLOURY

COPIE CERTIFIÉE CONFORME

Le Greffier,

المدينة ، وذلك رغم وجود الكلاوي والكتاني بها ، إذ كان وجودهما تحديا . لكن السكان عزموا على التضحية بكل ما لديهم . واتُّفِق على التجمع في طريق سيدي ادريس .

وكان يجب تجنيد **جماعات الاسعاف وفرق مقاومة القمع** اذ لم يكن منه بد . ذلك أن الناس كانوا على علم بطرق العدو ... وتقرر إحراق مركز توليد الحرارة ، وأسند ذلك إلى النجارين والحدادين العاملين بالمدينة . وأسند نقل فرق مقاومة القمع إلى الأسواق ، وكان ذلك بواسطة حافلات تنتزع من العدو . وكلف عمال السكك الحديدية بتوقيف القطارات وبتخريب خزائن النفط المقدرة كميتها بـ 60.000 لتر ! أما الفلاحون ، فقد أسندت إليهم مهمة التخلص من المعسكر الفرنسي الذي أنشئ أخيرا في سيدي يحيى ، كأنه أنشئ هناك لتهديد السكان وتخذيهم . وتقرر كذلك الهجوم على القيادة الفرنسية للاستيلاء على الأسلحة والذخيرة والوثائق .

وكان لابد – ومهما كان الثمن – من حفظ سيادة البلاد وكرامتها ، إذ يمثلها السلطان سيدي محمد بن يوسف . وتعدت المظاهرة طور السخط والاحتجاج وبلغت أوجها ، إذ تحولت إلى ثورة ، وهي اللغة الوحيدة والسلاح الوحيد اللذان يلجأ إليهما المستعمَر . واصطدم المقاومون وقوات الاحتلال في معركة غير متكافئة ، إذ كان الأولون شديدي العزم والحماس ، بينما كان الآخرون معتمدين على قوة السلاح . ثم كانت الفتنة ، وكان الهلع في ظرف وجيز جدا ...

أرقام لم تكذب قط

وبعد 15 شهرا ، كانت محاكمة 96 متهما من 29 نفمبر إلى 6 دسمبر 1954 . ونص قرار الاتهام بإلحاح على تضامن السكان . وكان من بين التهم المنسوبة إليهم اليمين بالقرآن والمحافظة على السر ، زيادة على التهم المألوفة وهي « **تكوين جماعة من المجرمين والمس بأمن الدولة الداخلي ألخ ...** » وقد وزعت ، قبل المجابهة ، مناشير تندد « **بمبايعة إمام جديد بمراكش ، وهو ابن عرفة** » .

وفي ظرف بضع دقائق أسفرت الثورة عن 26 قتيلا و 49 جريحا من بين جنود اللفيف الأجنبي وبعض المدنيين والمفتشين والمغاربة المتعاونين مع السلطات . ذلك ما ورد في عناوين الصحف التي كانت تأتمر بأوامر سلطات الحماية .

أما عدد الضحايا المغاربة ، فقد نُقص منه ، إذ ذُكر العدد « أربعون » في قرار الاتهام . وقد دحضته هيأة الدفاع وأقامت الدليل على أن أحداث 16 غشت 1953 تمخضت عن أكثر من 1000 قتيل . وقد صدع أحد المحامين بما يلي : « **إن هذا العدد نفسه غير صحيح ، إذ لا أحد يجهل أن إحصاء الضحايا يكون دائما غير تام ، وقد عبرت الصحافة نفسها عن ذلك . إن عدد الضحايا المغاربة الذي يجب الاعتراف به يربو على الألف ... هذا سادتي ، هو وصف هذه المأساة وصفا كاملا . وهذا هو قرار الاتهام الذي أذهلكم وقد صححته مناقشاتكم كما صححته الشروح التي قدمتها لكم** »

ولم يُدحض قط العدد ألف من الموتى ، بواسطة بلاغ ، ولا بواسطة شاهد .

الجريدة Le Courrier du Maroc تنشر الحكم.

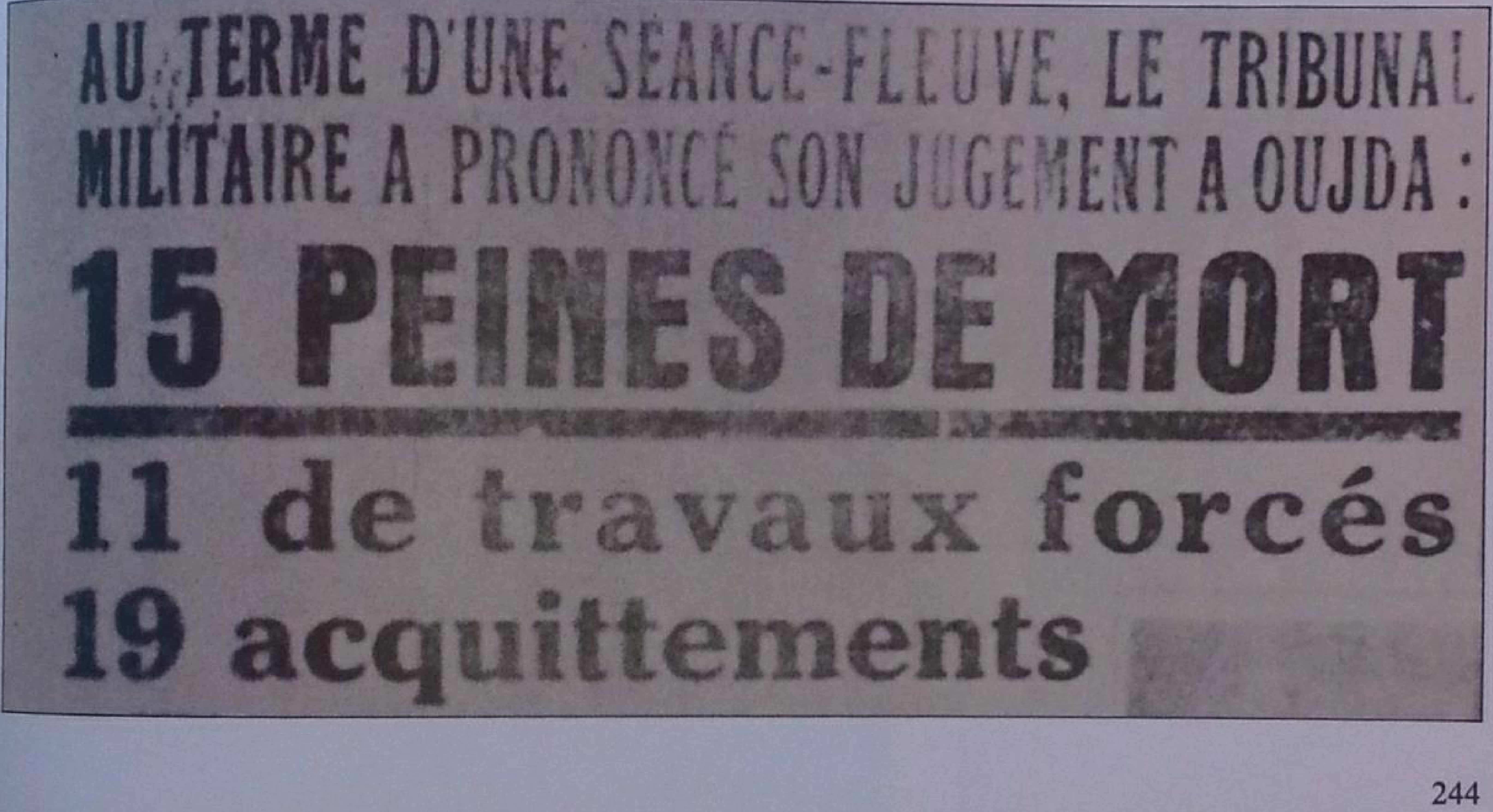
AU TERME D'UNE SEANCE-FLEUVE, LE TRIBUNAL MILITAIRE A PRONONCÉ SON JUGEMENT A OUJDA :

15 PEINES DE MORT

11 de travaux forcés

19 acquittements

ثلاثة من المحكوم عليهم بالاعدام في سجن القنيطرة . من اليمين إلى الشمال عبد الرحمان حجيرة وأحمد ولد علال وسكيكر . وقد أفرج عنهم عند الاستقلال .
(من وثائق حجيرة الخاصة) .

مذكرة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية

ولم تنته الفتنة عند هذا الحد . فقد استهين – ويالأسف ! – بمهنة المحاماة ، إذ هدد الأستاذ جان شارل لوكران بالقتل . ونورد ، أسفله ، نص مذكرة بعثها هذا المحامي إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ، تحدث فيها عن جلسات المحكمة العسكرية وعن محاصرة الفندق Terminus بوجدة ، وعن مطاردته هو في بسيط كرسيف وعن أحداث مدينة الدار البيضاء . فقال : « لما انتهيت من مرافعتي ، أوقفت الجلسة . وأخذت أستعد لمغادرة قصر العدالة ، إذ كانت الساعة الخامسة والنصف . ثم طلب إلي وكيل الجمهورية السيد ليوطار Liotard الخروج من الباب الخلفي . فرفضت . ثم قال : « في هذه الحال ، أرافقكم » . فخرجنا معا من الباب الكبير إلى ساحة قصر العدالة . فودعت السيد الوكيل وانصرفت .

« كانت الشوارع هادئة رغم وجود أفواج متناثرة في طريقي . ورافقني عدد من مفتشي الشرطة دون أن أطلب ذلك (هؤلاء المفتشون كانوا مغاربة وجزائريين . وكان أحدهم ، اسمه الغريسي قد تتبع جميع مداولات المحكمة العسكرية . وقد قال لكاتبة جان شارل لوكران : بعد كل ما فعله من أجل إخواني المسلمين سأضحي بنفسي حتى لا يمس بسوء » . وكان هذا المفتش في سيارة المحامي عندما طورد في بسيط وجدة) .

« وبمجرد ما وصلت إلى الفندق ودخلت غرفتي ، حدث ضجيج في الساحة الواسعة أمام المحطة وأمام الفندق ، وبدأ الصياح ، إذ كانوا يقولون : « ليقتل ! السفاح ! إلى المشنقة ! الخائن ! ليخرج ! نحن في انتظاره ! ليطرد ! » ، وغير ذلك من « جميل » الكلام .

« أما البلاغ الذي أصدره السيد المراقب المدني كوريكون Coricon ، وصرح فيه بأن المظاهرة بقيت

هادئة ، فهو بلاغ يصطبغ بالوقاحة في عدم مطابقته للواقع ، إذ كان التهديد بالموت صريحا . وقد تكرر في عنف (وقد رئي قاضي البحث السيد Margot وكاتبه مع المتظاهرين . ولا شك أنه جاء ليبحث حول التهديد بالموت وإثارة الفوضى في الشارع العمومي ، والمهاجمة بالعنف الصريح ، ألخ ... لكنه لم يكتب أي محضر . فلو قام ببحث ضد نفسه لكان ذلك في منتهى الشهامة) .

« ودام هذا الضجيج مدة ساعتين ، تخلله مرتين أو ثلاثا النشيد La Marseillaise ، ولم يكن له مبرر حينذاك . وقدرت جماعة المتظاهرين بـ 1500 شخص حسب بعضهم وبـ 4000 أو 5000 حسب البعض الآخر وحسب الاتجاه السياسي الذي تنتمي إليه الجريدة التي نقلت الخبر .

« ثم حاول المهاجمون اقتحام الفندق حيث كان المفتشون الذين رافقوني ، فلكموهم وردوهم وأغلقوا الباب الكبير .

« ثم حاصروا الفندق وحاولوا الدخول من الباب الذي ينفذ إلى مستودع السيارات ، فاقتحموه ، لكن الشرطة تقوت بالمدد الذي ورد عليها ، فأوقفتهم وردتهم .

« ثم توجهوا إلى الباب الزجاجي الكبير الذي ينفذ من المطعم إلى الحديقة وكسروه بالحجارة آملين دخول الفندق ، لكن الشرطة ردتهم أيضا .

« وكان الوكيل ليوطار في بهو الفندق يقود قوات الأمن .

« ثم سمع الفتانون ضرب الآلة الكاتبة في غرفة الأستاذ العمراني ، فظنوني فيها ، فرموا النوافذ بالحجارة ، لكنها كانت لحسن الحظ ، مغلقة .

« ثم رأوا إحدى زبونات الفندق ، فحسبوها كاتبتي وخاصموها ، واضطرت إلى الهروب لتفلت منهم .

« واستطاع زبون آخر أن يصل إلى غرفته في آخر ساعة ، وهو شديد الانفعال ، عندما أحكم المهاجمون حصارهم الفندق . وفي الساعة التاسعة نظموا الحراسة حول الفندق لمنعي من مغادرته .

« وقال أحد ضباط رجال الدرك أمام الشهود : « إنه اشترى بطاقة مرقد . عليكم أن تعينوا عشرين نفرا من بينكم ليذهبوا إليه إلى القطار ويكسروا وجهه »

« وبعد قليل جاء المراقب المدني كوريكون ليخطب في القوم ويخبرهم بأنني سأنصرف وليطلب إليهم العودة إلى بيوتهم .

« فأجابوه مؤكدين : « نحن في انتظاره ! ليخرج ! سنتمكن منه ! » وبقوا في مكانهم إلى الساعة العاشرة ليلا .

المحامي الأستاذ جان شارل لوكران Maître Jean-Charles Legrand .

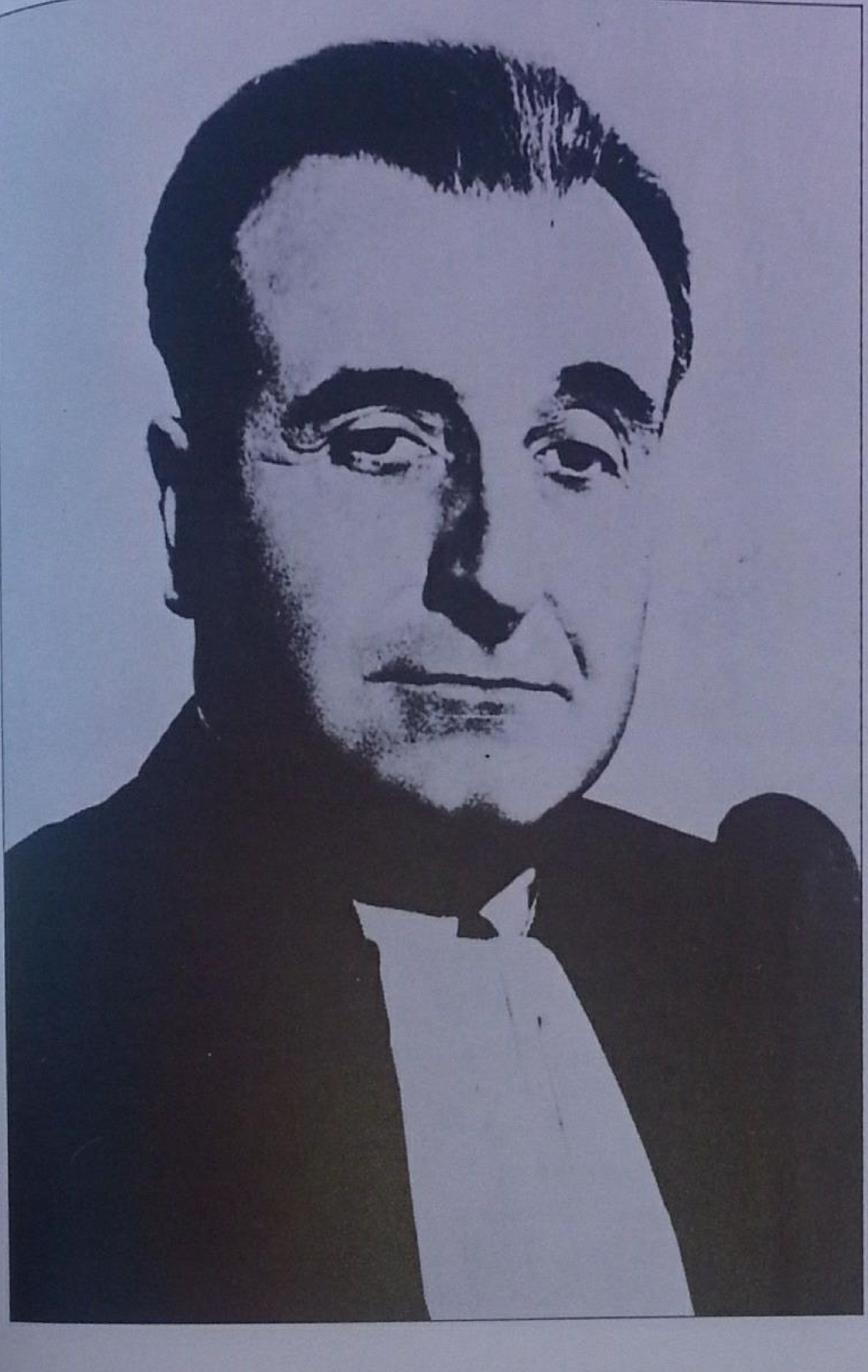

المطاردة في بسيط وجدة

« ثم تعشيت في غرفتي . وفي الساعة التاسعة والنصف ، بينا كان المهاجون مستمرين في ضجيجهم خارج الفندق ، قدم علي أحد موظفي الشرطة ليخبرني بأن سيارة وضعت رهن إشارتي لئلا أسافر في القطار ، وقال إن عمال السكك الحديدية يريدون منعي من السفر في القطار من وجدة . ثم غادرت الفندق ومعي الأستاذ العمراني وكاتبتي ، وركبنا شاحنة الحرس المتحرك . واستطاعت الشاحنة اختراق حاجز المتظاهرين ، إذ ظنوها في مهمة لحفظ الأمن .

« ولما خرجنا من المدينة ركبنا السيارة التي وضعت رهن إشارتنا ، وتبعتنا سيارة عميد الشرطة ، متجهين وجهة كرسيف . ولم نكد نخرج من المدينة حتى أخذت سيارتان تطاردداننا ، إحداهما من نوع Vedette ومسجلة بالدار البيضاء . وبذلك تأكد ما أخبرني به عميد للأمن من أن فتانين (هذه عبارته) من الدار البيضاء قد عرفا في وسط المتظاهرين الذين كانوا يحيطون بالفندق وأنهما كانا يحرضان القوم ويحمسانهم .

(كان صاحب السيارة يشتغل في قطاع التأمين بالدار البيضاء واسمه Jacques de Lillo . ولما سألته الشرطة ، قال إنه أودع سيارته تلك الليلة عند الشركة Auto Hall في الدار البيضاء ، ويجهل أن أحدا استعملها دون أن يعلم هو وصاحب Auto Hall بذلك . وقد اكتُفي بهذه العلة الواهية . ثم قدم المدعو De Lillo حجة بعدم استعماله هو سيارته ، فقبلت الحجة) .

« وتجاوزت هذه السيارة من نوع Vedette والمسجلة بالرقم 20 4999MA سيارة عميد الشرطة في وسط بسيط وجدة . ولما اقتربت منا طلبتُ إلى سائقنا أن يضغط على الدواسة ضغطا عنيفا ويوقف السيارة . واضطرت السيارة المطاردة إلى تجاوزنا ، فابتعدت ، وكان بها عدة أشخاص .

« وفي هذه الأثناء لحقت بنا سيارة ثانية من نوع Nash مسجلة بوجدة (كان اسم صاحبها Bittard ، وكان يبيع آلات الراديو والثلاجات بوجدة ، ولم تزعجه الشرطة قط) . وكانت كل أضوائها مشعلة . فوقفت فجأة خلفنا ، وكان بها أربعة رجال .

« فنزلنا جميعا من سيارتنا شاهرين مسدساتنا . ولما لاحظ أصحاب السيارة Nash خيبة مساعي السيارة Vedette ورأونا أنا والشرطة المغاربة نتقدم نحوهم بأسلحتنا انصرفوا على حين غفلة ، ومضوا إلى حال سبيلهم . ثم استأنفنا سفرنا ، تتبعنا سيارة عميد الأمن (ولم يكن يبدو أن سيارة العميد Colomès تزعج مهاجمينا !) ولما سرنا مسافة كيلومترين وجدنا السيارة Nash وقد دخلت في طريق يقطع طريقنا وأطفأت أنوارها واختفت خلف إحدى لافتات الطرق .

« ولما وصلنا إلى بلدة العيون وجدنا حاجزا وضع في الطريق بأوامر من وجدة فتحقق رجال الدرك « والمخازنية » من رقمي سيارتينا وأذنوا لنا بالانصراف . وكانت التعليمات حبس أية سيارة تجيء بعدنا .

« ثم وجدنا حاجزا آخر في تاوريرت وعند مدخل كرسيف .

« وفي هذه المدينة ركبنا القطار حتى الدار البيضاء بدون صعوبة .

« وعلمت ، فيما بعد ، أن الشرطة أذنت للفتانين بدخول الفندق Terminus بعد انصرافي منه . وحاول مدير الفندق التعرض لهم ، وصرح بأنه لا يبيح الدخول إلا للزبناء . ومع ذلك فقد دخل جماعة منهم وفتشوا الفندق واستدلوا على غرفتي ولاحظوا عدم وجودي بها .

« وقال شاهدو عيان إن هؤلاء الفتانين كانوا شديدي الغيظ وقادرين على القيام بأعمال العنف . وكانوا قد صاحوا بهؤلاء الشهود وشتموهم « لو لحقوا بالرجل لمزقوه إربا إربا » . (الصحيفة Maroc-Orient بتاريخ 8 يناير 1955 الصفحة 2 العمود 2)

« وأنبه ، لأدل على أخلاق هؤلاء القوم ، إلى أنهم اغتنموا فرصة حصارهم الفندق لسرق كل البرتقال الذي كان عالقا بالأشجار .

« ثم أذن عمال السكك الحديدية ، حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا ، لجميع الفتانين بدخول الأرصفة ، ولم يكن لهم – حسبما يبدو – لا بطاقة السفر ولا بطاقة الرصيف . وتركوهم يفتشون محطة السرعة الخفيفة ظنا منهم أنني أمر منها . ثم فتشوا القطار علهم يجدونني . أما غرضهم من البحث عني ، فإني أكل إليكم تقديره » .

« وكان عمال السكك الحديدية قد صرحوا بأنهم يعارضون ركوبي القطار (إنهم عمال أكثر تعلقا بالوطن من غيرهم !)

« ولما خاب القوم قصدوا منزل النقيب Gayet وشتموه وهددوه بنفس العبارات ، ونهبوا حديقته وأتلفوها وأفسدوا الورد وكسروا الأغصان . ثم قصدوا بيت النقيب Benguigui ، فاضطر إلى إطلاق رصاصة من مسدسه ليفلت منهم .

« وعلمت فيما بعد ، أن النقيب Gayet قدم شكوى من أجل تجمع الجناة (الفصل 265 من القانون الجنائي) (لكن قاضي البحث أهمل الشكوى)

« ولا بد أن أشير في الأخير إلى أن الشرطة والجيش طوقوا الحي الأهلي لما أراد المغاربة التعرض للأوروبيين ، إذ علموا بتوزيع منشور يدعو هؤلاء دعوة عنيفة إلى التظاهر ضدي .

« غير أنهم تركوا لمهاجميّ الحبل على الغارب في الشوارع وامتنعوا عدة ساعات من تفريقهم رغم خرقهم القانون خرقات متعددة .

« تلك هي الظروف التي انتهت فيها ، بالنسبة إلي وإلى مكتبي ، محاكمة المحكمة العسكرية بوجدة .

« ويبدو لي جليا أن إقامة هذه المحاكمة في مدينة وجدة كان خطأ فادحا . وسبق لي أن احتججت عند وقوع أحداث مراكش يوم 14 نفمبر على ذلك القرار الغريب الذي اتخذته السلطات العسكرية ، خلافا لما يوصي به القانون ، باستدعاء المحكمة ، في مثل هذه الحالات لمحاكمة المتهمين في الأمكنة التي ماتزال فيها العواطف هائجة مائجة ، لا سيما إذا أضرمت هذه العواطف وأثارتها حملات من الكذب والاستهتار بالقانون ، وأن منظمي هذه الحملات يتجاهلون حقوق الانسان وواجبات الدفاع .

مشاكل في محاكمة الدار البيضاء

« وظهر أثر هذه الحملات حتى في جلسة المحكمة العسكرية بالدار البيضاء يوم 10 دسمبر بُعيد ثورة وجدة . وقد وصفت الصحافة ذلك وصفا مطابقا لما وقع . (الجريدة Maroc-Presse العدد المؤرخ بـ 12 دسمبر 1954)

« وأراد وكيل الحكومة Hennequin أن يمنعني ، أثناء فترة إيقاف الجلسة ، من محادثة أحد المتهمين ، وهو منصور ، إذ سبق أن دافعت عنه من قبل . فناداني باسمي نداء المعتدي . فأجبته « إنك تتعمد إحداث مشكلة » . عندئذ صاح بي القوم شاتمين بنفس الكلمات « إلى المشنقة ! يامجرم ! يا خائن ! ليقتل ! سنتمكن منك ! » وكأنه لم يكن لكلمات وكيل الحكومة من غرض سوى إثارة هذه المظاهرة .

« وسبق أن أنذرت بقيام مثل هذه المظاهرة من قبل ، لكنها لم تحدث عندما دخلت قاعة الجلسات مرتين وتعمدت اختراقها طولا في ذلك اليوم ، وفي اليوم قبله .

« وعلمت أخيرا أن أتباع Présence française أخبروا بسفري إلى باريس يومه 11 دسمبر ، فقرروا استعمال القوة لمنعي من ركوب الطائرة .

« وأطلع السيد وكيل الجمهورية على ذلك ، فأعطى التعليمات في الموضوع .

« وتفضلوا ، سيدي الرئيس ، بقبول عبارات فائق تقديري »

إن هذه الرسالة ، بل هذه المذكرة ، بمثابة وثيقة تعكس الهيجان والظروف التي تمخضت عن أفكار رجعية في وقت كانت فيه فكرة احتقار « الأهالي » منتشرة انتشارا واسعا وخطيرا حتى على « المواطنين الأشرار » مثل جان شارل لوكران .

لكن شجاعة بعض المحامين وأخلاقهم المهنية رفعت كثيرا من اللبس . ولا يسع مؤرخ اليوم ، وقد تخيل نفسه في تلك الظروف ، الا أن يعبر عن تقديره للفرنسيين المتحررين الذين خاطروا بأنفسهم لاحقاق الحق وإثبات شرعية مطالب شعب بأكمله ، وذلك بصرف النظر عن الظروف .

الاستاذ جان شارل لوكران عند عودته إلى المغرب سنة 1958 بعد طرده من لدن سلطات الحماية ، ويرى عن يمينه الاستاذ البشير بلعباس .

التراكم

تحت إشراف العربي الصقلي

تحقيق ونصوص أحمد أخشيشن وجمال الدين ناجي

لا يمكن فتح ملف المقاومة المسلحة إلا بالرجوع إلى ذاكرة الذين مايزالون على قيد الحياة ثلاثين سنة بعد الاستقلال . إنها صفحة من تاريخ المغرب لم تسلط عليها الأضواء إلى أيامنا هذه إلا قليل من الشهادات المكتوبة ... إنها صفحة غير مدونة لأن أحداثها قريبة منا .

إن التراث الدفين في الذاكرات محدود بحدود الذاكرة نفسها . ولا يمكن الاطلاع عليه إلا بقدر ما تحفظه الذاكرة . ولا يمكن تنظيمه وتنسيقه إذ ما يزال بعضه غامضا وإذ يُقصد إلى تأويله تأويلا انتقائيا كلا أو بعضا .

لكن ما يهمنا ، في حدود مؤلفنا هذا ، هو أن نقف على ما طبع هذه الحقبة بطابع جلي وعلى ما يمكن اعتباره بداية لفهم كيفية التطور .

ذلك هو الهدف الذي تهدف إليه هذه المجموعة . لكنه هدف يأخذ كل أبعاده في هذه الحقبة ، أي حقبة المقاومة المسلحة .

وقد عمدنا في هذا المجلد إلى أن نقترح الاطلاع على « الأزمة المفتوحة » التي تميزت بها هذه الحقبة وعلى حالة « التصدع » التي امتدت طوال ما يقرب من عقدين اثنين أي من سنة 1934 إلى سنة 1953 .

وكانت هذه الحقبة من تكوين المقاومة المسلحة حقبة تفكير وتدبير ، كما كانت فعلة 20 غشت 1953 بمثابة منعطف حاسم .

وقاسى أولئك الذين سيصبحون فيما بعد ، مقاومين ظاهرة من « التراكم » في غضون السنوات الأربعين ، كانت سببا في نشوء فكرة استعمال السلاح .

وخطت هذه المقاومة المسلحة خطواتها الأولى في المدن في غضون السنين القليلة التي سبقت مؤامرة 20 غشت .

هاتان المرحلتان تُيسّران ، بدون شك ، الاطلاع في إطار هذا المجلد السادس ، على المرحلة الحاسمة من هذه المقاومة الحضرية ، وهي « العمل المنظم » الذي سيُفرَد له فصل في المجلد السابع ، إذ يندمج في مجموعة الأحداث التي أفضت إلى الاستقلال .

بعد مضي ثلاثين سنة على إمضاء معاهدة الحماية ، تعاقبت سلسلة من الأحداث أدت شيئا فشيئا إلى إثبات القطيعة التي حدثت بين الشعب المغربي وبين النظام الاستعماري .

وفشلت مختلف اقتراحات الاصلاح التي قدمت منذ السنوات الثلاثين . ونتج عن ذلك ظهور خلاف جلي بين عالمين اثنين كانا يتطوران منذ مدة من الزمن ، كل حسب حيويته وطبيعته . وكان للتحول الذي طرأ على الحركة الوطنية ذلك مظاهر سياسية – عشر سنين بعد تقديم برنامج الاصلاحات سنة 1934 . فتجلى ذلك في نشر وثيقة الاستقلال يوم 11 يناير 1944 . أما النظام الاستعماري ، فقد اتضح عجزه – من خلال عهد لابون – عن إقامة بديل مناسب لنظام الحكم المباشر الصرف . وبرزت من داخل هذا النظام نفسه حركة معارضة عنيفة ضد ما أقدم عليه لابون من تسريح الزعماء السياسيين وتحرير الصحافة تحريرا نسبيا وتقديم مشروع الاصلاحات يوم 22 يوليوز 1946 . ودلت تلك المعارضة على أن نظام الادارة المباشرة أصبح يسير حسب قوانينه الخاصة وأنه لم يعد يتردد في الاعتراض ، جهارا في بعض الأحيان ، على قرارات الحكومة الفرنسية .

« دقة ساليكان »

وكان التحدي أحد قوانين هذا النظام . فأدى يوم 7 أبريل 1947 إلى أحداث لم يكن لها عواقب عاجلة مباشرة على تطور الأمور فقط ، بل كانت ، بصفة خاصة ، دليلا للمغاربة على انحلال نظام الحماية .

وبقي ذكر هذه الأحداث عالقا بالأذهان بالاسم « يوم دقة ساليكان » (أي فَعلة السينيغاليين) . وكان هذا الاسم – « السينيغاليين » – يطلق حينذاك على جنود

« افريقيا الغربية الفرنسية » Afrique Occidentale Française الذين كانوا يعملون بقيادة ضباط فرنسيين .) وزعزعت هذه الأحداث ضمائر المغاربة ، سواء في ذلك البيضاويون أو غيرهم ، والنخبة السياسية أو أبسط المواطنين ، وسواء منهم الذين شهدوا هذه الأحداث أو الذين لم يشهدوها . وأقدمت جموع السينيغاليين الذين كانوا في ثكنة درب الكبير على تقتيل سكان ذلك الحي وابن مسيك والحي المحمدي (حي Carrieres Centrales حينذاك) . فتصرفوا تصرف المجانين . وما يزال الجدل قائما إلى الآن حول أسباب ذلك التصرف . وقد أحصي الضحايا إحصاء غير مضبوط – وذلك ما يحدث في مثل هذه المجازر – إذ كان عددهم يقدر بالمئات على الأقل . وكان من بينهم الأطفال الصغار والنساء الحوامل اللائي بقرت بطونهن . وذكر الأشهاد أن بعض الجثث نقلت من وسط الحقول عند مخرج المدينة الجنوبي في طريق مراكش شهرا بعد الحوادث .

ولما انجلى الذهول الذين أصاب الناس تبين بوضوح أن الرماة السينيغاليين لم يكونوا إلا آلة أعدها وسخرها كبار المسؤولين في الادارة الاستعمارية . وقد ثبت أن أي أحد من ضباط الجيش ولا من أعضاء الشرطة لم يحاول منع وقوع هذه المذبحة . وكُشف فيما بعد ، عن بعض الأخبار التي أكدت تأكيدا قاطعا أن ما وقع كان مؤامرة مدبرة . وفي ذلك قال شارل أندري جولريان Charles-André Julien في كتابه Le Maroc face aux impérialismes ، « **قد يفاجأ القواد بخروج الجنود خروجا مباغتا ولكن أن يطول إطلاق النار مدة ساعات دون رادع ، فيبدو أن من المجازفة أن يُعزى ذلك إلى عجز السلطات أو تقصيرها . إن هناك عناصر من هذه القضية ما تزال تشغل البال . أصحيح أن بعض المغاربة من الجيش والشرطة جردوا من سلاحهم في اليوم الذي سبق هذه الأحداث ؟ لماذا كانت المسالح التي نهبها السينيغاليون**

إخفاق إيريك لابون

لقد قدم المقيم العام (ايريك لابون Eirik Labonne) يوم 22 يوليوز 1946 للفرع الفرنسي من مجلس شورى الحكومة – وهو مجلس تمثيلي لم يكن فيه للمغاربة إلا نفوذ قليل – مشروع إصلاحات استُنكر استنكارا حتى إن أعضاء الهيئتين الاوليين الذين انتخبهم الاعيان الفرنسيون غادروا قاعة المجلس . ولم يكن رد فعل حزب الاستقلال أقل حدة . وكان من الطبيعي أن يعترض المغاربة والفرنسيون على المشروع ، إذ رأى الفرنسيون فيه تعديا على المصالح الخاصة ، بينما لم ير فيه الوطنيون إلا تقوية لنظام الحماية . ورأى الفرنسيون أيضا أن الشركات المختلطة كانت موجهة ضد المصالح الخاصة ، في حين رأى المغاربة أنها كانت تهدف إلى تقويتها . فكانت آراء هؤلاء وأولئك متعارضة حول جميع الاقتراحات . أما إنشاء مدارس قروية لمحاربة الامية بواسطة المتطوعين – وهي عملية كانت مفيدة في المكسيك – فقد رفضها رجال التعليم جملة ، إذ كانوا حريصين على التمسك باختصاصاتهم الخاصة بهم وحدهم . ورفضها المغاربة كذلك إذ أيقنوا بضعف مستوى ذلك التعليم .

شارل أندري جولريان
Charles-André Julien
«Le Maroc face aux impérialismes»

الدار البيضاء بعد « دقة ساليكان » : الهلع ينتشر في المدينة .
(وثائق « المغرب ») .

غير محروسة ؟ أصحيح أنه طُلب إلى الضباط التدخل ، فرفضوا ؟ وأن بعض الذين حضروا منهم في عين المكان لم يأمروا بوقف اطلاق النار ؟ وأن الشرطة لم تحضر لأنها تلقت الأمر بالامساك عن الحضور ؟ وقد تساءل المغاربة حول كل هذه المواقف ، فلم يُجابوا ..ولم يتساءلوا وحدهم . ألم يكن ما وقع مؤامرة دبرتها الشرطة بقيادة بونيفاص Boniface ، إذ كان هو رئيسها . »

إن المقاومين ليذكرون اليوم مناظر تلك المجزرة وصورها التي رسمت رسما ثابتا في ذاكرتهم وهم حينذاك في طور المراهقة أو بداية الرشد . وكان هذا الحدث في كثير من الأحوال ، بمثابة العامل الذي أثار الوعي في نفوس ذلك الجيل الذي اختار ، فيما بعد ، سلوك سبيل المقاومة المسلحة . وأخذت فكرة الانتقام تتكون في النفوس منذ ذلك اليوم ، أي يوم 7 أبريل .

وفي الجو الذي تركته هذه الأحداث كان الخطاب الملكي الذي ألقي بطنجة يوم 10 أبريل . فأكد ثبات الملك على موقفه — وكان ذلك قد بدا منه منذ مدة — وأنذر بنهاية عهد لابون ، الذي كان عهد التحرر .

عهد الطغيان العسكري

ثم أعفي إيريك لابون Eirik Labonne يوم 23 ماي 1947 ، وعين الجنرال جوان (Juin) مقيما عاما . فعاد الجهاز الاستعماري إلى طرقه في التسيير والادارة ، وهي الطرق التي أدت في ظرف محدود إلى استعمال القوة . فكان لذلك عواقب قضت على النظام الذي أقيم بمقتضى معاهدة الحماية .

وتصرف جوان منذ الأيام الأولى من عهده تصرف **« الناطق باسم المتطرفين » فلم « يكن يرى في النظام الاستعماري إلا وسيلة لممارسة السلطة المطلقة ممارسة حماسية ، إذ تأكد ذلك من خلال أفعاله وأقواله »** (أنظر المرجع المذكور أعلاه لشارل

أندري جوليان) . وقد سلك ، حتى ذهابه يوم 20 شتنبر 1951 ، سياسة إهانة بالنسبة للسلطان . وعمد ، في ذلك ، إلى سبل دنيئة ، ولم يتردد في استغلال أية وسيلة ، (المناشير الكاذبة ، والمؤامرات ...) وبلغ به الحال في يناير - فبراير 1951 إلى تدبير « **مسيرة القبائل** » ليحاول الضغط على صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف ليستجيب للانذار الذي قدمه إليه يوم 26 يناير يطلب فيه التبرؤ جهارا من حزب الاستقلال وطرد اثنين من مساعديه في الديوان الملكي .

وتأكد ، من خلال هذا « **الطغيان العسكري** » ومن خلال الطريقة التي عولجت بها القضايا ودبرت بها بعض المؤامرات في عهد جوان ، أن مراكز التقرير انتقلت إلى الاقامة العامة بالرباط في كل ما يتعلق « بالقضايا المغربية » . ولم تعد هذه القضايا تعرض - شيئا فشيئا - لا على رئاسة الجمهورية ولا على وزارة الشؤون الخارجية . وأصبحت أهم القرارات تتخذ ، فعلا ، من لدن أنصار الاستعمار الذين كانوا يريدون تثبيت دعائم النظام القائم ، ذلك النظام الذي كان احتقار المغاربة مذهبا له .

ورأى المغاربة في سياسة جوان وفي إنذاره للسلطان إهانة صريحة . وقد شق عليهم ذلك ، لا سيما أن الاهانة كانت موجهة مباشرة إلى العاهل الذي تتجسد فيه السيادة الوطنية . أضف إلى ذلك أنه كان من شأنها أن تؤدي حتما إلى تقليص نشاط المنظمات الوطنية إلى أبعد الحدود .

وهكذا قضي قضاء على ذلك الانفراج الضئيل الذي بدا فيه عهد لابون . وكان جوان يرى ، مثل وزيره في الشؤون الخارجية أن في أية سياسة انفراج يسلكها المقيمون إزاء الوطنيين « **مسا بسلامة الامبراطورية الفرنسية** » فغلا

« مسيرة القبائل » في ربيع سنة 1951 . الفرسان يحملون العلم المثلث الألوان .
(الخزانة العامة بالرباط) .

وصول الجنرال جوان بداية « عهد الطغيان العسكري » .
(مجموعة خاصة) .

بذلك في تطبيق تلك « التعليمات » فطرد محمد الغزواني من مجلس شورى الحكومة يوم 12 دسمبر 1950 ، ومنع كل التجمعات ، حتى في البيوت الخاصة . وبلغ به الغلو إلى أن أمر بإحاطة المقابر بالدبابات !

« التطور المتميز »

وكان هناك قانون آخر تميز به تطور النظام الاستعماري وهو « نمو كل جماعة على حدة » : جماعة الفرنسيين المقيمين بالمغرب من جهة ، وجماعة المغاربة من جهة أخرى . وقد قال أحد الكتاب المغاربة سنة 1952 في وصف هذه الظاهرة التي سماها « الازدواجية » : « **إني أعني بالازدواجية المغربية أن يوجد في المغرب مؤسستان اثنتان وهيئتان اثنتان ومسطرتان إداريتان اثنتان ومقياسان اثنان متميزان ، يطبق أحدهما على السكان المغاربة وثانيهما على السكان الأوروبيين . (...) فكانت ، في الميدان السياسي ، حكومتان اثنتان : إحداهما مغربية ، ولها طابع رمزي صرف ، وأخرى فرنسية ، وقد**

تقديم الجنرال كيوم إلى المغفور له صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف.
المقيم العام « الكثير الأخطاء والهفوات ».
(تصوير بولان).

استأثرت ، بدون حق سوى حق القوي ، بجميع مراكز القيادة في البلد . فمن العبث أن يبحث الانسان في معاهدة « الحماية » عن الفصل الذي يبرر مثل هذا التطاول ، فلن يجده . » (ع . الشرايبي OÙ VA LE MAROC, ED. ANTAR 1952).

وازداد وعي المغاربة شيئاً فشيئاً ، وهم يدخلون في السنوات الخمسين ، بأن معاهدة الحماية ليست إلا صفقة غبنوا فيها غبنا ، وأنه لا يمكن الخطايا ولا « الفلتات » التحرّرية ولا حتى الالتزامات الرسمية أن تخفي ما عمدت إليه سلطات الحماية من إقامة نظام لا تستفيد منه سوى طائفة واحدة . وقد شُعر بهذا العداء حتى في أبسط جزئيات الحياة السياسية .

ولم تنته سياسة جوان بمغادرته المغرب يوم 20 شتنبر 1951 ، بل بقي يوحي مباشرة من باريس ، بطريقة إدارة الشؤون المغربية ، حتى إن شارل أندري جوليان قال عنه : « إن ضغطه استمر بصورة مباشرة أو بواسطة بعض الأشخاص . ففرض على مختلف الوزراء ، الواحد تلو الآخر ، تطبيق نظرياته في السياسة المغربية وهي النظريات التي كان على كيوم GUILLAUME ولاكوسط LACOSTE وبوايي دولاتور BOYER DE LA TOUR تنفيذها في الرباط . » (انظر المرجع المذكور أعلاه) .

ولم يلبث الجنرال كيوم ، خلف جوان ، أن وقع ، بمجرد استلامه مهامه تحت تأثير بونيفاص ، رئيس ناحية الدار البيضاء إذ كان

« صاحب الأمر والنهي في المغرب » (شارل أندري جوليان) .

وقد تأذى من موقفه الذي كان موقف المرؤوس بالنسبة لسلفه . ولم يكن له من الوسائل الذاتية الضرورية ما يفرض به نفسه على رأس إدارة أصبحت أداة طيعة في يد الغلاة . فاختار مساعديه من بين أولئك الذين عملوا في المغرب مدة طويلة . ولم يكن بعض الذين استنفرهم جوان (خاصة VALLAT ودوبليسون DE BLESSON) يترددون في التجاهر بعنصريتهم واستلهام قراراتهم مباشرة منها .

وصدر من الجنرال كيوم طوال ممارسته مهمته بالاقامة العامة كثير من الأخطاء والهفوات أدت بسرعة إلى انحلال النظام الاستعماري ، لكنها كانت ، في الواقع ناتجة ، مباشرة ، عن منطق سياسة مبنية على الاهانة والكيد واستعمال القوة .

وحدد يوم فاتح نفمبر 1951 لاجراء انتخابات كانت الادارة قد تجاهرت بتوجيهها . فقوطعت مقاطعة واسعة بعد ما نادى الوطنيون بذلك . وفي نفس اليوم قاست مدينة الدار البيضاء مما أذاقها المقيم الجديد من القمع . فكان ضحايا إحدى المظاهرات خمسة قتلى وستمائة معتقل .

العيد الفضي فرصة التحدي

وجاء شهر نفمبر 1952 ومعه الذكرى الخامسة والعشرون لجلوس صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف على العرش . وقرر الوطنيون الاحتفال بالعيد الفضي احتفالا رائعا . وعبأت الصحف الوطنية ، التي كان نشرها ما يزال

العيد الفضي سنة 1952

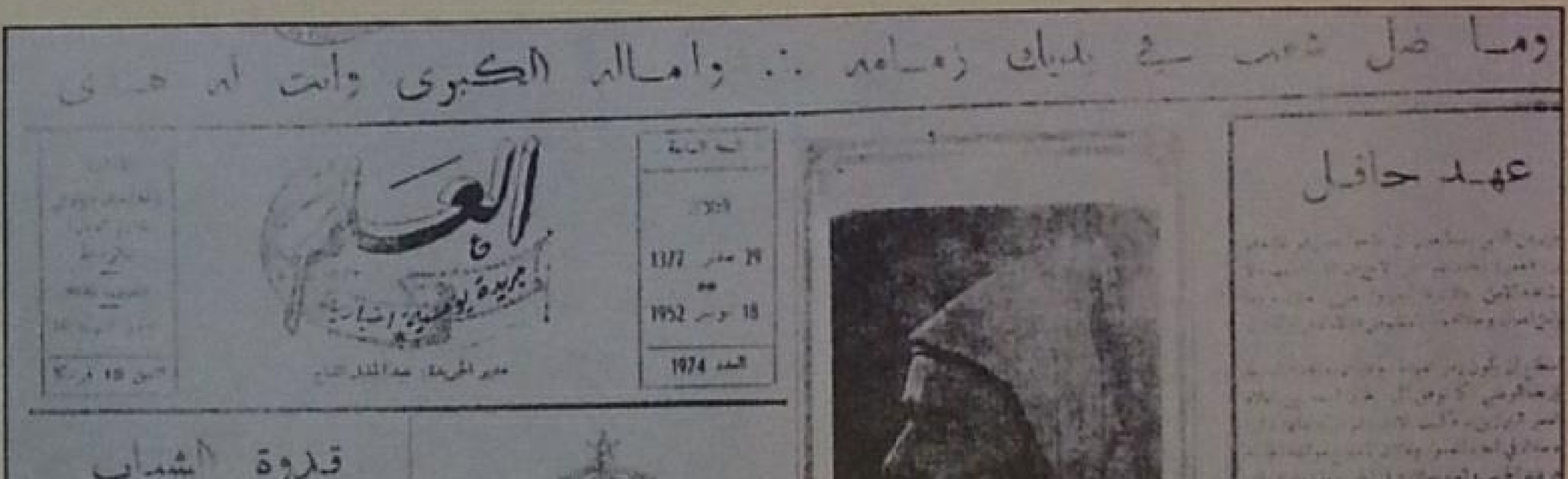

18 نفمبر 1952 : العيد الفضي . الجريدة « العلم » تخصص صفحتها الأولى لهذا الحدث . (الخزانة العامة بالرباط) .

سافرت لجنة تزيين الدار البيضاء سنة 1947 وأمكنها تزيين سوق الاربعاء لاستقبال المغفور له صاحب الجلالة محمد الخامس في غضون رحلته التاريخية إلى طنجة . وكان صدقي والزرقطوني يشرفان على نشاط هذه اللجنة في المدينة العتيقة . وكانت لجنتان تجتمعان ، لاعداد حفلات عيد العرش سنة 1952 عند بوشعيب بنور ، إذ كان أعد منزله لمثل هذه الاجتماعات فتكفلت جماعة صدقي بتنظيم الحفلة في حي عرصة الفتيحات ، بينما نظمت جماعة الزرقطوني حفلة درب ابن حماني . وفي هذه الحفلة كانت الخريطة المشهورة التي تمثل العالم العربي والافريقي ، وعليها شعارات كثيرة وصور مختلفة للسلطان . وعبرنا بواسطة هذه الخريطة عن جميع المشاعر التي جاشت في نفوسنا بعد خطاب طنجة . واغتاظت الادارة الاستعمارية لهذه الحفلات ، فقررت منعها بعد اليوم الاول ، وقامت بحملة اعتقالات في صفوف الوطنيين الشباب . فاعتقل أخاوي المصطفى وبوشعيب يوم 18 نفمبر . ثم اتصل بنا جاسوس ليقترح علينا تحريرهما إن نحن أخبرنا الشرطة بمخبأ الزرقطوني .

التيباري عبدان
(من حديث معه يوم 11 فبراير 1984)

مباحا ، أعمدتها للحديث عن هذه الذكرى . فأقامت أجهزة حزب الاستقلال المحلية والاقليمية لجانا لتنظيم الحفلات .

وكانت لجنة تزيين الدار البيضاء حينذاك تشتمل على ما يقرب من مائة مناضل كانوا يتميزون بعواطفهم الوطنية وتجندهم المستمر وخبرتهم المهنية . وكانت جميع المهن ممثلة في هذه اللجنة كالنجارة والالحام والبناء والطباعة . وكانت مدينة الدار البيضاء ما تزال تذكر سهرات رمضان الوطنية في عهد لابون (حفلات ومسرحيات وحلقات وخطب وأناشيد ...) فضاعفت أساليب الاحتفال لتخليد العيد الفضي .

ونظمت إحدى هذه الحفلات في درب ابن حمان في الحي القديم من الدار البيضاء . وتميزت عن غيرها بميزتين اثنتين لهما ما لهما من المغزى . أولاهما أن مناضلي لجنة تزيين الحي التي كان يرأسها أحد المسؤولين الاقليميين من حزب الاستقلال ، محمد الزرقطوني ، استطاعوا استدعاء شخصيات من أمريكا الجنوبية لحضور الحفلات . وتولى مناضل آخر ، سليمان العرايشي ، ترجمة خطب بعض الشباب وتدخلاتهم . أما الميزة الثانية التي تميزت بها هذه الحفلة التي حضرها أكثر من مائتي شخص ، فهي وجود خريطة هائلة لا لبس فيها ، وضعت في مكان الصدارة . وكان سليمان العرايشي يحترف الطباعة . فرسم تلك الخريطة . وكانت خلفيتها الراية المغربية وعليها المناطق التي يرتبط بها المغرب ، وهما العالم العربي والعالم الافريقي . فكان في تلك الخريطة ما اعتبر تحديا صريحا للذين لا يقبلون بديلا عن الامبراطورية الفرنسية .

ولم تلبث الادارة أن تدخلت في الأمر ، إذ جاءت قواتها في الليلة بين 16 و 17 نفمبر . فأوقفت الحفلات ، إذ كان تقرر تنظيمها طوال ثلاثة أيام . ومع ذلك استطاع المنظمون إخراج الضيوف الأمريكيين وأغلبية المناضلين من باب خفي . ولكن اعتقل بعض الناس منذ ذلك الوقت كُشف أمر محمد الزرقطوني ، فاضطر إلى أن يختفي اختفاء يكاد يكون مستمرا .

مصيدة بونيفاص

وبعد مضي أقل من ثلاثة أسابيع غمر الذعر مرة أخرى مدينة الدار البيضاء . فقد اشتعلت نار الفتنة في حي القصدير المسمى Carrières Centrales يومي 7 و 8 دسمبر عقب يوم اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد . وكانت منظمة الأمم المتحدة تستعد حينئذ لمناقشة القضية المغربية . واجتمع النقابيون بدار النقابات في شارع لاصال Lasalle (انظر النص المؤطر بالعنوان « المصيدة ») فوجد بونيفاص في هذه الفتنة ، وخاصة في اجتماع النقابيين ، « **علة للقمع تعدت كل ما كان يتمناه** » (شارل أندري جوليان) .

وألزم النقابيون بالجلاء من مقر النقابة وسط جموع هائجة من الأوروبيين ، فتعرضوا ، عند خروجهم لعملية « عقاب » منظمة . وقتل منهم ما يقرب من مائة نفر في ظرف يومين . وفي

مجزرة « الكاريان » يوم 7 دسمبر 1952

أخبرنا المحجوب بن الصديق في الاجتماع الذي عقد في مقر النقابة CGT باغتيال فرحات حشاد ، واقترح علينا شن إضراب عام يوم الاثنين . ولما عدت إلى الحي المحمدي ، علمت بالمظاهرة التي وقعت في « الكاريان » (حي Carrières Centrales) . فخرجت ورأيت قرب مكتب الشرطة شابا تونسيا كنت أعرفه في الحي ، وقد تسلق أحد الاعمدة وصاح بجموع الناس : « سنضحي بدمنا لرفع هذا العلم » . فاتجهنا شطر مكتب الشرطة في الوقت الذي كانت فيه الدبابات تقترب . ولم يكن للناس أية معرفة بهذه الالات . وابتدأ إطلاق النار ... وتقهقرنا نحو منازل الرياض . ثم تناول العلم أحد الشيوخ ، فقُطع قطعا ... واستطعنا مع ذلك أن نجمع بعض الجثث . وأحصيتُ ، أنا ، ثماني عشرة جثة من حولي . ونقلت إلى مسجد الحاج علي ...

وفي يوم الغد طُوق الحي المحمدي تطويقا كاملا . وكان الجنود يطلقون النار ، من خلف أكياس الرمل ، على كل ما يتحرك . ورأيت امرأة قرب جثتي ابنيها ، وقد ألقيتا في بركة ماء . فرفضت نقلهما ولم تنفك تقول : « اتركوهما ، إن الله قد حباني بشهيدين . »

الحاج الحسن

(من حديث معه يوم 6 أبريل 1984)

حملة الاعتقالات يوم 10 دسمبر 1952

اعتقلت الشرطة أثناء الليل 400 عضو من أعضاء حزب الاستقلال أو من الذين يعطفون عليه أو من الحزب الشيوعي ومن النقابة Union des Syndicats Confédérés du Maroc UGSCM . واحتفظ بـ 383 منهم رهن الاعتقال . ولم يستطع بعض مسيري حزب الاستقلال المرموقين أن يفروا بأنفسهم . ووضع منهم 112 نفرا تحت الاقامة المحروسة في الجنوب .

وبعد مضي يومين قُدم أمام محكمة باشا الدار البيضاء 1150 معتقلا من الفئة الدنيا متهمين « بجرائم صغيرة » . فحكم عليهم بعقوبات تتراوح بين شهر واحد وسنتين سجنا ، وذلك لمجرد كونهم معتقلين . وامتد القمع بدون تبصر إلى القرى ، وذلك لغاية واحدة ، وهي إنذار الناس . وألزمت الادارة المركزية السلطات بتقديم عدد من المساجين حددته لها من قبل ، ولو عجزت هذه السلطات عن إيجاد العدد الكافي من الجناة ، وحتى من الاظناء . فاعتقل المئات من الناس . وعزل فالا Vallat الباشوات والقواد المخلصين للسلطان دون أن يُعلَم بذلك (...) . ولم يكن مساعد الجنرال كيوم Guillaume يخفي آراءه . « لقد شعرت المدينة بقوتنا . وكان لا بد للمناطق القروية أن تقف على دليل محسوس لقوتنا أيضا » .

شارل أندري جوليان
Charles-André Julien
«le Maroc face aux impérialismes»

« المصيدة » : اعتقال النقابيين عند خروجهم من دار النقابات .
(مجموعة خاصة) .

مساء يوم 10 دسمبر كانت حملة اعتقالات لم يسبق لها مثيل إلى ذلك اليوم ، إذ أدت إلى اعتقال زعماء أهم المنظمات الوطنية . وختم كل ذلك بحظر حزب الاستقلال والحزب الشيوعي بدون قيد ولا شرط . وقد قال عن ذلك محمد بن سعيد في حديث له يوم 17 فبراير 1984 : « لم تعد الادارة الاستعمارية تطيق نفوذ الفكرة الوطنية إلى النسيج الاجتماعي المغربي نفوذا يتزايد شيئا فشيئا . فقد عرف حزب الاستقلال كيف يستغل عهد لابون وازدياد هجرة القرويين إلى المدن ليسهل النفوذ إلى العالم القروي ، وذلك رغم أن السلطات الاستعمارية بذلت جهودها لتطويقه منذ انتهاء عملية « توطيد الأمن » ، وذلك بواسطة جهاز معقد يعتمد على الشيوخ وضباط الشؤون الأهلية . »

ونتج عن هذه الأحداث التي تعاقبت طوال شهر نشوء ظاهرة التراكم التي أدت إلى

منعطف حاسم ومطلق في الوعي السياسي عند المناضلين العاملين في أحضان الحركة الوطنية، وخاصة عند الشبان. وكان منهم من أخذ منذ مدة، يفكر تفكيرا جديا في استعمال السلاح عوضا عن العمل السياسي «**العقيم**». فوجدوا في هذه الأحداث تأكيدا لصواب رأيهم وحجة قوية لاقناع بعض الأشخاص الذين ما زالوا مترددين في أوساط مختلفة بالخوض في سبيل الكفاح المسلح.

القاعدة في الخطوط الأولى

وتمكنت فكرة استعمال السلاح من النفوس بقدر ما اشتدت حملة القمع في هذه الحقبة. فحاولت تلك الحملة إحداث الفراغ وأوهت حجة المتمسكين بالخطة الشرعية. واضطر حزب الاستقلال، وهو أهم منظمة وطنية، إلى العمل في السر. ولم يعد يستطيع إلا بصعوبة، أن يبقي أعضاءه، وخاصة منهم القاعدة، متمسكين بخطته السياسية. لاجرم أن «النشرة» لم تنقطع، فتيسرت بذلك الاتصالات والمناقشات. فألف الناس نوعا آخر من التنظيم السري. وفي ذلك كسب هام بالنسبة للمراحل اللاحقة من الكفاح المسلح.

لكن الحركة الوطنية، عامة، لم تعد تستطيع أن تحد من اقتناع القاعدة بفشل الخطة السياسية. وقد صرح عبد اللطيف بن جلون في حديث له يوم 18 فبراير 1984 بما يلي: «**إن الذين أدركوا أن عهد الخطاب السياسي قد انقضى ليسوا من مسيري الحزب، بل كانوا مجرد مناضلين في القاعدة أو مسؤولين في الخلايا**».

ولما اعتقل زعماء الحزب أو اضطروا إلى الفرار أو إلى العمل سرا كونت «**لجنة للانقاذ**» (أو «**لجنة تنفيذية مؤقتة**») عبأت معظم وسائلها لبلوغ هدفين اثنين: المحافظة على الجهاز وتوسيع العمل الذي شُرع فيه من أجل نشر الأخبار عن الحالة الداخلية وتوجيهها إلى الخارج، وخاصة شطر الأمم المتحدة والجامعة العربية.

وهكذا نشأت فكرة الانتقال إلى الكفاح المسلح في فلك حزب الاستقلال. ونمت هذه الفكرة في نفوس جيل من الناس لم يكن معدل سنهم يتعدى العشرين سنة. فتعلموا السياسة في أحضان الحزب أي في خلايا الأحياء ولجان التزيين وفي المنشآت التابعة للحزب (الجمعيات الثقافية والمدارس الحرة ومنظمات الكشفية والفرق المسرحية والنوادي الرياضية). واتصل هؤلاء الشباب، أثناء تعلمهم، بمناضلين من الرعيل الأول أو من الجيل السابق، إذ كانوا لهم بمثابة الأساتذة. فكان عبد الله إبراهيم، في الوسط الجامعي والمدرسي (بمراكش)، وعبد السلام بناني في أوساط الشبيبة والرياضة (بالدار البيضاء)، والسيد عبد السلام الحيحي، (التاجر بالدار البيضاء)، وكثير غيرهم، بالنسبة لأولئك الشباب مصدر الوحي والتفكير حول تطور البلاد وحول تاريخها الحديث والبعيد. وكثيرا ما حرص الشباب على صيانة هذه العلاقات مع أساتذتهم، وحتى في أثناء المراحل المتقدمة من الكفاح المسلح. وكان ذلك أحيانا بدون اعتبار لأبسط قواعد العمل السري. ولم تكن القطيعة تامة قط بين الجيلين.

فأصبحت الحركة الوطنية بمثابة ناد للعلاقات والاتصالات وتَعلُّم طرق التنظيم وتبادل المعلومات، وخاصة لاكتشاف العناصر التي اقترح عليها العمل في إطار الكفاح المباشر.

ثم تكون، كذلك، عند هذا الجيل، وعي بالمسؤولية التاريخية، كانت حدته شديدة بقدر ما حفظت الذاكرة أمثلة المقاومة التي تركها الجيل السابق من حقبة «**توطيد الأمن**». من ذلك ما قام به أحمد الحنصالي في بلاد تادلة سنة 1951 «**لقد كان جيلنا يذكر الملاحم والأعمال التي أنجزها أولئك الذين قاوموا عملية «توطيد الأمن» حتى إن مذهبنا الحقيقي أصبح هو مجرد تجربتنا في الكفاح الوطني**».

آثار الصدمات

إن ذلك الواقع السياسي استمد أصوله، عند كل شخص، من الواقع الاجتماعي الذي يمكّن هو نفسه – وإلى حد بعيد – من إدراك نزوع هذا الجيل إلى أن يسلك الاتجاه الذي سلكه.

ذلك أن الواقع الاستعماري لم يكن له سوى البعد السياسي. فقد كان للنظام الاستعماري أثره على المجتمع المغربي. فأدى ذلك، في أواخر السنوات الأربعين، إلى تقلبات نتجت عنها صدمات أحس بها الانسان مباشرة وآلمته إيلاما.

وفي ميدان الحريات الفردية بلغ ابتزاز القواد وسلطات الحماية للناس درجة جعلت أغلبية أولئك الذين أصبحوا، فيما بعد، مقاومين يقاسون في أنفسهم ومن خلال بعض أعضاء عائلاتهم آلام الاهانة والسجن. ونذكر من أقصى الأمثلة مثل أحد قواد حركة المقاومة المسلحة الذي يرى أن عجزه عن تحمل جو الارهاب الذي سلطه الكلاوي على الناحية هو الذي أفضى به إلى الهجرة من بلده كلاوة إلى الدار البيضاء. وقاسى أعضاء عائلته من ذلك الارهاب وضحوا بسببه بالنفس والنفيس. وربما دخل مقاوم آخر السجن مرتين، مرة لأنه لم يسلم على المراقب المدني السلام العسكري، ومرة لأنه لم يحضر في نفس الوقت إلى شباكين مختلفين لأداء بعض الرسوم!

بمثل هذه الطرق كان الحكام يتعدون، في بعض الأحوال، على حرية الأشخاص. ثم عمدوا كذلك إلى مجموعة من الوسائل والأعمال أصبحت بمثابة مؤسسات، خاصة في الأرياف. وبذلك أصبحت الاهانة طريقة من طرق

المعاملات اليومية التي يُعامَل بها المغاربة . وهكذا نشأت « **الكلفة** » أي السخرة ، إذ استفاد منها المعمرون والقواد معا . فكانت القاعدة أن تفرض السخرة على أحد أفراد كل عائلة تشتمل على أكثر من شخصين راشدين . أضف إلى ذلك أن كل مشاريع الاستعمار الكبرى – التي لم تقس أهميتها إلا بالنظر إلى مصالح الجالية الأوروبية وحدها – أنجزت بواسطة العمل الاجباري الذي فرض على المغاربة ، وباستعمال أقل ما يمكن من الآلات ، وذلك لتلافي صرف الأموال . وقد قال عن ذلك عمر المسيوي ، أحد المقاومين ، في حديث له يوم 18 فبراير 1984 : « **ما أكثر ما حفرت الطرق والأنفاق في الجبال بالمعاول** » .

وقاسى سكان الأرياف ظروفا من شظف العيش اشتدت عليهم شيئا فشيئا (وخاصة بعد القحط الفظيع الذي أصاب البلاد في السنوات الأربعين) . وزادت تلك الاهانات اليومية حالتهم تفاقما . من أجل ذلك تكاثرت أفواج الشبان الذين قرروا التغرب إلى المدينة . وكان ذلك بُعيد الحرب العالمية ، في وقت تدفقت فيه رؤوس الأموال الأجنبية (الأوروبية والأمريكية) على كبريات المجموعات الحضرية في البلاد المستعمَرة . فأدى ذلك إلى إقامة جهاز اقتصادي بصفة تدريجية – كالذي أقيم في الدار البيضاء – كان هو سبب حرص الغلاة على تأبيد نظام الهيمنة المبني على « **التنمية المتميزة** » .

وحل الفلاح المهاجر بمدينة الدار البيضاء وهي تعيش في هذه الرفاهية الجنونية . فوجد العمل بحكم طاقته عليه ، لكنه شعر بالضيم والبؤس أكثر من شعوره بهما من ذي قبل . وقد نشرت المجلة Bulletin économique et social du Maroc بحثا سنة 1950 حول قدرة المغاربة الشرائية في الدار البيضاء ، ورد فيه « **أن 34 عائلة من 73 ما تزال تشتري ماءها من السقاء ، وأنها تستهلك منه نسبة 60 مرة أقل من معدل ما يستهلكه البيضاويون ، وأن كثافة السكان في أزقة الحي العتيق تبلغ عددا لا يصدق ، وهو 140.000 نسمة في**

الايالة السعيدة

لقد تدفق على المغرب ، بعد الحرب ، فيما بين سنة 1946 وسنة 1953 ، رؤوس أموال فرنسية كثيرة ، أغرت أصحابها ظروف الامن ، إذ لم تكن مثل هذه الظروف متوفرة في أوربا ، كما أغرتها الاجور الزهيدة ، وخاصة ، النظام الجبائي المنخفض انخفاضا فاحشا ، فيما لم يُتملص منه . فكان ذلك العصر هو العصر الذهبي بالنسبة لكبريات الشركات وخاصة الشركة Banque de Paris et des Pays-Bas التي استحوذت استحواذا كاملا على مجموع الاقتصاد المغربي . فتضاعف عدد الشركات 20 مرة من سنة 1938 إلى سنة 1958 ، إذ انتقل هذا العدد من 82 شركة إلى 1617 . وفي هذه الحقبة نمت صناعات التحويل ، وخاصة صناعات التصبير والسكر وتصفية الزيوت وعجن الشحوم وغزل القطن والصوف ونسجها والكمياء والتعدين . وارتفع مستوى عيش الاوروبيين ، وظهر ذلك في تكاثر عدد السيارات . فكان المغرب بمثابة أرض الميعاد بالنسبة لرؤوس الاموال الفرنسية . ولم يكن الفرنسيون ليجدوا من الادارة ما يعرقل مشاريعهم فكان يروق لهم الاعتراف بتفهمها . وبرعوا في مزج الاستثمارات العمومية وشبه العمومية والخاصة ، لكن الدولة لم تستفد من ذلك . وكانت الطرق والسكك الحديدية والمواصلات الجوية والكهرباء سببا في تنمية التجارة . وكان نصيب السكان المغاربة في كل هذه الميادين ضئيلا ، إذ لم يستهلكوا سنة 1933 إلا ثُمن الانتاج الكهربائي . أما النقل على السكك الحديدية ، فقد خصص نصفه للتصدير . ولم يهتم المكتب الشريف للسكنى حتى سنة 1949 إلا بإسكان الاوروبيين . وكانت الجهود المبذولة لفائدة المغاربة بعد ذلك التاريخ جهودا زهيدة . أما التعليم ، فكان الاوروبيون ينفردون بالاستفادة منه .

شارل أندري جولیان
Charles-André Julien
«Le Maroc face aux impérialismes»

الكيلومتر المربع ، وذلك لشدة ما يتزاحم المكترون في البيوت ، إذ يكري كل مكتر بعض ما يسكنه لغيره . فيفتك تراكم السكان والقاذورات والسل بسكان هذا الحي أكثر من فتكها بسكان أحياء القصدير » (ع . الشرايبي ، انظر المرجع المذكور أعلاه) .

وإن يشتغل هذا الحضري الجديد بالسياسة وينخرط في إحدى الهيئات المنظمة التابعة للحركة الوطنية ، فمن الطبيعي أن تدفعه هذه الظروف إلى أن يقف مواقف أشد تطرفا .

لذلك ، نرى أن منطق الهيمنة الذي كان النظام الاستعماري يتبعه في أواخر السنوات الأربعين ساهم – رغم ما في ذلك من التناقض – في بعث روح جديدة في الحركة الوطنية . ولذلك تألف جيش المقاومة الحضرية ، وبصفة خاصة ، من الصناع والعمال اليدويين والتجار الصغار والصناع التقليديين والعاطلين وعمال الفلاحة ...

الدار البيضاء :
واجهة تمثل حقيقة الأوضاع

ففي هذه المدينة نفسها أي مدينة الدار البيضاء كنت تجد الطبقة العاملة المهاجرة من القرى . وفيها أيضا نشأت حركة المقاومة . وكانت المدينة بمثابة الواجهة التي تمثل أعمق خصائص النظام الاستعماري على حقيقتها . فتجلى فيها جهارا بذخ بعض السكان وبؤس بعضهم الآخر . وتأكد الفرق الشاسع الذي يفصل بين الجماعتين من خلال إقامة كل منهما في جزء من المدينة . فتجد ، من جهة ، مجموعة منازل الفئة الموسرة ، ومن جهة أخرى مناطق الفقر المعزولة عن غيرها . فمن هذه الفئات من تبتز غيرها يوميا . ومنها من تتعاطى المضاربة لتستفيد منها ما لم يكن بالحسبان . فنشأ بذلك منطق عنصري خاص .

ولم يكن في الامكان إيجاد مجال أحسن لمقاومة هذا النظام.

واستفاد ذلك الجيل الجديد من الوطنيين ، من أجل تنفيذ الطريقة التي اختارها في الكفاح ، من وضعية لم تكن تتوفر إلا في مجموعة حضرية واسعة مثل الدار البيضاء : وهي ضمان التستر ، إذ لا يمكن ، بغير ذلك ، التفكير في القيام بأي عمل محظور ، وخاصة العمل المسلح.

وكانت مدينة الدار البيضاء تعكس منذ بداية القرن عدم التجانس بين السكان وبين آفاقهم الثقافية وأوساطهم الاجتماعية . ثم تسارعت حركة الهجرة المزامنة لحقبة « الرفاهية » التي حدثت في أواخر السنوات الأربعين . وتفاقم ذلك التفاوت حتى أصبحت مدينة الدار البيضاء نموذجا مصغرا لجميع العناصر التي يتألف منها البلد . وقد قال أحد المقاومين عن المدينة : « إنها بمثابة مغرب مصغر » ، إذ استقر بها سكان من جميع نواحي المغرب ، وتكلموا جميع اللهجات . وبقيت وشائجهم ببلدهم الأصلي وثيقة وقابلة للتأثر بكل ما يحدث من التطور . فكان من الطبيعي أن تعتمد المقاومة على هذه الوشائج لما تقرر توسيع مجال الكفاح .

مراكش : احتلال مزدوج .
(مجموعة خاصة) .

مراكش : الصورة المشوهة

إن صفوف المقاومة لم تشتمل عمليا إلا على عدد قليل من المثقفين . ومع ذلك ، يمكن أن نلاحظ أنها لما تقدمت في نشاطها ، خاض الأحداثَ عدد كبير من المثقفين ، قادمين من وسط غير مألوف : وهو مدرسة ابن يوسف بمراكش ، إذ تميز طلبتها سنة 1951 بشن إضراب للتضامن مع طلبة القرويين لمعارضة نظام الحكم .

لا جرم أن جيل المكافحين المراكشيين سار في أواخر السنوات الأربعين نفس المسار الذي ساره جيل البيضاويين من حيث تكوينه السياسي وكيفية التعبير عن همومه . لكن كل الملابسات تجعلنا نظن كذلك أن تصرفاته وسلوكه سبيل الكفاح المسلح نتجت عن عسر الأحوال المحلية . ذلك أن نظام الهيمنة الاستعماري الذي أقامته فرنسا في بلادنا قد أضيف إليه ، في مراكش ، نظام خاص خرق أبسط قواعد الشرعية واعتمد على منطق واحد ، هو منطق العسف والخسف . وكان الباشا الكلاوي يتصرف في منطقة نفوذه تصرفا حوّل به نظام الجور والقهر الذي أقامته الحماية فشوهه حتى كاد يستحيل نظاما مأساويا .

وأدى اضطهاد الاستعمار ، كيفما كانت مظاهره وكيفما كانت الصبغة التي اصطبغ بها في كل واجهات البلاد ، إلى نشوء مقاومة واسعة النطاق . ونتجت هذه المقاومة عن اقتناع الناس بأن اعتداءات إدارة الاستعمار المتكررة على كرامة المغاربة وعلى شعار السيادة الوطنية لا تنتهي فعلا إلا بانتهاء عهد الحماية واسترجاع الاستقلال الوطني .

تلك هي الخلاصة التي خلَص إليها خلوصا لا رجعة فيه ، جيل كامل من المناضلين بعد ما تراكمت عليهم الخطوب في المدن والقرى تراكما تحملوه بالصبر مدة طويلة .

الخطوات الاولى

أدار البحث العربي الصقلي
أعد النصوص أحمد أخشيشن وجمال الدين ناجي

لقد تعاقبت الاهانات اليومية طوال خمس سنين منذ مذبحة أبريل 1947 إلى « مصيدة » دسمبر 1952 . وذلك ما أفضى إلى البحث عن بديل للعمل السياسي التقليدي . فقد ورد في « ثمن الحرية » التي نشرتها جمعية المقاومة والتحرير سنة 1958 ما يلي : « **كان ذلك النظام يعتمد على التحدي والإرهاب والاهانة ، فأدى ذلك ، خلافا لما كان يتوقع ، إلى تقوية الوعي ، لا إلى إيقافه . وبذلك ساهم الجنرال جوان ، وبعده كيوم في بعث فكرة الكفاح الوطني المسلح وفي نشر مثله العليا .** »

إن جيل الشباب المناضلين في أحضان الحركة الوطنية دخل الميدان السياسي في هذه الحقبة الحاسمة ، وبدأ تعلّمه في وقت تبلور فيه الجدل تبلورا تاما حول الوسائل التي كان يجب تسخيرها لتحقيق المطلب الذي نادت به كل الحركات ، وهو الاستقلال . وانتهى ، عمليا ، منذ يناير 1944 ، ذلك الجدل الذي كان أثاره برنامج الاصلاحات المغربية سنة 1934 والذي كان موضوعه إما إصلاح النظام أو القطيعة .

فلم يكن ، بطبيعة الحال ، لجيل أواخر السنوات الأربعين مِن هَمّ سوى الوصول إلى الاجابة عن السؤال التالي : بأية وسيلة يحقق الاستقلال ؟ إنه سؤال بسيط في حد ذاته . لكنه أدى بالمناضلين الشباب ، طوال سنوات ، إلى الدخول في جدل حول الموضوع نفسه . فنتج عن ذلك إهمال الطرق التقليدية في الكفاح السياسي ، شيئا فشيئا .

خبرة التنظيم

كان موقف هذا الجيل إزاء النظام الاستعماري هو « الرفض » . وكان لا بد لذلك الموقف أن يتمخض عن مرحلة من « الاختمار » تنتهي بهم إلى التفكير الجدّي الذي يفضي إلى الجواب المناسب عن السؤال المتعلق بالسبيل التي ينبغي سلوكها . وحدثت عملية « تَرَاكُم » عند المناضلين خلال الظروف التي اضطربوا فيها .

الجريدة « الأمة » تتحدث في مارس 1953 عن آلاف الوطنيين المعتقلين .
(مجموعة خاصة) .

يطلقون سراحهم ...

اصدر المقيم العام الفرنسي امس قرارا اطلق بموجبه عددا قليلا من الوطنيين الذين كانوا في السجون والمعتقلات منذ حوادث ديسمبر سنة 1952 .

ولا حاجة بنا الى القول بان اطلاق بضعة اشخاص لا يعني شيئا بالنسبة للمغاربة؛ لان السجون والمعتقلات والمنافي ما زالت تضم اكثر من 70.000 مواطنا ولان البوليس الفرنسي ما زال يعتقل كل يوم عددا جديدا في جهات مختلفة.

واكتسب كل منهم خبرات من التنظيم الذي كانت تقوم عليه الحركة الوطنية ، وخاصة حزب الاستقلال . فكان لكل ذلك أثر حاسم في تطور نفسيتهم .

وكان أول ما كُسب هو انتشار الوعي الوطني انتشارا باهرا . وظهر ذلك في تكاثر أعداد اتباع حزب الاستقلال تكاثرا مدهشا . فقد قال J. et S. Lacouture في كتابهما Le Maroc à l'épreuve ما يلي : « **إن عددا من الملاحظين العارفين بالأمور قدروا عدد اتباع حزب الاستقلال بـ 3000 نفر بعيد إنشائه ، و 10000 في حقبة خطاب طنجة (1947) أي في الحقبة التي أصبح فيها عددهم يتكاثر لينتقل الحزب من مرحلة « حزب الأطر » إلى مرحلة « حزب العامة » . ثم قدروه بـ 100.000 في وقت المحنة التي امتحن بها المغرب سنة 1952** » . فكان كل هؤلاء المناضلين ، بالاضافة إلى انتمائهم الشخصي إلى الحزب ، يتمرسون تمرسا منتظما بالعمل السياسي المرتب والمنسق والمتصل . فكانت اجتماعات الخلايا مرة أو مرتين في الأسبوع . وكان توسيع العمل والمسؤولية (لكل خلية من خلايا القاعدة مسؤول وأمين مال) . وكان التكوين المتصل بواسطة النشرات والمحاضرات الداخلية التي تلقيها أطر الحزب في كل حي أو في كل ناحية .

وإلى جانب هذا التنظيم – أي الحزب نفسه – كانت هناك تنظيمات أخرى موازية كثيرة ، ساهمت كل مرة ، بعد إنشائها ، بإعطاء

تبلور الوعي

كان من الطبيعي أن يقف الشباب المغربي موقفا حاسما وقد اكتملت فيه كل العناصر الرافضة للواقع المعاش بعد ما أخذ من الحركة الوطنية مبادئها السامية ومدت وعيه بكل الاشعاعات التي جعلته يملك القدرة على تقييم الاحداث وربطها بالقيمة الوطنية ، حيث أصبح الحدث من هنا يرفضه المناخ الثوري من طرف ثلة الشبيبة الواعية المثالية . وكان هذا الحدث نفسه يتصارع بشكل عنيف في أعماق هذه النخبة الشابة الطموحة . وكانت هذه النخبة رغم قلتها تمتاز بقناعاتها التي اكتسبتها من الروتين الحواري السياسي والذي جعل الكرامة الوطنية تعيش في الظل على حساب المكتسبات الوطنية التي أصبحت أسيرة غطرسة المستعمر ، وهو الذي أسقط من حسابه مفهوم التنمية الاقتصادية ومفهوم الحق الثقافي الذي يتيح للشعب مواجهة الحقائق التطورية وجميع المفاهيم المتصلة بالدولة القائمة . والسياسة الاستعمارية تمارس بكل وقاحة أسلوب الميز العنصري وتوطيد مفهوم الطبقية في معاملة طبقات المجتمع المغربي . كما كنا نشعر ونشاهد في نفس الظرف تقسيم الوطن إلى مغرب نافع ومغرب غير نافع . وامتدت من جهة أخرى يد المستعمر إلى الحرية لتضربها في مدلولها العام وتخنق أنفاسها في كل الواجهات . وكان هذا التزامن الذي جمع بين كل المتناقضات بالنسبة للمجتمع المغربي الذي أبى إلا أن يقطع عليه المستعمر كل وسائل الاستمرار والديمومة التي واكبت القرون التاريخية لهذا الشعب ، كدولة ذات سيادة تتمتع باستقلالها الذاتي .

وهكذا في خضم الحوار السياسي العقيم أكدت كل القرائن على أن المستعمر يسير في ترتيب خططه الجهنمية ، على نسق لايترك للسيادة المغربية ولا لمدلول الدولة المغربية ،مفهوما يتناسب مع ما كرسته في ماضيها من حيث الاشعاع الحضاري والثقافي والريادة الدينية ، في محيط القارة الافريقية وغيرها . وفي كل هذه المراحل الصراعية كان المغرب يرفض كل المحاولات الاستعمارية واستفزازاته ، بدءا بالظهير البربري سنة 1930 ، مرورا بمسلسله إلى حوادث المطالبة بالاستقلال سنة 1944 وحوادث 1947 على إثر زيارة محمد الخامس لطنجة وحوادث 1952 على إثر اغتيال فرحات حشاد النقابي التونسي .

كل هذه الاحداث وما أكثرها كانت من أقوى القرائن التي أكدت لنا أن المستعمر يسير بنا ويخضعنا إلى الاقتناع بالامر الواقع ، وأنه مصمم على مسخنا وسلبنا من إرثنا الحضاري . الشيء الذي لم نقبله ولم نستسغه ولم يجد منا مكان المهاودة والانصياع إلى السكينة انتظارا للظروف المواتية ، ونحن نؤمن أشد الايمان أن أحوالنا كلها ظروف مواتية ، وأن بداخلنا ضميرا ينادي ويستصرخ هممنا للنجدة ومخاطبة المستعمر باللغة التي تليق بموقفه وترضي في نفس الوقت ضمائرنا المتعطشة إلى الاستشهاد وإعطاء الدليل على تفاهة التخطيطات السياسية القمعية ، خصوصا والفترة الزمنية التي كنا نعيشها ابتداء من سنة 1952 كانت تتزاحم أحداثها وتتوالى أهوالها فتعددت أسر مجتمعنا المنكوبة . واستوعبت مخافر الشرطة ومعاقل السجون مجموعات عديدة من الذين ثبتت هويتهم الوطنية بشكل أو بآخر ، ونحن في حالة نفسية متأزمة وكأن في أعماقنا بركانا يتربص للانفجار بعد ما نفث من أعماقه بعض الشظايا المحمومة معلنا غضبته الجسورة . وترانا وكأننا في شغل إلا عن تلك النداءات التي تتوالى في أعماقنا والتي نحسبها الكرامة الوطنية تقول لنا : أنتم لها ... أنتم لها يا شباب الجنة ! ارفعوا الضيم وامسحوا العار الذي لا يليق بكم وبوطنكم ! وفي نفس الظرف كانت الساحة السياسية قد فقدت أقطاب الحركة الوطنية وفرسانها . وقمعت أفواه الصحف الوطنية بالمنع أو بالرقابة . وبدأت تنزل إلى السوق صحف عميلة قصد التشويش وطمس الحقائق وتهيء المناخ الملائم لكل بادرة أو فعلة تضرب الوطن الضربة القاضية . ونشطت تحركات الاستعمار وأعوانه من رجال السلطة ، وتوالت التجمعات المدسوسة ، ونحن نتابع كل ذلك بيقظة وحذر ونتدارس معطيات الظروف التي تغلي غليان القدر .

محمد خليل بوخريص

(عشرون عاما سنة 1953)

العمل السياسي صبغة خاصة وبتوجيه حماس الشباب في مختلف المراحل وفي مختلف الميادين، إذ كان كثير الطموح إلى التعبير عن ذات نفسه.

ونذكر، على سبيل المثال، أن مدينة الدار البيضاء، كانت، في أواخر السنوات الأربعين لا تحتوي أقل من 125 فرقة من فرق كرة القدم منتمية إلى «جامعة مستقلة» مسموح بها. وكان مسيرو أغلبيتها من الوطنيين. وكان الوطنيون يشرفون كذلك على أنشط جمعيات قدماء التلاميذ، وخاصة جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصناعية الموجودة بالحي العتيق (إذ كان يسيرها الشاب محمد صدقي)، وبالأخص جمعية قدماء تلاميذ «مدرسة أبناء الأعيان» التي أقحم على رأسها أحد الوطنيين، وهو المهدي الصقلي عوضا عن رجل كان حظيا عند الادارة الاستعمارية.

واستُغل التمثيل المسرحي أيضا لنشر الفكر الوطني. فكثرت التمثيليات في هذه الحقبة، وخاصة أثناء السهرات المقامة في شهر رمضان.

وقد روى في ذلك بناصر حركات «أن عددا من الفرق الشعبية أنشئت تلقائيا في رمضان 1946، في أحضان الشبيبة الاستقلالية، وذلك في مختلف أحياء الدار البيضاء. فمثلت تمثيليات كان من مواضيعها مقاومة الاحتلال وفضح المتعاونين مع الاستعمار والمشعوذين ومظاهر الفساد في العادات والتقاليد التي لم تعد مناسبة للعصر ... ففي مثل هذه الحفلات اكتشف الناس لأول مرة مواهب لا مثيل لها في التمثيل والغناء تميز بها الرحوم بوشعيب البيضاوي الذي كان يحترف حرفة النجارة». (من محاضرة ألقيت بالدار البيضاء يوم 20 شتنبر 1979).

واستطاع المناضلون الوطنيون أن ينشئوا في الدار البيضاء أيضا سنة 1948 تعاونية حقيقية لفائدة عمال وحدات الانتاج الصناعي بعين السبع. وكان ذلك في الوقت الذي اقتحموا فيه أوساط العمال. وقد أنشئت هذه التعاونية أثناء اجتماع عقد جهارا في إحدى الساحات العمومية بمحضر ألف من الناس. ولم يكن لها قانون مكتوب. واستمرت في نشاطها غير الشرعي إلى شهر دسمبر 1952 بإشراف لجنة من العمال. وكان من أهدافها مساعدة الأعضاء في مناسبات الأعراس والولادة والمرض والوفاة.

الكشفية ولجان التزيين

واتخذت الحركة الوطنية هياكل من نوع خاص بإنشائها المنظمات الكشفية ولجان التزيين. فكان لابد من توفر خصال معينة عند المرشحين للانخراط في هذه المنظمات، وذلك نظرا لطبيعة الأعمال التي يلزم الأعضاء بأدائها، ونظرا للظروف التي كان يجب أن يعملوا فيها. فكان الشرط الأول الذي ينبغي توفره في كل مرشح هو الوعي الوطني. أما الشروط الأخرى، فهي الرغبة في التطوع والتمسك بالنظام والشجاعة الضرورية لمواجهة بعض الأخطار التي تعترض الانسان حتما في بعض الأعمال.

حزب الاستقلال: من القرويين إلى المعمل

يذكرنا تاريخ الوطنية المغربية بتلك الرؤى التي يرى فيها النائم دوائر تخرج شيئا فشيئا من الدائرة الاولى، وهي تتوالد. كانت الدائرة الاولى مسجد القرويين بفاس حيث درس علال الفاسي على الفقيه ابن العربي العلوي، موجه أولئك الطلبة الشباب المثقفين الذين يرفضون الحماية لأنها تنزع إلى تشجيع حضارة «مادية» يحتقرونها. ولم تلبث دائرة ثانية أن تكونت، وكانت أوسع، وهي دائرة الشباب الذين اكتسبوا ثقافة عصرية استمدوها من النظام. منهم محمد الوزاني وأحمد بلافريج وعمر بن عبد الجليل. لكن النظام يمنعهم من تسخير تلك الثقافة لفائدة الدولة.

أما الدائرة الثالثة، فكانت دائرة رجال الاعمال الذين دخلوا صفوف المعارضة، إما لأنهم كانوا ضحية إقامة نظام عصري للتبادل والانتاج، أو لأنهم استطاعوا اقتحام ذلك النظام، فأرادوا تكسير الحواجز التي تمنعهم، بصفتهم مستعمَرين، من التوسع الاقتصادي.

وقد لخص اختصاصيون عارفون بالامور هذه الحقبة من حقب الوطنية المغربية في هذه العبارة «من جامعة القرويين إلى طريق مديونة» أي من وطنية الطلبة إلى وطنية الحي التجاري بالدار البيضاء. ثم ما لبثت دائرة رابعة أن تكونت، وهي دائرة المثقفين الفقراء والمستخدمين والموظفين البربر «وضعاف الموارد»: فخرج حزب الاستقلال من حدود البورجوازية، واقترب من الطبقة العاملة. ثم اقتحمها أخيرا منذ سنة 1948 لما نزع إلى أن يصبح حزب الجماهير. فأخذ يُلحق بصفوفه الاعداد الكثيرة من العمال: فكانت الدائرة الخامسة.

Jean et Simone Lacouture
«Le Maroc à l'epreuve»

تطور عدد أعضاء حزب الاستقلال بالدار البيضاء

في شهر دسمبر 1943 ، أي قبل شهر واحد من المطالبة بالاستقلال كان عدد الخلايا التابعة للحزب الوطني والتي انضمت لحزب الاستقلال عند تأسيسه في مستهل 1944 ، كان عدد هذه الخلايا ستة فقط . وفي دسمبر 1952 ، أي بعد تسع سنين كان عدد الخلايا بنفس المدينة 450 ، علم البوليس الفرنسي بوجود 360 خلية من مجموعها كما جاء في جريدة لافيجي ماروكين ليوم 16 دسمبر 1952 (La Vigie Marocaine du 16 déc. 1952) . وكان عدد أعضاء الخلايا يتراوح بين 30 و 50 نفرا . فيكون عدد الاعضاء الاجمالي 20.000 نفر . وإذا قدرنا أن كل فرد يتعامل في المعدل مع 9 أشخاص من بين أسرته وأصدقائه ورفاقه في العمل ، يكون عدد المؤطرين والمتعاطفين بكيفية مباشرة أو غير مباشرة مع حزب الاستقلال آنذاك 200.000 في الدار البيضاء .

وهذا يعني أن جميع المواطنين البالغين من الذكور بهذه المدينة يساهمون بكيفية أو بأخرى في الكفاح الوطني ضد المستعمر .

بناصر حركات
محاضرة ألقيت بالبيضاء في غشت 1982

فكان الشباب ، في صفوف الكشفية الحسنية مثلا ، يمارسون الرياضة البدنية ويتدربون على التمسك بالنظام والتضامن والعمل أمام الجمهور واحترام العلم الوطني . ثم تدربوا ، خاصة ، على العمل السري ، وذلك بعد منع المنظمات الكشفية في أواخر سنة 1941 .

أما على مستوى لجان التزيين ، فكان الشباب يرتفع درجة أخرى في تعلمه ، وذلك حسبما تقتضيه الضرورات والأخطار . ولا يقبل انخراط أحد في صفوف هذه اللجان إلا إذا لاحظه أحد مسؤولي الحزب وخَبَره وامتحن عزيمته وحُسن تصرفه ، وخاصة روح التضحية . ذلك أن أعضاء لجان التزيين كانوا منوطين بما تناط به عادة « لجان الحفلات » (مثل إعداد الأمكنة وتنظيم الحفلات والمحافظة على الأمن ...) . وكانوا ، بالاضافة إلى ذلك ، يكلفون ، في تلك الفترة العصيبة (1947 – 1952) بأعمال خطيرة كرفع العلم الوطني على البنايات العمومية وإعداد الاستقبال إعدادا مناسبا للوعي الوطني عند الزيارات الملكية ، والحرص على تنفيذ ما تأمر به الحركة الوطنية . وكانت الادارة ترى في كل هذه الأعمال تحديا لها ، فيفضى ذلك النشاط إلى المجابهة في غالب الأحيان . فكانت قوات الأمن تجد ، كل يوم أمامها في الشوارع ، خصما « يتحداها » ، وهو مستعد للمعركة ولتحمل كل العواقب .

وفي الدار البيضاء تأثر كل من الذين أصبحوا فيما بعدُ مقاومين ، بعملهم مدة من الزمن في إطار إحدى تلك المنظمات التي كانوا يتدربون في أحضانها أو يتعبؤون . وهكذا ، كان محمد الزرقطوني مسؤولا عن جماعة من الكشافة ، ثم عن لجنة التزيين في الحي العتيق . وكان ، في نفس الوقت ، عضوا في لجنة فرقة المولودية لكرة القدم بحي بوطويل .

محمد الزرقطوني يتوسط سنة 1951 اثنين من لاعبي « مولودية » بوطويل .
(مجموعة خاصة) .

ونجد ، بطبيعة الحال ، إلى جانب هذه الفئة المتميزة من المناضلين (وخاصة في الدار البيضاء) ، فئة أخرى انتقلت ، بدون إعداد خاص ، من العمل السياسي في قاعدة الحزب إلى العمل المسلح السري .

ومهما كانت السبيل التي سلكها كل واحد ، فإن الذين عمدوا إلى العمل المسلح مروا دائما بمرحلة العمل في صفوف الحركة الوطنية .

المرحلة الانتقالية

ولما كان الانسان يقتنع اقتناعا شخصيا بأن الكفاح المسلح هو وحده كفيل بتحقيق مطلب الاستقلال ، فإنه – إذا لم يعمد إلى أي عمل منفرد – كثيرا ما يبحث ، من بين أقرب الناس إليه ، عن رفقاء له في الكفاح يكونون مثله في قوة العزيمة . لا جرم أن العدد الكثير من الناس كانوا يرون في الكفاح المسلح السبيل الصائبة . لكن المُسارّة وحدها مكنت من تنظيم ذلك الكفاح . ولا شك أن مقياس الثقة كان العنصر الحاسم في ذلك . فكان الانسان يُسارّ ، أولا ، الشخص الذي سبق له أن خبر وطنيته وخصاله النضالية . وكان ، كذلك ، يستبطن سريرة من كانت له به وشائج خاصة أو صلة وثيقة (كأحد الأقارب أو زميل في العمل أو رجل ولد في نفس الناحية التي نزح منها هو) . وكانت كل هذه العناصر هي سبب وجود علاقات مهنية أو عائلية أو قبلية في صفوف المقاومة في مرحلة إنشائها .

فكان ذلك الوقت وقت الاتصال وربط العلاقات . وكان على القوم أن يتشاوروا ويتحاوروا ليستطيعوا تقويم صواب خطتهم التقويم النهائي في هذه الحقبة ، أي في السنوات الخمسين . وكان ذلك تحت ضغط هيجان قوات الاحتلال . وتلك كانت الخطوات الأولى في تنظيم المقاومة المسلحة في المدن .

وكان النشاط قويا في هذه المرحلة التي كان فيها التنظيم من أجل خوض الكفاح المسلح ما يزال تنظيما غير مضبوط . في هذه الظروف سُلط القمع على حزب الاستقلال في شهر دسمبر 1952 . فاعتقل رؤوس الحزب ، سواء منهم زعماء الهيئة المسيرة المركزية أو الأطر الاقليمية أو المحلية . وذلك ما زاد مناضلي القاعدة وبعض المسؤولين المباشرين اقتناعا بضرورة اختيار خطة العمل المسلح . وتوهمت الادارة الاستعمارية أنها حطمت جهاز الحزب تحطيما . والواقع أن حملة القمع ، التي عُمد إليها في هذا الشهر كانت سببا في التعجيل بانتقال مناضلي الحركة الوطنية إلى مرحلة الاستعداد للكفاح المسلح ، وهي مرحلة ضرورية . وبذلك تغيرت الهياكل التنظيمية الموروثة عن الحزب لتصبح مطابقة لما تقتضيه هذه المرحلة .

العمل السياسي المتقدم

واستمرت هذه المرحلة الانتقالية إلى الشهور الأولى من سنة 1953 . وإن ما اتسمت به ، على العموم ، هو اعتقاد المناضلين ، رغم كل ما وقع ، أن « **ساعة العمل الجاد لما تئن** » . وسبب ذلك أن « **وسائل مثل هذا العمل لما تكتمل ، وأنه مازال هناك بصيص من الأمل ، لأن العاهل ما انفك يتصل ببعض الشخصيات السياسية الفرنسية غير الحكومية إذ كانت تستنكر السياسة التي كان فرنسيو المغرب يسلكونها والأعمال التي كانوا يقومون بها . فكان المناضلون يرون أنه ينبغي تلافي أي عمل من شأنه عرقلة مساعي صاحب الجلالة وإعطاء الفرنسيين حجة أخرى لترسيخ إيمانهم بما كانوا يشعرون به .** » (ثمن الحرية)

واستمر المناضلون ، في أثناء هذه الحقبة يعملون بطرق لم تتعد حدود ما يمكن تسميته « عملا سياسيا متقدما » ، ولو كانوا يقيمون

يوم الاثنين 8 دسمبر 1952 بالدار البيضاء : الاعتقال والعنف .
(الخزانة العامة بالرباط) .

الدليل على عزمهم على استعمال القوة . على أنه لم يقتل أحد في غضون هذه المرحلة . فلم تكن الاعتداءات ، ولو باستعمال المفرقعات ، موجهة إلا ضد المؤسسات (مثل الجريدة « العزيمة ») التي كانت توالي الادارة الاستعمارية أو بعض الرموز (مثل تمثال ليوطي) أو بعض المصالح الاقتصادية . وإن ما يذهب إلى تأييد هذا الرأي أن بعض المناضلين كانوا منذ سنة 1947 يملكون بعض الأسلحة . غير أنها لم تستعمل إلا بعد صيف سنة 1953 ...

وكان ، من بين هذه الطرق ، دعوات « **اللطيف** » التقليدية – إذ ثبتت فائدة استعمال هذه الدعوات كوسيلة للتعبئة والاحتجاج منذ عشرين سنة – ورسائل التهديد والزجر المبعوثة إلى أذناب الاستعمار المشهورين ، والمظاهرات العنيفة في الشوارع ، وإعلان إغلاق الدكاكين أو الحداد الوطني (مثل ذكرى 30 مارس ، يوم إقرار الحماية) والمقاطعة الجماعية لبعض السلع أو المهرجانات الرسمية (مثل معرض الدار البيضاء سنة 1952) وبعض أعمال التخريب (مثل إحراق بعض المخازن ووضع الحواجز على السكك الحديدية وإتلاف الغلال ...) .

وكانت هذه الأعمال تقتضي ، نظرا لطبيعتها ، حدا أدنى من الاستعداد والمشاورة ، أي من التنظيم . لكنه لم يكن تنظيما واسعا محكما ، بل تنظيما بسيطا أقيم لضرورة معينة (بعض الأحداث أو بعض الأهداف) . وكان من الصعب ، أحيانا ، التمييز بين ما هو من قبيل العمل التلقائي الفردي وما هو من قبيل العمل الذي تخططه وتدبره جماعة من المناضلين .

وعلى أي حال ، فقد كانت هذه المرحلة الانتقالية زاخرة بأعمال من هذا النوع . فدلت دلالة تامة على الظروف التي سادت حينذاك ، بحيث بلغت الأزمة من الشدة حدا كان لا بد أن يفضي إلى العنف . وذلك ما حدا بالمناضلين إلى تخطي ذلك الحد في كثير من المدن .

الانتقال إلى العنف

لقد عقب حوادثَ دسمبر 1952 حملةُ اعتقالات في مدينة أكادير . وكشفت تلك الاعتقالات عن وجود جماعة من المناضلين كانوا

يستعدون منذ شهر أكتوبر للقيام بعدة اعتداءات على بنايات عمومية كثيرة ، وخاصة المعمل BRASSERIE DE L'ATLAS . وكانت هذه الجماعة تتألف من 22 مناضلا في حزب الاستقلال ، ومن بينهم مولاي إدريس بن المختار ومحمد بن العربي . وكانوا ينوون إشعال بعض الحرائق في عيد العرش من سنة 1952 بواسطة COCKTAILS MOLOTOV . لكنهم لم يقوموا بشيء في نهاية الأمر .

وفي مدينة برشيد ، اكتشفت الشرطة يوم 13 يناير مخبأ للأسلحة يحتوي على مسدسات وبندقيات ومفرقعات .

وفي مدينة مراكش ، اعتقلت قوات الأمن بعض الناس إثر حوادث دسمبر 1952 ، وبذلك قبضت على قيادة الحزب المحلية ، كما فعلت في سائر البلاد ، فدفعت بالقوم إلى اختيار سبيل الكفاح المسلح . فعمد بعض المناضلين وبعض أعضاء القيادة الذين لم تمسهم حملة الاعتقالات إلى حسم الجدل ، وأخذوا يستعدون لاقامة هياكل بسيطة من أجل إيجاد أطر للعمل المسلح السري . وبرزت ، فيما بعد ، مجموعتان اثنتان : مجموعة القصبة يقودها أحمد البقال ومجموعة « المدينة » يقودها حمان الفطواكي وابن يدر .

أما في الدار البيضاء ، فكانت حقبة التفكير في العمل المسلح على مستوى الهجمة

حقبة التوتر : في كل يوم مظاهرات وضحايا .
(مجموعة خاصة) .

محاولة تحطيم أحد الرموز

لقد فكرنا سنة 1952 ، عند ذكرى يوم 30 مارس 1912 ، في القيام باعتداء على رمز الاحتلال الاجنبي : وهو تمثال الماريشال ليوطي المقام في ساحة ليوطي بالدار البيضاء .

فدبر محمد الزرقطوني وسليمان العرايشي والحسن العرايشي والحسين برادة والتهامي نعمان أمرهم في الليلة من 29 إلى 30 مارس . وحملوا معهم قنبلة صنعت بوسائل تقليدية وغلفوها بقطعة من ورق . وكانوا قد ساهموا بأموالهم لشراء الفتيل وما احتيج إليه من المواد . فجلس الزرقطوني عند أسفل التمثال ولم يستطع إشعال أعواد الثقاب لانها ابتلت بالماء ، إذ كان المطر غزيرا ... فقرر أن يذهب هو وسليمان إلى أحد دكاكين السجائر لشراء قداحة . ولما عادوا إلى التمثال ، فاجأهم أحد رجال الشرطة ، فحسبهم من المتشردين وأمرهم بالانصراف ... ثم تظاهروا بالذهاب إلى حال سبيلهم ، وعادوا بعد قليل ليأخذوا قنبلتهم إذ تركوها عند حوافر حصان الماريشال ... ثم عدلوا عن مشروعهم وذهبوا إلى حال سبيلهم ...

وعلمت الجماعة في يوم الغد أن الزرقطوني لم يرض بذلك الفشل ، فذهب ، بعد ما فارقهم ، إلى حي ابن جدية لإضرام النار في المعامل La Marocaine des Bois ... وقدرت الخسائر بأربعين مليونا من عملة ذلك الوقت ...

عن سليمان العرايشي
(من حديث معه يوم 21 مارس 1984)
والحسين برادة
(من حديث معه يوم 7 أبريل 1984)

الاستعمارية . وظهرت فيها آثار الصدمات البليغة التي تركتها أحداث أبريل 1947 ودسمبر 1952 .

في يوم الاثنين 8 دسمبر 1952 ، وفي الوقت الذي كانت فيه قوات الأمن تحاصر المدينة وتُقدم على مذبحة شارع لاصال Lasalle أوقف أحد حواجز الشرطة قرب الميناء سيارة سوداء من نوع Citroen traction avant فأنزل ركابها وفُحصت أوراقهم وفتشت السيارة . ثم أُمروا بالانصراف وبالخروج من الحي . وقد اقتنع ركاب السيارة بأن نجاتهم من قبيل المعجزة . ذلك أنهم كانوا يؤلفون جماعة قررت ، منذ مدة ، الشروع في العمل المسلح السري . وكان من بينهم محمد الزرقطوني (الذي تنبهت الشرطة إلى أمره منذ شهر نفمبر) وسليمان العرايشي . وقد قال لنا سليمان (في حديث بتاريخ 21 مارس 1984) : « **من أجل ذلك عزمنا على أن نكف عن المشاركة في المهرجانات والتجمعات العمومية . لذلك ركبنا السيارة في يوم أحداث شارع لاصال لنلاحظ ، من بعيد ، كيف كانت الحال** » .

ويرجع بنا تاريخ هذه الجماعة إلى عهد سبق هذه الأحداث بسنة ونصف .

نواة بالدار البيضاء

كان ذلك في أوائل سنة 1951 في حي الأحباس . لقد تعود سليمان العرايشي أن يذهب عند صديق له ، الحسن العرايشي (الذي كان يجلد الكتب) للكلام عن الحالة في البلاد . وكان سليمان يعمل في الطباعة (وكان ، في الواقع ، « نصف عامل » في الجريدة Le Petit Marocain كما تدل على ذلك بطاقته المهنية في ذلك الوقت) . وكان التهامي نعمان كتبيا . وكان

القانون المحروق

« ... وفي جلسة خاشعة يوم ثامن غشت من سنة 1948 وضعت الجمعية قانونها الداخلي الخاص الذي انكبت على حفظه ثم حرقه والتهام رماده المقدس ، فكانت سلامة طوية هذه الجماعة هي التي دفعتها إلى الاعتقاد ان احراق هذا القانون والتهام رماده سيظل من أسباب نجاح العمل وتمتين روابط الكفاح بين أعضاء الجماعة . ومنذ ذلك التاريخ أطلق على هذا القانون اسم (القانون المحروق) وجعلت كلمة « الله أكبر » شعارا لهذه الجماعة باقتراح من السيد البشير ابن الطيبي .

(...) وأرادت الجمعية أن تبرز إلى الميدان بعمل ينبئ عن وجودها فوجدت في ذكرى 30 مارس من سنة 1949 أحسن مناسبة لتدشين هذا الوجود . فكتبت مناشير بالخط العريض رسم فيها تاريخ هذا اليوم باللون الاحمر البارز ووزعت في المدينة كلها . كما ألصقت على الحيطان وأبواب المتاجر تدعو الناس إلى الحداد واستمداد العبر من هذه الذكرى الفاجعة التي انتزعت من المغرب سيادته وكرامته وكيانه وشخصيته .

وبما أن هذا العمل كان أول حركة برز بها الكفاح الوطني من حيث الدعوة إلى الثورة والكفاح المسلح والمقاومة السلبية فقد تردد صداه في المدينة وكان من تأثير هذا الصدى أن بعثت كل من القنصليتين الامريكية والاسبانية من يحصل لهما على نسخ من هذه المناشير مهما كان الثمن .»

[وفي الاسابيع الاخيرة من سنة 1950 ، قررت الجماعة تدبير عملية ضد عبد الحي الكتاني عند نزوله من الباخرة التي تقله من فرنسا . إلا أن محمد بن الجيلالي وابراهيم السوسي اللذين كلفهما صدقي بهذه المهمة ، لم يتمكنا من إنجازها بسبب كثرة قوات الامن التي كانت ترافقه .

وإثر بعض التطورات ، التي جعلت الجماعة تخشى اكتشاف نشاطها ، قرر أعضاؤها حلها .]

حسب حسن العرائشي
وبوشعيب بن الطيب سجاعدين
« كفاح الملك والشعب »
أصدرته جمعية حركة المقاومة المغربية
غشت 1958

مقاطعة معرض الدار البيضاء الدولي سنة 1952

ولما تقررت مقاطعة معرض الدار البيضاء الدولي سنة 1952 ، كلفت جماعة من المناضلين برئاسة صدقي والزرقطوني ليطلعوا على مدى تطبيق الناس الدعوة إلى المقاطعة . لذلك وقفنا أمام مختلف أبواب المعرض لاحصاء المغاربة الذين خالفوا الامر رغم الحملة التي نظمت من أجل ذلك . وكان المناضلون يتناوبون على الابواب لئلا يُنتبه إليهم . بل وذهب بعضهم إلى محاولة إحراق بعض الاروقة وإتلاف بعض السيارات ... وكانت فكرة مقاطعة المعرض ذات أهمية كبيرة في نظرنا لاننا كنا نرى في إقامته رمزا لاحتلال بلدنا احتلالا سياسيا واقتصاديا .

التيباري عبداك
(من حديث معه يوم 11 فبراير 1948)

معرض الدار البيضاء الدولي حينما كان يعقد في الميناء .
(مجموعة خاصة) .

متجره يسمى « مكتبة الاخوان » ويوجد أمام دكان الحسن . وكانوا ثلاثتهم يسيرون جماعات لحزب الاستقلال في المدينة الجديدة . ولحق بهم مسير آخر ، الحسين برادة . وكان موضوع حديثهم دائما هو طريقة مقاومة تصرفات الادارة الاستعمارية . وأفضى بهم ذلك إلى التفكير في وسيلة من وسائل العمل . وكان أول همهم ضمان الأمن . لذلك فكروا في البحث عن مكان آخر يجتمعون فيه سرا . فاقترح الحسن مخزنا له كان يوجد قرب مسجد الحاجب . وانتهوا ، بعد بضعة أسابيع إلى تحرير نشرة كتبت على قطعة جلد . واستُنسخت منها أعداد قليلة سرا في مطابع LE PETIT MAROCAIN . وامضيت النشرة بالاسم « المتطوعون » . وكانت الجماعة تدعو إلى الكف عن العمل يوم الجمعة لاحترام ذلك اليوم . ووزعت النشرة يوم الخميس . وكان لها وقع عظيم . وبعد بضعة أيام اقترح النعمان أن ينتسب إلى الجماعة مسير آخر من الحزب كانوا يعرفونه ، وهو محمد الزرقطوني . فقرروا الاتصال به ، وحجبوا وجوههم الا التهامي نعمان ، إذ لم يكن له مبرر في الاحتياط . ودام الحديث مع الزرقطوني أسبوعا قبل أن يؤدي اليمين على المصحف . وكان ذلك يوم 7 أبريل 1951 .

وقد أمكن وجود علتين اثنتين لهذا التصرف لما أعيد ترتيب هذه الأحداث فيما بعد .

أولاهما أن الزرقطوني لما اطلع على نشرة « المتطوعين » حاول أن يعلم مصدرها ، لاسيما أنه كان هو نفسه يبحث عن وسيلة للعمل غير العمل السياسي التقليدي . وكان يعرف الأوساط الوطنية معرفة تامة . وبذلك سهل عليه الاتصال .

أما العلة الثانية ، فهي تعتمد على رأي تسنده عدة قرائن . ذلك أن الزرقطوني قد يكون

عزم على أن يعمد إلى العمل المسلح السري . وقد يكون اتصاله بجماعة حي الأحباس سبيلا من السبل التي يسلكها للبحث عن بعض الأشخاص وليتحقق من عزيمتهم ومن مدى استعدادهم . وفي ذلك كتب الحسن العرايشي وبوشعيب شجاع الدين في « كفاح الملك والشعب » ما يلي : « **أكانت الجماعة ، عندما اتصل بها الزرقطوني ، واعية ، حينئذ ، بأنه لم يكن يريد إلا أن يوسع دائرة المقاومة في هذه الحقبة الأولى من تنظيمها** » . ويستدل على صواب هذا الافتراض ان الزرقطوني ما لبث أن كشف للجماعة أنه يملك سلاحين ناريين اثنين ، وأنه كان يريد خاصة أن يبين لهم أنهم ليسوا أول من اتصل بهم .

وكان الزرقطوني يحترف القياس في النجارة . وكانت له صلات ، منذ سنة 1948 على الأقل ، بنجار آخر هو محمد صدقي . وكانا كلاهما مناضلين استقلاليين بالمدينة القديمة . وقد نشطا نشاطا خاصا في أحضان لجنة تزيين الحي .

صدقي والزرقطوني وغيرهما

وكان صدقي ومولاي موح من عناصر هذه اللجنة الذين رأوا أن وقت أعمال العنف قد حان . وتمادت مُساراتهم حتى كثر عدد أفراد الجماعة وانخرط معهم سعيد المانوزي ومحمد الزرقطوني . فعمدت الجماعة في صيف 1948 إلى اتخاذ نظام يجمعهم على اليمين ، وخاصة على نص سمي « **القانون المحروق** » .

وكان صدقي منشط جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصناعية الموجودة في الحي والمسماة « الضيعة البيضاء » LA FERME BLANCHE . وقد تميز من بقية مناضلي جيله بأنه كان يدرس الفنون الحربية بالمراسلة . واستغل معرفته بتلك الفنون ، فيما بعد ، لتدريب المناضلين تدريبا بدنيا على الكفاح . وأفضت الصلة بين الزرقطوني وصدقي بعد مدة من الزمن إلى إنشاء جماعتين اثنتين نسقتا أعمالهما أحيانا ، وتنافستا أحيانا أخرى .

ولما دشنت البنايات الجديدة التي أقيم فيها معرض الدار البيضاء الدولي (على الشاطئ) في ربيع سنة 1952 كان أعضاء الجماعتين ، في جوانب المعرض وفي داخله ، يقدرون مدى اتباع دعوة الأوساط الوطنية إلى مقاطعة المعرض .

وما يزال من الصعب ، رغم كل ما يمكن من التحقيق والمقارنة ، أن نتبين بدقة مدى تشعب الاتصالات التي كان الزرقطوني ، وهو المناضل الكثير النشاط ، يقوم بها في تلك الحقبة . وكانت سرعة حركته غريبة رغم اضطراره إلى العمل في السر منذ نفمبر 1952 . لذلك نراه يساهم في أي عمل يمهد للكفاح المسلح . وهكذا كانت له اتصالات بعناصر « اتحاد الجنوب » الذي يسيرها التاجر عبد الرحمان الصنهاجي ، المدعو عبد الله .

اتحاد الجنوب

كان منشأ هذا الاتحاد فكرة بسيطة ، وهي جمع شمل المهاجرين من مناطق الجنوب الذين قدموا إلى مدينة الدار البيضاء للاقامة بها . ولما تزايد عدد أعضاء حزب الاستقلال النازحين من الجنوب ، رأيت ، سنة 1947 ، أن أنشئ منظمة تضامنية تكون جزءا من هياكل الحزب . فعرضت الفكرة من حولي على بعض المناضلين . فاستحسنوها ، وخاصة منهم حميدو الوطني الذي اشتهر اسمه حينذاك في الاوساط الوطنية . ولما أنشئت المنظمة سنة 1947 ، سميت « اتحاد الجنوب » . وكان المناضلون يعنون ، في هذه الحال ، بالجنوب كل الناحية التي كانت تحت نفوذ الكلاوي .

وبذلك كانت 18 قبيلة أو فرع قبيلة ممثلة في المجلس الاداري التابع للاتحاد . وكانت هياكل القاعدة (أي الخلايا) تنطلق من الحي ، إذ جُمع كل ناس الجنوب حسب الاحياء التي يسكنونها أو يعملون بها . وكان لكل جماعة مسؤول . وكانت معظم أعمال « الاتحاد » استقبال المهاجرين الجدد ومساعدتهم ونشر المبادئ الوطنية في الجنوب ، إذ كنا نعتبر أن هذه المنطقة تقاسي احتلالين : الاحتلال الفرنسي واحتلال الكلاوي .

وما لبثت فوائد هذا العمل أن ظهرت في مسفيوة وسكتانة وسكورة . وبعد مدة من الزمن أنشئ فرع للاتحاد في الرباط .

وفي أوائل دسمبر 1951 لما دعا الحزب إلى حل « الاتحاد » كان عدد أفراده يقارب 1700 عضو .

عبد الله الصنهاجي
(من حديث له يوم 14 ماي 1984)

ولما قرر الحزب حل « اتحاد الجنوب » في أوائل سنة 1951 أخبر المسيرين المحليين ليعلموا بذلك المناضلين المهاجرين من الجنوب . وكان محمد الزرقطوني يشرف على مجموعة من خلايا الحزب في الحي العتيق . وحاول الاتصال بمسؤولي « الاتحاد » ليعلم حقيقة الأسباب التي أدت إلى اتخاذ الحزب ذلك القرار . وكان الصنهاجي قد قبل القرار . ومع ذلك فقد وزع بعض عناصر « الاتحاد » إلى مجموعات سرية . وحادثه الزرقطوني في الأمر . فأصبح ، بذلك ، يتصل أيضا بفئة تستعد هي الأخرى للعمل المسلح .

وهكذا ، كان للزرقطوني في متم سنة 1952 اتصال وثيق بعدد من الجماعات نعرف منها اليوم ثلاثا : الجماعة الكثيرة العدد التي كانت بالحي العتيق والتي كان يسيرها مع صدقي ، وجماعة الحي الجديد (حي الأحباس) وجماعة الصنهاجي التي كان مقرها في حي القريعة .

الرحلة إلى مراكش

ودل إعداد عملية يوم الجمعة 14 غشت 1953 على مدى إحكام التنسيق بين هذه الجماعات . وكانت الادارة الاستعمارية عازمة على أن تنهي في منتصف غشت بمراكش الحلقة الأخيرة من المؤامرة التي كانت تدبرها منذ أواخر ماي . وكانت « عريضة » ماي قد أقرت حركة القواد والباشوات التي كان الكلاوي والكتاني يتزعمانها ، والتي كانت تهدف إلى خلع السلطان وتعيين ابن عرفة إماما .

وشاع ، في الأوساط الوطنية في الدار البيضاء ، أنه تقرر إجراء حفلة التنصيب يوم 14 غشت في مراكش ، وهي عاصمة منطقة نفوذ الكلاوي .

ونزلت بمراكش جماعة كثيرة العدد لتحاول القيام بعمل ما . وسافر بعضهم في القطار ، وبعضهم الآخر على متن ثلاث سيارات . واشترك في هذه الحملة عدد هام من المناضلين الذين

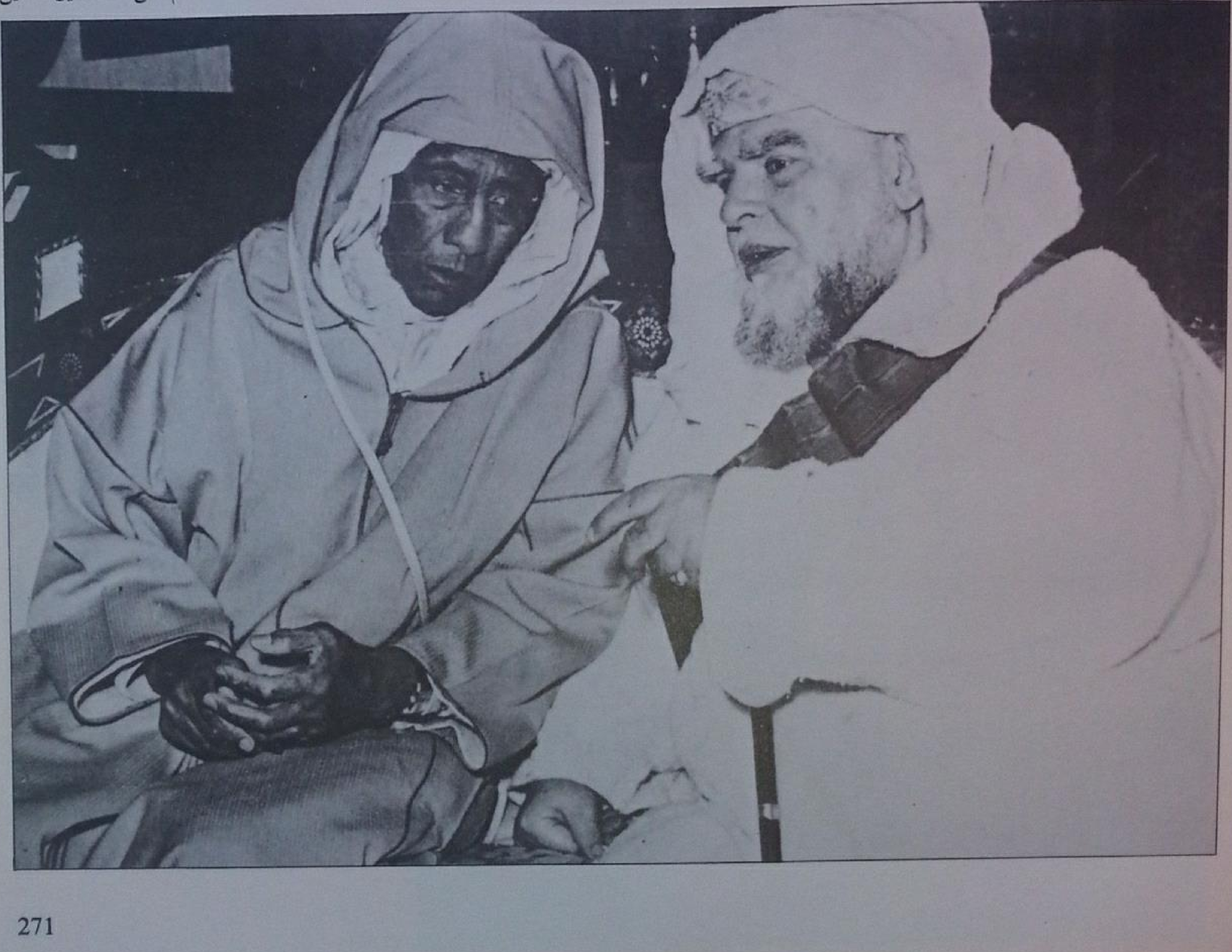

التهامي الكلاوي وعبد الحي الكتاني ، زعيما المتآمرين .
(وثائق GAVIN MAXWELL) .

كانوا التزموا – إلى ذلك اليوم – بالخوض في الكفاح المسلح ، كما اشتركت الجماعات الثلاث في إعدادها (جماعة صدقي والزرقطوني والصنهاجي) . وكان الزرقطوني والصنهاجي من بين الذين سافروا إلى عاصمة الجنوب . لكن ممثلي الجماعات قرروا ألا يتصلوا فيما بينهم قبل الوصول إلى عين المكان ، وذلك حفظا على سلامتهم .

ولم يكونوا قد خططوا أي مخطط دقيق . إلا أنهم حملوا معهم أسلحة كانوا ينوون محاولة استعمالها لعرقلة حفلة التنصيب .

لكن الحفلة أجلت . وكان المناضلون منبثين في مسجد الكتبية . فاكتفوا بإحداث موجة من الرعب والفزع لازعاج المصلين من داخل المسجد . فأفضى ذلك إلى اصطدام مع حرس الكلاوي .

ولما عادوا إلى الدار البيضاء ، علموا أن القواد والباشوات نصبوا في ذلك اليوم نفسه بمراكش محمد بن عرفة « سلطانا للمغرب » .

ثم أقدم كيوم على الاهانة الأخيرة في يوم الخميس التالي (يوم 20 غشت) . ولا جرم أن يغتاظ لذلك الحدث أعضاء كل الجماعات التي كانت تستعد للمقاومة . لكن غيظهم كان ممزوجا بالشعور بالحرية ... إذ لم يعد هناك أي مانع من استعمال السلاح ... وأطلقت المقاومة الحضرية رصاصتها الأولى يوم 5 شتنبر 1953 .

الكلاوي والقواد الموالون له في بعض حملاتهم لخلع صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف ، وتسندهم الجريدة « LE PETIT MAROCAIN » .
(الخزانة العامة بالرباط) .

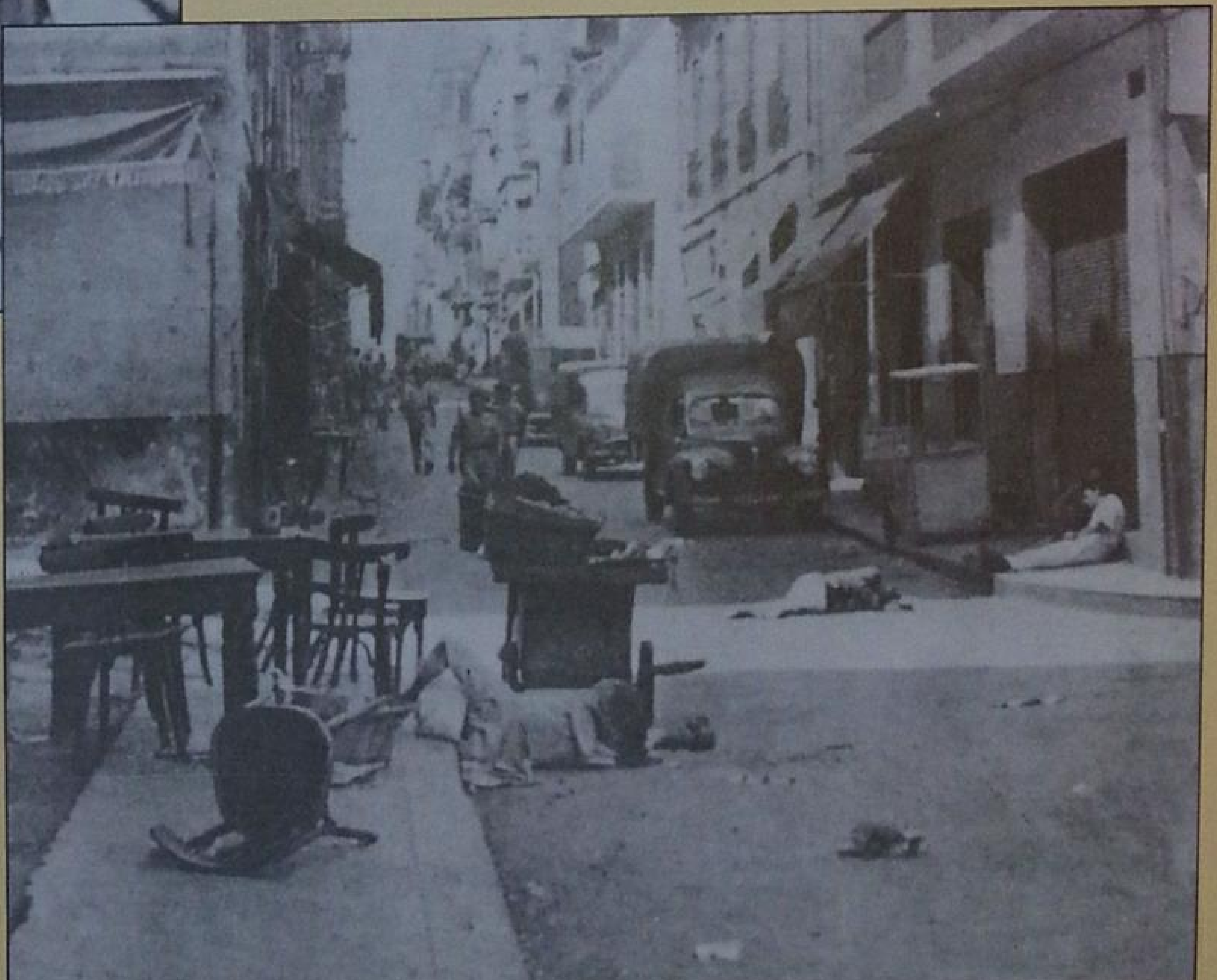

الفتنة بمراكش .
(وثائق « المغرب ») .

مؤامرة 20 غشت 1953

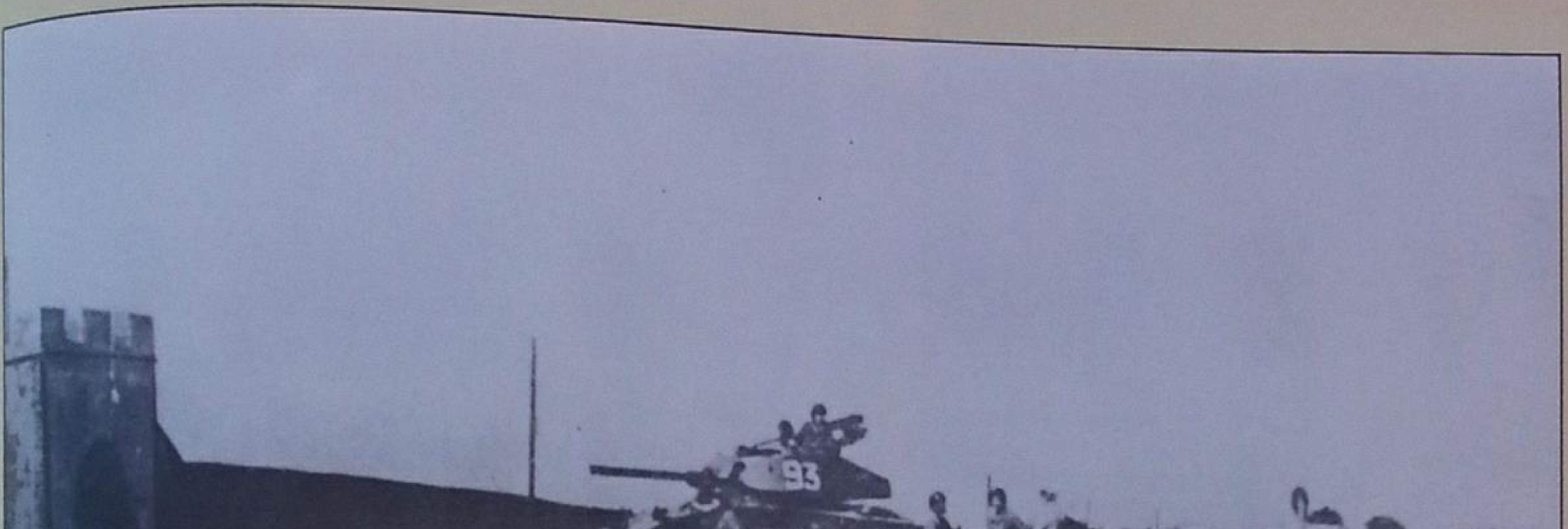

ولكن والدي لم يستسلم ، ففي 20 غشت 1953 وهو ليلة عيد الاضحى أكبر الاعياد الاسلامية ، كان الرباط تحت حالة الحصار (الطوارئ) ، وكانت الساعة الواحدة والنصف من بعد الظهر عندما أخبر الملك وهو يفرغ للتو من تناول غدائه ، إن الجنرال كيوم يرغب أن يستقبله رسميا بعد نصف ساعة .

القصر الملكي مطوق ، والدبابات والسيارات المصفحة توجه مدافعها ورشاشاتها إلى الباب الكبير في القصر ، ويصل الجنرال كيوم محاطا بالقوات الخاصة الفرنسية المسلحة بالرشاشات ، حرسنا الملكي جرد من سلاحه وأمر أفراده أن يستديروا بوجوههم إلى الحائط وأن يرفعوا أذرعهم عاليا في الهواء . يدخل المقيم العام إلى صالون الاستقبال يرافقه كل من الجنرال دوفال Général Duval القائد الاعلى للقوات الفرنسية في المغرب ، والمسيو دوتهيل Dutheil مدير الامن ، ومعهم بضعة موظفين آخرين ، ولم يكن أمام والدي من الوقت أكثر مما يلزمه لارتداء جلابة فوق ثياب نومه ، الحر خانق ، والمقيم العام يتوجه إلى الملك قائلا له باختصار :

– إن الحكومة الفرنسية لدواعي الامن ، تطلب منكم التنازل على العرش ، فإذا قبلتم ذلك عن طيبة خاطر ، استطعتم أنتم وأسرتكم أن تقيموا في فرنسا ، أحرارا معززين مكرمين !

وأجاب والدي بهدوء زائد بالرفض وقال :

– ما من شيء في أعمالي وأقوالي يبرر أن أتخلى عن أمانة أضطلع بأعبائها بصفة مشروعة ، وإذا كانت الحكومة الفرنسية تعتبر أن الدفاع عن الحرية والشعب بمثابة جريمة يعاقب عليها ، فإني أعتبرها فضيلة يفاخر بها وتورث صاحبها المجد .

ورجا الجنرال من السيد محمد المعمري الذي كان اتصالنا به شديدا أن يترجم إلى العربية كلماته بدقة وقال :

– إذا لم تتنازلوا حالا عن العرش بالرضى ، فإني مكلف بإبعادكم عن البلاد صيانة للامن .

ولكي يستطيع السيد المعمري أن يترجم بأمانة ، أجاب الملك بكلمات متمهلة قائلا :

– إني ملك المغرب الشرعي ، ولن أخون أبدا الامانة التي ائتمنني عليها شعبي الوفي المخلص ، إن فرنسا قوية فلتفعل ما تشاء .

وهكذا كان قد قيل كل شيء ، فطلب الجنرال إحضار أخي مولاي عبد الله وإحضاري ، ثم التفت إلى الملك وقال :

– هيا بنا ، سنأخذك أنت وولديك .

ثم أشار إلى ضابط من الدرك الفرنسي فدفع – والمسدس بقبضة يده – والدي أمامه ، وخشيت أن يرديه في نفس المكان قتيلا ، وتبعناه نحن – أخي وأنا – أيضا مدفوعين والرشاشات مصوبة إلى أظهرنا ، ثم أركبونا ثلاث سيارات دون أن يسمحوا لنا بتبديل ملابسنا ، ولا بأن نحمل أقل ما يمكن من متاع نحتاجه ، وقادونا إلى المطار العسكري في السويسي حيث وضعنا تحت الحراسة .

وطلب والدي أن يشرب ، ولكنهم أصدروا الاوامر إلينا أن نأخذ مقاعدنا في طائرة دي – سي 3 التي كانت محركاتها تدور ، فتدخلت عندها قائلا : أبي مريض ، ولا يتحمل إلا بصعوبة زائدة السفر بالطائرة ، واستدعوا طبيب الملك الدكتور دوبوا روكبير Dr. Dubois Roquebert الذي أسرع بالحضور وأيد ما أبديت من مخاوف ، ولكنهم لم يعيروا أي التفات إلى أقواله ومد دركي إلى الملك إناء حديديا فيه الماء ليشرب ، فشكر ورفض ، ودفعوا بنا نحو الطائرة التي أقلعت باتجاه مجهول ، وكانت الساعة عندئذ تشير إلى الثالثة إلا ربعا بعد الظهر .

جلالة الملك الحسن الثاني
من كتاب « التحدي »

تشــــكرات

نقدم شكرنا إلى جميع الهيئات والاشخاص الذين ساعدوا على إنجاز هذا المجلد :

- مصالح السيد الوزير الأول
- وزارة الشؤون الثقافية
- السيد وزير البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية
- السيد محافظ الخزانة العامة والوثائق بالرباط
- السيد محافظ الخزانة العامة والوثائق بتطوان
- المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط
- خزانة الصبيحي بسلا
- خزانة الاوداية
- وثائق حزب الاستقلال
- مؤسسة محمد حسن الوزاني
- مصلحة الصحافة والاعلام بسفارة فرنسا بالرباط
- المتحف الوطني للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية بالرباط
- الاتحاد المغربي للشغل

كما نتقدم بجزيل تشكراتنا لمجموع أسرة المقاومة وجيش التحرير التي لم نتمكن هنا من التعبير عن امتناننا لكل عضو من أعضائها على حدة .

وسندرج في المجلد السابع قائمة بأسماء المقاومين الذين تفضلوا بإغناء مجلدنا هذا بشهاداتهم القيمة .

نهاية الطبع : فبراير 1986
الكتابة الفوتوغرافية NORD ORGANISATION (LUGANO)
16 ، زنقة الجديدة - الرباط -
الطبع والتجليد :
ALTAMIRA S.A. MADRID
FOTOMECANICA KARMAT
الايداع القانوني : الخزانة العامة والأرشيف بالرباط
رقم : 264 / 1985

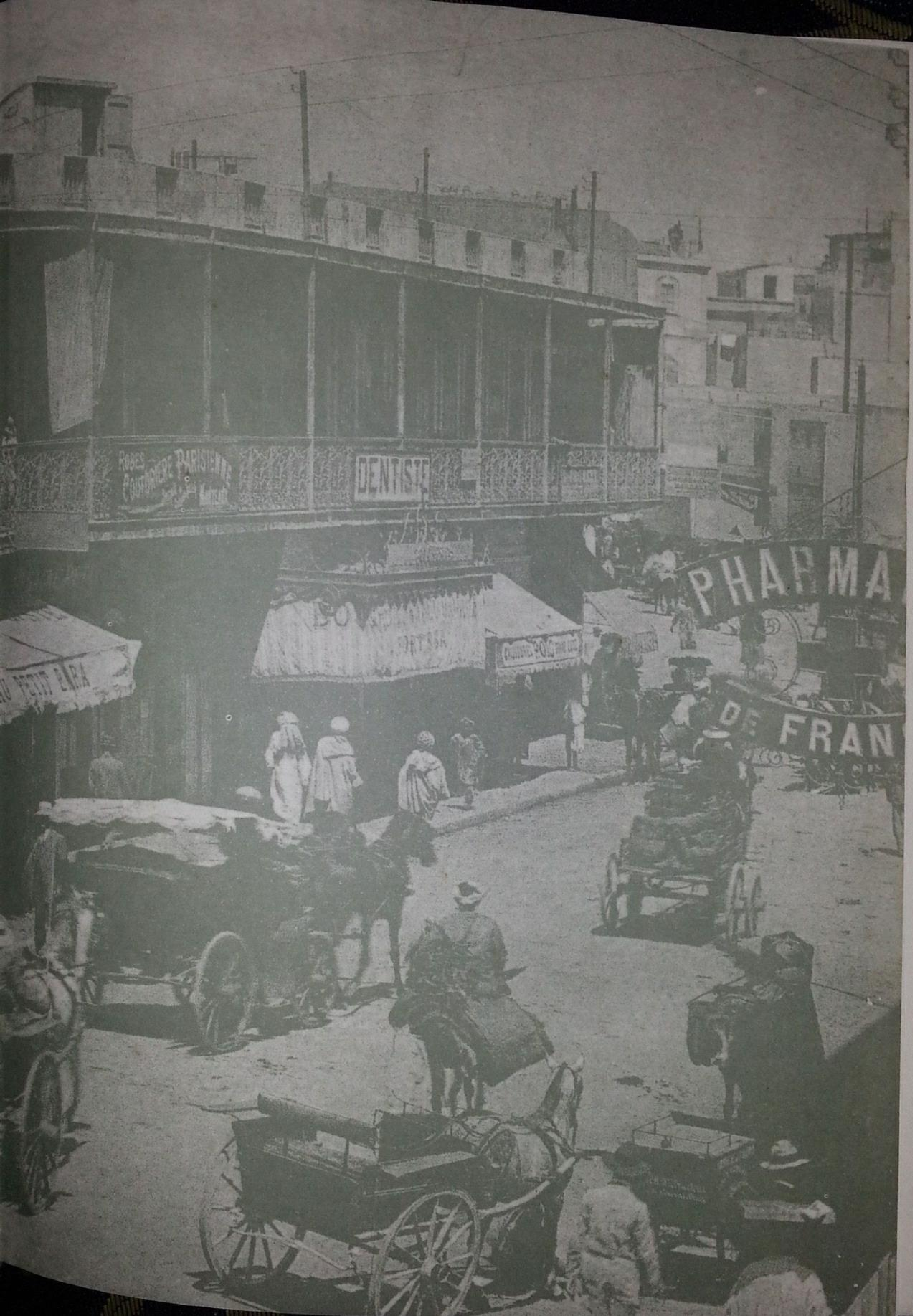
DENTISTE
PHARMA
DE FRAN

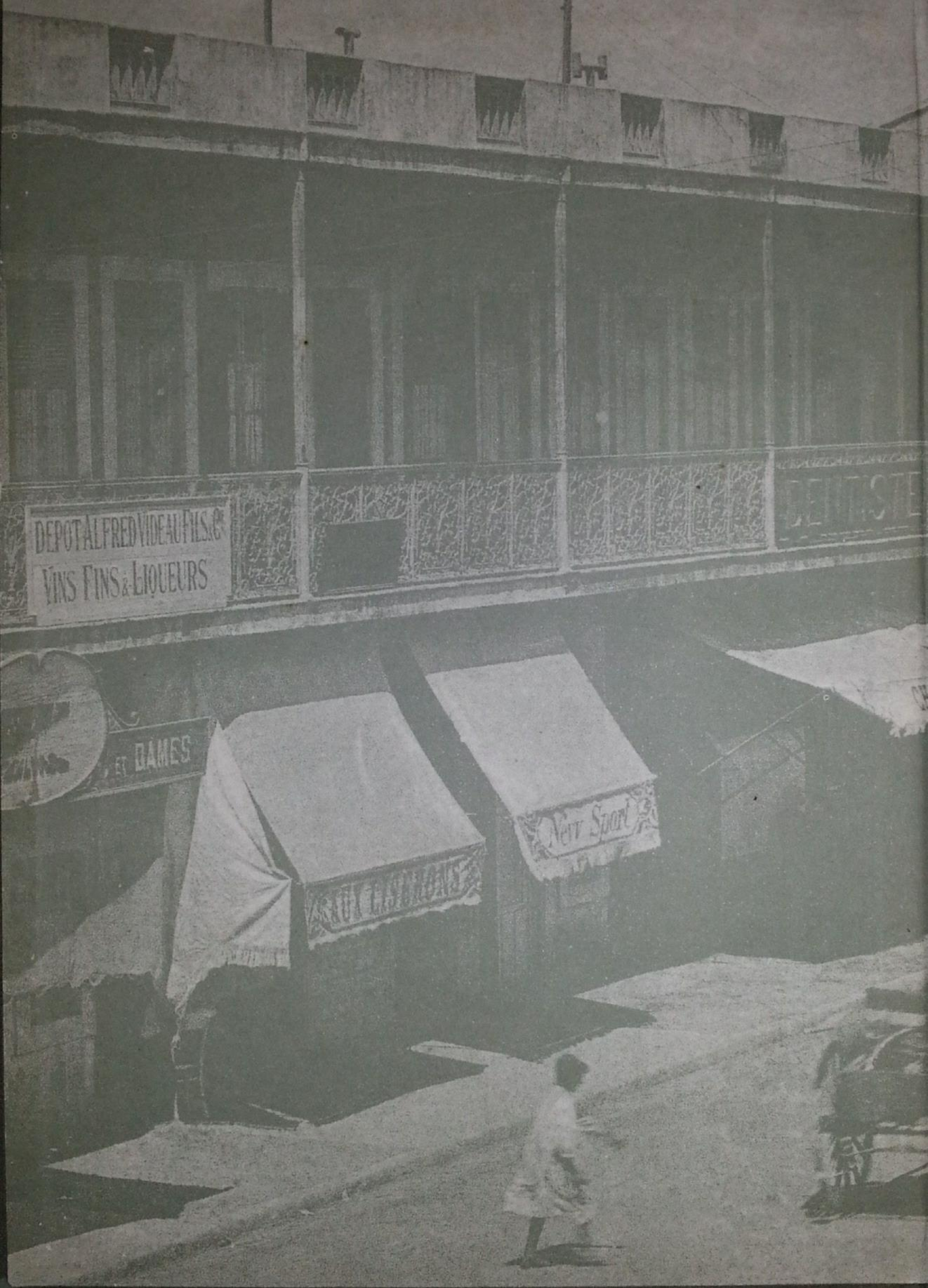
DEPOT ALFRED VIDEAU FILS & Cie
VINS FINS & LIQUEURS
ET DAMES
New Sport